الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر –باتنة | **نيابة العمادة لما بعد التدرج**

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية | **والبحث العلمي**

قسم العلوم الإسلامية | **والعلاقات الخارجية**

منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية

عند أبي علي الفارسي

من خلال كتابه "الحجة للقراء السبعة"

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في علم القراءات

إعداد الطالب: | **إشراف الأستاذ:**

عبد الرحمن معاشي | **أ.د/ منصور كافي**

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ عبد الحليم بوزيد	أستاذ التعليم العالي	كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والإسلامية -باتنة	رئيساً
أ.د/ منصور كافي	أستاذ التعليم العالي	كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والإسلامية –باتنة	مقرِّراً
د. السعيد بوخالفة	أستاذ محاضر	كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والإسلامية –باتنة	عضواً
د. محمد بوركاب	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة	عضواً
د. عبد الكريم بوغزالة	أستاذ محاضر	المركز الجامعي –الوادي	عضواً
د. كمال قدة	أستاذ محاضر	المركز الجامعي -الوادي	عضواً

السنة الجامعية: 1432– 1433هـ/ 2011– 2012م

قال رسول الله ρ

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)

رواه البخاري ومسلم

نوقشت هذه الرسالة يوم: 25/ 09/ 2012م وأجيزت بتقدير: **مشرف جدا**

إهداء

إلى من غمرتني بعطفها ووسعتني بحنانها ورعايتها، وإلى من شملني بحرصه وتوجيهه
ما بصرني بدروب الحياة وأنار أمامي معالم الطريق ومهد لي سبيل التوفيق والدي الكريمين حفظهما الله
وإلى من قاسمتني حلاوة الحياة ومرارتها وشاركتني آمالي وآلامي وكانت بعد الله نعم السَّند والمعتمد زوجتي المباركة
وإلى الوردة المتفتِّحة والوردة المبتسمة بنيَّتي الصَّغيرة سندس وإلى أختي الفاضلة البصيرة حوريَّة...
إلى كلِّ هؤلاء وكلِّ العائلة أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

أحمد الله ربي تعالى على سابغ فضله ونعمه التي تترى وأشكره على تمام فضله وما أسدى، ووفقني لإتمام هذا البحث وإنجازه.

ولا يسعني بعد حمده تعالى وشكره إلا أن أسجِّل بالغ شكري وامتناني لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور: منصور كافي؛ لما غمرني به من اهتمام ومساعدة، فهو الذي تكرَّم عليَّ بقبوله الإشراف على بحثي في الماجستير، وها هو مرَّة أخرى يرافقني في هذا البحث بعد أن وافقني عليه لأوَّل وهلة عرضت عليه الإشكاليَّة، وأولاني بتشجيعه وصبره وسعة صدره، ولم يضنَّ علي بعلمه ووقته وجهده وتوجيهاته العلمية بالرُّغم من التزاماته الكثيرة، فجزاه الله على كل ما قدَّم خيراً.

كما لا يفوتني أن أشكر جميع أساتذتي في هذه الكلية، وأخص بالذِّكر: الدكتور: السعيد بوخالفة أستاذي في مرحلة التدرج، وكلٍّ من: الدكتور "بن نبري" والأستاذ الدكتور "عبد الكريم حامدي" والأستاذ: عمر حيدوسي؛ عرفانا لما أسدوه لي من أيادي سابغة من العون والمساعدة والتشجيع؛ مما ذلّ الكثير من الصعاب، ورفع المعنويات، ما ساعد على إتمام هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر إلى عميد الكلية الأستاذ الدكتور "سعيد فكرة"، وكل عمال الجامعة إدارة وأساتذة.

ويسعني أيضا أن أشكر أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، الذين تحمَّلوا جهداً مشكوراً في قراءة هذا البحث وإبداء آرائهم وملاحظاتهم القيِّمة.

وأشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد، بالكثير أو بالقليل، ماديا أو معنويًّا، وأخص بالذِّكر: الأستاذ: محمد الأمين بوروبة، والأستاذ: بوشوشة، والأستاذ: عيسى قروري، والأخ: عبد الحفيظ جباري...

والله نسأل من قبل ومن بعد التوفيق والسداد

بسم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على البشير النذير سيّد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن أفضل ما صرفت فيه الأوقات، وقضيت فيه الأعمار، كلام الله -جل وعلا- تلاوةً وتعلّماً وتعليماً، ودراسة كلّ ما يعين على فهمه وتدبّره، فحريٌّ أن تنفق فيه الأوقات وتصرف فيه

الجهود والطاقات، فإن القرآن ينبوع العلم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه وأصل كلّ علم ورأسه، من عمل بما فيه ألبسه الله الحلل وأسكنه الظلل وجعله من أوليائه المتقين، وحشره في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهو من أجلّ الطاعات وأفضل القربات إلى وليِّ الحسنات والدعوات المستجابات، فكلما ازداد المرء فيه تلاوة ازداد طهارة، وكلما ازداد فيه تعمّقا ازداد تعلُّقاً ومعرفةً، إنه الواحة الخضراء التي لا يغيض ماؤها ولا يجفّ حرثها، بل تزداد نضارةً وبهاءً كلما ازداد روادها.

ولما كانت العلوم تشرف بموضوعاتها، فإن الدراسات القرآنية عامة، وعلم القراءات خاصة أجلّ هذه العلوم وأشرفها، لتعلّقها المباشر بكتاب الله Y.

ولقد أضحت القراءات القرآنيّة محلّ عناية بالغة من لدنْ زمن النبيّ ρ إلى يوم النَّاس هذا؛ إذ لم يخلُ عصر من الأعصار إلاّ وقيّض الله لحفظ كتابه من الناس قائمين يقرؤون القرآن ويحفظونه ويتقنون حروفه ورواياته ووجوهه، يتعهدونه ويقرئونه لمن بعدهم، تحقيقاً لموعوده Y: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [الحجر: ٩].

ولم تتوقف العناية بكتاب الله Y على هذا الحدّ، بل تعدّت إلى التصنيف في شتى مجالاته وعلومه المتعلّقة به، فكان التصنيف في علوم القرآن عموما وفي علم القراءات خصوصاً بارزاً بشكل ملفت للانتباه؛ الأمر الذي يدعو إلى الدِّراسة المتأنّية والتأمُّل المستوعب لهذا الزخم العلميّ الهائل الذي خلَّفه رجالاتُ هذا العلم ومفاخرُه.

ولقد كان كتاب "الحجة للقراء السبع" لأبي علي الفارسي من بين الكتب المهمة التي أخذت مكانها وسْط تلك المصنّفات، ومن بين تلك التي حازت قصب السبق والريادة في هذا العلم؛ ذلك أن المصنِّفَ عاش في (ق 4هـ)؛ عصر التَّرف العلمي والفكريّ، وهو من أبرز الشخصيات في علم القراءات والنحو أداءً وتدريساً وأستاذيّةً وتأليفاً ؛ الأمر الذي يدعو –فعلا– إلى الاهتمام بهذين الشخصيَّة المهمة ودراستها وتتبُّع منهجها في كتابيها ومسلكها في عرض مسائل القراءات وبسطها وتوجيهها واختيارها.

وقد اخترت أن يكون بحثي هذا دراسةً لمنهج هذا العلَم في الاحتجاج للقراءات القرآنية من خلال كتابه هذا، فكان موسوماً بـ:

"منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي من خلال كتابه "الحجة للقراء السبع"

أ- أهمية الموضوع:

يكتسي هذا البحث أهميته من خلال جملة أمور:

1- معلوم أن شرف العلم من شرف المعلوم، ولا أشرف من كتاب الله Y، ففضله على سائر الكتب كفضل الله على خلقه.

2- مكانة علم القراءات القرآنية ومرتبته السامقة في الساحة العلمية وأثره في فهم الخطاب القرآني، كل ذلك يعطي هذا البحث جدواه وأهميته.

3- ضرورة الكشف عن حياة أولئك الأئمة العلماء الذين كان لهم الفضل في ظهور هذا العلم وتطوّره وإيفائهم حقَّهم ورفعِ ذكرهم بالدراسة، ومن بينهم أولئك الذين عُنوا بالتأليف والتصنيف في هذا الفنّ وأخرجوه من دائرة السَّماع والمشافهة إلى دائرة القراءة والتلقين.

4- لا يخفى ما لوضوح المنهج من أهمية كبرى في تذليل السُّبل للوصول إلى الحقائق العلمية، ولذلك فإن معرفة منهجِ مصنِّف معيَّن ومسلكِه في كتابه يسعف الباحث والقارئ على اكتساب الأسس والمبادئ الموضوعية الضرورية للانطلاق منها للوصول إلى الهدف والنتيجة.

5- كما أن التعرف على منهج المؤلِّف في كتابه يعطي القارئ تصوّرا مسبقاً على هذا الكتاب، ويزيل الغموض الذي قد يعترض أفكاره أو مصطلحاته، وييسّر فهمه والتعامل معه ومع نظائره.

ب- الإشكالية:

يتمحور بحثي هذا على دراسة منهج الاحتجاج وتوجيه القراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي من خلال كتابه "الحجة للقراء السبع". وعليه فبعد التعرف على أهمية الموضوع، يمكن بعدها صياغة إشكاليته، والمتمثِّلة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما هي أبرز ملامح وسمات المنهج الذي سلكه الفارسي في كتابيها عموما، وفيما يتعلق بتوجيه القراءات خصوصا؟

تنشأ عن هذا التساؤل العام عدة تساؤلات وإشكالات فرعيَّة، أهمُّها:

- من هو الإمام أبو علي الفارسي؟
- كيف كانت القراءات قبله، وكيف أضحت معه؟
- ما هو كتاب "الحجة للقراء السبع"؟ وما مدى تميّزه عن غيره من الكتب والمصنَّفات في هذا الفن؟
- وما هي أبرز ملامح وسمات المنهج الذي سلكه المؤلِّف في كتابه؛ بخصوص عرضه لمسائل القراءات، وتوجيهها واختيارها؟

– وما مدى التزام المؤلِّف بمنهجه في جمع كتابه؟ وما هي الملاحظات التي يمكن تسجيلها وإيرادها على منهجه وآرائه في كتابه؟

ج- أسباب ودوافع اختيار هذا البحث:

إن من أبرز دوافع اختياري هذا البحث ما يأتي:

1- مكانة القرآن الكريم في سويداء قلبي منذ صباي؛ إذ بعد أن أكرمني الله Y بحفظ كتابه، لفت انتباهي اختلاف المصاحف ذات الروايات المختلفة، ومن ثمَّ شغفت بتعهُّده وقراءته بتلك الروايات وصرت أنزع إلى مزيد المعرفة بهذا العلم –علم القراءات.

2- قوّة علاقة هذا العلم ومتانة صلته بكتاب الله Y، حيث إنه يتناول ألفاظه وكيفية قراءاتها؛ الأمر الذي أرجو فيه المزيد من الأجر من الله Y، وشرف العلم بشرف المعلوم.

3- كل من يقرأ عن الإمام أبي عليّ الفارسي يستوقفه ذلك السِّجال العلمي الحادّ بينه وبين غيره، خصوصاً منافسه ومعاصره ابن خالويه (ت370هـ)–صاحب الحجة في القراءات السبع–؛ الأمر الذي يدعو إلى الكشف عن أسباب ذلك وإلى مزيد المعرفة عنهما.

4- كما وقع اختياري على هذا الموضوع لمنزلة الفارسي رحمه الله ورسوخ قدمه في هذا العلم؛ يدلّ ذلك تأثيره في كثير ممن جاء من بعده.

6- ما تضمَّنه الكتاب من بيان معالم منهجية المؤلفين في القراءات في ذلك العصر وما قبله، ومعرفة أسلوب عرض القراءات.

7- تمكُّن الإمام أبي علي رحمه الله من علوم اللغة العربية، من أصوات وصرف ونحو وبلاغة، وظهور آثار هذه العلوم عند توجيه القراءات واختيارها.

د- أهداف البحث:

يصبو هذا الموضوع إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1-إثراء مكتبة علم القراءات، والتي هي أحوج ما تكون إلى كتب ودراسات علمية جادّة.

2- الإسهام في إظهار شيء من ذلك الكنز الدَّفين من كتب القراءات لكي تكون في متناول المتخصصين والباحثين.

3- إبراز إسهام الإمام الفارسي وبصماته في خدمة وإثراء علم القراءات.

4- إنصاف الإمام وإبراؤه من بعض الأقوال غير المسئولة.

5- الكشف عن المنهج الذي سلكه المؤلّف في كتابه ومدى التزامه به.

6- التعرف على موقفه من بعض المسائل العلمية المتعلقة بتوجيه القراءات واختيارها، وكذا مذهبه النحوي ومقارنته بغيره من أهل الأداء والمصنِّفين.

هـ- المنهج المعتمد في البحث:

لقد أسلمني تحقيق هذه الأهداف إلى استخدام عدَّة قواعد منهجيَّة، وهي:

1- الاستقراء والاستنباط:

وهما القاعدتان المهيمنتان على البحث؛ وذلك بتتبُّع جميع ثنايا الكتاب واستقراء أهمِّ المسائل فيه، واستنباط معالم ومميزات منهج المؤلِّف وطريقته في تناول مسائل القراءات والاحتجاج لها، ومن ثم قمت بتنظيمها وترتيبها وتحليلها.

2- المقارنة والتحليل:

فالمقارنة؛ لأنني في كلِّ مرَّة أتعرَّض فيها لمسألة من مسائل الاحتجاج أستعرض فيها رأي الإمام الفارسي مقارناً بآراء غيره من النحاة والقرَّاء، وقد أناقش وأرجِّح بينها إن تطلَّب الموقف ذلك.

أقوم بكلِّ ذلك مع التحليل في كلِّ مرَّة لما استقريته واستنبطته وقارنته.

و- الدراسات السابقة وجديد البحث:

بالرغم مما ألف في علم القراءات من كتب ومصنفات ودراسات علمية وأكاديمية معتبرة، ولكنها لا تزال غير كافية تحتاج إلى إسهامات وكتابات أخرى جادة.

وأما بخصوص هذا الموضوع فإني لم أقف –في حدود اطلاعي- على كتابات أو دراسات بشأنه، عدا كتاب الحجة لأبي عليّ الفارسي، الذي وضع حواشيه وعلَّق عليه الباحث: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان، ط1، سنة: 1421هـ- 2001م. وهي النسخة التي اعتمدتها في هذا البحث، كما استعنت في بعض الأحيان بتحقيق الجزء الأول من الكتاب لكلٍّ من الباحثين: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجَّار وعبد الفتَّاح شلبي. كما اطَّلعت على مقال بعنوان: أثر أبي علي الفارسي في جهود ابن سيده النحوية للباحثة: نادية حسكور، وبعض المقتطفات عن كتاب للباحث عبد الفتَّاح إسماعيل شلبي لم أعثر عليه بعنوان: أبو على الفارسي : حياته ، آثاره في القراءات و النحو.

وأمَّا الجديد الذي جاءت به هذه الدِّراسة فهو الكشف على منهج أبي عليّ وتتبُّعه في طريقة الاحتجاج، والاستشهاد، والاختيار، والنَّقد، والمناقشة وغيرها من المسائل التي لم يُتطَرَّق إليها – حسب اطِّلاعي– من كتب على أبي علي الفارسي رحمه الله أو تناول بعض توجيهاته.

ج- مصادر ومراجع البحث الأولية:

يفرض هذا النوع من الدراسات تنوعا في المصادر والمراجع، أهمها:

أولا: مصادر ومراجع تتعلَّق بعلوم القرآن والتفسير عموما وعلم القراءات والتوجيه على وجه الخصوص، وذلك نحو:

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة، بيروت، د.ط، 1951م.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1391هـ.
- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، سورية، ط3: 1412هـ.

التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، د.ط.ت.

- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد أبو عبد الله بن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط3: 1399هـ- 1979م.
- معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1422هـ- 2002م.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزريّ، أبو الخير، تقديم: علي محمد الضبّاع، تخريج الآيات: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2: 1422هـ- 2002م.

ثانيا: مصادر ومراجع تتعلق باللغة وإعراب القرآن الكريم، نحو:

- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط3: 1408هـ- 1988م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيينن أبو البركات الأنباري، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ط.

- إيجاز التعريف في علم التصريف، ابن مالك، ت: مهدي عبد الحي، دار عمار سالم- السعودية، د.ط، 1422هـ- 2002م.
- البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنّكة اللميداني، دار القلم – الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط1: 1416هـ- 1996م.
- التبيان في إعراب القرآن، عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء العكبري، المكتبة التوقيفيّة، د.ط.ت.

ثالثا: كتب في التاريخ التراجم، إضافة إلى المعاجم اللغوية والموسوعات، وهي كثيرة جدا.

ز- الصعوبات التي اعترضت البحث:

لا يخلو بحث علميّ من صعوبات، وقد واجهتني في إنجاز هذا الموضوع صعوبات عديدة شأني في ذلك شأن أيّ باحث، ومنها ما يأتي:

1- سعة هذا البحث؛ وذلك لتشعّب أطراف الموضوع وتداعيها وتداخلها مع بعضها بعضا؛ إذ لا بدَّ لدارس مثل هذه الكتب أن يكون ضليعا في علوم القرآن والقراءات، وفي علوم العربية بشتى أنواعها.

2- لا أدَّعي وفاء الموضوع حقَّه حينما عانيت بعض الصُّعوبات المعرفيَّة فيما يتعلَّق بمسائل اللغة العربيَّة؛ فقد أسلمتني طبيعة البحث لبحر اللغة بعيد الغور لا أملك إلاَّ بعض مفاتحه بُله أن أسبح في أعماقه وأركب أمواجه، التي تعصف بمن بضاعته مزجاة في هذا الفنِّ مثلي.

3- قلّة المصادر والمراجع المؤصِّلة لقواعد هذا العلم الشريف بالمقارنة مع غيره من العلوم والفنون.

4- كان لتأليف الكتاب في زمن مبكِّر أثره البالغ على ندرة المصادر التي تتضمَّن تلك المعلومات التي ضمَّنها أبو عليّ الفارسي كتاب الحجة، فالمصادر التي ألّفت قبله في فنِّه قليلة ومحدودة، وليست متداولة بين كثير من المتخصِّصين، بل إن معظمها لا يزال يرقد على أرفف خزائن المخطوطات، وربما حُقِّق بعضها فلم ينشر بعد للاستفادة منه.

5- عانيت بعض الصعوبات في جمع المادَّة العلمية وتنسيقها وتحريرها بما يوافق مقتضيات المنهجية العلمية.

ومع كلِّ هذا فقد بذلت غاية جهدي في محاولة إنجاز بحث وافٍ بحقِّ الموضوع علميّاً ومنهجيّاً.

ح- المسلك الذي اعتمدته في كتابة هذا البحث:

1- المحافظة على كتابة الآيات القرآنية كما هي في المصحف الشريف على رواية حفص عن عاصم بن أبي النُّجود، وكتابتها بين قوسين مزخرفين متميِّزين مع توثيقها بذكر السورة ورقم الآية في متن البحث، حتى لا أثقل الهوامش.

2- العمل على توثيق الأحاديث الشريفة والآثار بذكر تخريجاتها من مصادرها الأصليّة مع وضعها بين قوسين كبيرين.

3- العمل على توثيق الأبيات الشَّواهد من مظانِّها وأصولها قدر المستطاع.

4- محاولة ذكر ترجمة وافية لأكثر الأعلام الوارد ذكرهم في المتن استناداً إلى جملة من المصادر وكتب التراجم؛ حيث لم أترجم للصحابة، وترجمت لجميع الأعلام غير أصحاب المصنّفات والكتب المطبوعة منهم، وربما ترجمت لبعض هؤلاء إذا كان مهمّاً في البحث، أو بدا لي أنَّه من غير المشهورين.

5- لم أذكر في فهرس الأعلام جميع الصفحات التي مرَّ بها ذكر بعض الأعلام كابن مجاهد، وابن خالويه، وابن جني وغيرهم ممن كثر ذكرهم في متن البحث، وإنما اكتفيت بإحالة القارئ إلى بعض الصَّفحات.

6- اعتمدت في دراسة هذا الكتاب "الحجة للقرَّاء السَّبعة أئمَّة الأمصار بالحجاز والعراق والشَّام الذين ذكرهم ابن مجاهد" لأبي علي الفارسي، وضع حواشيه وعلَّق عليه: كامل مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنَّة والجماعة، دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان، ط1، 1421هـ- 2001م.

7- لم أترجم للقرَّاء السَّبعة إلا حين خصصتهم بالحديث، وقد أصنع كذلك مع غيرهم فأؤخر ترجمة بعضهم إلى أن أفرده بالحديث.

8- الحرص على توثيق كلّ النصوص التي اخترتها لدعم مختلف أفكار الموضوع، مع وضعها بين شولتين والإشارة في الهامش إلى مصادرها، وذلك لما تقتضيه وتمليه الأمانة العلميّة في البحث.

9- التعرُّض لشرح بعض المصطلحات والألفاظ الغامضة الواردة في متن البحث، وتوثيقها في الهامش باعتماد مصادرها.

10- أحلت القارئ إلى مواضع الأمثلة في بعض أبواب الكتاب ومسائله حتى يتبيَّن منهج المؤلِّف ومدى التزامه به، دون سرد جميع الأمثلة خشية الإطالة.

11- جعلت لكلِّ فصل توطئة مناسبة أدخل بها الموضوع، وخلاصة مختصرة تلخِّص مضمون كلِّ فصل.

12- ختمت البحث بملحق يتضمّن عدَّة فهارس فنيَّة؛ فهرس للآيات والقراءات القرآنيَّة مرتَّبة حسب السور، وفهرس للأحاديث النبويَّة، وفهرس للشَّواهد والأبيات الشعرية، وفهرس للأعلام، وفهرس للأماكن والأنساب، إضافة إلى فهرس للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات تساعد كشف مضامين البحث بسهولة ويسر.

13- اعتمدت ترتيب سور القرآن في المصحف الشريف في فهرسة القراءات القرآنية، وأما فهرس الأحاديث والآثار، وذكر الأبيات والشواهد، والأعلام، والأماكن والأنساب وضبط قائمة المصادر والمراجع فقد اعتمدت الترتيب الألفبائي.

خِطَّة البحث:

لقد بذلت جهدي للمِّ شتات هذا الموضوع، فانتظم في الخِطّة الآتية:

قسمت البحث إلى مقدّمة وأربعة أبواب وخاتمة.

بعد أن وطّأت لهذا الموضوع وصغت الإشكال الذي يطرحه، خصصت الباب الأول للتعريف بكل من الإمام أبي علي الفارسي وكتابه الحجة للقراء السبعة، وذلك في ثلاثة فصول؛ يتناول الأوّل حياة الإمام والثاني التعريف بكتاب الحجة ومقارنته بغيره من الكتب المصنفة في علم القراءات والاحتجاج.

في الفصل الأول من هذا الباب كشفت عن اسم الإمام ومولده ونشأته في المبحث الأول وعن مذهبه العقدي والنحوي والقراءات وكذا مكانته العلمية ووفاته في المبحث الثاني. أما الفصل الثاني من هذا الباب فتناول التعريف بالكتاب في المبحث الأول ومقارنته ببعض كتب القراءات والتوجيه في المبحث الثاني. وأما الفصل الثالث فيكشف لنا عن جوانب تأثر الإمام بمن قبله في مبحث أول وجوانب تأثيره في من بعده في مبحث ثان.

يكشف الباب الثاني من البحث عن أهم الملامح المنهجية في كتاب الحجة في فصلين؛ جعلت الأول لمنهج الإمام في عرض القراءات وتوثيقها، من حيث اعتمادُه المصادر ومنهجُه في عرض القراءات وكذا منهجُه في عرض مصطلحات التجويد والقراءات، وجعلت الفصل الثاني لدراسة منهج الفارسي في إيراد الشواهد من القرآن والسنة والكلام، وتناول المسائل اللغوية ومناقشتها.

عُنِي الباب الثالث ببيان منهج الفارسي في الاحتجاج للقراءات، ولأجل ذلك قسمته إلى أربعة فصول.

تناول الفصل الأول مفهوم علم الاحتجاج ومسلك الفارسي فيه، وعُني الثاني بالكشف عن المستوى النحوي في الاحتجاج للقراءات من خلال التمثيل للمرفوعات والمنصوبات والمجرورات في ثلاثة مباحث متتالية، وتحدَّث الفصل الثاني عن المستوى الصرفي في الاحتجاج، من خلال التمثيل لبعض الصيغ في الأفعال في المبحث الأول وكذا الأسماء والجموع والمصادر في المبحث الثاني. يعقب هذا فصل ثالث خصصته للكلام عن كل من التوجيهات الصوتية ، واللغوية والبيانية في الكتاب وذلك في مبحثين.

ختمت الدراسة بباب رابع ضمَّنته منهج الإمام الفارسي في اختيار القراءات ونقدها، حيث قسمت هذا الباب إلى فصلين رئيسين كما يأتي:

يجيبنا الفصل الأول عن منهج الفارسي في اختيار القراءات ونقدها في مبحثين متتاليين، ويعرض الفصل الثاني لمزايا الكتاب المعرفية والمنهجية في مبحث أول وبعض الملاحظات والمآخذ المعرفية والمنهجية في مبحث ثانٍ.

وقد أنهيت الموضوع بخاتمة أبرزت فيها أهمَّ النتائج التي توصَّلت إليها من خلال رحلتي مع هذا البحث وبعض التوصيات.

وفي الأخير لا يسعني إلا الإقرار بأن الجهد البشريَّ مهما بلغ فإنه معرض للصواب والخطأ، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وحده، وما كان فيه من خطأ أو زلل أو سهو فمن نفسي ومن الشيطان، وإني أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبّل جهدي، وأن ينفع به المسلمين، وأن يحسن مقاصدنا ونيّاتنا إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

الباب الأول

الإمام أبو علي الفارسي وكتابه الحجة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حياة الإمام أبي علي الفارسي

الفصل الثاني: التعريف بكتاب الحجة ومقارنته ببعض كتب القراءات والاحتجاج

الفصل الثالث: تأثر الإمام الفارسي بمن قبله وتأثيره فيمن بعده

الفصل الأول

حياة الإمام أبي علي الفارسي

توطئـــــة

سأتناول في هذا الفصل الأول حياة الإمام أبي علي الفارسي بصفة عامة؛ وذلك من خلال الوقوف على اسمه الكامل كما في كتب التراجم، ومولده، ونشأته والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية المحيطة به، مبرزاً كذلك عقيدته ومذهبه في القراءات والنحو والفقه، معرِّجاً على مكانته العلمية ووفاته .

وترتيبا لذلك سيتضمن هذا الفصل مبحثين.

المبحث الأول: اسم الإمام ومولده ونشأته

المبحث الثاني: عقيدة الفارسي ومكانته العلمية ووفاته

المبحث الأول

اسم الإمام ومولده ونشأته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الظروف السياسية والعلمية السائدة

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده
المطلب الثالث: نشأة الإمام

المطلب الأول: الظروف العامة السائدة

يبيِّن هذا المطلب الظروف السياسية والاجتماعية، وكذا العلمية والثقافية السائدة في عصر الإمام أبي علي الفارسي، وذلك في فرعين:

الفرع الأول: الحالة السياسية والاجتماعية

لقد هان شأن خلفاء بني العباس، وضعفت شوكتهم، وأصبح الخلفاء أداة طيّعة بيد قادة الجيوش من الترك والديلم[1]، وكان باستطاعة هؤلاء القادة عزل الخليفة وخلع السلطان عنه، واستبداله بغيره في أي وقت شاءوا، وقد كانوا يتجرؤون على قتل الخليفة والانتقام منه إذا لم يسعد بموافقتهم؛ فقد وقع سنة: 376هـ قتال بين الديلم وكانوا تسعة عشر ألفاً وبين الترك، وكانوا ثلاثة آلاف، فانهزمت الدَّيلم، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف[2].

---

[1] الديلم: هو إقليم بالعراق، والديلم يقع بين الرحاب والجبال والمفازة وخراسان، وأهله جيل سموا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر وليس باسم لأب لهم. وقيل: اسم ماءٍ لبني عبس. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله الحموي، دار الفكر –بيروت، د.ط، د.ت، 293/2. ووصفه المقدسي بقوله: "إقليم القز والصوف به صناع حذاق، وفواكه تحمل إلى الآفاق، وبزُّه معروف بمصر والعراق. كثير الأمطار، مستقيم الأسعار. مصر ظريف، ولهم عمل لطيف. يجلون الشريف، ويرحمون الضعيف. كبراء في الفقه وأجلة في الحديث رجال في القتال...". أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ت: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي –دمشق، د.ط، 1980م، ص92، 240.

[2] الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، ت: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1415هـ- 1995م، 7/ 427 وما بعدها والعبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت –الكويت، ط2 –مصورة، 1948م، 03/3.

وقد مرَّت بغداد بفتنة عظيمة، ظهرت فيها العصبية الزائدة وتحزب الناس، وطغى الفساد وأخذت أموال الناس، وتولَّد بين النَّاس أصنافٌ مختلفة من الطائفية، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور[1].

وقد صاحب هذا الاضطراب السياسي في بغداد عاصمة الدولة الإسلامية اضطرابات أخرى في شرق الدولة وغربها كانت أكبر وقعاً وأعظم خطراً على الخلافة، حيث أدت إلى تجزئة الدولة الواحدة إلى عدة دويلات متفرقة[2]، فقامت (دولة بني حمدان) في الشام، و (دولة بني بويه) في الشرق و (الدولة الإخشيدية) في مصر.

وفي خضمِّ هذه الظروف كان العزيز صاحب مصر قد أعدَّ العدَّة لغزو الروم فاحترقت مراكبه، فاتهم بها أناساً، ثم بعد ذلك وصلت رسل الرُّوم في البحر إلى ساحل القدس بتقادم للعزيز ودخلوا مصر يطلبون الصلح، فأجابهم العزيز واشترط شروطا شديدة التزموا بها كلَّها، منها: أنهم يحلفون أنه لا يبقى في مملكتهم أسير إلا أطلقوه وأن يخطب للعزيز في جامع قسطنطينية كل جمعة، وأن يحمل إليه من أمتعة الروم كل ما افترضه عليهم، ثم ردهم بعقد الهدنة سبع سنين[3].

وفي صفر من سنة: 377هـ عقد ببغداد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة وجددت البيعة بين الطائع[4] وبين شرف الدولة[5] وكان يوما مشهودا، والذي رفع عن العراق مظالم كثيرة، وردَّ على النَّاس أملاكهم[6] وكان الغلاء ببغداد فوق الوصف واشتدَّ جدًّا على الناس[1].

---

[1] المصدر السابق، 7/ 330.

[2] المصدر نفسه، 7/ 427- 428 وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، د.ت ، 88/2.

[3] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت، 4/ 51.

[4] هو: الخليفة أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي، لقبه نصر الدولة، كان قويا في بدنه، خلف والده المطيع، كانت دولته ثماني عشرة سنة، لكنه عُزل في آخر أيام إمارته، وأشهد عليه بخلع نفسه وأنه سلم الخلافة إلى القادر بالله وشهد الكبراء بذلك، وبقي بعد عزله أعواما إلى أن مات 393هـ. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9: 1413هـ، 118/15 -126.

[5] هو: صاحب العراق شرف الدولة شيرويه بن الملك عضد الدولة بن بويه الديلمي، تملك وظفر بأخيه صمصام الدوله فسجنه، وكان فيه خير وأزال المصادرات، كانت أيامه سنتين وثمانية أشهر. مات 379هـ ولم يبلغ الثلاثين، وتملك بعده أخوه بهاء الدولة، وكان أخوهما الصمصام هو الذي تملك العراق بعد أبيهم عضد الدولة ثلاثة أعوام ثم أقبل شرف الدولة لحربه فذلَّ وسلَّم نفسه إلى أخيه فغدر به وحبسه بشيراز إلى أن مات. المصدر نفسه، 16/ 384- 385.

[6] من ذلك أنه رد على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع أملاكه وكان مغلها في العام ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم. شذرات الذهب، 88/2.

الفرع الثاني: الحالة العلمية والثقافية

بالرُّغم من ذلك الجوِّ المشحون بالأزمات، ومع هذا الوضع غير المستقر قابلتها حركة علمية نشيطة ومزدهرة، فلقد كان أمراء الدويلات الإسلامية يتنافسون فيما بينهم على اجتذاب العلماء والأدباء، وكانت مجالسهم عامرة بالمناقشات العلمية وكانوا يغدقون الأموال الطائلة عليهم، ويجهزونهم بكل ما يحتاجونه من كتب ومكتبات ومدارس علمية متخصصة[2]، وكان لهذا التشجيع كبير الأثر في إنعاش الساحة العلمية والثقافية آنذاك؛ فتعددت حواضر العلم والمعرفة، ونبغ عصرئذ علماء برعوا في شتى الميادين والتخصصات. وفي هذا العصر نشأ أبو علي الفارسي[3]، وتعلَّم، ونبغ، ودرّس وألَّف.

ومما يحكى عن أبي عليٍّ أنه كان يوما في ميدان شيراز[4] يساير عضد الدولة[5]، فقال له: لم انتصب المستثنى في قولنا: قام القوم إلا زيدا؟ فقال الشيخ: بفعل مقدَّر، فقال له: كيف تقديره، فقال: أستثني زيداً، فقال له عضد الدولة: هلاَّ رفعته وقدَّرت الفعل امتنع زيد، فانقطع الشيخ وقال له: هذا الجواب ميداني، ثمَّ إنَّه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه. وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدِّم بتقوية (إلاَّ)[6].

---

[1] البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت، 202/11..

[2] المصدر السابق.

[3] ستأتي ترجمته بعد حين.

[4] شيراز بلد عظيم مشهور، وهو قصبة بلاد فارس. ذهب بعض النحويين إلى أن أصله شراز، وجمعه شراريز وجعل الياء قبل الراء بدلا من حرف التضعيف، وشبهه بديباج، ودينار، وديوان وقيراط؛ فإن أصله عندهم دباج، ودنار، ودوان، وقراط. ومن جمعه على شواريز فإن أصله عندهم شورز وهي مما استجد عمارتها واختطاطها. قيل أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن أبي عقيل، ابن عم الحجاج؛ وهي في وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخا. أنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 3/ 378 وما بعدها.

[5] هو: السلطان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو صاحب العراق وفارس ابن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة ثم كثرت بلاده واتسعت ممالكه، قصد العراق والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله وتملك ودانت له الأمم، وكان شجاعا مهيبا نحويا أديبا عالما جبارا عسوفا شديد الوطأة ،وكان يقول الشعر، نقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه)، ومات بعلة الصرع، وكان شيعيا جلدا، أظهر بالنجف قبرا زعم أنه قبر الإمام علي وبني عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء والاعتزال. مات سنة: 372هـ ببغداد. انظر: الأعلام، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، 156/5، سير أعلام النبلاء: 16/ 249- 251 ووفيات الأعيان: 4/ 51-54.

[6] روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الأصبهاني، الدرر الإسلامية –بيروت، ط1، 1411هـ-1991م، 3/ 72- 73.

كما روي أنَّه جرى ذكر الشِّعر بحضرة أبي عليٍّ، فقال: إني لأغبطكم على قول الشِّعر فإنَّ خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من موادِّه، فقال له رجل: فما قلت قطُّ شيئاً منه. قال: ما أعلم أنَّ لي شعراً إلا ثلاثةُ أبيات في الشّيب، وهي قولي:

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيبِ أولى أن يعابا

ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيبا خشيت ولا عتابا

ولكن المشيب بدا ذميماً فصيَّ رت الخضاب له عقابا[1].

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده

يشتمل هذا المطلب على اسم الإمام الكامل ونسبه في الفرع الأول، ثم مولده ونشأته وأسرته في الفرع الثاني، كما يأتي:

الفرع الأول: اسمه ونسبه

أما عن **اسمه** فهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي[2]، أبوه فارسي، وأمه عربية من سدوس شيبان[3].

وأما عن اسم **أبيه وجده** فلقد اختلف المترجمون في نسب أبي علي الفارسي زيادة ونقصا؛ فذكر جميع من ترجم له إلا من شذَّ أن اسم أبيه أحمد، واسم جدِّه عبد الغفار، وهو الذي وجد بخطه: وكتب الحسن بن أحمد.

وفي معجم الأدباء: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان اهـ[4]. ومثله في تاريخ ابن خلكان[5].

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م، 2/ 80- 81.

[2] انظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرّومي، ت: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 811/2 ووفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م، 80/2- 82.

[3] هي قبيلة عربية ترجع أصولها إلى سدوس –بفتح السين- بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، 13/ 84. وهذا مما يثير الشك في الجزم بفارسيته.

[4] معجم الأدباء، 811/2.

[5] وفيات الأعيان، 2/ 80- 82.

وعلى الرغم من أن جدَّه البعيد "أبان" عربي منصرف[1]، فقد ذهب أكثر من ترجم له إلى أن أباه فارسي الأصل. وقد يكون الأمر أن جدَّه هذا عربي الأصل استوطن بلاد فارس أثناء الفتوحات الإسلامية، أو لعله فارسي أسلم آباؤه فسموه باسم عربي، ولقب الفارسي –كما يقول الباحث عبد الفتاح شلبي– لا ينهض دليلا على فارسيته؛ إذ كثيرا ما تَلقَّب بعض المشهورين من العرب بألقاب فارسية[2].

وقال في الكامل: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[3].

وفي تاريخ بغداد: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان[4].

وفي مرآة الجنان: الحسن بن أحمد الفارسي[5].

وفي اليتيمة في ترجمة ابن أخته أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي[6]، قال: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي[7].

وفي ميزان الاعتدال: الحسن بن أحمد[8].

وفي لسان الميزان: اسم جدّه عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان[9].

وفي بغية الوعاة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان[1].

---

[1] انظر: لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1: د.ت، مادة: (أبن)، 134/16.

[2] وذلك مثل: أبي إسحاق الشيرازي، والفيروزآبادي، والترمذي صاحب السنن، والأصبهاني صاحب الأغاني وغيرهم. أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية،وآثارهُ في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة –مصر، د.ط، 1377 هـ، ص46.

[3] الكامل، 7/ 429.

[4] تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، 7/ 275.

[5] مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد أبو عبد الله اليافعي اليمني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ- 1997م، 2/ 305.

[6] أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي، أحد أفراد الدهر، وأعيان العلم، وأعلام الفضل، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ، وعليه درس، حتى استغرق علمه، واستحق مكانه، وكان أبو علي أوفده على الصاحب فارتضاه، وأكرم مثواه، وقرب مجلسه. انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك أبو منصور الثعالبي النيسابوري، المطبعة الحنفية –دمشق، د.ط، د.ت، 109/2 ومعجم الأدباء، 2523/6.

[7] المصدر نفسه، 2/ 109.

[8] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة –يروت– لبنان، د.ط، د.ت، 1/ 480.

[9] لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدَّة، دار البشائر الإسلامية – بيروت–لبنان، ط1، 1422هـ- 2002م، 3/ 26.

وفي فهرست ابن النديم: الفارسي أبو علي بن أحمد بن عبد الغفار[2].

وفي روضات الجنات: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[3].

وشذَّ صاحب شذرات الذهب فقال: الحسن بن محمد بن عبد الغفار[4] ويمكن أن يكون من سهو النساخ.

وأما عن **كنيته** فأبو علي عند الجميع من غير خلاف وقد اشتهر بكنيته.

وأمه سدوسية من سدوس شيبان من ربيعة الفرس اهـ[5].

وصفه المؤرخون بأنه كان قويَّ البنية، نظيفا في مظهره ولهذا فقد أزرى على المتنبي[6] قبح زيِّه، وما أخذ به نفسه من الكبر[7].

كما وصف بأنه كان صادقا في نفسه، مترفعا عن الكذب، رفيقا بذوي القربى[8].

وقد كان ذا موضوعية في تقرير الحقائق العلمية واللغوية والنحوية، وسوف نرى ذلك واضحاً – إن شاء الله– أثناء الحديث عن آرائه.

الفرع الثاني: مولده ورحلاته

ولد سنة 288هـ بمدينة فسا[9] من أرض فارس، وهي مدينة واسعة الأبنية، فسيحة الشوارع، ذات حصن وخندق وربض.

---

[1] بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، د.ن، ط2، 1399هـ- 1979م، 1/ 496.

[2] الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1398هـ-1978م، 1/ 95.

[3] روضات الجنات، 3/ 72.

[4] شذرات الذهب في تاريخ من ذهب، 2/ 88..

[5] معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب، 2/ 811.

[6] هو: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي. قال في العبر وليس في العالم أشعر منه أبدا وأما مثله فقليل، اشتغل في فنون الأدب ومهر فيها وتضلع من علم، اعتنى العلماء بديوانه فشرحوه أكثر من أربعين شرحا، وسمي المتنبي لأنه ادعى النبوة، قتل سنة 354هـ. له ديوان شعر مطبوع ومشروح شروحا وافية،. وقد جمع الصاحب ابن عباد لفخر الدولة نخبة من أمثال المتنبي وحكمه، وتبارى الكتاب قديما وحديثا في الكتابة عنه. انظر: الأعلام، 1/ 115، شذرات الذهب، 2/ 13- 15 ووفيات الأعيان، 1/ 120- 123.

[7] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي، ت: مصطفى السقا وغيره، دار المعارف، ط3، د.ن، د.ت، ص92.

[8] معجم الأدباء، 6/ 2536.

[9] فسا بالفتح والقصر كلمة عجمية، وعندهم بسا بالباء؛ كذا يتلفظون بها، وأصلها في كلامهم: الشمال من الرياح، وهي مدينة بفارس أنزه مدينة بها، وهي مدينة مفترشة البناء واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز، وهي أصح هواء من شيراز وأوسع أبنية،

وأما عن **رحلاته**؛ فقد رحل إلى بغداد سنة 307هـ[1] لطلب العلم فيها، كما رحل إلى غيرها من مدن العراق، وفيها ذاعت شهرته، وتنقل في شعابه، يحاضر ويؤلف ويسأل، فكانت له مؤلفات سميت بأسماء المدن العراقية، كالبصريات والبغداديات وغيرها.

وانتقل الإمام إلى الموصل، وفيها التقى بتلميذه ابن جني حيث بقي زمنا ثم سافر إلى الشام، فزار حلب والتحق ببلاط الأمير سيف الدولة الحمداني[2] فأكرم وفادته، وتنقل في بلاد الشام، فمضى إلى طرابلس ومعرة النعمان[3]، واتصل برجالها وأهل العلم فيها، وأقام بحلب فظفرت منه بالمسائل الحلبية، وقد امتحن فيها بخصومة ابن خالويه[4]، وكان من خلصاء سيف الدولة وآثرهم عنده. ولذا لم تطب الإقامة لأبي علي هناك.

وورد شيراز سنة 348هـ، فلبث فيها عشرين عاما منقطعا إلى عضد الدولة بن بويه. ثم عاد إلى بغداد بعدما استولى عليها عضد الدولة واستقر له الأمر فيها، فصنف له كتابي الإيضاح والتكملة، وعلمه النحو حتى قال فيه عضد الدولة: "أنا غلام أبي علي في النحو"[5].

واستقر أبو علي بفداء ببغداد إلى أن أدركته منيته في ربيع الآخر وقيل في ربيع الأول سنة 377هـ، فدفن هناك بالجانب الغربي منها[1].

وهي مدينة يجتمع فيها ما يكون في الصرود، والجروم من البلح والرطب والجوز والأترج وغير ذلك، وباقي مدن دارابجرد متقاربة، وإليها ينسب أبو علي الفارسي الفسوي وأبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي الفارسي. معجم البلدان، 4/ 260- 261.

[1] طبقات الزبيدي، 131.

[2] هو: سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب مقصد الوفود، وكعبة الجود وحامل لواء الجهاد. كان أديبا مليح النظم فيه تشيع، ويقال ما اجتمع بباب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه، وكان يقول عطاء الشعراء من فرائض =الأمراء، ولده في سنة 331هـ، وله غزو ما اتفق لملك غيره، وكان يضرب بشجاعته المثل. مات في صفر سنة 356هـ، كانت دولته نيفا وعشرين سنة وبقي بعده ابنه سعد الدولة في ولاية حلب خمسا وعشرين سنة. سير أعلام النبلاء، 16/187- 189، وفيات الأعيان، 3/ 401- 406.

[3] معرة بفتح أوله وثانيه وتشديد الراء. قال ابن الأعرابي: المعرة الشدة، والمعرة كوكب في السماء دون المجرة، والمعرة الدية، والمعرة قتال الجيش دون إذن الأمير وقيل غير ذلك. وأما النعمان فقيل: نسبة إلى النعمان بن بشير صحابي اجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه فسميت به، وقيل أنها مسماة بالنعمان نسبة إلى الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله؛ وهي –النعمان– مدينة كبيرة قديمة، ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، ومنها كان أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري. ومعرة النعمان هي قرية من قرى الشام. أنظر: معجم البلدان، 5/ 155 وما بعدها.

[4] ستأتي ترجمته، ص14.

[5] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ت: أحمد أمين و أحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، د.ت، 131/1، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت، 4/ 15.

ولا نعلم شيئا عن دراسته الأولى، والمراحل التي اجتازها في هذه الفترة، إلا أن تردَّده على حلقات الشيوخ المشهورين في بغداد بعدما استقر فيها يوحي بأنه قد تردد على شيوخ بلاده قبل مجيئه إلى بغداد، وأخذ عنهم شتى علوم المعرفة وخاصة علوم العربية.

وقد اطَّلع على كتب المتقدِّمين فقرأ كتاب سيبويه[2] على أبي بكر بن السرَّاج[3]، وسمع معاني القرآن للفراء[4] من أبي بكر بن مجاهد[5] وسمع معاني القرآن للزجاج[6] منه[7].

---

[1] إنباه الرواة على أنباء النحاة، علي بن يوسف القفطي، ت: محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت، ط1، 1406هـ- 1986م، 308/1. تاريخ بغداد: 275/7. وفيات الأعيان، 2/ 80.

[2] هو: عمرو بن عثمان أبو بشر بن قنبر الملقب بسيبويه، مولى بني الحارث بن كعب وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه، أخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره، اختلف في سنة وفاته فقيل: توفي سنة 180. قال الذهبي في السير: "وهو أصحها"، وقيل سنة 177، وقيل سنة 161هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، 8/ 351- 352، وفيات الأعيان، 463- 464.

[3] ستأتي ترجمته بعد حين.

[4] هو: أبو زكريا الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها. أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وأخذ عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السُّمَّري وغيرهما. ولد الفراء بالكوفة وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها، وله من التصانيف: الحدود، والمعاني، وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر، وكتاب البهي؛ وهو صغير الحجم، وله كتاب اللغات، وكتاب المصادر في القرآن، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء وغيرها. توفي ستة 207هـ. إنباه الرواة على أنباء النحاة، 4/ 08 وما بعدها، سير أعلام النبلاء، 10/ 118- 121، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن أحمد، ابن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1410هـ، 2/ 460، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، د.ط، 1418هـ- 1998م، ص90، وفيات الأعيان، 6/ 176- 179.54.

[5] انظر: مقدمة تحقيق: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: علي النجدي ناصف وغيره، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –القاهرة، د.ط، 1415هـ- 1994م، ص 36. وستأتي ترجمة الإمام ابن مجاهد في الفصل الثاني من هذا الباب.

[6] ستأتي ترجمته بعد حين.

[7] المحتسب، 36/1.

المطلب الثالث: نشأة الإمام

وتتمثل نشأته العلمية في احتكاكه بالشيوخ وتلقيه عنهم، ومزاملته لبعض الشخصيات العلمية، وثقافته وكذا إنتاجه وتخريجه لجملة من التلاميذ الذين أخذوا عن الإمام واهتموا بآثاره فيما بعد.

الفرع الأول: شيوخه

كان لأبي علي احتكاك كثير مع شيوخ في العراق؛ فأخذ عن جملة من الشيوخ والأئمة:

1- فروى عن أبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السرَّاج[1]، كان أحد الأئمة المشاهير المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرِّد[2]، أخذ عنه جماعة من الأعيان منهم أبو سعيد السيرافي[3] وعلي بن عيسى الرماني[4] وغيرهما، ونقل عنه الجوهري في كتاب الصحاح في مواضع عديدة، وله التصانيف المشهورة في النحو منها: "كتاب الأصول" وهو من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه، و"كتاب جمل الأصول"، و"كتاب الموجز"، و"كتاب الاشتقاق"، و"شرح كتاب سيبويه"، و"كتاب احتجاج القراء"[5]، و"كتاب الشعر والشعراء"، و"كتاب المواصلات" وغيرها. كان يلثغ في الراء فيجعلها غينا، فأملى يوما كلاما فيه لفظة بالراء فكتبوها عنه بالغين، فقال: لا بالغاء لا بالعاء؛ يريد بالراء وجعل يكررها على هذه الصورة، توفي سنة ستة عشرة وثلاثمائة، رحمه الله تعالى[6].

2- وروى عن أبي إسحاق الزجاج؛ إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين وصنف كتابا في معاني القرآن، له كتاب الأمالي وكتاب ما فسر من جامع المنطق، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان

---

[1] مقدمة الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، 29/1.

[2] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد عبد الله الأزدي البصري، المعروف بالمبرد النحوي نزل بغداد وكان إماما في النحو واللغة وله التواليف النافعة في الأدب، منها: كتاب الكامل، وكتاب الروضة، والمقتضب وغير ذلك. أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وفي تسميته بالمبرِّد حكاية. توفي سنة: 286، وقيل: 285هـ ببغداد. وفيات الأعيان، 4/ 313- 319.

[3] ستأتي ترجمته، ص14.

[4] ستأتي ترجمته، ص16.

[5] لعل كتاب "احتجاج القراء"هذا، هو الكتاب الذي شرع فيه وارتفع منه تبييض في سورة البقرة –كما يقول الفارسي- ولم يكمله.

[6] انظر: نزهة الألباء، ص220، وشذرات الذهب، 1/ 259 ووفيات الأعيان، 4/ 339- 340.

يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه. روى أبو سليمان الخطابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي قال: كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول: إن كان فيكم أبو إسحاق الزجاج وإلا انصرفوا، توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة[1].

3- وروى عن أبي بكر بن دريد[2]؛ محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي البصري نزيل بغداد، صاحب التصانيف المفيدة في اللغة كالجمهرة والأمالي وغير ذلك. كان رأسا في اللغة وأشعار العرب وله قصيدة طنانة يمدح بها الشافعي رضي الله عنه أنشدها الحاكم أبو عبد الله في مناقب الشافعي. قال الدارقطني: تكلموا فيه، مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتوفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة[3].

4- وعن أبي الحسن –وقيل أبي المحاسن- الأخفش؛ أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، المعروف بالأخفش[4] الصغير النحوي. كان عالما، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما، وروى عنه المرزباني وأبو الفرج المعافى الجريري وغيرهما وكان ثقة، حدث عنه البخاري وغيره. كان

---

[1] انظر: الكامل، 7/ 16، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي –الكويت، ط1، 1407هـ، 1/ 186،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي –بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، 4/ 448 والنجوم الزاهرة، 3/ 308 و نزهة الألباء، ص225 وما بعدها.

[2] المسائل البصريات، أبو علي الفارسي، ت: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني –القاهرة، ط1، 1405هـ-1985م، 1/ 51

[3] انظر: طبقات الشافعية، 2/ 116، الفهرست، 1/ 91، نزهة الألباء، ص225- 226.

[4] على أن هناك أخفشين آخرين، هما: أبو الحسن، سعيد بن مسعدة المجاشعيّ بالولاء، النحويّ البلخيّ، المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نحاة البصرة. أخذ النحو عن سيبويه وعمن أخذ عنه سيبويه، وكان أعلم من أخذ عنه وكان أكبر منه. وهو الطريق إلى سيبويه، فإنه لما توفي قُرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازنيّ. وزاد في العروض "بحر الخَبَب"، وله كتاب "معاني القرآن"، و"الأوسط في النحو"، وكتاب "الاشتقاق"، وكتاب "العروض"، وكتاب "المسائل الكبير"، و "المسائل الصغير"، و "معاني الشعر"، و "المقاييس" و "التصريف" وغيرها مما عدت عليها العوادي وطوته فيما طوت من كنوز. توفي سنة 225 وقيل 221هـ. شذرات الذهب، 1/ 36، نزهة الألباء، ص120، الفهرست: 1/ 77، وفيات الأعيان: 2/ 380.

=أما الأكبر أو الكبير: فهو شيخ العربية أبو الخطاب البصري يقال اسمه عبد الحميد بن عبد المجيد، من أهل هجر من مواليهم، كان في دولة الرشيد. تخرج به سيبويه وحمل عنه النحو لولا سيبويه لما اشتهر. أخذ عنه أيضا عيسى بن عمر النحوي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما، وله أشياء غريبة ينفرد بنقلها عن العرب، وهو مجهول الوفاة. النجوم الزاهرة، 3/ 219، سير أعلام النبلاء، 14/ 480 و شذرات الذهب: 1/ 36.

يضجر كثيرا إذا سئل عن شيء من النحو وكان حافظا للأخبار، له من الكتب كتاب الأنواء كتاب التثنية والجمع وكتاب الجراد. توفي سنة خمسة عشرة وثلاث مئة[1].

5- وروى عن الشيخ ابن معدان؛ أبي الحسن علي بن الحسين بن معدان الفارسي الفسوي، حدث عن إسحاق بن راهويه وأبي عمار الحسين بن حريث، روى عنه شيخ النحو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي وأبو بكر محمد بن أحمد الأصبهاني. توفي في شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وثلاث مئة [2].

6- كما روى عن أبي بكر بن مجاهد[3]؛ هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرىء، كان واحد عصره غير مدافَع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن، روى الإمام قراءات كثيرة وله كتب مصنفة، منها: كتاب "القراءات الكبير"، كتاب "القراءات الصغير"، كتاب "الياءات"، كتاب "الهاءات"، كتاب "قراءة أبي عمرو"، كتاب "قراءة ابن كثير"، كتاب "قراءة عاصم"، كتاب "قراءة نافع"، كتاب "قراءة حمزة"، كتاب "قراءة الكسائي"، كتاب "قراءة ابن عامر" وكتاب "قراءة النبي ρ "، وتوفي رحمه الله في محبسه لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[4].

وغير هؤلاء من الشيوخ كثير؛ الأمر الذي بوَّأ أبا عليّ أحد أئمة العربية وأغزرهم علما وأوسعهم اطلاعا، وأن تكون كتبه أجل الكتب وأجدرها قراءة وتدريسا.

الفرع الثاني: زملاؤه

كان لأبي علي زملاء أخذوا معه عن شيوخه، منهم:

---

[1] النجوم الزاهرة، 3/ 219، نزهة الألباء، ص219، الفهرست، 1/ 123 ووفيات الأعيان، 3/ 301.

[2] تاريخ بغداد، 7/ 275 وسير أعلام النبلاء، 14/ 520.

[3] بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت: سهيل زكار، دار الفكر –بيروت، ط1، 1988م، 5/ 2265.

[4] انظر ترجمته: تاريخ بغداد: 144/5 وما بعدها.، طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر السبكي، ت: عبد الفتاح محمد الحلو و هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط2، 1992م، 57/3 وما بعدها، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: بشار عواد معروف وغيره، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1404هـ، 269/1-272 ، الفهرست، لابن النديم، 47/1.

1- الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي، كان إماما في النحو والفقه والشعر والقرآن والفرائض والحديث، ولي قضاء بغداد، قرأ النحو على ابن السراج وعلى أبي بكر مبرمان، واللغة على أبي بكر بن مجاهد وابن دريد[1]، وله تآليف منها شرح كتاب سيبويه وأحسن فيه مات سنة 368هـ[2].

2- الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي الهمذاني الحلبي، روى عن ابن الأنباري وأبي بكر بن مجاهد وابن دريد ونفطويه، له تصانيف كثيرة منها شرح المقصورة الدريدية والبديع في القرآن الكريم وحواشي البديع في القراءات وشرح شعر أبي نواس مات بحلب سنة 370هـ[3].

وكانت المنافسة بين أبي علي وابن خالويه على أشدِّها؛ فقد كتب أبو علي كتابه"الإغفال"، عقب فيه عما أغفله شيخه أبو إسحاق الزجاج في "معاني القرآن" ونقده، غير أن ذلك لم يرض ابن خالويه فتعقَّبه فيما كتب، ورد أبو علي على تعقيبه له في "نقض الهاذور[4]" وبسط الكلام فيه كل البسط. وقد أورد البغدادي في "خزانته" طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين أبي علي وابن خالويه، أذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه: "إن الواو إذا كانت في أوائل القصائد نحو: وقاتم الأعماق... فإنها تدل على رب فقط، ولا تكون للعطف، لأنه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو.

وقال الفارسي في "نقض الهاذور": "هذا شيء لم نعلم أحدا ممَّن حكينا قوله ذهب إليه، ولا قال به"[5].

وقال ابن الأنباري في (نزهة الألباء): إنه اجتمع هو وأبو علي الفارسي فجرى بينهما كلام، فقال لأبي علي: نتكلم في كلام سيبويه، فقال له أبو علي: بل نتكلم في الفصيح.

ويروى أنه قال لأبي علي: كم للسيف اسما؟ قال: اسم واحد، فقال له ابن خالويه: بل أسماء كثيرة، وأخذ يعدِّدها نحو: الحُسام، المخذم والقضيب ... فقال أبو علي: هذه كلها صفات[1].

---

[1] تقدمت ترجمته آنفاً، ص14 . انظر المزيد: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة، ت: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1407هـ، 2/ 116، الفهرست، 1/ 91. وفيات الأعيان، 4/ 323 وما بعدها.

[2] البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، 86/1. بغية الطلب في تاريخ حلب، 5/ 2444.

[3] البلغة، 1/ 90. بغية الطلب، 2/ 2265.

[4] الهاذور من الهذر، ومعناه الهذيان، وكذا سقط الكلام الذي لا يعبأ به. انظر: لسان العرب، مادة (هـ ذ ر)، 259/5، مختار الصحاح، مادة (هـ ذ ر)، 1/ 289. واسم الكتاب يدلُّ بما لا يخفى على السجال العلمي الشديد بين الإمامين.

[5] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م، 1/ 80.

ولم تكن منافسة ابن خالويه لأبي علي إلا صدًى لمنافسة أستاذه أبي سعيد السيرافي لأبي علي، فقد كان رحمه الله –كما يقول أبو حيان التوحيدي– "متقداً بالغيظ على أبي سعيد وبالحسد له، كيف تمَّ له تفسير كتاب سيبويه من أوَّله إلى آخره، بغريبه، وأمثاله، وشواهده وأبياته، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لأن هذا شيء ما تمَّ للمبرد، ولا للزجاج، ولا لابن السَّرَّاج ولا لابن دَرَستَويه [2]، مع سعة علمهم وفيض كلامهم"[3].

ولمنزلة أبي سعيد السيرافي في نفس تلميذه ابن خالويه أرسل إلى سيف الدولة ليُعلِمه تطاول الفارسي على السيرافي، وهو تطاول غير محمود، فمكانة السيرافي خصوصا بعد هزيمة (متّى)[4] المنطقي جديرة بأن تكسو ثوب المهابة والإجلال، ولا يسوغ لأبي علي أو غيره أن ينتقص من هذه الشخصية العلمية الفذة.

ولما علم الفارسي بالخبر أرسل إلى سيف الدولة رسالة ينفي فيها عن نفسه التهمة، ومما قال فيها: "من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل –يعني ابن خالويه– هو قوله: لو يبقى عمر نوح ما صلح –أبو علي– أن يقرأ على السيرافي مع علمه بأن السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان؟ هذا مما لا خفاء فيه، كيف وقد خلط فيما حكاه عني؟ وأني قلت: إن السيرافي قد قرأ عليَّ. ولم أقل هذا، إنما قلت: تعلَّم مني، أو أخذ مني هو أو غيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا. وليس قول القائل: تعلَّم منِّي مثل قرأ عليَّ، لأنه يقرأ عليه من لا يتعلَّم منه، وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه. وتعلُّم ابن بهراذ السيرافي منِّي في أيام محمد بن السري وبعدَه لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الورَّاق، ومحمد بن أحمد بن يونس، ومن

---

[1] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص271 والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، 1/ 318.

[2] هو: عبد الله بن جعفر أبو محمد بن دَرَستَويه الفارسي النحوي، أحد النحاة والأدباء المشهورين، أخذ عن المبرد وابن قتيبة، كان فسويا، وأقام ببغداد إلى حين وفاته. ألف كتبا منها: كتاب الإرشاد، وشرح كتاب الجرمي، وكتابه في الهجاء وهو أحسنها. أخذ عنه عبيد الله المرزباني وغيره. ولد سنة: 258هـ، وتوفي سنة 347 في خلافة المطيع. أنظر: نزهة الألباء، ص247- 248، وفيات الأعيان، 3/ 44.

[3] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ص131.

[4] هو: متّى بن يونس الحكيم، كان يعلم المنطق، وكان حسن العبارة في تآليفه لطيف الإشارة، ويحكى أن الآلة المسماة القانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب، وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن.أجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذي اقتصر عليها لقناعته، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في سنة 339هـ. شذرات الذهب، 1/ 352، وفيات الأعيان، 5/ 153.

كان يطلب هذا الشأن من بني الأزرق الكتّاب وغيرهم. وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في (صف شونيز[1]) كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، لأنه كان جاري بيْتَ بيتَ قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني"[2].

3- علي بن عيسى أبو الحسن الرماني النحوي، إمام في اللغة والنحو والمنطق. أخذ عن ابن السراج وابن دريد، صنف كتبا كثيرة منها شرح كتاب سيبويه في سبعين مجلدا، وكتاب الحدود، وكتاب معاني الحروف، وشرح الموجز لابن السراج وشرح أصول ابن السرَّاج. قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرُّمَّاني فليس معه منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء. توفي سنة 384هـ[3].

الفرع الثالث: ثقافته وتلامذته

أولا: ثقافته

تثقف أبو علي بعلوم عصره، فكان موسوعة ثقافية عديدة الجوانب، فقد درس كتاب سيبويه (180هـ)[4]، وروى كتب أبي عبيدة (210هـ)[1]، وأبي زيد (215هـ)[2] والأصمعي (216هـ)[3] وابن

---

[1] لم أقف على ترجمته.

[2] معجم الأدباء، 2/ 820.

[3] البلغة، 154/1.

[4] ستأتي ترجمته في حينه.

الأعرابي (231هـ)[4] واطلع على شوارد اللغة وشواذها، وخير دليل على ثقافته اللغوية مؤلفاته التي بين أيدينا، فهي مستودع فاخر تتجلى فيه سعة اطلاع أبي علي، وعمق ثقافته.

ومما يزيد ذلك وضوحا اعتماد المتأخرين عليها، سواء كانوا من أصحاب المعجمات، أم كانوا من أصحاب المؤلفات الأخرى التي احتوت أطرافا من اللغة.

هذا، دون أن نغض الطرف عن مسائله وآرائه المنثورة في بطون كتب المتأخرين كابن سيده، وابن الأنباري، وابن هشام والبغدادي.

أما ثقافته في علوم القرآن والقراءات والحديث، فتبدو واضحة العيان في كتابيه: الحجة، والإغفال، وفي استشهاداته واعتماده على القرآن في تفسير القرآن بالقرآن، والظواهر النحوية، واللغوية، والصرفية، والفقهية والمنطقية، حتى إن المرء يحس وهو يقرأ مصنفات أبي علي كأنه أمام سيل منحدر من الآيات المترادفة التي يصرفها كيفما يشاء، فهو يؤيد القرآن بالقرآن، ويعلل القرآن بالقرآن، ويحتج للقرآن بالقرآن، ويؤول القرآن بالقرآن في كثير من الأحيان.

أما عن القراءات؛ فقد روى عن ابن مجاهد[5]، وألف فيها كتاباً ضخما سماه: (الحجة في القراءات السبع) اعتمد عليه الكثيرون من المفسرين، وأصحاب القراءات كالزمخشري في الكشاف، والطبرسي في معجم البيان وغيرهما. وفي الحديث كان أبو علي من السابقين إلى استعمال الحديث في مجال اللغة والنحو، واستشهد بنصوص كثيرة من الحديث.

---

[1] ستأتي ترجمته في حينه.

[2] ستأتي ترجمته في حينه، ص95.

[3] هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع المعروف بالأصمعي الباهلي، كان صاحب لغة ونحو وإماما في الأخبار، والنوادر، والملح والغرائب. سمع شعبة بن الحجاج، والحمادين، ومسعر بن كدام وغيرهم. وروى عنه عبدالرحمن ابن أخيه عبد الله، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي وغيرهم، وهو من أهل البصرة. وللأصمعي من التصانيف كتاب خلق الإنسان، وكتاب الأجناس، وكتاب الأنواء، وكتاب الهمز، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الفرق، وكتاب الصفات، وكتاب النوادر، وكتاب أصول الكلام، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب الاشتقاق وغيرها. توفي سنة 216هـ. وفيات الأعيان، 3/ 170- 177.

[4] هو: أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي، صاحب اللغة وهو من موالي بني هاشم فإنه مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله، ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، وناقش العلماء واستدرك عليهم، وخطأ كثيرا من نقلة اللغة، وكان رأسا في كلام العرب. ومن تصانيفه كتاب النوادر، وكتاب الأنواء، وكتاب تاريخ القبائل، وكتاب معاني الشعر، وكتاب تفسيرالأمثال، وكتاب الألفاظ وغير ذلك. وأخباره ونوادره وأماليه كثيرة. توفي إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل سنة ثلاثين ومائتين والأول. وفيات الأعيان، 4/ 306- 308.

[5] ستأتي ترجمته في حينه، ص55.

أما ثقافته العروضية فتتجلى في الظواهر التي دوّنها عن العروض، لاسيما في مسائله الشيرازيات، وفي حدّة ذكائه الذي نزع إلى معرفة العروض من خلال علوم اللغة الأخرى، من ذلك إجابته حينما سئل عن خرم (متفاعلن)، روى ذلك الحصري قائلا: "ومما يشهد بصفاء ذهنه، وخلوص فهمه أنه سئل قبل أن ينظر في العروض عن خرم (متفاعلن)، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو فقال: لا يجوز؛ لأن متفاعلن ينقل إلى (متفعلن) إذا أضمر، فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن..."[1].

ثانيا: تلامذته

التفَّ حول أبي علي عدد غير قليل من التلاميذ أصبحوا أئمة في العربية، أشهرهم:

1- أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ[2].

2- أبو طالب أحمد بن بكر العبدي المتوفى سنة 406هـ[3]، أخذ عن أبي علي، وشرح كتاب (الإيضاح)[4].

3- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 398هـ[5] صاحب الصحاح.

4- أبو الحسن علي بن عيسى الربعي المتوفى سنة 420هـ[6].

المطلب الأول: عقيدة الفارسي ومذهبه

يتناول هذا المطلب عقيدة الإمام أبي عليّ ومذهبه الفقهي ومكانته العلمية وأهمّ أقوال العلماء فيه ثم أهم آثاره المعروفة عنه ووفاته رحمه الله، وذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: عقيدته

---

[1] معجم الأدباء، 7/ 235- 236.

[2] ستأتي ترجمته في حينه، ص21.

[3] معجم الأدباء، 2/ 236- 239.

[4] إنباه الرواة، 2/ 387.

[5] انظر: إنباه الرواة، 1/ 229 وما بعدها.

[6] انظر: نزهة الألباء، ص295.

لعل أول خبر يمكن الركون إليه في تحديد اتجاه خاص لعقيدة الفارسي هو ما ذكره الخطيب البغدادي أنه كان متَّهما بالاعتزال[1]. وواضح من هذا الخبر عدم الجزم باعتزاليته؛ إذ هناك فرق بين التَّصريح باعتزاليته وبين اتهامه بها. والدليل على ذلك أن صاحب الكامل في التاريخ أوهن هذه التهمة، ولم يذكر في عقيدة أبي علي أكثر من قوله: قيل كان معتزليًّا[2].

قد يكون هذان النصَّان أوثق ما ورد في تحديد عقيدة أبي علي وبيان نحلته، لقدم مصدريهما، وقوة ما عرف عن هذين المصدرين من التحرِّي والدقة.

هذا، إذا استثنينا صاحب المزهر الذي صرَّح باعتزاليته، في قوله: "وقال ابنُ جني في الخصائص وكان هو وشيخه أبو عليّ الفارسي مُعْتَزِلِيَّيْن: باب القول على أصل اللغة، إلهام هي أم اصطلاح"[3].

وقد توارث المترجمون المتأخِّرون لحياة أبي علي اتهامه بالاعتزال[4] في وصف متردِّد بين التَّشكيك التَّشكيك والتَّرجيح[5].

كما ورد ذكر لمصنفات أبي علي الفارسي في كتاب: الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد بن محسن الرازي، ولكن مصنف هذا الكتاب من متأخري الشيعة، على أنه لم يرد ذكر لأبي علي ولا لكتبه في كتاب "معالم العلماء" لرشيد الدين أبي جعفر محمد السروي المتوفى سنة: 588هـ، وكتابه هذا فهرست لكتب وأسماء المصنفين من الشيعة قديما وحديثا، ولا في غيره من كتب الفهرست عندهم.

---

[1] تاريخ بغداد، 275/7.

[2] الكامل في التاريخ، 429/7.

[3] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي،1/ 14.

[4] انظر: وفيات الأعيان، 82/2، وإنباه الرواة للقفطي، 1/ 309 وبغية الوعاة، 216.

[5] ومما يقوي اتهام أبي علي بالاعتزال إشاعته في "الحجة" من وصف الله تعالى بالقديم؛ والقدم أخصُّ وصف للذات الإلهية عند المعتزلة. أنظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1404هـ، 1/ 44. كما أورد مصطلحي التحسين والتقبيح العقليين في غير الحجة؛ ومعلوم أن هذين المصطلحين –كما يقول الشهرستاني تجب معرفتهما بالعقل، وهم –المعتزلة– يدعون إلى النظر والتفكير والاستدلال على الحسن والقبح بإعمال العقل. انظر: كتاب التكملة، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، ت: كاظم بحر المرجان، مطبعة دار الكتب –الموصل– العراق، د.ط، 1980م، ص227، 293، 294، 298. كما أشاع في كتابه أيضاً من ذكر أصلي التوحيد والعدل، ومعلوم أن المعتزلة يسمون بأصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية. الملل والنحل، 1/ 43. وقد جزم بعض النحاة كابن سيده وغيره باعتزاليته؛ فبعد أن نقل توجيهاً له في سورة آل عمران، قال: "انتهت تخريجات أبي علي، وهو معتزلي، فلذلك يشتمل كلامه على لفظ المعتزلة من التوحيد والعدل". إعراب القرآن من البحر المحيط لأبي حيان، ابن سيده النحوي، مكتبة المشكاة الإسلامية، د.ط، د.ت، 3/ 25.

وما ورد من نسبته إلى الاعتزال أو التشيع إن أظهر أبو علي من ذلك شيئا، فلعله يعود إلى مجاملة الأمير عضد الدولة بقصد التقرب إليه[1]؛ فقد سبق في ترجمة هذا الأخير أنه كان شيعيا جلدا، أقام شعار الرفض والاعتزال. وأبو علي رحمه الله لم يظهر في كتبه خصوصا "الحجة" ما يدل على كل ذلك، ولو كان كذلك أو أبدى من ذلك شيئا لاشتهر أمره، وفضحه أعداؤه ومنافسوه في وقت كانت تعدُّ فيه الهفوات، بل على العكس من ذلك تماما فإن المتأمِّل لكتاب الحجة يجد فيه ذكر الصحابة وترضيه عنهم عموما، وأبي بكر وعائشة وعمر خصوصا رضي الله عنهم أجمعين؛ فقد ذكر أبا بكر في كتابه ثلاث مرات، استأنس بروايته ونعته في الأولى والثانية بلقبه الصديق، فقال: "كنحو ما روي عن أبي بكر الصديق أنه قال..." [2]. وأما في الثالثة فقد ترضى عنه[3]. وأما عمر رضي الله عنه فقد ذكره هو الآخر في ثلاثة مواضع؛ في الموضع الأول استدل برواية عنه[4]، وفي الثاني ترحَّم عليه[5] وذكر موافقته للقرآن[6] في اتخاذ مقام إبراهيم عليه السلام مصلى وفي الثالث ترحَّم عليه مرة أخرى واستدل بقولته تدعم توجيهه لبعض أحرف الخلاف[7]. وذكر السيدة عائشة أمَّ المؤمنين رضي الله عنها في موضع واحد[8]، مستدلا بروايتها والتي تدعم أيضا مذهبه.

---

[1] شأنه في ذلك شأن من يحب أن ينال قربا عند السلطان. فابن خالويه أحد معاصريه –على سبيل المثال– يقول فيه ابن حجر: "كان صاحب سنة في الظاهر فقط ليتقرب إلى سيف الدولة الحمداني". انظر: مقدمة كتاب إعراب ثلاثين سورة، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، دار مكتبة الهلال –بيروت– لبنان، د.ط، 1985م.

[2] الحجة، الفارسي، 1/ 357، 361.

[3] المصدر نفسه، 1/ 458.

[4] المصدر نفسه، 1/ 358.

[5] المصدر نفسه، 1/ 380.

[6] روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال عمر: وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله: "لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى" فنزلت: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، وآية الحجاب، قلت يا رسول الله: لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهنَّ البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ρفي الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية. صحيح البخاري، ، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير–اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ– 1987م، (كتاب أبواب القبلة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى القبلة، برقم: 393)، 1/ 157، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ط، (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم: 2399)، 1865/4.

[7] الحجة، 1/ 445.

[8] المصدر نفسه، 1/ 368.

وأما مذهبه في علي رضي الله عنه فمعتدل؛ فقد ذكره هو الآخر في ثلاثة مواضع، استدل بروايته في الأولى، فقال: "ويروى أن عليّاً عليه السلام، لما قال له..."[1]، ووصفه مرة بأمير المؤمنين وسلم عليه، فقال: "كما يروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن[2]: إن أباك لا يبالي أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه"[3]، وترضَّى عنه مرَّة أخرى شأنه في ذلك شأن غيره من الصحابة، قائلا: "وزعموا أن هذه القراءة رويت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[4].

هذا، ويمكن الاستئناس بقرينة قد تدفع عنه التشيُّع والقول به؛ مفادها ما جاء عنه في توجيهه لقراءة چ ٹ چ من قوله تعالى: چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ پ پ ٹ ٹ ڈ ڈچ [المائدة: ٦]:

"وقراءة النصب هي قراءة نافع، وابن عامر، والكسائي چ ٹ چ نصباً وحفص عن عاصم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو وحمزة چ وَأَرْجُلِكُمْ چ خفضاً"[5].

قال أبو علي بعدها: "وجه من نصب فقال: أنه حمل ذلك على الغَسل دون المسح؛ لأن العمل من فقهاء الأمصار فيما علمت على الغسل دون المسح، وروي أن النبي ρ رأى قوماً، وقد توضؤوا، وأعقابهم تلوح، فقال عليه السلام: (ويل للعراقيب من النار)، وهذا أجدر أن يكون في المسح منه في الغسل؛ لأن إفاضة الماء لا يكاد يكون غير عام للعضو"[6].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 172.

[2] هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي سبط رسول الله وريحانته أمير المؤمنين أبو محمد. روى عن النبي أحاديث حفظها عنه منها في السنن الأربعة. قال الواقدي مات سنة 49هـ، وقال المدائني مات سنة 50، وقيل سنة 51 وقال ابن منده مات سنة 49هـ. ويقال إنه مات مسموماً. انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1: 1412هـ- 1992م، 73/2 والأعلام، 2/ 199- 200.

[3] الحجة، 3/ 251.

[4] المصدر نفسه، 3/ 72.

[5] السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد، ت: شوقي ضيف، عن دار المعارف –القاهرة، ط2، 1400هـ، ص224، وانظر أيضا: الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط6، 1417هـ- 1996م، ص129، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م، 406- 407، والتيسير في القراءات السبع، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح: ارتويرتزل، دار الكتاب العربي –بيروت، د.ط، د.ت، ص74 والنشر في القراءات العشر، محمد بن محمد أبو الخير الدمشقي، ابن الجزري، قدم له: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان، ط2، 1423هـ- 2002م، 2/ 254.

[6] الحجة، 2/ 113.

يلاحظ في هذا التوجيه أن الإمام أبا عليّ يركن إلى الرأي الفقهي القائل بوجوب غسل الرجلين في الوضوء ويقدِّمه على المسح –مع أن هذا التوجيه في قراءة الجر يخالف رأيه في الحمل على العامل الأقرب[1]– وهذا الذي تعلمه من فقهاء الأمصار، ولا يخفى أن هذا الرأي يخالف ما عليه الشيعة الذين يرون أن الواجب في الأرجل المسح وليس الغسل؛ فقد جاء في الموسوعة الشيعية: "اعلم أن فرض الرجلين عندنا في الوضوء هو المسح دون الغسل، ومن غسل فلم يؤدِّ الفرض، وقد وافقنا على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس"[2].

وعلى كلٍّ –وبعد هذا العرض– لا يمكن أن نجزم بأي اتجاه عقدي لأبي علي طالما أن المصادر لم تنقل إلينا ذلك صراحة.

الفرع الثاني: مذهبه

أولا: مذهبه في القراءات

[1] سأورد في فصل آراء الفارسي واختياراته نماذج من ذلك إن شاء الله.

[2] راجع موقع الموسوعة الشيعية. منتدى الحوار: http/ www. Shialinks.net

روى أبو عليّ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، وروى القراءة عنه عرضاً عبد الملك بن بكران النهرواني[1] وأخذ النحو عن أبي إسحاق الزجاج ثم عن أبي بكر بن السري وأخذ عنه كتاب سيبويه وانتهت إليه رياسة علم النحو[2].

أما عن مذهبه في القراءات فالأقرب أنه كان يقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، ويؤيد ذلك أنه كان يحتج في مواطن مختلفة لقراءته ويرجحها، ففي كتاب الإغفال يرجِّح لقراءة أبي عمرو (**يومنون**) بالتخفيف، ويراه أحق بالإيثار من التحقيق[3]. فضلا على أنه لم يقم في الحجاز المشهورة بقراءتي الحرميين؛ نافع وابن كثير، وبعيد أن يقرأ بقراءة ابن عامر، حيث لم يقم طويلا في الشام، وكونه بصريا يجعل قراءات الكوفيين؛ عاصم وحمزة والكسائي بعيدة أن يقرأ بها، فلم تبق إلا قراءة أبي عمرو.

ثانيا: مذهبه في النحو

كان أبو علي من نحاة البصرة؛ فيذكر أبو علي لابن جني أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين، وكنت قد كتبت ذلك كلَّه بخطي، وقرأته على أصحابنا[4].

ثم إنَّ الأصول التي كان يأخذ بها في درس النحو تشهد ببصريته؛ فهو لا يعتدُّ بقليل[5]، ولا يقيس على شاذ[6]، ولا يقبل ما ليس بالمتسع في الاستعمال ولا المتَّجه في القياس[7].

وبصريَّة أبي علي لم تدفعه إلى التحيُّز والتعصُّب، بل كان مستوعباً لآراء المدرسة الكوفية، ينظر في المسائل ويناقش بمنهجيَّة علمية، ولم يكن يلوك كلام الأئمَّة، ويتقبَّل آراءهم على علاتها، متابعة

---

[1] هو: عبد الملك بن بكران، أبو الفرج النهرواني المقرىء القطان، من جلة شيوخ المقارىء، قرأ على زيد بن علي الكوفي وأبي بكر النقاش وهبة الله بن جعفر وابن مقسم وغيرهم. وله مصنف في القراءات قرأ عليه الحسن بن محمد المالكي والحسن بن علي بن عبد الله العطار ونصر بن عبد العزيز الفارسي وأبو علي غلام الهراس وآخرون. وثقة الخطيب وقال توفي في رمضان سنة 404هـ. سير أعلام النبلاء، 1/ 209، غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، عناية: ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط1، 1427هـ–2006م، 417/1.

[2] غاية النهاية ، 1/ 189.

[3] الإغفال، ص 60، مخطوط برقم 875 تفسير.

[4] معجم الأدباء، 2/ 819.

[5] انظر على سبيل المثال في الحجة، 93/1. وسيأتي مزيد ذلك في معايير أبي علي في التوجيه والاختيار.

[6] االمسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، أبو علي الفارسي النحوي، ت: صلاح الدين عبد الله السيكاوي، مطبعة العاني –بغداد، د.ط، د.ت، 1/ 83.

[7] انظر على سبيل المثال في الحجة، 1/ 104. وسيأتي مزيد ذلك في معايير أبي علي في التوجيه والاختيار.

لهم أو عصبيَّة، ولكنَّه كان يناقش المسائل، وينظر في أدلَّتها حتى يتبيَّن له وجه الرَّأي، فيأخذ به أيًّا كان موقعه.

والدَّليل على ذلك مخالفته لغيره من البصريِّين؛ فقد خالف الخليل[1] في مسألة اشتقاق الحركات من الحروف[2] وغيرها[3]، وغلّط سيبويه في غير مسألة[4] وخالف في الإغفال آراء الزجاج والمبرد[5].

ووافق الكوفيين في بعض آرائهم، فدعم رأي أستاذه ابن السراج في تخطئة سيبويه في (فنعلول) وهو اسم[6]، ويصف رواية ثعلب[7] بأنها جيدة[8]، إضافة إلى كونه متوسعاً في القياس إلى أقصى الحدود الحدود ورحب الأفق في النظر والاستدلال.

وإذا اختلف نحاة البصرة رأيته يعرض حججهم ويفند آراءهم، ثم يرجح ما يراه أولى بالترجيح؛ فعندما عارض أبو عثمان سيبويه[9] في صرف (أفْعل) من قولك: هذا رجل أَفعل، وغلط سيبويه، إذ يرى صرفه[10]، وقال أبو العباس المبرد: لم يصنع أبو عثمان شيئا، فسَّر أبو علي مراد أبي العباس، ووضح قول سيبويه، وختم الحِجاج بقوله: "فقول سيبويه إذاً صحيح"[11].

ثالثا: مذهبه في الفقه

---

[1] هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي، كان إماما في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه وله معرفة بالإيقاع والنغم، كان من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء، حدث عن أيوب السختياني، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب وغالب القطان. أخذ عنه سيبويه كثيرا، والنضر بن شُمَيْل، وأبو فَيْد مؤرّج الَّدوسيّ وغيرهم. من أشهر تصانيفه كتاب العيْن. وما يُحكى عليه من العلم والزهد أشهر من أن يُنشر، وأظهر من أن يذكر. توفي سنة: 160هـ. سير أعلام النبلاء، 7/ 429- 431، غاية النهاية: 1/ 275، نزهة الألباء، ص49- 51 ووفيات الأعيان، 2/ 244 وما بعدها.

[2] انظر: كتاب سيبويه، 4/ 101 مقدمة تحقيق التعليقة، ص37.

[3] التعليقة، انظر مثلا: 205/1.

[4] انظر: مقدمة تحقيق التعليقة، ص41.

[5] انظر مثلا: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة –القاهرة، ط1، 1327هـ، 1/ 75.

[6] الكتاب، 4/ 230.

[7] هو: أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني النحوي المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو اللغة في زمانه. أخذ عن محمد بن زياد الأعرابي، وعلي بن المغيرة الأثرم، وسلمة بن عاصم وغيرهم. وأخذ عنه أبو الحسن الأخفش الصغير، وابن عرفة المعروف بنفطويه، وابن الأنباري وغيرهم. له كتاب الفصيح وغيره من التصانيف، كان مولده سنة 200هـ وتوفي سنة 291هـ. نزهة الألباء، ص 202- 205، سير أعلام النبلاء، 14/ 05- 07 ووفيات الأعيان، 102/1 وما بعدها.

[8] مقدمة تحقيق التعليقة، ص39.

[9] ستأتي ترجمته في حينه في الفصل الثالث من هذا الباب.

[10] الكتاب، 3/ 202.

[11] مقدمة التعليقة، 40.

لم أقف –فيما اطَّلعت عليه من كتب التَّراجم– على ذكر المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها أبو علي، كما أن كتاب الحجة جاء خِلواً عن ذلك، ولم يأت فيه ما يدل على مذهبه الفقهي، ولعل السبب في ذلك أن موضوع الكتاب لا يتَّصل بالفقه، وليس هناك ما يدعو إلى معرفة ذلك.

غير أن المتتبع لتضاعيف أجزاء الكتاب والمتأمِّل عباراته يقف على إشارات وقرائن تسعف –في تقديري– إلى حدٍّ ما تصنيف فقه أبي علي وإلحاقه بمدرسة أبي حنيفة النعمان[1]. والذي يدلُّ على ذلك ما يأتي:

أ- تكرُّر ذكر الإمام في الكتاب كله أربع مرات، وفي كلٍّ يسوق فيها أبو علي رحمه الله قول إمام المذهب، من ذلك:

- ما جاء في معرض حديثه عن الاتساع في كلمة (القول) واستعمالها في غير اللفظ، حيث يقول: "وقد أجري القول مُجرى الاعتقاد والمذهب في نحو: هذا قول أهل العدل، وهذا قول أبي حنيفة، يعنون بذلك رأيهم واعتقاداتهم، ليس اللفظ"[2].
- وفي موضع آخر تحدَّث عن بعض مشتقَّات مادة (أخذ)، منها (مؤخذ)، يقول: "وقال أبو حنيفة في الرجل المؤخَّذ[3] عن امرأته: يؤجَّل كما يؤجّل العنّين[4]"[5].
- أما الموضعان الآخران اللذان جاء فيهما ذكر أبي حنيفة؛ فالأول تحدث فيه عن كفارة اليمين[6]، والثاني نقل فيه قول الإمام في حظر الالتذاذ بالنظر إلى الخمر والميسر[7].

ب- ومن القرائن أيضا ذكر أبي يوسف[1] صاحب أبي حنيفة مرة واحدة في الكتاب، حيث ساق قوله في معرض شرح حديث النبي ρ: (لا يُقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد

---

[1] هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ولد سنة: 60هـ، وأجمعوا على أنه مات سنة: 150هـ. صاحب المذهب الحنفي، أحد المذاهب الأربعة المشهورة. قال أبو يوسف: ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة. أنظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء، منشورات مير محمد كتب خانه، كراشي، د.ط، د.ت، 1/ 26 وما بعدها.

[2] الحجة للقراء السبعة، الفارسي، 1/ 217.

[3] المؤخَّذ بمعنى المسحور، والتأْخِيذُ أَن تحتالَ المرأَةُ بحيَل في منعِ زوجِها من جِماع غيرها وذلك نوع من السحر يقال لفلانة أُخْذَةٌ تُؤْخِّذُ بها الرجال عن النساء وقد أَخَّذَتْه الساحرة تأْخيذاً. لسان العرب، (مادة: أخذ)، 3/ 470.

[4] يَعِنُّ ويَعُنُّ والتَّعْنِين الحَبْس وهما لغتان، والعِنِّينُ الذي لا يأْتِي النساء ولا يريدهن بَيِّنُ العَنَانة والعِنِّينة والعِنِّينيَّة وعُنِّنَ عن امرأَته إذا حكم القاضي عليه بذلك أَو مُنعَ عنها بالسحر والاسم منه العُنَّة وهو مما تقدم كأَنه اعترضه ما يَحْبِسُه عن النساء. لسان العرب، (مادة: عنن)، 13/ 290.

[5] الحجة للقراء السبعة، 1/ 297.

[6] الحجة، 1/ 334.

[7] المصدر نفسه، 3/ 430.

في عهده)[2]، فقال: "قال أبو يوسف: ولو كان المعنى: لا يقتل مؤمن به، كان: ولا ذي عهد في عهده"[3].

ت- ولم يُثبت أبو علي اسم أحد من الفقهاء وأصحاب المذاهب في جميع أجزاء وثنايا الكتاب ولو لمرة واحدة؛ مما يدل على عدم اهتمامه بغير فقه أبي حنيفة النعمان.

ث- ثم إن هناك مشابهة واضحة بين نحو أبي علي وفقه أبي حنيفة، كلاهما يشيع فيه القياس.

ج- كما يروون عن كتب أبي علي أنها احترقت[4]، ولم يبق منها إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن[5].

وبعد إيراد هذه القرائن والشواهد يمكننا القول بأن أبا علي رحمه الله –إن صحَّ أن له مذهبا– فإن مذهب أبي حنيفة له مذهب.

المطلب الثاني: مكانة الفارسي العلمية

لقي تبوأ أبو علي مكانة سامية في مختلف العلوم العربية، فقد كان موسوعة علمية في عصره، فذاع صيته واشتهر ذكره في الآفاق، وتتجلى مكانته العلمية في عدة نواحي:

الفرع الأول : توثيق العلماء له وثناؤهم عليه

ومما أكسب أبا علي شهرته وعلوَّ شأنه تزكيةُ العلماء له وثناؤُهم عليه، من ذلك:

---

[1] هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب أبي حنيفة وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، ولد سنة: 113هـ ومات ببغداد سنة: 282هـ، وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي وأخذ الفقه عن محمد بن عبد الرحمن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة، ولي القضاء أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته ببغداد وهو على القضاء، أول من دعي بقاضي القضاة. من كتبه "الخراج"، "النوادر" وغيرهما. أنظر: الجواهر المضية، ابن أبي الوفاء، 1/ 220. الأعلام، 8/ 193، النجوم الزاهرة، 2/ 107.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه دون قوله: (ولا ذو عهد في عهده)، كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير، رقم: 2888، 1110/3. وصحَّح النيسابوري هذه الزيادة في مستدركه: كتاب قسم الفيء، رقم: 2623، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه". المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411هـ- 1990م، 153/2.

[3] الحجة، 1/ 46.

[4] معجم الأدباء، 2/ 819.

[5] هو: محمد بن الحسن بن فرقد بن أبو عبد الله الشيباني، الإمام صاحب الإمام، صحب أبا حنيفة وأخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف وصنف الكتب ونشر علم أبي حنيفة ويروي الحديث عن مالك ودون الموطأ وحدث به عن مالك، روى عنه الإمام الشافعي ولازمه وانتفع به. توفي سنة: 126هـ، وقيل: 122هـ. طبقات الحنفية، 1/ 172 وما بعدها ووفيات الأعيان، 184/4 وما بعدها.

ما ذكره أبو القاسم التنوخي[1] في (نشوار المحاضرة) حيث قال: سمعت أبي يقول: سمعت عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو[2].

ووصف الخطيب البغدادي كتبه بأنها عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، وتكلم كثيرا عن فضله وشهرته في الآفاق[3]. وقال عنه السيوطي: "النحو ما يقوله الفارسي"[4].

وقال عنه أبو البركات الأنباري في نزهة الألباء: فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرّد، وقال أبو طالب العبدي: لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه، أحد أبصر بالنحو من أبي علي[5].

وامتدحه أبو العلاء المعري بقوله: "إنه رجل يمت بكتابه في (القرآن) المعروف بكتاب الحجة"[6].
الحجة"[6].

كما قدَّره العلماء حق قدره؛ فأثنوا عليه وشُغلوا به يتدارسونه ويختصرونه ولاسيما أهل الأندلس، ومن أقوالهم فيه:

- ما جاء في طبقات النحاة واللغويين: "كتاب الحجة في تخريج القراءات السبعة من أحسن الكتب وأعظمها"[7].

- وجاء في طبقات القرَّاء: "وألّف كتاب التَّذكرة وكتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد فأجاد وأفاد والإيضاح والتكملة وغير ذلك"[8].

---

[1] هو: أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي الأنطاكي، كان عالما بأصول المعتزلة والنجوم قال الثعالبي في حقه: هو من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم. عارض أبا بكر ابن دريد في مقصورته وذكر منها أبياتا ومدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة، وتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وسمع الحديث، وكان معتزليا. توفي بالبصرة سنة 342هـ. وفيات الأعيان، 3/366-368.

[2] أنظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي التنوخي، ت: عبود الشالجي، دار صادر –بيروت، د.ط، 1972م، 4/ 43-44.

[3] تاريخ بغداد، 7/ 275.

[4] أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، ت: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، 1978م، 3/ 47.

[5] أنظر: نزهة الألباء، 1/ 274، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 2/ 812.

[6] رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، ت: بنت الشاطي (عائشة عبد الرحمن)، دار المعارف، ط5، مصر، 1969م، ص154.

[7] طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة، ت: محسن غياض، مطبعة النعمان –النجف، د.ط، 1974، ص295.

[8] غاية النهاية في طبقات القراء، 1/ 189.

– وفي وفيات الأعيان قوله: "وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله... والفارسي لا حاجة لضبطه لشهرته"[1].

وقد اختصره مكي بن أبي طالب حمُّوش[2] المتوفى سنة 437هـ في كتاب سماه (منتخب الحجة في القراءات) وجعله في ثلاثين جزءاً[3]. واختصره كذلك أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي الأندلسي المتوفى سنة 455هـ[4] ومحمد بن شريح الرعيني[5] المتوفى سنة 476هـ[6].

الفرع الثاني: مؤلفاته

لقد ترك أبو علي جملة من الكتب نالت إعجاب واستحسان الكثير من العلماء، تعد من نفائس التراث، ولكن يد الدهر قد عبثت ببعضها، فلا نجد لها أثرا في خزائن الكتب، فعدت من الكتب المفقودة.

وبقيت بعض كتبه متناثرة في مكتبات العالم، وقد انبرى لتحقيق بعضها جماعة من الأساتذة. ويمكن أن نصنف هذه المؤلفات إلى صنفين:

أولا: المؤلفات التي وصلت إلينا

1- الإغفال[7] فيما أغفله الزجاج من المعاني في تفسير القرآن الكريم، حققه محمد حسن حسن إسماعيل، رسالة ماجستير في كلية الآداب، عين شمس.

---

[1] وفيات الأعيان، 1/ 82.

[2] مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي، القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، إمام القراء والمجوّدين، قرأ عليه جماعة كثيرة، كان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهورا بإجابة الدعاء، فممن قرأ عليه محمد بن أحمد بن مطرف الكناني القرطبي (355-437هـ). وله تواليف مشهورة، منها الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزءا، ومنتخب الحجة لأبي علي الفارسي، وكتاب التبصرة في القراءات، والموجز في القراءات، وكتاب الإبانة وغيرها. أنظر ترجمته: غاية النهاية: 309/2، معرفة القراء، 394/1، سير أعلام النبلاء، 591/17 ووفيات الأعيان، 274/5- 275.

[3] بغية الوعاة، ص297 و كشف الظنون، 2/ 1448.

[4] هو: إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، أبو الطاهر الأنصاري الأندلسي ثم المصري المقرىء، مصنف العنوان في القراءات، أخذ القراءات عن عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي وتصدر للإقراء زمانا ولتعليم العربية، وكان رأسا في ذلك. اختصر كتاب الحجة لأبي علي الفارسي. أخذ عنه جماهر بن عبد الرحمن الفقيه، وأبو الحسين الخشاب، وولده جعفر بن إسماعيل وغيرهم. توفي سنة: 455هـ. كشف الظنون، 2/ 1448 ومعرفة القراء الكبار، 423/1- 424.

[5] محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الرعيني أبو عبد الله الإشبيلي المقرىء الأستاذ مصنف كتاب الكافي وكتاب التذكير، التذكير، من جلة قراء الأندلس، توفي سنة 476هـ. أنظر: معرفة القراء الكبار، 1/ 434، كشف الظنون، 2/ 1379 ونفح الطيب، 2/ 611.

[6] الصلة، ابن بشكوال، ص215.

[7] ويسمى بالمسائل المصلحة من كتاب ابن السراج. معجم الأدباء، 2/ 814 و الفهرست: 1/ 95.

2- الإيضاح النحوي (العضدي) ألفه لعضد الدولة البويهي، حققه الدكتور حسن شاذلي فرهود، وطبع سنة 1969م في القاهرة.

3- التعليقة على كتاب سيبويه، حققه الدكتور عوض بن حمد القوري، وطبع بمطبعة الأمانة –القاهرة،الطبعة الأولى، سنة 1410هـ- 1990م.

4- التكملة: حققه الدكتور كاظم بحر المرجان (رسالة ماجستير) وهو مطبوع على الآلة الكاتبة، جامعة القاهرة 1972م، وأعيد طبعه ثانية بدار عالم الكتب –بيوت، سنة 1419هـ- 1999م.

5- الحجة في علل القراءات السبع: طبع الجزء الأول من هذا الكتاب سنة 1965م، بتحقيق الدكتور علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي. ولم أقف على تحقيق وطبع بقية الأجزاء. كما طُبعت جميع أجزائه وحُقِّقت من طرف الدكتور: كامل مصطفى الهنداوي في أربعة أجزاء، سنة 1421هـ- 2001م، بدار الكتب العلمية –بيروت. وهي الطبعة التي اعتمدتها غالباً في هذا البحث.

6- المسائل البصريات: ذكر محقق كتاب المسائل البغداديات[1] أنه توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة شهيد علي الملحقة بالمكتبة السليمانية باسطنبول، تحت رقم/ 2/2516.

7- المسائل البغداديات: وهو كتاب المسائل المشكَلة نفسُه، حققه الأستاذ صلاح الدين عبد الله السيكاوي، مطبعة العاني –بغداد.

8- المسائل الحلبيات في اللغة والنحو[2].

9- المسائل الشيرازيات في اللغة والنحو: حققه الدكتور علي جابر المنصوري سنة 1976م (رسالة دكتوراه) وهو مطبوع على الآلة الكاتبة.

10- المسائل المنثورة[3].

11- المسائل العسكريات في النحو العربي[4]: درسه وحققه الدكتور علي جابر المنصور سنة 2002م.

---

[1] المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ص24، ص26.

[2] معجم الأدباء، 2/ 814.

[3] نشر بتحقيق مصطفى الحدري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة 1986م.

[4] معجم الأدباء، 2/ 814. وقد ذكر محقق البغداديات أن الكتاب نسبة إلى عسكر مُكرم، وتوجد منه نسخة في مكتبة شهيد علي الملحقة بالمكتبة السليمانية باسطنبول، تحت رقم: 2516/ 4. مقدمة تحقيق المسائل البغدادية، ص27 و مقدمة تحقيق الحجة، ت: عبد الفتاح شلبي وغيره، ص27.

12- شرح أبيات الإيضاح[1].

ثانيا: المؤلفات التي لم تصل إلينا

1- أبيات الإعراب[2].

2- أبيات المعاني[3].

3- الإيضاح الشعري[4].

4- كتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي[5] في التفسير[6].

5- التذكرة: يقول صاحب وفيات الأعيان في وصفه: "ومن تصانيفه كتاب التذكرة وهو كبير"[7]، وذكر بعضهم أنها تقع في عشرين مجلدا، وتعالج اللغة العربية[8].

6- الترجمة، ولم يصفه أحد بشيء[9].

7- شرح أبيات الإعراب[10].

8- كتاب تفسير[11] قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ [المائدة: ٦].

9- مختصر عوامل الإعراب[12].

10- المسائل الدمشقية، ولم نعرف عنها شيئا[13].

---

[1] الفهرست، ص95.

[2] الفهرست، 1/ 95. وقد ذكر محقق الحجة، أنه طُبع جزء من هذا الكتاب سنة 1869م، وفي مكتبة جامعة القاهرة نسخة منه برقم 675. مقدمة الحجة، ت: عبد الفتاح شلبي وغيره، ص25.

[3] معجم الأدباء، 2/ 814.

[4] المصدر نفسه.

[5] هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام، أبوعلي الجبائي البصري شيخ المعتزلة. كان رأسا في الفلسفة والكلام. أخذ عن يعقوب الشحام البصري، وله مقالات مشهورة وتصانيف وتفسير. أخذ عنه أبو أبو هاشم والشيخ أبو الحسن الأشعري ثم أعرض الأشعري عن طريق الاعتزال وتاب منه. مات الجبائي في سنة 303هـ. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة –القاهرة، ط1، 1396هـ، 1/ 102.

[6] المصدر السابق.

[7] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[8] الفهرست، 95، معجم الأدباء، 2/ 814.

[9] المصدر نفسه.

[10] وهي المعروفة بشرح أبيات الإيضاح. الفهرست، 1/ 95.

[11] المصدر نفسه.

[12] معجم الأدباء، 2/ 814 و الفهرست، 1/ 95.

[13] معجم الأدباء،2/ 814.

11- المسائل الكرمانية[1].

12- المسائل المجلسيات[2].

13- المسائل القصريات أو القصرية[3].

14- المقصور والممدود[4].

15- نقض الهاذور[5]؛ وهو في الرد على ابن خالويه فيما اتهمه من الوهم.

16- العوامل المائة[6].

المطلب الثالث: وفاة الإمام الفارسي

لم يتفق المؤرخون في تحديد سنة وفاة أبي علي؛ فيذكر ابن النديم أنه توفي قبل سنة 370هـ[7]، وابن الأثير وأبو الفداء يذهبان إلى أنه توفي سنة 376هـ[8]، ويذكر آخرون على أنه توفي سنة

---

[1] إنباه الرواة القفطي، 1/ 309. معجم الأدباء، 2/ 814.

[2] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[3] أملاها على تلميذه أبي الطيب محمد بن طوس القصري، فسميت به ومات شابا. وقيل: إنما ألفت في قصر ابن هبيرة. انظر: كشف الظنون، 2/ 1670 ومعجم الأدباء، 6/2542-2543.

[4] معجم الأدباء، 2/814، وفيات الأعيان، 2/ 81.

[5] المصدر السابق.

[6] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[7] الفهرست، ص95.

[8] الكامل، ابن الأثير، 7/ 429. والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء ، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت، 11/ 306.

377هـ[1]. والرأي الأول بعيد؛ لأن التنوخي كان يروي الحديث عن أبي علي سنة 375هـ[2]، وكان أبو علي وكيل عضد الدولة في عقد زواج الخليفة الطائع لله على ابنة عضد الدولة سنة 396هـ[3]، وصحب ابن جني أبا علي أربعين سنة، وكان مولده سنة 321 أو سنة 322هـ، فإذا كانت وفاة أبي علي قبل سنة 370هـ كان معنى ذلك أن صحبة ابن جني لشيخه قد بدأت وهو صبي دون العاشرة، وهي إنما بدأت سنة 337هـ، أي وابن جني في الخامسة عشرة من سنه[4].

وأما اتفاق ابن الأثير وأبي الفداء على أنه توفي سنة 376هـ أقرب، ولا خلاف على أن الوفاة كانت يوم الأحد لسبع عشرة خلت من ربيع، فالخطيب وابن الأنباري يذكران أنه ربيع الأول، وابن خلكان يذكر أنه ربيع الآخر، والفرق بين هذا وذاك أهون.

المطلب الأول: اسم الكتاب وتوثيقه وتاريخه

[1] تاريخ بغداد، 7/ 275، بلغة الطلب، 5/ 2274..

[2] بغية الطلب في تاريخ حلب، 5/ 2269.

[3] النجوم الزاهرة، 4/ 135.

[4] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 10.

يتناول هذا المطلب اسم الكتاب محلّ هذه الدراسة ونصوص المصادر في إثبات، وتوثيق اسمه، وكذا مدى نسبة هذا الكتاب إلى مؤلِّفه أبي علي رحمه الله.

الفرع الأول: اسم الكتاب

ذكر المترجمون لأبي علي الفارسي كتاب الحجة بعبارات مختلفة، وإن كانت مشتركة في كلمة (الحجة) محور التسمية؛ كل ذلك بداعي الاختصار والاجتزاء بالبعض المفهم عن الكل.

فاكتفى كل من ابن النديم في الفهرست[1] وياقوت في معجم الأدباء[2] وابن الجزري في الطبقات[3] والذهبي في معرفة القراء الكبار[4] بتسميته (الحجة). في حين سماه الخطيب البغدادي (الحجة في علل القراءات)[5]، وابن خلكان في الوفيات[6] وصاحب الشذرات[7] وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة[8] أطلقوا عليه (الحجة في القراءات)، وزاد ابن الأنباري في نزهة الألبّاء[9] كلمة (السبع) على علل القراءات، وجاء في طبقات النحاة واللغويين تسميته بـ (الحجة في تخريج القراءات السبعة)[10].

ولعل ذلك يعود إلى اختلاف العناوين المثبتة على نسختي (الحجة)؛ فالنسخة الأولى كتبت سنة 390هـ، وهي في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم 3570ع، وتتألف هذه النسخة من سبعة أجزاء ينقصها الجزء الخامس، كتب في آخر الجزء السابع: "نُجز كتاب **الحجة للقراء**، وبُلغ الفراغ منه في يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسعين وثلاثمائة". وقد جعل المحققون هذه النسخة الأصل[11].

واضح من هذا النص تسميته بكتاب الحجة للقراء، ويبدو أن التسمية إنما هي على سبيل الاختصار والاجتزاء، والدليل على ذلك ما ثبت في أول النسخة الثانية.

---

[1] الفهرست، ابن النديم، 1/ 95.

[2] معجم الأدباء، 2/ 814.

[3] غاية النهاية في طبقات القراء، 1/ 189.

[4] معرفة القراء الكبار، 1/ 424.

[5] تاريخ بغداد، 7/ 275.

[6] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[7] شذرات الذهب، 2/ 89.

[8] النجوم الزاهرة، 4/ 151.

[9] نزهة الألبّاء، ابن الأنباري، ص274.

[10] طبقات النحاة واللغويين، ص295.

[11] الحجة في علل القراءات السبع، ص33- 35.

وأما النسخة الثانية فبخط طاهر بن غلبون المتوفى سنة 399هـ[1]، وتقع في أربعة أجزاء، كتبت الثلاثة الأولى منها سنة 427، والرابع سنة 428هـ، وهي في مكتبة مراد مُلاَّ باستانبول، وعلى الصفحة الأولى من الجزء الأول من هذه النسخة: هذا الكتاب وهو **الحجة** لأبي علي الفارسي أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون المصري النحوي.

وعلى الجانب الأيمن من هذه الأسطر الثلاثة كتب رأسيا في ثلاثة أسطر:

هذا خط علي بن جعفر بن الحسين بن البويني النحوي[2] رحمه الله.

ويلي ثلاثة الأسطر الأفقية السابقة عنوان الكتاب في ستة أسطر هكذا:

الجزء الأول من كتاب الحجة.

للقرأة السبعة قراء الأمصار.

بالحجاز والعراق والشام الذين.

ذكرهم أبو بكر بن مجاهد.

تصنيف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي رحمه الله ورضي عنه[3].

وفي هذا النص الأخير جاء التصريح بعنوان الكتاب كاملا، وهو: كتاب الحجة للقرأة السبعة قراء الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد، وما عداه إنما هو اجتزاء أو اختصار.

على أن التحقيق الأول للحجة لأبي علي سنة 1385هـ- 1965م من طرف كل من: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي –محققي – أثبتوا تسميته بـ: (الحجة في علل القراءات السبع)، دون أن يبرروا وجه هذه التسمية.

في حين رجح الباحث: كامل مصطفى الهنداوي –المعلق على الكتاب– تسميته بـ: (الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد)؛ وعزا ذلك إلى ما ثبت على غلاف الأجزاء الثلاثة الأخيرة من نسخة مراد ملا المنسوخة بخط طاهر بن غلبون[4].

---

[1] هو أبو الحسن، طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك، المقرئ الحلبي، ثم المصري، يقول الأمام الدّانيّ فيه: "لم يُرَ يُرَ في وقته مثله في فهمه وعلمه، مع فضله وصدق لهجته، كتبنا عنه كثيراً"، توفي سنة 399هـ. معرفة القراء الكبار، الذهبي: 369/1، طبقات الشافعية الكبرى، 388/3، غاية النهاية، ابن الجزري، 307/1 والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 62/1.

[2] لم أقف على ترجمته.

[3] الحجة في علل القراءات السبع، ص35- 36.

[4] مقدمة الحجة للقراء السبعة، كامل مصطفى الهنداوي، ص21.

وعلى كلٍّ ليس هناك كبير فرق بين ما هو ثابت على غلاف النسخة الثانية وبين ما اختاره الباحث مصطفى كامل الهنداوي؛ مما يجعل الركون إلى التسمية الثانية أقرب لثبوتها، ويبدو أنها الأنسب للكتاب، ولا مبرر للعدول عنها إلى غيرها. مع الأخذ بعين الاعتبار احتمال كون التسمية بالحجة من عمل المتأخرين؛ فلعلها جاءت متأخرة عن تأليف الكتاب، يدل على ذلك أن أبا علي رحمه الله لم يقدم كتابه لعضد الدولة باسم الحجة، وإنما قدمه بهذه العبارة: "فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد"[1].

وابن خالويه رحمه الله لم يصرح في مقدمة كتابه إلى تسمية "الحجة"، وإن أشار إلى أن كتابه في الاحتجاج. يقول: "فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع... إلى أن قال: وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم"[2].

الفرع الثاني: توثيقه

بلغ "كتاب الحجة للقراء السبعة" حدّ الإجماع، بحيث لا يعتري نسبته للإمام أبي علي الفارسي رحمه الله أدنى شكّ، فكلّ من ترجم لكتب القراءات أو اللغة وتحدث عنها صنَّف هذا الكتاب في فن القراءات ونسبه إلى الإمام أبي الحسن.

هذا النقل المتواتر لنسبة الكتاب جعل اسم الكتاب ومؤلفه مرتبطين ببعضهما البعض، فإذا ذكر اسم الإمام أبي علي الفارسي رحمه الله ذكر معه اسم كتاب الحجة ، وإذا ذكر اسم كتاب الحجة ذكر معه اسم الإمام أبي علي رحمه الله.

ومن أمثلة ذلك:

1- قول الإمام ابن الجزري في النشر: "قال الأستاذ أبو علي الفارسي في كتاب الحجة في قول ابن مجاهد: هذا إن كان يريد بالمدِّ ألف تفاعل وإسقاط العين واللام فهذا الحذف غير مستقيم"[3].

وبالمقارنة مع النصِّ الذي معنا نجد الكلام نفسه[1] في توجيه قول الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ [الشعراء: ٦١].

---

[1] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

[2] الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط6، 1417هـ- 1996م، 61- 62.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1/ 370.

2- وقال في البرهان: "قال الفارسي في الحجة: وأما قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[ص: ٨٤] فالحق والحق أقول": فالأول قسم بمنزلة (والحق)، وجوابه (لأملأن) وقوله: (والحق أقول) توكيد للقسم..."[2].

ويتطابق هذا تماما مع النص الذي معنا في (كتاب الحجة)[3].

3- وقال الآلوسي في تفسيره: "وقرأ نافع وابن عامر وابن ذكوان والأعرج وشيبة وأبو جعفر (هِيتَ) بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة وتاء مفتوحة، وحكى الحلواني عن هشام أنه قرأ كذلك إلا أنَّه همز، وتعقب ذلك الدَّاني تبعاً لأبي علي الفارسي في الحجة"[4].

والحديث نفسه نجده في (الحجَّة)؛ إذ يقول في خلف (هئت): "وأما ما رواه الحلواني عن هشام (هئتَ) مهموزا بفتح التاء، فهو يشبه أن يكون وهما من الراوي..."[5].

الفرع الثالث: تاريخه

هذا المصنَّف واحد من المصنَّفات التي قدَّمها أبو علي لعضد الدولة الذي كان يعتبر نفسه غلاما في النحو لأبي علي الفسوي[6]، ونص مقدمة الكتاب التي صدرها بالإجلال والدعاء تدل على ذلك؛ إذ يقول: " صدَّر فيها كلمة الإجلال والدعاء لعضد الدولة؛ لأن هذا المصنَّف –كما تقدم– واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له[7]؛ إذ يقول: "أما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك السيد الأجل المنصور، ولي النعمة، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العزة والبسطة والسلطان، وأيّدَه بالتوفيق والتَّسديد، وعضَده بالنَّصر والتَّمكين"[8].

---

[1] الحجة للقراء السبعة، 3/ 222.

[2] البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1391هـ، 3/ 45.

[3] الحجة للقراء السبعة، 3/ 336- 337.

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي –بيروت، د.ط.ت، 12/ 212.

[5] الحجة للقراء السبعة، 2/ 444.

[6] معجم الأدباء، 2/ 812 ووفيات الأعيان، 2/ 80.

[7] ومن المصنفات التي صنفها أبو علي لعضد الدولة كتابي الإيضاح والتكملة. انظر: سير أعلام النبلاء، 16/ 249 ووفيات الأعيان، 4/ 51.

[8] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

وواضح من هذا النصِّ أن أبا علي إنما ألف هذا الكتاب بعد سنة 367هـ[1]؛ وهي السنة التي لُقب فيها عضد الدولة بتاج الملة وقبل سنة 372هـ[2]؛ وهي السنة التي توفي فيها عضد الدولة.

وقد كان شائعا في عصر أبي علي تخصيص العلماء بتآليف للملوك والحكام، وكانت أكرم هدية يقدمها هؤلاء العلماء ما ينتجونه من عصارة قرائحهم وأفكارهم، وكان كتاب الحجَّة أيضا مما أهداه أبو علي للصاحب بن عباد[3] وأجاز له أن يرويه عنه؛ إذ جاء في معجم الأدباء ما نصه: "قرأت بخط سلامة بن عياض النحوي ما صورته: وقفت على نسخة من كتاب الحجة لأبي علي في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالرّيّ في دار كتبها التي وقفها الصاحب بن عباد رحمه الله، وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته هذه: أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل، أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه. كتاب في قراء الأمصار الذين بيّنت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة، فما تضمن من أثر وقراءة ولغة، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل –أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه– حكاية شيء منه عنهم أو عني لهذه المكاتبة فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطِّه"[4].

والاحتجاج للقراءات القرآنية –كما سيأتي قريبا– دراسة قرآنية جليلة الشأن، يراد بها توثيق القراءات، ونفي الشبه عنها ودفع الشك في سلامتها.

وكتاب الحجة إلى جانب كونه مصدرا جليلا من مصادر تراثنا الثر في اللغة، والنحو، والصرف، ومسائل الخلاف، والشواهد، والأصوات ومسائل الخلاف –إلى جانب ذلك– يعد في موضوعه طورا زكيا من أطوار الاحتجاج لقراءات الأئمة السبعة.

---

[1] الكامل، ابن الأثير، 8/ 452.

[2] تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة –مصر، ط1، 1371هـ-1371هـ- 1952م، 1/ 409.

[3] هو: أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس، كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه. أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي. قال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه: ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوِّ محله في العلم والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، وتوفي سنة 385هـ بالري ثم نقل إلى أصبهان. انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 3/ 225، والنجوم الزاهرة، 4/ 169.

[4] معجم الأدباء، 2/ 813.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب ومضامينه

يتضمَّن هذا المطلب حديثاً عن موضوع الكتاب وأفكاره الأساسية المتضمنة فيه، وذلك في فرعين.

الفرع الأول: موضوع الكتاب

يعتبر كتاب "الحجة للقراء السبعة" أجلّ آثار الإمام أبي عليّ، بل هي أجلّ الكتب المؤلفة في باب الاحتجاج للقراءات، وهي في بابها ككتاب سيبويه في بابه؛ من حيث اشتمالُهما على أصول علْمِهما وجُلِّ مادته، وغزارةُ النَّقل عنهما في كتب من بعدهما، واعتدادُ الناس بمذاهب صاحبهما، وحركةُ التصنيف التي قامت على كلٍّ منهما، حتى قيل: الحجة كتاب ليس له نظير في جلال قدرٍ واشتهارِ ذكرٍ[1].

يتناول الإمام موضوع الاحتجاج للقراءات السبعة وتوجيهها، ولا يخفى أن شرف العلم بشرف موضوعه، وعلم القراءات من أجلِّ العلوم وأشرفِها؛ إذ يُعنى موضوعُ علم القراءات بكلمات القرآن من حيث كيفيةُ أدائها، ومدى اتفاقها واختلافها معزوّة لقائليها، فحاز بنسبته إلى القرآن الكريم أسمى الشرف وأعظم المنزلة. كما أن علم التوجيه –كما سيأتي– يعتبر فنًّا جليلاً به تُعرف جلالة الألفاظ وجزالتها"[2]، وهو أيضا أداة مهمة، وعدة أساسية للمفسر والمتصدِّر للإقراء؛ فالمفسِّر يحتاج إليه في استنباط الأحكام، وترجيح بعض الوجوه على بعض[3]، والقارئ يحتاج إليه لمعرفة وجوه الوقف والابتداء الجائزة منها والممتنعة وغير ذلك.

---

[1] ذيل تجارب الأمم،، أبو شجاع، مطبعة شركة التمدُّن الصّناعيَّة، د.ط، 1334هـ، ص183.

[2] البرهان في علوم القرآن، 339/1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة، بيروت، د.ط، 1951م، 109/1.

[3] الإتقان في علوم القرآن، 226/1-227.

وكتاب الحجة للفارسي –كما هو واضح من عنوانه – يذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله (السبعة في القراءات)، فموضوعه إذن تعليل قراءات القراء السبعة وتوجيهها؛ فقد عمد أبو علي إلى حشد قراءات السبعة الذين اجتباهم ابن مجاهد، واحتجَّ لها، ووثّقها، واستشهد لحروفها، وأثبت وجاهتها وصحتها، ووجَّهها وفق عيار العربية إن على المستوى اللغوي المعجمي أو الصرفي أو الصوتي أو الدلالي البلاغي –كما سيتضح في حينه إن شاء الله–، والتمس لها الأدلة، وعلّلها عللا خفية بعيدة الغوْر، واجتلب لها النظائر، حتى جاءت بحراً تزَّاحم فيه العلوم: القراءات، والاحتجاجُ لها، واللغةُ، والتفسيرُ، وإعراب القرآن، والنَّحو، والعروض، والبلاغة، والأصوات، وفقه اللغة، ومعاني الشعر، والفقه وغيرها. وفي غضون ذلك تتوالى مسائل العربية التي أفاض أبو عليّ القول فيها، وأسلمته من موضوع إلى آخر.

ومعلوم أن ابن مجاهد رحمه الله هو أول من سبع القراءات[1] وأقنع الوزير ابن مقلة[2] على تثبيت قراءات السبعة ومنع ما عداها؛ تيمُّنا بقول النبي ρ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[3]. فأوحى كتابه هذا إلى العلماء –قبل أبي علي وبعده– بدراسات شتى تدور عليه أو تتصل به.

---

[1] إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة المقدسي، ت: إبراهيم عَطوة عوض، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، د.ط، د.ت، ص05، كشف الظنون، 2/ 1448.

[2] هو: علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور، كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس، وتنقلت أحواله إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله وخلع عليه، ثم استوزره الإمام القاهر بالله وخلع عليه، ولما ولي الراضي استوزره أيضا. ابتلي بالحبس وقطع يمناه، وكان ينوح على يده ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، ولما قدم بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين إلى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضا. كانت ولادته سنة 272هـ ببغداد، وتوفي سنة 326هـ رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان، 5/ 113- 117.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم: 4706، 4/ 1909. ومسلم في صحيحه، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم: 818، 560/1.

أ- فشرع أبو بكر محمد بن السرّي المتوفى سنة 316هـ في تأليف كتاب يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد، فأتم سورة الفاتحة، وجزءًا من سورة البقرة ثم أمسك[1].

ب- وألف أبو طاهر عبد الواحد البزَّار المتوفى سنة 349هـ أكتاب الانتصار لحمزة[2].

ت- وألف محمد بن الحسن الأنصاري المتوفى سنة 351هـ كتاب السبعة بعللها الكبير[3].

ث- وألف أبو بكر محمد بن الحسن بن مِقسم العطار المتوفى سنة 362هـ: كتاب احتجاج القراءات، كتاب السبعة بعللها الكبير، كتاب السبعة الأوسط وكتاب السبعة الأصغر[4].

ج- ويجيء بعد أبي علي الفارسي تلميذه ابن جني المتوفى سنة 392هـ، فيوحي إليه كتاب الحجة بالاحتجاج للقراءات الشاذة.

ح- ثم توالت بعد ذلك التأليفات فيجيء الإمام مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ، ليؤلف كتابه الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها.

غير أن الذي يتميَّز به كتاب الحجة للفارسي في خضم حلقة هذه التآليف الكثيرة في كون الإمام يغوص فيه إلى الأعماق، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع أن يتابعه، ولا يستطيع أن يصل إلى الجوهر المنشود؛ فكثرة الاستطرادات وضخامة التعليلات قد تحول – أحيانا- بينه وبين ما يريد.

ومن هنا كان كتاب الحجة كتاباً لا يفهمه إلا القلة، ولا تهضمه إلا فئة خاصة تسلحت بما تسلح به أبو علي من عقلية منطقية، تؤمن بالقياس وتجري وراء العلة.

ويكفينا في هذا المقام شهادة تلميذه ابن جني؛ وهي شهادة على النفس، وأبو علي من ابن جني بمثابة الروح من الجسد.

---

[1] انظر: خطبة الحجة للفارسي، 1/ 29.

[2] الفهرست، ص48.

[3] المصدر نفسه، ص50.

[4] المصدر السابق، ص49.

يقول ابن جني في كتاب (المحتسب) ما نصه: "فإن أبا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء"[1].

وفي موضع آخر يقول: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة، فأغمضه وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدَّعي العربية، فضلاً عن القرَّاء، وأجفاهم عنه"[2].

وهؤلاء القراء السبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد وعمل أبو عليّ على الاحتجاج لقراءاتهم هم:

أ- قراءة نافع المدني[3] في رواية إسماعيل بن جعفر[4]، والمسيبي[5]، وقالون[6] وورش[7] وخارجة بن مصعب[8].

---

[1] انظر: مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

[2] المرجع نفسه.

[3] هو: أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، وكنيته أبو رُويم. أحد القراء الأعلام. أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة. وروى عنه القراءة إسماعيل بن جعفر وقالون وورش، وخلق كثير. أقرأ الناس دهراً طويلا يزيد عن سبعين سنة وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة. توفي سنة: 169هـ. غاية النهاية، 2/ 288- 289.

[4] هو: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولاهم، قرأ على شيبة بن نصاح ثم على نافع وعيسى بن وردان، روى عنه القراءة عرضا وسماعا الكسائيّ، والقاسم بن سلاّم، والدوري وغيرهم. توفي سنة: 180هـ. غاية النهاية: 1/ 163. معرفة القراء: 1/ 107.

[5] هو: إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد المسيَّبي المخزومي المدنيّ. إمام قيم في قراءة نافع، ضابط محقق فقيه. لأخذ القراءة عنه ولده محمد وخلف بن هشام ومحمد بن سعدان وغيرهم. توفي سنة: 206هـ. غاية النهاية: 1/ 157- 158. معرفة القراء، 1/ 143.

[6] هو: عيسى بن مينا الزرقي مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونحويها. يقال إنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه "قالون" وتعني في الرومية "جيِّداً" لجودته في القراءة. أخذ عنه القراءة عرضاً. وعرض على عيسى بن وردان. روى القراءة عنه مصعب بن إبراهيم وغيره. توفي سنة: 220. غاية النهاية، 1/ 542. معرفة القراء، 1/ 155.

[7] هو: أبو سعيد عثمان بن سعيد ورش المصري المقرئ، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو القاسم. ولد سنة: 110هـ. قرأ القرآن وجوّده على نافع عدَّة ختمات في حدود سنة 155هـ. لقّبه نافع بورش؛ لشدَّة بياضه، والورش: شيء يصنع من اللبن، ويقال لقّبه بالورشان: الطائر المعروف، وكان يعجبه ذلك. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالدّيار المصريّة في زمانه، وإليه تنسب رواية ورش. قرأ عليه أحمد بن صالح الحافظ، وداود بن أبي طيبة، وأبو يعقوب الأزرق، وغيرهم. وسمع منه عبد الله بن وهب وإسحاق بن حجَّاج وغيرهما. توفي سنة: 197هـ بمصر. انظر: معرفة القرَّاء الكبار: 1/ 153- 155. سير أعلام النبلاء: 9/ 295- 296. غاية النهاية: 1/ 446- 447.

[8] هو: خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبعي السرخسي، أخذ القراءة عن نافع و أبي عمرو وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه عليه وروى أيضاً عن حمزة حروفاً، روى القراءة عنه العباس بن الفضل وأبو معاذ النحوي ومغيث بن بديل، توفي سنة 168هـ. غاية النهاية، 1/ 243، شذرات الذهب، 1/ 265.

ب- قراءة ابن كثير[1] في رواية قنبل[2] والبزّي[3].

ت- وابن عامر[4] في رواية ابن ذكوان[5] وهشام[6].

ث- وعاصم[7] في رواية المفضل الضبي[8]، وحفص[9]، وأبي بكر[1] من طريق الأعشى[2] ويحيى ويحيى بن آدم[3] عنه.

---

[1] هو: عبد الله بن كثير أبو معبد الداري العطار الفارسي الأصل، إمام أهل مكة في القراءة وأحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن السائب وعرض على مجاهد بن جبير. روى القراءة عنه إسماعيل القسط والخليل بن أحمد وغيرهما. كان فصيحا بليغا. توفي سنة: 120هـ. غاية النهاية، 1/ 398. معرفة القراء، 1/ 86.

[2] هو: محمد بن عبد الرحمن المخزومي بالولاء، أبو عمر المكّي الملقّب بقنبل، شيخ القراء بالحجاز. أخذ القراءة عرضا عن أحمد بن بن محمد النبال وخلفه بالقيام بها بمكة. وروى القراءة عن البزّي. روى القراءة عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وجماعة. توفي سنة: 291هـ. غاية النهاية، 2/ 146- 147. معرفة القراء، 1/ 230.

[3] هو: أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البزي الفارسي الأصل، مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام. قرأ على أبيه وعلى عبد الله الله بن زياد وعكرمة بن سليمان وغيرهم. روى عنه القراءة قنبل. وقرأ عليه جماعة. توفي سنة: 250هـ. غاية النهاية، 1/109- 110. معرفة القراء، 1/ 173.

[4] هو: عبد الله بن عامر اليحصبي، إليه انتهت مشيخة الإقراء بالشام وأحد القراء السبعة. قرأ –في أصح الأقوال- على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي. روى عنه القراءة عرضا أخوه عبد الرحمن بن عامر، و يحيى بن الحارث الزماري وغيرهما. تولى إمامة الجامع بدمشق وائتم به الخليفة عمر بن عبد العزيز.توفي سنة: 118هـ. غاية النهاية، 1/ 380 ومعرفة القراء، 1/ 82.

[5] هو: أبو عمر عبد الله بن أحمد الفهري الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، وقرأ وقرأ على الكسائي، وروى الحروف سماعا عن إسحاق بن المسيبي عن نافع. أخذ القراءة عنه هارون الأخفش وغيره. توفي سنة: 245هـ. غاية النهاية: 1/ 404 ومعرفة القراء، 1/ 365.

[6] هو: هشام بن عمّار أبو الوليد السُّلمي الدمشقي. أخذ القراءة عرضا عن أيوب بن تميم، وعراك بن خالد وغيرهما. روى القراءة عنه أبو عيد القاسم، وأحمد بن يزيد الحلواني وغيرهم. ارتحل الناس إليه في القراءات والحديث. توفي سنة: 245هـ. غاية النهاية، 2/ 308- 309 ومعرفة القراء، 1/ 195.

[7] هو: أبو بكر عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الحناط الكوفي مولى بني أسد، أحد القراء السبعة، شيخ الإقراء بالكوفة. أحسن الناس صوتا بالقرآن. أخذ القراءة عن زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهما. روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وحفص بن سليمان، وشعبة بن عياش، والمفضل الضبي وغيرهم. روى عنه أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد وحمزة الزيات. توفي سنة: 129هـ. غاية النهاية، 1/ 315- 316 ومعرفة القراء، 1/ 88.

[8] هو: المفضل بن محمد أبو محمد الضبي الكوفي إمام مقرئ نحوي. أخذ القراءة عن عاصم والأعمش. روى القراءة عنه علي بن حمزة الكسائيّ وجبلة بن مالك. توفي سنة: 168هـ. معرفة القراء، 1/ 131.

[9] هو: حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزار. أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم وكان ربيبه وابن زوجته، زار بغداد بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها. روى القراءة عنه عرضا وسماعا عمرو بن الصباح، عبيد بن الصباح وغيرهما. توفي سنة: 180هـ. غاية النهاية، 1/ 229- 230 ومعرفة القراء، 1/ 140.

هـ- أبو عمرو[4] في رواية عبد الوارث التنوري[5] وأبي شعيب السوسيّ[6] عن اليزيدي[7] عنه.

و- حمزة[8] في رواية خلف[9] وأبي هشام[10] عن سليم[1].

---

[1] هو: شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الكوفي الإمام المعلم راوي عاصم. عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات. عرض عليه أبو يوسف يعقوب الأعشى ويحيى بن آدم وغيرهما. توفي سنة: 193هـ. غاية النهاية، 1/ 259- 260 ومعرفة القراء، 1/134- 135.

[2] هو: يعقوب بن محمد بن خليفة أبو يوسف الأعشى التميمي الكوفي. أخذ القراءة عرضا عن أبي بكر بن عياش. روى القراءة عنه عرضا وسماعا محمد بن حبيب الشموني وغيره. توفي سنة: 200هـ. غاية النهاية، 2/ 390 ومعرفة القراء، 1/ 159.

[3] هو: يحيى بن آدم بن زكريا الصلحي. روى القراءة عن أبي بكر بن عياش سماعا روى القراءة عنه الإمام أحمد بن حنبل، وخلف بن هشام البزار وغيرهما. توفي سنة: 203هـ. غاية النهاية، 2/ 239 ومعرفة القراء، 1/ 166.

[4] هو: زبّان بن العلاء أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة، وأحد أئمة اللغة والأدب. ليس في القراء السبعة أكثر شيوخا منه، سمع أنسا بن مالك، وقرأ على الحسن البصري وحميد الأعرج، ومجاهد وعاصم وابن كثير وغيرهم. روى القراءة عنه عرضا وسماعا يحيى بن المبارك اليزيدي، وينس بن حبيب وسيبويه وغيرهم. توفي سنة: 155هـ. غاية النهاية، 1/ 262- 263 ومعرفة القراء، 1/ 100.

[5] هو: عبد الوارث بن سعيد أبو عبيدة العنبري مولاهم التنوري البصري، مقرئ وحافظ ومحدث البصرة بعد حماد بن زيد، ولد سنة اثنتين ومائة. قال الواقدي وابن المثنى والمدائني توفي في المحرم بالبصرة سنة: 180هـ. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1410هـ، 1/ 407. شذرات الذهب، 1/ 293. العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1948م، 1/ 276.

[6] هو: صالح بن زياد أبو شعيب الرقّي مقرئ ضابط. أخذ القراءة عرضا وسماعا على اليزيدي. روى القراءة عنه أبو الحارث محمد بن أحمد الرقي وغيره. توفي سنة: 261هـ. غاية النهاية، 1/ 302 ومعرفة القراء، 1/ 193.

[7] هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد العدوي البصري، نحوي مقرئ. أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو بن العلاء وخلفه بالقيام بها، وأخذ عن حمزة. روى القراءة عنه أولاده: محمد وعبد الله وإبراهيم وغيرهم، والسوسي والدوري وغيرهما. توفي سنة: 202هـ بمرو. غاية النهاية، 2/ 375 ومعرفة القراء، 1/ 151.

[8] هو: حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن سليمان الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن أبي ليلى وغيرهم. انتهت إليه الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش في الكوفة. قرأ عليه الكسائي وسليم بن عيس وجماعة. توفي سنة: 156هـ. غاية النهاية، 1/ 236 ومعرفة القراء، 1/ 111.

[9] سقت ترجمته، ص 17.

[10] هو: محمد بن يزيد بن رفاعة العجلي أبو هشام الرفاعي الكوفي القاضي أحد العلماء المشهورين، قرأ على سليم وسمع الحروف من حسين الجعفي ويحيى بن آدم وأبي يوسف الأعشى والكسائي وضبط حروفا عن أبي بكر بن عياش، قال أبو عمرو الداني وله عن هؤلاء شذوذ كثير فارق فيه سائر أصحابه وله كتاب جامع في القراءات روى عنه القراءة موسى بن إسحاق القاضي وعلي بن الحسن القطيعى وأحمد بن سعيد المروزي، كما روى عن أبي بكر بن عياش وحفص بن غياث والمطلب بن زياد وابن فضيل وطائفة. قال البخاري رأيتهم مجمعين على ضعفه. مات في آخر يوم من شعبان ببغداد وكان قاضيا عليها سنة 248هـ. معرفة القراء الكبار، 1/ 224 وما بعدها، سير أعلام النبلاء، 12/ 153.

ز- الكسائي[2] في رواية أبي عُمر الدُّوري[3]، وأبي الحارث[4]، ونصير[5] وقتيبة[6].

الفرع الثاني: مضامينه

يمكن القول أن "كتاب الحجة للقراء السبعة" للإمام أبي علي الفارسي رحمه الله قد اشتمل على مقدمة عقبتها الدراسة، ثم خاتمة.

1- أما المقدّمة فقد تضمنت -بعد الحمدلة والصلاة- ثلاثة أفكار:

الأولى: صدَّر فيها كلمة الإجلال والدعاء للسلطان عضد الدولة؛ لأن هذا المصنَّف -كما تقدم-واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له[7]؛ إذ يقول: "أما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك

---

[1] سليم بن عيسى بن سليم ابن عامر بن غالب أبو عيسى ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرىء صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته به وأحذقهم بالقراءة وأقومهم بالحرف وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة، قرأ عليه خلف بن هشام البزار وخلاد بن خالد الصيرفي وأبو عمر الدوري ومحمد بن يزيد والطيب بن إسماعيل وعلي بن كيسة المصري وطائفة، ولد سنة 130هـ. سمع الحديث من حمزة وسفيان الثوري، سمع منه أحمد بن حميد وضرار بن صرد وقال يحيى بن سليمان الجعفي حدثنا يحيى بن المبارك قال كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب فإذا جاء سليم قال لنا حمزة تحفظوا وتثبتوا قد جاء سليم. قال وتوفي سنة 188 وقيل سنة 189هـ. معرفة القراء الكبار، 1/ 138 وما بعدها.

[2] هو: علي بن حمزة الأسدي، أحد القراء السبعة والذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة، أخذ القراءة عن حمزة وعليه اعتماده وعن أبي بكر بن عياش وعن إسماعيل بن جعفر وعن المفضل الضبي. أخذ القراءة عنه حفص الدوريّ وقتيبة وخلف بن هشام وغيرهم. توفي سنة: 189هـ. غاية النهاية: 1/ 474 وما بعدها ومعرفة القراء، 1/ 120.

[3] هو: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان، أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي، قرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً. قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع، وقرأ أيضاً عليه، وعلى أخيه يعقوب بن جعفر عن ابن جماز عن أبي جعفر، وسليمان عن حمزة، ومحمد بن سعدان عن حمزة وعلى الكسائي لنفسه. روى القراءة عنه أحمد بن حرب شيخ المطوعي، وأحمد بن فرج. توفي في شوال سنة 246هـ. غاية النهاية، 1/ 230- 232.

[4] هو: الليث بن خالد البغدادي. عرض القراءة على الكسائي، وهو من جلة أصحابه. وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، وعن اليزيدي. روى عنه القراءة عرضا وسماعا سلمة بن عاصم صاحب الفراء وغيرهم. غاية النهاية، 2/ 33 ومعرفة القراء: 1/ 211.

[5] هو: نصير بن يوسف أبو المنذر الرازي ثم البغدادي النحوي. أخذ القراءة عرضا عن الكسائي وهو من جلة أصحابه وله عنه نسخة وأبي محمد اليزيدي. روى عنه القراءة محمد بن عيسى الأصبهاني وعلي بن أبي نصر النحوي وغيرهما. مات في حدود 240هـ. غاية النهاية، 2/ 297 ومعرفة القراء، 1/ 213.

[6] هو: قتيبة بن مهران أبو عبد الرحمن الأزاذاني قرية من أصبهان. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن الكسائي وإسماعيل بن جعفر. روى القراءة عنه عرضا وسماعا أبو بشر يونس بن حبيب وغيره. توفي بعد 200هـ. غاية النهاية، 2/ 24- 25. معرفة القراء، 212/1.

[7] ومن المصنفات التي صنفها أبو علي لعضد الدولة كتابي الإيضاح والتكملة. انظر: سير أعلام النبلاء، 16/ 249. وفيات الأعيان، 4/ 51.

السيد الأجل المنصور، ولي النعمة، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العزة والبسطة والسلطان، وأيّدَه بالتوفيق والتَّسديد، وعضَده بالنَّصر والتَّمكين "[1].

والفكرة الثانية: فقد أوضح فيها المصنِّف موضوع كتابه، والمتمثل في ذكر أوجه الاحتجاج وتعليل القراءات المختلفة للقراء السبعة في مختلف الأمصار الذين أثبتهم أبو بكر بن مجاهد في "سبعته"، كل ذلك على الصحيح الذي ثبتت روايته عنه، وهذا الأمر في غاية الأهمية يصدّر به أهل القراءات كتبهم ويحرصون عليه؛ ذلك أن مدار أخذ القراءة على المشافهة، والعرض على الشيوخ، والسماع منهم، ولا يخفى أن أهمَّ أركان القراءة الصحيحة صحة السند إلى النبي ρ؛ الأمر الذي جعل الإمام أبا علي رحمه الله حريصا في هذا الفن على ذكره كغيره من القراء؛ فيقول: "فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام، بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه، وأخذنا عنه"[2].

أما الفكرة الثالثة: فقد أشار إلى عمل أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السَّرَّاج (ت316هـ) قبله، إذ سبقه إلى هذا العمل لما شرع في تأليف كتاب يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد، فأتم سورة الفاتحة، وجزءًا من سورة البقرة ثم أمسك، وأما عمل أبي علي فهو الإفادة منه مع الإسناد إليه؛ لأن الإسناد من الدين[3]، والذي يقرأ كتاب الحجة يجد أبا علي يستشهد به كثيرا، وفي كل مرة يذكر: قال أبو بكر بن محمد بن السري. يدل على هذه الفكرة قول أبي علي رحمه الله: "وقد كان أبو بكر بن محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتدأ بإملائه، وارتفع منه تبييض ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم، وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا، وإلى الله أرغب في تيسير ما قصدته، والمعونة عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[4].

---

[1] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

[2] خطبة الحجة.

[3] من قولة عبد الله بن المبارك المشهورة: " الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء". انظر: التعديل والتجريح، سليمان بن خالف، أبو الوليد الباجي، ت: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع –الرياض، ط1، 1406هـ- 1986م، 1/ 291 وتذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر بن القيسراني، ت: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، ط1، الرياض، 1415هـ، 3/ 1054.

[4] انظر: خطبة الحجة للفارسي، 1/ 29.

2- وبعد تلك المقدّمة الموجزة شرع المصنف رحمه الله مباشرة في موضوع الدراسة، والمتمثل في عرض فرش الحروف[1]؛ وذلك في أربعة أجزاء، بدأ فيها بسورة الفاتحة وانتهى إلى سورة الناس.

ففي الجزء الأول بدأ بـ [سورة الفاتحة] إلى [الآية: 246] من أواخر [سورة البقرة].

ومن أول [سورة آل عمران] إلى آخر [سورة يوسف] في الجزء الثاني.

وأما الجزء الثالث فعرض فيه أحرف الخلاف في [سورة الرعد] إلى [الآية: 37] من [سورة الطور].

وختم كتابه في الجزء الرابع من [سورة النجم] إلى آخر [سورة الناس].

3- وبعد الرحلة الطويلة والدراسة العميقة التي خاضها أبو علي في "الحجة"، اكتفى أبو علي بختام كتابه بقوله: "والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيِّه محمد وعلى أهله وسلامه"[2].

[1] القراء يسمّون ما قلّ دوره في القرآن من حروف القراءات المختلف فيها "فرشاً"؛ لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السور فهي كالمفروش بخلاف الأصول؛ لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع. وسمي بعضهم الفرش فروعاً مقابلة =للأصول. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، عليّ بن عثمان بن الحسن القاصح البغدادي، دار الفكر، بيروت، د.ط.ت، ص184.

[2] الحجة، 4/ 161.

المطلب الثالث: أهمية الكتاب ومنزلته

لا تخفى قيمة كتاب "الحجة" بين سلسلة المصنفات العظيمة في علم القراءات عموما، وفي فن توجيه القراءات وتعليلها خصوصا؛ ذلك أن ظهور هذا الكتاب يُعدُّ فتحاً كبيراً في مجال القراءات وفن الاحتجاج لها. فمؤلِّفه شخصية من أبرز الشخصيات في علم القراءات أداءً وتدريساً وأستاذيّةً وتأليفاً، ومؤلَّفه "الحجة" طبقت شهرته الآفاق وانتفع به القرّاء والنحويون والمؤلّفون؛ لما يتميّز به من سلامة في المنهج واستيعاب للأحكام. وتتجلى مظاهرها في:

أولا: كونه من أوائل المصنفات التي شرحت كتاب "السبعة" لابن مجاهد، وذلك من شأنه أن يسبغ عليه ثوب المهابة والتقدير؛ إذ من المعلوم الذي لا يخفى أن ابن مجاهد كان صاحب الفضل والسبق في انتخابه لقراء الأمصار وتسبيع قراءاتهم، فحاز كتاب "الحجة" شرف النسبة.

ثانيا: إن الثروة العلمية الزاخرة بألوان المعارف المختلفة، من علوم العربية وعلوم القرآن والقراءات وغيرها في الكتاب لَتدلُّ على قمَّة النضج العلمي لمؤلِّفه وعصره، كما تدل على الشخصية العلمية الموسوعية الفذة التي اتسم بها.

ثالثا: إن أبرز ما يميز كتاب "الحجة" أنه عرض لتوجيه القراءات السبع بالتفصيل، فهو يغوص في الإعراب والتعليل وتوضيح المعنى المترتِّب على القراءة، ولا يدع حرف الخلاف إلا بعد أن يسوق له من الشواهد والأدلة الكثيرة ما يجليه ويرفع اللَّبس عنه، وإن أدَّت كثرة الاستطرادات – أحيانا– إلى إغماضه ومجافاته، فإن الدرر الغزيرة التي يظفر بها من يصبر عليه كثيرة ونفيسة.

رابعاً: كما يتميز الكتاب باستخدام القياس؛ فهو يعج بالكثير من التعليلات والقياسات المنطقية، ولعل أبا علي درس المنطق والتقى ببغداد مُتَّى بن يونس الحكيم[1]؛ فقد كان شيخا كبيرا، يقرأ الناس عليه فن المنطق، وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ويجتمع في حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه[2]. ولا شك

[1] تقدمت ترجمته، ص16.

[2] وفيات الأعيان، 5/ 153.

أن استخدام القياس والعلل يجعل صاحبه يتمتع بشخصية منطقية متزنة، وتجعل مؤلَّفه في مصافِّ الكتب.

خامساً: إضافة إلى ما سبق، فقد حظي كتاب "الحجة" بإجازة العلماء له؛ فقدَّروه حق قدره، وأثنوا عليه وشُغلوا به يتدارسونه ويختصرونه ولاسيما أهل الأندلس[1]، زيادة على ذلك ما جاء في ذيل تجارب الأمم: "صُنِّف في أيام عصر الدولة المصنفات الرائعة في أجناس العلوم المتفرقة، فمنها كتاب الحجة في القراءات السبع، وهو كتاب ليس له نظير في جلالة قدر واشتهار ذكر"[2]. وذكر الدكتور شلبي أنه قد جاء في صحيفة الأهرام: "ألقى الدكتور بشر فارس في قاعة المجمع العلمي المصري محاضرة ضمنها نصا عربيا قديما في كتاب مخطوط ألفه أبو علي الفارسي من أئمة العربية والمسلمين في القرن الرابع الهجري، خصصه لبحث مسألة التصوير في الإسلام، مصرحا بأنه جائز بإجماع لا يقترح فيه اعتراض الآحاد، والحظر فيه مقصور على تصوير الله عز وجل تصوير الأجسام، فأما غير ذلك من التصاوير للأحياء فليس محظورا، وقد طلب كثير من الأدباء المستمعين طبع هذه المحاضرة إذاعة لذلك النص الفريد المفيد، وتعزيزا للنهضة الفنية في الشرق الحديث، فوعدوا بإجابة طلبهم"[3]. وقد علق الدكتور شلبي على هذا النص قائلا: "وقد يكون الباعث على ذلك، توجيه الناس إلى نص من نصوص أبي علي بحسم الخلاف في جواز التصوير"[4].

سادساً: اعتنى ابن الجزريّ رحمه الله بهذا الكتاب فجعله أصلاً من أصول كتابه العظيم "النشر في القراءات العشر"، يعزو إليه من حين لآخر. كما تأثر به ابن جني، وأوحى إليه كتابه "الحجة" بتصنيف "المحتسب"؛ فنقل عنه وروى مما أنشده إياه من شواهد، وما أخذه عنه من أصول.

---

[1] انظر: ص29 من هذا البحث.

[2] ذيل تجارب الأمم، نقلا عن: أبي علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المطبوعات الحديثة، السعودية، ط3، 1989م، ص252.

[3] المرجع السابق، ص353- 354.

[4] المرجع نفسه، ص254.

المطلب الأول: مقارنة كتاب الحجة بكتاب السبعة لابن مجاهد

لا يخفى أن كتابي "السبعة" لابن مجاهد و "الحجة" لأبي علي مختلفان في موضوع الدراسة، ولا تتأتى المقارنة بين كتابين مختلفين في الموضوع. غير أن العلاقة الوطيدة بينهما تفرض –على الأقل– الإشارة إلى الملامح العامة للمصدر الذي استقى منه أبو علي مادته العلمية وشرحه لكتاب "السبعة" لابن مجاهد، وذلك بعد التعريف بالمصنِّف.

الفرع الأول: التعريف بمؤلِّف كتاب السبعة

هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس؛ ابن مجاهد[1] شيخ العصر أبو بكر البغداديّ العطشيّ المقرىء، كان واحد عصره غير مدافَع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن حسَنَ الأدب رقيق الخلق كثير المداعبة ثاقب الفطنة جوادا، آخر من انتهت إليه الرياسة بمدينة السلام في عصره. ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين.

قرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس وقنبل المكيّ، كما أكبّ على طلب العلوم اللغوية والشرعية منذ نعومة أظفاره، وأقبل على أساتذة النحو الكوفيين يأخذ ما عندهم. وفي كتابه "السبعة" بعض اصطلاحات النحو الكوفي. كما أنه لم يأل جهدا في طلب الحديث النبوي ومعرفة الآثار، وأكبّ إكباباً منقطع النظير على قراءات القرآن وتفسيره ومعانيه وإعرابه وروايات حروفه وطرقها، وقد سمع القراءات من طائفة كبيرة مذكورين في صدر كتابه، أسعفه في ذلك حافظة واعية لا يرتسم فيها شيء إلا يثبت وكأنما يُحفَر فيها حفراً، كما ساعده ذكاء وقّاد ومعرفة واعية بالرواة والقرّاء على مرّ الأيام من زمن رسول الله ρ إلى زمانه.

وتصدَّر للإقراء وازدحم عليه أهل الأداء ورجل إليه من الأقطار وبعُد صيتُه، وظلَّ قبل وفاته بنحو أربعين عاما وخلائقُ لا تكاد تُحصى تتحلَّق من حوله، وتأخذ عن لفظه كتاب الله.

قرأ عليه: أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم وصالح بن إدريس وأبو عيسى بكَّار بن أحمد وأبو بكر الشذائيّ وأبو الفرج الشنبوذيّ وأبو الحسين عبيد الله وغيرهم كثير.

قال أبو عمرو الدانيّ: "فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسكه تصدر للإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائيّ الصغير"، وقال عبد الواحد بن أبي هشام: "سأل رجل ابن مجاهد لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفا

---

[1] انظر ترجمته: غاية النهاية، 1/ 128-130، ومعرفة القراء الكبار، 1/269- 272، وتاريخ بغداد، 144/5 وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى، 57/3 وما بعدها والفهرست، لابن النديم، 47/1.

يحمل عنه فقال نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا".

وتوفي رحمه الله في محبسه بدار السلطات يوم الأربعاء لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ودفن في تربة في حريم داره بسوق العطش ثاني يوم موته، بعد أن كان الوزير أبو عليّ بن مقلة ضربه أسواطاً، فدعا عليه بقطع اليد فاتفق أن قطعت يده، وهذا من عجيب الاتفاق.

روى الإمام قراءات كثيرة وله كتب مصنفة، منها: كتاب "القراءات الكبير"، كتاب "القراءات الصغير"، كتاب "الياءات"، كتاب "الهاءات"، كتاب "قراءة أبي عمرو"، كتاب "قراءة ابن كثير"، كتاب "قراءة عاصم"، كتاب "قراءة نافع"، كتاب "قراءة حمزة"، كتاب "قراءة الكسائي"، كتاب "قراءة ابن عامر" وكتاب "قراءة النبي ρ ".

ومن كلامه وفوائده قال: "من قرأ لأبي عمرو وتمذهب للشافعي واتجر في البزّ وروى شعر ابن المعتز فقد كمل ظرفه".

الفرع الثاني: التعريف بكتاب السبعة

كتاب "السبعة في القراءات" للإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، المتوفى سنة أربعة وعشرين وثلاثمائة للهجرة، وبه اشتهر الإمام ابن مجاهد رحمه الله، وهو أول وأصحّ كتاب يُصنَّف في القراءات السبعة.

وقد طُبع كتاب السبعة في كتاب بتحقيق الدكتور: شوقي ضيف في طبعته الثانية –منقحة– عن دار المعارف –كورنيش النيل بالقاهرة– في أول شوال عام 1400هـ، وهي الطبعة الوحيدة التي وقفت عليها واعتمدت عليها في بحثي، وهي تقع في حوالي 759 صفحة.

وقد قسَّم المحقق دراسته إلى قسمين:

أ– قسم دراسي: وتناول فيه دراسة موجزة لحياة المصنف الإمام ابن مجاهد رحمه الله ثم تناول دراسة كتابه السبعة وأهميته ومنهجه فيه.

ب– قسم للتحقيق: اعتمد الباحث فيه على النسخة الأصلية التركية المحفوظة بمكتبة الفاتح، وقف إبراهيم في إستانبول برقم:69. وكان يقابلها بالنسخة التونسية –مصورة عن الأصلية– ، وكذا بالنسخة العتيقة المتضَمَّنة في كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسي؛ معتمدا في ذلك على الجزء الأول المطبوع من كتاب "الحجة"، وعلى مصورة مكتبة جامعة القاهرة حتى سورة الزخرف، وعلى مصورة دار الكتب المصرية المأخوذة عن نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية حتى نهاية الكتاب.

الفرع الثالث: الملامح العامة لمنهج كتاب "السبعة"

تظهر الملامح العامة للمصدر الذي استقى منه أبو علي مادته العلمية وشرحه لكتاب "السبعة" لابن مجاهد ومنهجه فيه في الآتي:

أ- **المقدمة**: لقد قدَّم ابن مجاهد رحمه الله نبذة مختصرة عن اختلاف القراءات، مصدِّراً ذلك بمقدمة يبين فيها موضوع الكتاب وعمله فيه، قائلا: "اختلف الناس في القراءة، كما اختلفوا في الأحكام، ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين، وبعض ذلك قريب من بعض. وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودال على الأئمة منهم، ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام، وشارح مذاهب أهل القراءة ومبين اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله، وإياه أسأل التوفيق بمنِّه"[1].

ب- ثم بين صفات القارئ الثقة وما ينبغي أن يتحلى به من يتصدر للإقراء، مشيراً إلى توقيفية القراءة وعدم توفيقيتها؛ إذ القراءة سنة متبعة لا يسوغ فيها الاجتهاد والابتداع.

ت- **من حيث التعريفُ بالأئمّة القراء وذكر الأسانيد والطرق:**

كما اهتم ابن مجاهد بذكر أئمة القراء وأنسابهم وأساتذتهم وتلاميذهم؛ فكان قبل ذكر الرواة عن القراء يذكر نسب المقرئ[2]، ويقف مليّاً عند أساتذته وأهم تلامذته، ذاكرا أسانيدهم وطرقهم للرواية، مرتبا إياهم على حسب الأمصار التي أقرؤوا فيها. فكان البدء بقراءة "نافع"؛ تبرُّكا بمدينة رسول الله ρ، حيث صرّح ابن مجاهد بذلك قائلا: "فأوّل من أبتدئ بذكره من أئمة الأمصار من قام بالقراءة بمدينة رسول الله ρ وإنما بدأت بذكر أهل المدينة؛ لأنها مُهاجَر رسول الله ρ ومعدن الأكابر من صحابته، وبها حُفظ عنه الآخر من أمره. فكان –نافع- الإمامَ الذي قام بالقراءة بمدينة رسول الله ρ بعد التابعين"[3].

ث- **من حيث منهجيةُ تقسيم الكتاب إلى أصول وفرش:**

---

[1] السبعة في القراءات، ص45.

[2] هناك فرق بين مصطلح (المقرئ) و (القارئ)؛ أما المقرئ: فهو: مَن علِم القراءات أداءً ورواها مشافهة، وأما القارئ: فهو المتلقّي للقراءة، وهو إمّا مبتدئ أو متوسّط أو منته. فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط من أفرد إلى أربع أو خمس، والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تصحيح وتعليق: علي محمد الضّباع، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ط.ت، ص5.

[3] المصدر السابق، ص53.

ثم ركز الحديث عن الخلاف بين القراء؛ وذلك في قسمين رئيسين:

- قسم الأصول:

تعرف الأصول بأنها: انسحاب حكم الحرف الواحد على جميع القرآن[1]. أو هي: الحكم الكلي الجاري في كلّ ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم كالمدّ والقصر والإظهار والإدغام والفتح والإمالة ونحو ذلك.

ومعنى ذلك أن القارئ يقرأ الكلمة بطريقة معينة مطّردة في القرآن، نحو كلمة: [يُؤْمِن] وتصريفاتها، مثل: [يُؤْمِنُونَ] و [مُؤْمِنُونَ] فالقارئ يبدل همز هذه الكلمات –إذا كان من مذهبه الإبدال– في القرآن كلّه.

أو: هو القسم الذي يشمل الحروف المختلف فيها بين القراء، والتي تطَّرِد تحت قاعدة معينة، ويمكن إجراء القياس عليها، كالإدغام والإمالة والمد وغير ذلك مما هو معهود عند الأئمة القراء.

- قسم الفرش:

ويقصد به كما سبق أيضاً: الحكم المنفرد غير المطّرد، وهو ما يذكر في السور من كيفية قراءة كل كلمة قرآنية يُختلف فيها بين القراء، مع عزْو كل قراءة إلى صاحبها، وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول.

فهذا القسم إذن يشمل الحروف التي يقلّ دورها في القرآن الكريم، ولا يمكن إجراء القياس عليها.

وهذه المنهجية قد سار عليها معظم من ألَّف في القراءات منذ عصر الأئمة الأوائل إلى يوم الناس هذا[2].

وقد علق محقق "السبعة" على هذا العمل قائلا: "كأنهم يقسمون مباحث القراءات قسمين: قسما في أصولها الكلية، وقسما في مفرداتها، فقواعد الإدغام، وتسهيل الهمز والإمالة تندرج في الكليات، وبقية الكتاب تندرج بجميع جزئياتها في الفرش ودقائقه القرآنية النيرة، وقراءاته المختلفة التي لقنها أئمة القراء السبعة"[3].

ج- من حيث توجيهُ القراءات:

---

[1] كنز المعاني، محمد بن أحمد الموصلي المعروف بـ شُعلة، الاتحاد العام لجماعة القراء، القاهرة. د.ط.ت، ص257.

[2] انظر مثلا: التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، ت: عبد الفتاح بحيرى إبراهيم، مطبعة الزهراء للإعلام العربي –القاهرة، ط1، 1410هـ- 1990م، 2/ 309، التيسير في القراءات السبع، ص73، النشر في القراءات العشر، 2/ 155.

[3] السبعة في القراءات، ص38.

يلاحظ أنَّ كتاب ابن مجاهد يكاد يخلو –كليّاً– من توجيه القراءات وتعليلها إلا ما ذكره في سورة الفاتحة؛ قصد تقريب الفهم وخشية تثقيل الكتاب، وهذا ما صرّح به قائلا: "قال أبو بكر: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة –يعني **الفاتحة**– وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك"[1].

ولعلَّ هذا الفراغ حفَّزَ أبا علي رحمه الله لأن ينبري لشرح الكتاب وأن يعمل على توجيه ما فيه من قراءات قراء الأمصار الذين ذكرهم ابن مجاهد، ويتأكَّد هذا العمل بعد أن حمَّسه شيخه أبو بكر محمد بن السريّ، لما شرع في تفسيره لكنه أمسك ولم يكمله.

المطلب الثاني: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "الحجة" لابن خالويه

يتناول هذا المطلب أبا عبد الله الحسين بن خالويه أحدَ زملاء ومنافسي أبي عليّ، ومؤلَّفَه "الحجَّة في القراءات السبع" وأوجه المقارنة بينه وبين كتاب "الحجة" لأبي علي موضوعِ البحث. وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول: التعريف بأبي عبد الله ابن خالويه

[1] المصدر نفسه، ص112.

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي أصله من همذان، ولكنه دخل بغداد، وخَالَوَيْه بفتح الخاء الموحَّدة، وبعد الألف لام مفتوحة، وواو مفتوحة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة.

أدرك جِلَّة العلماء بها، مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرىء وأبي عمر الزاهد[1] وابن دريد، وقرأ على أبي سعيد السيرافي. انتقل إلى الشام واستوطن حلباً وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه، وهو القائل: "دخلت يوما على سيف الدولة بن حمدان، فلما مثلت بين يديه قال لي: اقعد ولم يقل اجلس، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطِّلاعه على أسرار كلام العرب"، وإنما قال ابن خالويه هذا، لأنَّ المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم اقعد وللنَّائم أو السَّاجد اجلس، ولابن خالويه كتاب كبير في الأدب سماه "كتاب ليس"، وهو يدل على اطِّلاع عظيم، فإنَّ مبنى الكتاب من أوَّله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا، وله كتاب لطيف سماه "الآل"، وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسما وما أقصر فيه، وله "كتاب الاشتقاق"، و"كتاب الجمل في النحو"، و"كتاب القراءات"، و"كتاب إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز"، و"كتاب المقصور والممدود"، و"كتاب المذكر والمؤنث"، و"كتاب الألفات"، و"كتاب شرح المقصورة لابن دريد"، و"كتاب الأسد"، و"البديع في القرآن الكريم"، و"حواشي البديع في القراءات"، و"شرح شعر أبي نواس" وغير ذلك. ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي[2] مجالس ومباحث عند سيف الدولة[3]، وله شعر حسن. من ذلك:

إذا لم يكن صدر المجالس سيد فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل ما لي رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس

---

[1] هو: الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي المطرز الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، ولد سنة 361هـ. سمع من موسى بن سهل الوشاء، وأحمد بن عبيد الله النرسي، ومحمد بن يونس الكديمي وغيرهم، حدث عنه أبو الحسن بن رزقويه، وابن منده، وأبو عبد الله الحاكم، والقاضي أبو القاسم ابن المنذر، والقاضي محمد بن أحمد ابن المحاملي وخلق كثير. استدرك على الفصيح لثعلب كراسا سماه "فائت الفصيح" وله: كتاب الياقوتة، وكتاب الموضح، وكتاب الساعات، وكتاب يوم وليلة،وكتاب المستحسن، وكتاب الشورى، وكتاب البيوع، وكتاب تفسير أسماء الشعراء وغيرها. مات في ذي القعدة سنة: 345هـ. سير أعلام النبلاء، 15/ 508 وما بعدها، وفيات الأعيان، 4/ 329 وما بعدها.

[2] سبقت ترجمته، ص09.

[3] ومن نوادر تلك المجالس أنه مرة كان العلماء يحضرون مجلس سيف الدولة، ويتناظرون كل ليلة فوقع بين المتنبي وابن خالويه ليلة كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح فشجه فخرج ودمه يسيل على وجهه. انظر: شذرات الذهب، 14/2.

وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلاثمائة بحلب رحمه الله تعالى[1].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب الحجة في القراءات السبع

أولا: وصف كتاب الحجة

كتاب "الحجة في القراءات السبع" للإمام أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني البغدادي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة للهجرة. جاء في الصفحة الأولى منه: "كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين في الرواية للعلامة المحقق إمام النحو واللغة أبي عبد الله الحسين بن خالد[2] بن خالويه رحمه الله، وحباه من الخير ما يتوالى"[3]. من أجلِّ كتب الإمام وأصحِّها عنه، بيْد أنه لم يشتهر عنه على غرار أخريات الكتب، نحو: "كتاب إعراب ثلاثين سورة"، و"كتاب البديع و"كتاب مختصر شواذ القرآن" وغيرها.

ولعل السبب في ذلك راجع –كما يقول محقق الكتاب– إلى أن الكتاب في القراءات فاستُغنِي بذكره عن كلمة "الحجة" أو أن حجة أبي علي الفارسي غطَّت شهرتها على حجة ابن خالويه، فاحتُفِظ للفارسي بهذه النسبة لإيمانهم بأقيسته وعللها، واكتفوا بذكر القراءات لابن خالويه[4]، إضافة إلى ما ذكرناه عن تسمية الحجة بأنها من عمل المتأخرين[5].

وقد طبع كتاب الحجة في كتاب بتحقيق وشرح الدكتور: عبد العال سالم مكرم في عدة طبعات، وبين يدي الطبعة السادسة منه –منقحة– عن مؤسسة الرسالة –بيروت، في سنة:

---

[1] وفيات الأعيان، 2/ 178- 179. ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1409هـ، 1/ 106 وشذرات الذهب، 2/ 72- 73.

[2] أغلب التراجم التي وقفت عليها، وكذا أغلب كتبه المطبوعة كالطارقية وإعراب ثلاثين سورة، ومختصر في شواذ القرآن، وكتاب الريح، وكتاب ليس في كلام العرب وغيرها تثبت أنه الحسين بن أحمد وليس ابنَ خالد كما هو ثابت في مخطوطه "الحجة"، ولم ينبه المحققان إلى هذا الأمر، وكنيته أبو عبد الله باتفاق. أنظر مثلا: الأعلام، الزركلي، 131/2، البداية والنهاية، 11/ 297، ذيل مولد العلماء، 1/ 106، شذرات الذهب، 71/2، سير أعلام النبلاء، 16/ 341، العبر في خبر من غبر، 2/ 362، وفيات الأعيان، 2/ 178، غاية النهاية، 1/ 215، أما الأنباري فقد أسماه –وحده– في نزهته بـ عبد الله، فقال: "وأما عبد الله بن خالويه..."، وهو –لاشك– خطأ؛ إما من المصنِّف وغفل المحقق –محمد أبو الفضل إبراهيم– عن التنبيه إليه، أو أنه خطأ من المحقق. انظر: نزهة الألباء، 2/ 170.

[3] مقدمة الحجة، ابن خالويه، ص31.

[4] المصدر السابق، ص21.

[5] انظر: ص 39 من هذا البحث.

1417هـ/ 1996م، وهي الطبعة التي وقفت عليها واعتمدتها في بحثي، وهي تقع في 416 صفحة. كما انبرى لتحقيقه مرة أخرى الدكتور أحمد فريد المزيدي، قدَّم له الدكتور فتحي حجازي بجامعة الأزهر، وصدر عن منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1420هـ-1999م، وتقع هذه الطبعة في 253 صفحة.

تناول فيه المصنِّف توجيه حروف الخلاف بين القراء السبعة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، صدَّره المحقق بمقدمة عامة تحدَّث فيها -باختصار- عن حياة المصنِّف الاجتماعية والعلمية عموما، وعن نسبة الكتاب إليه وتوثيقه، ومنهجه فيه وقيمته في عصرنا الحاضر.

ثانيا: منهج ابن خالويه في الحجة

يمكن تلخيص منهجه في النقاط الآتية:

1- اعتمد في حجته على القراءات المشهورة، دون الروايات الشاذة المتروكة؛ يقول: "... معتمِد فيه على ذكر القراءة المشهورة، ومنكِّب عن الروايات الشاذة المنكورة"[1].

2- الإيجاز والاختصار؛ فالكتاب بعيد عن الاستطراد المملّ والاختصار المخلّ، وذلك واضح من مقدمته في الكتاب: "وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم ... وقاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار"[2].

3- يعرض القراءات من غير عزو لها لأصحابها، ولا يعزو إلا في القليل النادر[3]؛ وذلك لأن هدفه الإيجاز وعدم الإكثار.

4- دعاه الحرص على الإيجاز إلى عدم تَكرار تعليل وتوجيه بعض الحروف التي تقدَّم تحرير الخُلف فيها، فيكتفي إحالة القارئ إلى مواطنها الأولى[4]، وما سيأتي لاحقاً ينبه إلى رصده في موضعه[5].

5- ومن منهجه أنه يقدِّم لغة أهل الحجاز وينتصر لها؛ يظهر ذلك في توجيهه لقوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭒ ﭓ □□ ﭼ [الإسراء: ٣٥]، قال: "يُقرَأ بكسر القاف وضمِّها، وهما لغتان فصيحتان والضم أكثر لأنه لغة أهل الحجاز"[1].

---

[1] المصدر السابق، ص62.

[2] الحجة، ص62.

[3] المصدر نفسه، مثلا: ص302، 244، 245

[4] المصدر نفسه، مثلا: 294، 369، 318.

[5] المصدر نفسه، مثلا: ص70، 143، 281.

6- لا يهتمُّ بالتفسير وأسباب النزول إلا ما جاء منها عرضاً[2].

7- يسوق الشواهد في أغلب الأحيان ويحتجُّ بها، لكنه لا يحفَل بإعرابها إلا في القليل النادر؛ وذلك نحو:

يا ربَّ سارٍ بات لن يُوسَّدا تحت ذراع العنْسِ أو كفِّ اليدا

في هذا البيت تعرض لإعراب مواضع منه، مفسرا بعض كلماته[3].

8- ابن خالويه يحتجُّ برسم المصحف ويأخذ به[4].

9- لا يفوت الإمام أبا عبد الله أن يستشهد بالأحاديث النبوية في عدَّة مواضع من كتابه[5].

10- يتميز بشخصية متزنة معتدلة، متحرر النزعة، غير متعصب للبصريين ولا للكوفيين، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح[6] -وهو الأغلب- ، أو يرجح بدليل[7]، وقد ينفرد بآراء خاصة[8].

ولعل هذا الملمح المتميز في الإمام جلب انتباه المستشرق برجستراسر، والذي يقول عنه: "في حلب أخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة، ونهج فيها منهجا جديدا، لأنه لم يتبع طريقة الكوفيين، ولا طريقة البصريين، ولكنه اختار من كليهما ما كان أحلى وأحسن"[9].

---

[1] المصدر نفسه، ص217.

[2] المصدر نفسه، مثلا: ص87، 237، 277، 278، 320.

[3] المصدر نفسه، ص204-205.

[4] المصدر نفسه، ص 72، 77، 243.

[5] المصدر السابق، ص53، 57، 64، 118.

[6] المصدر نفسه، ص80، 84، 118، 133، 140، 144، 249، 279، 294.

[7] المصدر نفسه، ص96.

[8] المصدر نفسه، ص314- 315، 342.

[9] مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي -القاهرة، د.ط، د.ت، ص7.

11- الاستدلال والاستئناس بالقراءات الشاذة، خصوصا قراءتي أبي وعبد الله بن مسعود[1].

مسعود[1].

الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين الحجتين

من خلال تتبّع كلا الكتابين وتأمُّل محتواهما نلاحظ أنهما اتفقا في كثير من الأمور، واختلفا في جملة منها أيضاً.

أولا: أوجه الاتفاق

من الأوجه التي اتفقا فيها ما يأتي:

أ- من حيث التسمية والموضوع:

يتحد الكتابان في موضوع البحث وهو توجيه القراءات السبع والاحتجاج لها، ويتفقان إلى حدٍّ كبير في تسمية كتابيهما، خصوصا إذا راعينا الخلاف في تسمية حجة أبي علي[2].

ب- من حيث وضعُهما للمقدّمات:

نجد أن الإمامين اتفقا في وضع مقدّمات لكتابيهما تضمنت مجمل ما حواه كل كتاب وغرض المؤلف وطريقته فيه.

ت- من حيث استخدام العلة والقياس:

يشترك الكتابان في اللغة المنطقية[3] التي تؤمن بالقياس وتجري وراء العلة؛ وهذا عائد إلى التكوين العلمي للإمامين، فقد كانا -كما أشرنا سابقا[4]- في عصر مناسب وبيئة خصبة لدراسة المنطق الأرسطي، واستخدام أساليب الجدل والمحاججة العقلية وأدوات القياس والتعليل.

ث- من حيث الاختيار والترجيح:

---

[1] المصدر السابق، ص147، 217، 218، 238، 271.

[2] انظر: ص 37 من هذا البحث.

[3] يستخدم الإمامان كثيرا عبارة "فإن قيل... يقال له، أو قلنا"؛ ويُسمَّى أسلوب الفنقلة. تظهر هذه اللغة والتعليل المنطقيين في كتاب أبي علي أكثر، وهذا راجع إلى توسع المصنف وإطالته فيه.

[4] لنظر: ص 52 من هذا البحث.

لا يكتفي الإمامان بتحرير الخُلف بين القراء والاحتجاج له، بل يعمَدان إلى اختيار بعض الأوجه في حروف الخلاف[1]، وإن اختلفا في الأساس المعتمد لهذا الاختيار والترجيح. .

ج- من حيث عدم إيرادهما للخاتمة:

إن المتصفِّح للكتابين يجد خلوَّهما من خاتمة موجزة.

ثانيا: أوجه الاختلاف

وأما عن أوجه الفرق بين الكتابين فظاهرة في اختلاف المنهجين وتباين الطريقتين، من ذلك:

أ- من حيث نسبة الكتابين إلى الآخر:

يجدر التنبيه إلى أن كتاب الحجة المنسوب لابن خالويه لا يمثل أحد المختصرات لحجة أبي علي[2]؛ فهناك من يدَّعي أنَّ ابن خالويه لم تُذكر في ترجمته أن له كتابَ الحجة، وما هذا الأخير إلا لمؤلِّف مجهول حاول اختصار حجة أبي علي[3].

ب- من حيث الإيجازُ وعدمُه:

إن أبا علي في حجته –على أهميته- كثير الاستطراد، حتى تجاوز[4] فيه –كما يقول تلميذه- قدر الحاجة إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء[5] والقراء، وهو مع هذا يغوص إلى الأعماق، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع متابعته والصبر عليه للوصول إلى الهدف المنشود، فكثرة الاستطرادات وزخم التعليلات قد تحول بينه وبين ما يريد، وهذا المنهج الذي سلكه أبو علي يحيل في تقديري –على حدِّ قول تلميذه

---

[1] يبدو أن الاختيار والترجيح عند الفارسي أكثر استعمالا بمقارنته بابن خالويه.

[2] المتأمل يجد البون شاسعا، إن في منهج الكتابين عموما، أو في منهجهما عن المقدمتين، أو طريقة التحليل واستخدام الألفاظ والأفكار وغير ذلك مما سأشير إليه.

[3] انظر تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق الحجة لابن خالويه، ص52 وما بعدها.

[4] الكتاب يقع في أربعة أجزاء. أما حجة ابن خالويه في جزء واحد لا يتعدى 416 صفحة.

[5] مقدمة المحتسب لابن جني، ص34.

عنه- إلى خلوِّ سربه، وسروح فكره، وفروده[1]، وانبتات علائق الهموم عن قلبه[2] وصفاء ذهنه.

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي لا تناله إلا القلة التي تسلحت بأدوات القياس والتعليل المنطقيين؛ ولذلك لم يلق التقدير اللائق للجهد المبذول فيه، حتى قال فيه تلميذه ما قال من إجفائه وتجاوز قدر الحاجة فيه، وأضاف في موضع آخر: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل في كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله، حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية، فضلا عن القراء وأجفاهم عنه"[3].

وأما ابن خالويه فقد نهج في كتابه نهجاً آخر، نهجاً يقوم على الرواية والسماع؛ إذ اللغة ليست في تقديره تؤخذ من المنطق، أو تقوم على الأقيسة[4] كما كان يفعل أبو علي.

ولعل ابن خالويه أحس بذلك الإغماض والتعقيد في كتاب أبي علي، فنحا نحو الاختصار في أسلوب سهل جزل، ينتفع به الناس ويفيدون منه؛ وهذا واضح في مقدِّمته: "قاصداً قصد الإبانة في اختصار من غير إطالة ولا إكثار... جامعاً ذلك بلفظ جزل، ومقال واضح سهل، ليقرب على مريده، وليسهل على مستفيده"[5].

ت- من حيث عزو القراءة إلى أصحابها:

سبق وأن رأينا عدم اهتمام ابن خالويه بنسبة القراءة وعزوها إلى الناقلة إلا في القليل النادر، أما أبو علي فلم يتخلَّف ولو لمرَّة عن مسلكه في عزو القراءة إلى أصحابها، كلما مر على حرف من حروف الخلاف.

ث- من حيث تسميةُ بعض السور[6]:

---

[1] أي تفرُّده وانفراده، فأبو علي لم يكن له أهل ولم ينشغل بالولد.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 1/ 236.

[4] مقدمة الحجة لابن خالويه، ص30.

[5] المصدر السابق، ص62.

[6] وافق أبو علي رحمه الله شيخه ابن مجاهد في الكثير من أسماء السور، مثل سورة سليمان عليه السلام، وسورة الملائكة، وسورة المؤمن وغيرها.

بخصوص أسماء السور فإن بعضها تسمى بأسماء عدّة، وهذا معلوم لدى المطَّلِع على كتب القراءات القدامى المحققين وعلى كتب التفسير وعلوم القرآن.

ولقد اتفق الإمامان[1] في تسمية بعض السور واختلفا في بعض؛ ومما اختلفا في تسميتها مثل:

سورة "**النّمل**"، ويسميها أبو علي سورة "**سليمان عليه السلام**"[2]، ويسميها ابن خالويه باسمها[3]، وسورة "**فاطر**" يسميها أبو علي سورة "**الملآئكة**"، وسورة "**غافر**" يسميانها سورة "**المؤمن**"، وسورة "**فصِّلت**" يسميانها أيضا سورة "**السّجدة**"، وسورة "**المعارج**" يسميها ابن خالويه سورة " **السائل**"[4] ويسميها أبو أبو علي "**سأل سائل**"[5]، وسورة "**التكوير**" يسميها أبو علي سورة "**إذا الشمس الشمس كورت**"[6]، وسورة "**الانفطار**" يسميها أبو علي سورة "**إذا السماء انفطرت**"[7] إلى غير ذلك من اختلافهما في أسماء السور.

المطلب الثالث: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "المحتسب" لابن جني

يتناول هذا المطلب أبا الفتح بن جني أحدَ تلامذة أبي عليّ، ومؤلَّفَه "المحتسب" وأوجه المقارنة بينه وبين كتاب "الحجة" لأبي علي موضوعِ البحث. وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول: التعريف بأبي الفتح بن جني

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي الأزدي بالولاء النحوي المشهور، كان أبوه جني مملوكا روميا يونانيا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي وزير شرف الدولة قراوش ملك العرب وصاحب الموصل.

---

[1] اتفقا في تسمية سورة الإسراء بسورة "بني إسرائيل"، وفصلت بسورة "السجدة"، وغافر بسورة "المؤمن"، "والشورى" بـ "عسق"، والنبأ بسورة "عمّ يتساءلون".

[2] الحجة، الفارسي، 3/ 228.

[3] الحجة، ابن خالويه، ص269.

[4] المصدر نفسه، ص352.

[5] الحجة، الفارسي، 4/ 61.

[6] المصدر نفسه، 4/ 61.

[7] المصدر نفسه، 4/ 102.

وجنيٍّ بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء، وليس منسوباً. ومعناه في العربية: فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري ومخلص[1].

كان إماما في علم العربية. قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل ثم ترك حلقته وتبعه ولازمه في السفر والحضر حتى تمهَّر.

كانت ولادة ابن جني قبل 330هـ بالموصل، وفيها نشأ، وإليها يُنسب.

ويبدو أن أبا الفتح كان يعاني مع أسرته من هموم الحياة وتصاريفها. قال في خطبة المحتسب بعد ذكره لما كان عليه شيخُه أبو علي "من خلو سربه، وانبتات علائق الهموم عن قلبه" قال: "ولعل الخطرة الواحدة تخرق بفكري أقصى الحجب المتراخية عني في جميع الشتات من أمري، ودَمْل العوارض الجائحة لأحوالي، وأشكر الله ولا أشكوه، وأسأله توفيقا لما يرضيه"[2].

ولابن جني من التصانيف المفيدة في النحو كتاب: الخصائص، وسر الصناعة، والتلقين في النحو، والتعاقب، والكافي في شرح القوافي للأخفش، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والتمام في شرح شعر الهذليين[3]، والمنهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة، ومختصر في العروض، ومختصر في القوافي، والمسائل الخاطريات، والتذكرة الأصبهانية، ومختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها، والمقتضب في المعتل العين، واللمع، وغير ذلك.

توفي أبو الفتح يوم الجمعة سنة: 392هـ ببغداد رحمه الله تعالى[4].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات

كتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" للإمام أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ، ألفه أبو الفتح وقد علت به السن وأشرف على نهاية العمر، قال الشريف الرضي: "كان شيخنا أبو الفتح النحوي عمل في آخر عمره كتابا يشمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ"[5]. وقال أبو الفتح في مقدمة المحتسب: "وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك

---

[1] يقال: هات جناة من جناك، وهذه شجرة طيبة الجناة. أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (ج ن ي). وجنى النبات إذا كثر والتف، والنخلة مجنونة إذا طالت. لسان العرب، 13/ 100. كما يطلق الجنى على الذهب. لسان العرب، مادة: (جني)، 14/ 153.

[2] المحتسب، ص34.

[3] كتاب التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري تم نشره في بغداد، سنة 1381هـ/ 1962م. أنظر مقدمة المحتسب، 1/ 07.

[4] البداية والنهاية، 11/ 331، سير أعلام النبلاء، 17/ 17 وما بعدها، شذرات الذهب، 2/ 140- 141، وفيات الأعيان، 3/ 246- 248.

[5] حقائق التأويل، 5/ 231.

بنا، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا، فإذا انقضت علائق مددنا، واستُوفي ما في الصحف المحفوظة لديك من عدِّ أنفاسنا، واستؤنفت أحوال الدار الآخرة بنا فاقلبنا إلى كنز جنتك التي لم تُخلق إلا لمن وسع ظلُّ رحمتك"[1].

وهذا كلام قلَّما يقوله إلا امرؤ غلب عليه التفكر في الآخرة، يشعر بدنوّ ساعته ويحب أن يتزوَّد لها. ولعل ذلك ما يفسِّر تسمية كتابه بالمحتسب؛ فاختار أن يدل [2]باسمه على الغرض الذي يريده به، لا على الموضوع الذي يريده عليه.

جاء في كشف الظنون أن كتاب ابن جني هذا عنوانه: المحتسب في إعراب الشواذ[3]، وهو شرح لكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، ولهذا الأخير كتاب المحتسب في شرح الشواذ، وابن جني نفسه ذكره واعتمده كمصدر[4] من مصادر كتابه.

وقد طُبع كتاب المحتسب في كتاب بتحقيق الباحثين: علي النّجدي ناصف، وعبد الحليم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي بجمهورية مصر العربية –القاهرة، عام 1415هـ- 1415م، وهي الطبعة الوحيدة التي وقفت عليها واعتمدت عليها في بحثي، وهي تقع في جزأين يحوي الجزء الأول 392 صفحة والجزء الثاني 544 صفحة.

بعد أن ألف الفارسي كتابه "الحجة" بدا له أن يؤلف كتابا مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة، يقول تلميذه ابن جني في ذلك: "قد كان وقتا حدَّث نفسه بعمله، وهمَّ أن يضع يده فيه ويبدأ به، فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه، وحالت كبواته بينه وبينه".

من أجل ذلك تجرَّد ابن جني لذلك وانبرى للقراءات الشاذة ينوب عن شيخه في الاحتجاج لها، ويؤدِّي حقها عليه، وقد كانت قبل ذلك داعية الاحتجاج للشاذِّ لازمة له؛ إذ على الرُّغم من خروجه –الشاذ- عن القراء السبعة فهو نازع بالثقة إلى قرائه، مساو في قوة الفصاحة للمجتمَع عليه، يقول: "... لكن غرضُنا منه أن نُري وجه قوة ما يسمَّى الآن شاذًّا، وأنه ضارب في صحَّة الرواية بِجِرانه،

---

[1] مقدمة المحتسب، 1/ 31.

[2] المصدر نفسه، 1/ 33.

[3] كشف الظنون، حاجي خليفة، 2/ 1612.

[4] سيأتي الحديث عن مصادره المكتوبة والمسموعة قريبا.

آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مُرئً[1] أن العدول عنه إنما هو غضٌّ منه أو تهمة له"[2].

ويقول في موضع آخر يبين رأيه في الشاذ ومكانه عند الله: "... إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كلَّ جائز رواية ودراية، فإنَّا نعتقد قوَّة هذا المسمَّى شاذًّا، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبُّله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضي من القول لديه"[3].

ومما زاد من حماسة أبي الفتح ورغبته في الاحتجاج له أنَّ أحداً من أصحابه لم يتقدَّم للاحتجاج له على النَّحو الذي يريد. قال: "فإذا كانت هذه حاله عند الله ... وكان من مَضى من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتاباً فيه، ولا أوْلَوه طرفا من القول عليه، وإنما ذكروه مرويا مسلَّما، مجموعا أو متفرِّقاً، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقنِع فيه. فأمَّا أن يفردوا له كتاباً مقصوراً عليه ... فلا نعلمه –حسُن[4]، بل وجب التوجُّه إليه، والتشاغل بعمله، وبسط القول على غامضه ومشكَله"[5].

تناول المصنِّف في محتسبه وجوه شواذ القراءات من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، غير أنه لم يستوعب كافة القراءات الشاذة عن السبعة؛ إذ ليس موضوعا لذلك، وإنما "الغرض منه إبانة ما لطفت صفته، وأُغرِبت طريقتُه... وغُمِض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعوَّل عليه، المولى جهة الاشتغال به"[6].

صدَّره المحققون بمقدمة عامة تحدَّثوا فيها –باختصار– عن حياة المصنِّف الاجتماعية والعلمية عموما، ولمحة موجزة عن الاحتجاج للقراءات، ثم دلفوا إلى تقديم كتاب المحتسب، فأشاروا إلى منهجه ومصادره فيه وختموا بذكر النسختين المعتمدتين في التوثيق والتحقيق.

الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين كتاب الحجة والمحتسب

من خلال تتبّع كلا الكتابين وتأمُّل محتواهما نلاحظ أنهما اتفقا في كثير من الأمور، واختلفا في جملة منها أيضاً.

أولا: أوجه الاتفاق

---

[1] لئلا يمتري ظان أو شاك.

[2] مقدمة المحتسب، 32- 33.

[3] المصدر نفسه، ص33.

[4] جواب الشرط غير الجازم: فإذا كانت هذه حاله عند الله (السابق).

[5] المصدر السابق، ص34.

[6] المصدر نفسه، ص35.

وهي كثيرة؛ فمنهج المحتسب كمنهج الحجة، لا يكاد يخالفه إلا بقدر ما تتطلبه طبيعة الموضوع، ويمكن عدُّ بعضها في الآتي:

أ- من حيث وضعُهما للمقدّمات:

نجد أن الإمامين اتفقا في وضع مقدّمات لكتابيهما تضمنت مجمل ما حواه كل كتاب وغرض المؤلف وطريقته فيه.

أ- من حيث العزو والإسناد:

لم يتخلف أبو الفتح رحمه الله في عزو القراءة وإسنادها إلى أصحابها بعد عرضها، تماماً كما يفعل شيخه أبو علي رحمه الله.

ب- من حيث الاستشهادُ وطريقتهُ فيه:

إذا تأمَّلنا الكتابين وجدنا بينهما توافقاً كبيراً في منهجيَّة الاحتجاج للقراءة؛ فكلاهما يرجع في أمر حرف الخلاف إلى اللغة، ويلتمس لها شاهداً فيرويه، أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردُّها إليها ويؤنسُها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه في قصد وإجمال أو غير ذلك.

ت- من حيث الاختيار والترجيح وإيراد الآراء :

يزخر الكتابان باختيار بعض الوجوه وترجيحها على غيرها، كما حفل الإمامان بتسجيل آرائهما اللغوية والنحوية والدلالية والصوتية[1] ومخالفتهما لغيرهما[2] والتي تدل على غزارة العلم وتمكنه.

ث- من حيث استخدام القياس والاستنباط:

سبقت الإشارة إلى ولع أبي علي بالقياس وإيمانه بالعلة، وهاهو تلميذه أبو الفتح يسير على خطاه ويتبع نهجه، فيستخدم أساليب القياس شأنه في ذلك شأن أستاذه، كما يمتاز ببراعة الاستنباط وصحته؛ وليس هذا بكثير على أبي الفتح، ولا هو مما يتعاظمه، فذلك دأبه في كتبه، ثم هو بعد هذا

---

[1] انظر مثلا: المحتسب، 1/ 68، 71، 80، 81، 83، 265، 270، 290 وَ 2/ 4، 5-6 وغيرها. أما عن آراء الفارسي وبحوثه فستأتي إن شاء الله في حينها.

[2] انظر –على سبيل المثال- مخالفته: لابن مجاهد: المحتسب، 1/ 125، 130، 266، وللفراء: المصدر نفسه، 293/1، ولسيبويه: المصدر نفسه، 110/1، 299 وغيرها.

قد ألف المحتسب في آخر حياته كما سبق، حين استفاضت تجاربه ونضجت معارفه واستحصدت ملكاته[1].

ث- من حيث عدم إيرادهما للخاتمة:

لا يقف المتصفِّح للكتابين على خاتمة موجزة.

ثانيا: أوجه الاختلاف

هناك بعض أوجه الفرق بين الكتابين، من ذلك:

أ- من حيث الموضوع:

يختلف الكتابان –كما هو واضح- في موضوع البحث، فكتاب الحجة لأبي علي في توجيه القراءات السبعة، وأما كتاب أبي الفتح فهو توجيه القراءات الخارجة عن السبعة الشاذة والإيضاح عنها. والحقيقة أن المؤلّفَين يشكلان تكاملا معرفيا مهمّاً في توجيه القراءات والاحتجاج لها، خصوصا أن أبا علي همَّ بما قام به –بعد ذلك- تلميذه أبو الفتح لولا صروف الدهر وخوالج الأيَّام.

ب- **من حيث الإيجازُ وعدمُه:**

إن أكثر ما يميز كتاب المحتسب عزوفه عن الإسهاب في الاستشهاد[2] والإمعان في الاستطراد، فنراه في مقدِّمة كتابه يفضل كتاب أبي حاتم السجستاني[3] في الشواذ على

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 69، 80، 267، 268، 270، 302، 304 وغيرها.

[2] على أن أبا الفتح رحمه الله لم يلتزم الاقتصاد في الاستشهاد في كل مقام، ولاسيما حين تكون القراءة غريبة، يدعو ظاهرها إلى التناكر لها والتعجب منها. فقد استشهد في قراءة "اهدنا صراطا مستقيما" المحتسب، 1/ 41- 43، بعشرة شواهد، واحتج لقراءة "ولا أدرأتكم به" فأطال، ثم ختمه بقوله: "وهذا وإن طالت الصنعة فيه أمثل من أن تُعطى اليد بفساده. 1/ 309- 312.

[3] هو: سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد، إمام البصرة في اللغة والنحو والقراءة والعروض. قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي وغيره وأخذ العربية عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، صنف التصانيف. يقول ابن الجزري: "وأحسبه أول من صنف في القراءات". توفي ستة 255هـ، ويقال سنة: 250هـ. غاية النهاية، ابن الجزري، 1/ 289، ومعرفة القراء الكبار، الذهبي، 1/ 219- 220 والفهرست، ابن النديم، ص87.

كتاب قطرب[1]، "من حيث كان كتاب أبي حاتم[2] مقصوراً على ذكر القراءات، عاريا من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انحطَّ قطرب[3] فيها وتناهى إلى متباعد غاياتها"[4]. بعكس الحال عند أبي علي –كما رأينا– فقد يصدق عليه في حجته – على حدٍّ وصف ابن جني– ما يصدق على كتاب قطرب من الاستطراد والتعمُّق.

ت– من حيث إيراد الأحاديث النبوية والأمثال العربية

عمِد كلٌّ من أبي علي وأبي الفتح رحمهما الله إلى إيراد الأحاديث الشريفة والأمثال العربية وكلام البلغاء والاستئناس بها، ولكن نسبة إيرادها عند أبي الفتح أقل مقارنة بأبي علي.

ث– من حيث ذكرُ مصادر الكتاب وعدمُه:

لعلّ من أهم نقاط الفرق بين المصنَّفين تصريح أبي الفتح رحمه الله في مقدمة "المحتسب" بمصادره فيه، وهي كما يقول نوعان: كتب يأخذ منها، وروايات صحَّ لديه الأخذ بها. فأما الكتب فهي:

كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة، وكتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، وكتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب، وكتاب المعاني للزجاج وكتاب المعاني للفراء[5].

وأما ما صح عنده الأخذ به مما يرويه عن غيره، فيقول عنه: "لا نألو فيه ما نقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحرّي الصحة في روايته"[6].

---

[1] هو: أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب، أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، كان يلازم سيبويه ويبكر إليه، فإذا خرج صباحا وجده على بابه. فقال له مرة: ما أنت إلا قطرب ليل وهو دويبة دائبة السعي. وله من التصانف كتاب معاني القرآن، وكتاب الإشتقاق، وكتاب القوافي، وكتاب النوادر، وكتاب الأزمنة، وكتاب الفرق، وكتاب الأصوات، وكتاب الصفات، وكتاب العلل في النحو، وكتاب الأضداد وغيرها. مات سنة 206هـ. بغية الوعاة، 104، وفيات الأعيان، 4/ 312 وما بعدها.

[2] لأبي حاتم تصانيف كثيرة، ولعل الكتاب المقصود هنا كتاب القراءات لأبي حاتم. الفهرست، ابن النديم، 1/ 87.

[3] أعتقد أن كتاب قطرب المقصود هنا، هو كتاب إعراب القرآن. الفهرست، 1/ 78.

[4] مقدمة المحتسب، 1/ 36.

[5] مقدمة المحتسب، 1/ 35.

[6] المصدر نفسه.

وقد نقل عن طائفة من العلماء ورواة اللغة واستشهد بشواهدهم؛ مثل الكسائي، وابن مجاهد، وسيويه، وأبي علي وغيرهم[1].

أما أبو علي وإن تعرض ضمنا لبعض الأئمة وأعلام النحو والقراءة، واستشهد بشواهدهم، واستأنس بأقوالهم وخالف بعضهم فإنه لم يحفل بذكر المصادر[2] التي اعتمدها في "حجته".

المطلب الأول: مظاهر تأثر الفارسي بالأخفش الأوسط وأسبابه

لا يخفى تأثر اللاحق بالسابق وإفادته منه، وأبو علي رحمه الله واحدٌ من هؤلاء الذين تأثّروا بمن سبقه، ومن هؤلاء شيخه الأخفش الأوسط. وهذا ما سأتكلم عنه في الآتي:

الفرع الأول: مظاهر تأثر الفارسي بأبي الحسن الأخفش

يعتبر أبو الحسن الأخفش –الأخفش الأوسط– أحد أئمة النحو الذين أخذ عنهم أبو علي وأعجب بشخصيتهم وتأثر بآرائهم.

ويبدو هذا التأثر واضحاً جليّاً من خلال تصفحنا لكتاب "الحجة"؛ إذ كثُر فيه ذكرُه لأبي الحسن ونقلُه لأقواله وآرائه في كثير من المواضع.

ويمكن إبراز مدى هذا التأثر في الخصائص الآتية:

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 35- 36.

[2] ذكر أبو علي فقط في مقدمة مصنفه –كما سبق بيانه– عمل محمد بن أبي بكر السري، وأنه لم يتم ما ألزم به نفسه، ولم يذكر غيره إلا ما جاء في ثنايا حجته ضمنا.

أولا: الرواية عنه

سبقت الإشارة في ترجمة أبي علي إلى أنه أخذ عن الأخفش الأوسط وروى عنه.

وهذه الخصيصة تكفي في صقل شخصية أبي علي وتكوينها بشكل كبير؛ ذلك أنه من المعلوم أن الرواية تحتاج إلى الصّحبة الدائمة والاختلاف المتواصل إلى الراوي والأخذ من أدبه قبل علمه. من ذلك قوله في معرض توجيه وإعراب ﭽ ﭿ ﭽ [البقرة: ٣]

"... هذا لفظ أحمد بن يحيى[1]، واستثبت أبا الحسن في ذلك فأثبته وصحّحه"[2].

وهذا يدل على لزوم أبي علي لأبي الحسن واختلافه إليه في كل مرة. وأبو علي يروي كتاب الأخفش "معاني القرآن" عن أبي عبد الله اليزيدي[3] عن عمّه عبيد الله اليزيدي[4] عن الأخفش[5]، ويروي معاني الزجاج عن ابن مجاهد[6]، بل هو مشارك في التأليف فيه، وكتابه الإغفال في إصلاح ما أغفله أبو إسحاق في كتاب معاني القرآن غير بعيد منه. وكتابنا "الحجة" فيما عرض له من أعاريب وما نبّه عليه من دقائق معاني القرآن يمكن أن يُعَدّ في كتب معاني القرآن وأعاريبه.

كما أن الإجماع منعقد على أن الأخفش هو الطريق إلى كتاب سيبويه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا وعرضه عليَّ. ولم يقرأ الكتاب على سيبويه أحدٌ، ولم يقرأه سيبويه على أحد، ومن ثم قرأه على أبي الحسن بعد موت سيبويه الجرميّ[7] والمازنيّ[1]، ومن طريقهما ذاع الكتاب في الناس[2].

---

[1] هو الإمام النحوي ثعلب المشهور، تقدمت ترجمته ص26.

[2] الحجة، 1/ 160.

[3] هو: أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي النحوي، كان إماما في النحو، والقراءات، والأدب، ونقل النوادر وكلام العرب. أخذ عن عمه عُبيد الله وعن أبي العباس ثعلب وأبي الفضل الرياشي. وروى عنه أبو بكر الصولي، وأبو عبيد الله العسكريّ، وعمر بن سيف وغيرهم. له تصانيف منها: كتاب الخيل، وكتاب مناقب بني العباس، وكتاب أخبار اليزيديين وله مختصر في النحو. توفي سنة: 310هـ. أنظر: نزهة الألباء، ص215، الفهرست، 1/ 75، وفيات الأعيان، 4/ 337- 338.

[4] هو: عبيد الله بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك أبو القاسم، ابن اليزيدي العدوي البغدادي شيخ مشهور، روى القراءة عن عمه إبراهيم بن أبي محمد، وعن أخيه أحمد بن محمد. روى القراءة عنه أحمد بن جعفر بن المنادى، وأبو بكر بن مجاهد، وأحمد بن عثمان بن يحيى الآدمي، ومحمد بن يعقوب المعدل وغيرهم. توفي سنة: 284هـ. غاية النهاية، 438/1.

[5] انظر: الحجة، 1/ 35.

[6] انظر: الإغفال: المسائل المصلحة من كتاب "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزجاج، أبو علي الفارسي، ت: محمود محمد الطنَّاحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1992م، 1/ 38.

[7] هو: أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي –بفتح الجيم– النحوي، كان فقيها عالما بالنحو واللغة، وهو من البصرة. قدم بغداد وأخذ النحو عن الأخفش وغيره، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي وطبقتهم. له في النحو: كتاب جيد يعرف بـ "الفرخ"؛ معناه: فرخ كتاب سيبويه، وناظر ببغداد الفراء، وكان عالما باللغة حافظا لها

هذا، وقد أسند أبو علي –كما تقدَّم– روايته لمعاني الأخفش إلى أبي عبد الله اليزيدي عن عمِّه أبي جعفر اليزيدي[3] عن الأخفش[4]، وصرَّح باسم كتابه مرتين في "الحجة": مرة وصفه بكتاب أبي الحسن في القرآن[5] ومرة أسماه كتاب أبي الحسن في المعاني[6].

ثانيا: الإفادة الكثيرة من أقواله

بالرُّغم مما تمتاز به "الحجة" لأبي علي من مادة علمية مهمة، إلا أن كبير الفضل في ذلك يعود لشيخه أبي الحسن؛ ذلك أن المتصفح لكتاب "الحجة" يجد اسم أبي الحسن يتردد فيه بشكل ملفت للانتباه ولا يكاد يغيب، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على توثيق أبي علي له، إذ لا يفتأ يذكر اسمه ويستشهد لمذهبه ويقويه عند كل مسألة يناقشها. ومن ذلك ما يأتي تمثيلا لا حصراً:

أ– في الصفحات الأولى من الكتاب نجد أبا علي في الاحتجاج لقوله تعالى: ملك يقول: "قال أبو علي [الحسن بن أحمد بن عبد الغفار رضي الله عنه] قال أبو الحسن الأخفش فيما روى محمد بن العباس عن عمه عنه: يقال: مِلك بيِّن المِلك، الميم مضمومة..."[7].

ب– وفي موضع آخر في الاحتجاج لقوله تعالى شواظ من نار. قال أبو علي: "الشِّواظ والشُّواظ لغتان زعموا. قال أبو الحسن: أهل مكة يكسرون الشواظ"[8].

وله كتب انفرد بها. له كتاب في السير عجيب، وكتاب الأبنية، وكتاب العروض، ومختصر في النحو وكتاب غريب سيبويه. كانت وفاته سنة 225هـ. تاريخ بغداد، 9/ 313، شذرات الذهب، 57/1، وفيات الأعيان، 2/ 485- 486.

[1] هو: أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان وقيل بقية المازني البصري النحوي كان إمام عصره في النحو والأدب أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم وأخذ عنهم عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة وله من التصانيف كتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الألف واللام وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج على خلاف كتاب أبي عبيدة. توفي سنة 249، وقيل: سنة: 248هـ بالبصرة. إنباه الرواة، 1/ 281- 282، وفيات الأعيان، 1/ 283- 286.

[2] انظر: إنباه الرواة، 2/ 39، بغية الوعاة، 1/ 590 ومعجم الأدباء، 3/ 1374.

[3] هو: إبراهيم بن يحيى بن المبارك أبو إسحاق بن أبي محمد اليزيدي البغدادي ويكنى أيضاً بأبي جعفر، ضابط شهير نحوي لغوي، قرأ على أبيه، وروى القراءة عنه ابنا أخيه العباس بن محمد وعبيد الله بن محمد شيخ ابن مجاهد، له مؤلفات كثيرة، منها: "كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه"، و"كتاب مصادر القرآن" مات قبل تكميله. غاية النهاية، 32/1 وتاريخ بغداد، 6/ 209.

[4] الحجة، 1/ 35.

[5] المصدر السابق، 1/ 225.

[6] المصدر نفسه، 1/ 228.

[7] المصدر نفسه، 1/ 35.

[8] المصدر نفسه، 4/ 16.

وكثرة إيراده لأقواله توحي في بعض الأحيان أن الإمام أبا علي ينقل عنه فقط ولا يجاوزه إلى غيره[1]، حتى بلغت نقوله عن في معاني القرآن زُهاء مائة وخمسين موضعا؛ وهي نقول ثرّة في العربية والأعاريب واللغات والإنشاد، صرّح بعزو جلّ هذه النقول إليه وسكت عن عزو بعضها[2]. وهذا يدل يدل على إعظام أبي لكتاب الأخفش وإجلاله إياه، ومن لطيف ما يدل على ذلك: قوله لابن جني بحلب سنة 346هـ: "مالي صديق إلا وأشتهي أن يكون كتاب أبي الحسن في معاني القرآن عنده"[3].

وهذا النقل المتكرر يدل على تمكّن أبي علي من معاني القرآن وحفظه له، حتى أنه افتتح كلامه في الحجة بما اختتم به أبو الحسن معانيه، ناقلا كلامه[4] في "ملك" من قوله: چڈ ڈ چ [الناس: ٢]، ومُجريا له على قوله: چ ٹ ٹ ڈ چ [الفاتحة: ٤]، وأنه نقل كلامه في "هدي" من قوله: چ □ □ □ چ [الأعراف: ٤٣]، وأجراه على قوله: چ پ پ چ [البقرة: ٢]، وأضاف إليه ما حكاه أبو الحسن في آية البقرة من أنّ من العرب من يؤنثون الهدى[5].

ففي كل هذا وغيره ترى أبا عليّ لا يكاد يِندُّ عنه شيء من كتاب أبي الحسن مما يتصل بالمقام الذي هو فيه.

ثالثا: تبني أقواله والدفاع عنها غالبا

لا يكتفي الفارسي بإيراد أقوال الأخفش في المسائل النحوية والتوجيهات اللغوية، بل يتبناها في كثير من الأحيان ولا يعقب عليها إلا في النادر القليل، بل يحمله الأمر في الغالب الأعمّ إلى الدفاع عنها وتقوية اختياراته والاستشهاد لها. من ذلك:

1- قال أبو علي: "قال أبو الحسن: الأحسن في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل: دار آجرٍّ، وثوبُ خزٍّ. قال: و چ ج ججچ [سبأ: ١٦] كثيرة وليست بالجيدة في العربية"[6]اهـ.

---

[1] انظر مزيد ذلك مثلا: 1/ 228، 473، 474، 477، 478، 491، 498، 508، وَ 2/ 20، 22، 31، 38، 41، 51، 91 145، 174، 282 و 4/ 15، 16، 21، 43، 51، 52، 67، 112 وغيرها.

[2] قارن مثلا –على التوالي- بين: الحجة، 2/ 232، 254، 3/ 557- 58 وغيرها، و بين معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، ت: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1411هـ- 1990م، 1/ 320، 333، 2/ 422- 423 وغيرها.

[3] بقية الخاطريات، أبو الفتح بن جني، ت: محمد أحمد الدّالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، د.ت، ص44.

[4] معاني القرآن، 2/ 590.

[5] الحجة، 1/ 129- 131، معاني القرآن، الأخفش، 1/ 28، 1/ 325.

[6] المصدر السابق، 3/ 294.

نلاحظ أبا علي رحمه الله في هذا الموضع لما ساق اختيار أبي الحسن رحمه الله لم يعقب ولم يزد على كلامه، بل اكتفى به وتبناه؛ إذ لو عنَّ له اعتراض أو بيان لأفصح، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة[1]، والأمثلة على ذلك كثيرة[2].

2- وأبو علي ينافح عن مذهب شيخه ويدافع عنه، قائلاً في توجيه "اللام" من قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒﭽ [قريش: ١]: "فقال أبو الحسن: ﭽ ﮦ ه ﮩﭽ [الفيل: ٥][3]، واعترض معترض فقال: إنما جُعلوا كعصف مأكول لبُعدهم، ولم يُجعَلوا كذلك لتأتلف قريش، وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه يجوز أن يكون المعنى: أهلكوا لكفرهم، ولما أدى إهلاكهم إلى أن تألف قريش، جاز ذلك، كقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃﭽ [القصص: ٨] وهم لم يلتقطوه لذلك"[4].

3- وفي موضع آخر يذكر أبو علي اختلاف النحويين في تخفيف الهمزة في ﭽﮓ ﭽ.

فقال سيبويه[5]: تجعلها إذا خففتها بين بين، فتقول: [يستهزوون]، وهو مذهب الخليل. الخليل. ويذهب أبو الحسن الأخفش[6] إلى قلب الهمزة قلبا صحيحا[7].

ومضى أبو علي منتصراً لمذهب إمامه، يطيل النفس في بيانه والردّ على من خطَّأه، موضحا: "وقال أبو الحسن في كتابه في القرآن[8]: من زعم أن الهمزة المضمومة لا تتبع الكسرة إذا خُففت دخل عليه أن يقول: هذا قارِوٌ، وهؤلاء قارِوُون، ويتستهزِوُون، قال:

---

[1] انظر: المعتمد، أبو الحسن محمد بن علي الطيب البصري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1403هـ، 1/ 257، الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة –بيروت، د.ط، د.ت، 3/ 344 وَ قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، 1/ 199.

[2] انظر على سبيل المثال في الحجة، 2/ 52، 282، 3/ 186، 265، 4/ 125 وغيرها.

[3] قال أبو الحسن: "أي: فَعَلَ ذلِكَ [لإيلاف قُرَيْشٍ] لتألّف، ثم أبدل فقال: [إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ] لأنها من (أَلَفَ)". معاني القرآن، الأخفش، 2/ 585.

[4] الحجة، 4/ 148- 149.

[5] كتاب سيبويه، هذا باب الهمز، 3/ 541

[6] معاني القرآن، الأخفش، 1/ 49.

[7] الحجة، 1/ 223

[8] يقصد كتابه معاني القرآن. انظر مذهبه فيه: 1/ 49- 50.

وليس هذا من كلام من خفف من العرب. قال أبو علي: وجه دخول هذا عليه ولزومه له عنده أن الهمزة إذا كانت مفتوحة وكان ما قبلها مفتوحاً جاز تخفيفها، فكذلك إذا كانت مكسورة وما قبلها مفتوح ..."، وراح أبو علي يفصِّل في المسألة، يفترض ويجيب في ستِّ صفحات كاملة، إلى أن قال: "... وأما ما ذكره محمد بن يزيد في هذه المسألة في كتاب المترجَم بالشرح من قوله: والأخفش لا يقول إلا كما يقول النحويون: هذا عبد بِبلك، ولكن يخالف في يستهزئون؛ فهذا الإطلاق يوهم أنه لا يفصل بين المتَّصل والمنفصل، وقد فصل أبو الحسن... فينبغي إذا كان كذلك ألا تُرسل الحكاية عنه حتى تُقيَّد..."[1].

ولعل دفاع أبي علي المستميت على آراء أبي الحسن حمل ابن جني على وصفه بأنه كاد يعبد أبا الحسن[2]، ومن يعود إلى نقوله عنه في معاني القرآن والقوافي وغيرهما مما عوّل عليها في تراثه يوشك أن يجاري ابن جني في مقالته هذه.

رابعا: مخالفته وردُّ أقواله

إذا أردنا أن نستقصي مخالفات أبي عليّ لشيخه أبي الحسن فإننا لا نقف إلا على أمثلة قليلة منحسرة، ومع ذلك فإن أبا عليّ يفرض شخصيَّته ويعبِّر عن آرائه التي انتهى إليها اجتهاده، غير أن الذي يميِّزه هو أسلوبه المتأدِّب ومسلكه المتواضع اللذان غلبا على مناقشته ومخالفته له، فإذا عنَّ له أن يردَّ شيئا من كلام أبي الحسن ردَّه على استحياء دون أن يسمِّيه، من ذلك قوله:

"وليس قول من قال: إن هذه الواو إنما حركت بالضم –يعني تحريك الواو بالضمّ في نحو اشترُوا– لالتقاء الساكنين فيه كحركة الإعراب بمستقيم. ألا ترى أن الياء في اخشيِ القوم يا امرأة، فاعلة في المعنى، واتفقوا على تحريكها في الكسر!"[3].

يشبه أن يكون أبو عليّ يعني الأخفش ويردُّ عليه قوله: "وحركت الواو بالضم؛ لأنك لو قلت "اشترا الضلالة"، فألقيت الواو، لم تعرف أنه جمع. وإنما حركتها بالضم؛ لأن الحرف الذي ذهب من الكلمة مضموم، فصار يقوم مقامه"[4].

---

[1] الحجة، 1/ 223- 228

[2] انظر: بقية الخاطريات، ص45.

[3] المصدر السابق، 1/ 232.

[4] معاني القرآن، الأخفش، 1/ 50- 51.

بل وربما آثر قوله في مسألة على قول سيبويه وقوّاه[1].

ومع هذا فإن اقتدار أبي علي واضح لا يُنكر، وشخصيته قوية غير خفية؛ تظهر في كيفية التعامل مع هذه النُّقول الكثيرة وتحليلها والاحتجاج لها والاعتداد بها أو ردِّها، حسب ما يقتضيه المقام.

الفرع الثاني: أسباب تأثر الفارسي بالأخفش

يمكن التماسُ بعض أسباب تأثر أبي علي الاستثنائي بالأخفش في الآتي:

أولا: العقيدة

جاء في عقيدة أبي الحسن أنه معتزلي، يتعاطى الكلام والجدل ويقول بالعدل[2]؛ ويدل على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ [البقرة: ٢٥٧]، حيث قال: "يَحْكُم بأنَّهم كذاك، كما تقول: قَدْ أَخْرَجكم الله من ذا الأمر، ولم تكن فيه قط. وتقول: أَخْرَجَنِي فُلانٌ من الكِتْبَةِ، ولم تكن فيها قط. أي: لَمْ يجعَلْني من أهلها ولا فيها"[3]. ومعلوم أن المعتزلة يقولون بأن أفعال العبد منسوبة إليه لا يصح إسنادها إلى الله[4]، وهذا ما يصرح به هذا النص، زد على ذلك أن مصطلح العدل والتوحيد مما يطلقه المعتزلة على أنفسهم[5]. وأبو علي إن لم نجزم باعتزاليته فإنَّ في الكتاب ما يشير إلى ذلك؛ إذ أشاع فيه من وصف الله تعالى بـ "القديم"، والقدم أخصّ وصف ذاته[6] عند المعتزلة.

ثانيا: تفردهما بكتاب سيبويه

فأبو الحسن –كما سبق– أوَّلُ من أقرأ الكتاب، والناس لا يعرفونه إلا من روايته، وقد عُلِّق عنه أشياء وأشعار وهو يُقرئ الكتاب ويتكلَّم عليه. وأبو عليّ في مدارسة الكتاب –على حدِّ وصف

---

[1] أنظر الحجة، 1/ 109، 134، 143 وغيرها. وانظر: معاني القرآن، الأخفش، على التوالي: 1/ 110- 111، 24، 28 وغيرها.

[2] إنباه الرواة، 2/ 39، وبغية الوعاة، 1/ 590.

[3] معاني القرآن، 1/ 196.

[4] الملل والنحل، 1/ 45.

[5] المصدر السابق، 1/ 43.

[6] المصدر نفسه، 1/ 44.

أبي حيَّان- أشدُّ تفرُّدا بالكتاب وانكباباً عليه، وله أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها، ولم يأْتلِ، ولكنه قعَد على الكتاب على النظم المعروف[1]، وله عليه تعليقة.

ثالثا: بعد النظر والإمعان في القياس

يمتاز الإمامان ببعد النظر في المسائل وتقديمهما للقياس؛ الأمر الذي جعلهما أحيانا، يفتيان في المسألة الواحدة بقولين مختلفين أو أكثر. فقد حكى أبو علي عن أبي إسحاق الزيادي[2] عنه في قولهم: زيد ذهب عمرو أخوه، وقد سأله –أي أبا الحسن- أبدلٌ هو أم صفة؟ فقال: ما أبالي أيهما قلت... وقال في هذه المسألة في بعض كتبه: "إن جعلتَ قولَك أخوه بدلا لم يجز، وإن جعلته صفة جاز"[3].

وذكر ابن جني أنا أبا الحسن كان ركّاباً لهذا الثَّبج[4] آخذا به، غير محتشِم منه، وأكثرُ كلامه في عامّة كتبه عليه، وروى ابن جني عن أبي عليّ: مذاهب أبي الحسن كثيرة[5].

وأبو عليّ قرين أبي الحسن في هذا الثبج، وهو يعرف هذا من نفسه؛ فقد روى عنه ابن جني أنه كان يقول في (هيهات): "أنا أفتي مرة بكونها اسماً سُمِّي به الفعل؛ كصه ومهْ، وأُفتي مرة أخرى بكونها ظرفاً، على قدْر ما يحضرني في الحال"[6].

ونحو ذلك من خِلاج الخاطر وتعادي المناظر كثير، حتى قال أبو علي عن نفسه: "أنا أعجب من هذا الخاطر في حضوره تارة ومغيبه أخرى"[7].

رابعا: الغموض

---

[1] الإمتاع والمؤانسة، 96/1.

[2] هو: إبراهيم بن سفيان أبو إسحاق الزيادي، من أحفاد زياد بن أبيه، أديب، راوية، كان يُشبه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعانيه. له شعر، وله من الكتب "النقط والشكل"، "الأمثال"، "تنميق الأخبار"، "شرح نكت كتاب سيبويه"، "أسماء السحاب والرياح والأمطار" وغيرها. توفي سنة: 249هـ. الأعلام، 1/ 40، بغية الوعاة، ص08.

[3] الحجة، 1/ 109.

[4] الثبج: بمعنى عُبابَه ووسطه. جاء في المعاجم: يقال: ثبجُ كلِّ شيء؛ أي معظمه، ووسطه وأعلاه. والجمع: أثباج، وثبوج. لسان العرب، 2/ 219- 222، مختار الصحاح، الجوهري، 1/ 35.

وفي حديث أنس بن مالك أنه سمع حديث النبي ρمع أم حرام، وفيه : (يركبون ثبج هذا البحر) متفق عليه انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، رقم: 2636، 3/ 1027. أي: وسطه ومعظمه.

[5] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، د.ط، د.ت، 205/1-206.

[6] المصدر السابق ، 1/ 206.

[7] المصدر نفسه، 1/ 207.

معلوم من أنَّ مسائل النحو في أغلبها عبارة عن قواعد وقوانين لا تحتاج إلى إغماض أو نحوه، إلاَّ أنَّه بالرُّغم من ذلك فإنَّ غموضاً كبيراً يكتنف الدرس النحوي عند أبي عليّ، ولعلَّ السِّرَّ في ذلك يتَّضح في محاورة الجاحظ أبا الحسن، قائلاً: "قلت لأبي الحسن: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلَّها، وما بالنا نفهم بعضها، ولا نفهم أكثرَها، وما بالك تُقدِّم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟ قال: أنا رجل لم أضَعْ كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتُها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلَّتْ حاجتُهم إليَّ فيها، وإنما كانت غايتي المنالةَ، فأنا أضعُ بعضها هذا الوضع المفهومَ لتدعوَهم حلاوةُ ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا"[1].

وأما أبو علي فقد تواترت الأخبار التي تصف أسلوبه بالإغماض والقلاقة، منها ما رواه الأنباري عن بعض أهل الأدب: "كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا، ومنهم من نفهم بعضَ كلامه ومنهم من نفهم جميع كلامه. فأما من لا نفهم شيئا فأبو الحسن الرُّمَّاني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسيّ وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي"[2].

وقال ابن جني في بعض توجيهاته: "سألنا يوماً أبا عليّ عن بيت عديّ[3] فأخذ يتطلَّب له وجها ويتعسَّف فيه ... فأطال الطريق وأعْور المذهب"[4].

وقال ابن الشَّجْريّ[5]: "وقد ألغز أبو عليّ في كلامه هذا ... فاعرف ما ذكرتُه في هذا الفصل؛ الفصل؛ فإنَّه في كلام أبي عليّ أغمض منه في كلام سيبويه"[1].

---

[1] الحيوان، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلبي –القاهرة، د.ط، 1965م، 1/ 91- 92.

[2] نزهة الألباء، ص276- 277.

[3] هو: عدي بن زيد، ابن الخمار بن زيد بن أيوب العبادي التميمي النصراني، يكنى أبا عمرو. جاهلي من فحول الشعراء، وهو أحد الفحول الأربعة الذين هم: هو، وطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة بن عبدة، له أربع قصائد غرر روائع مبرَّزات، وله بعدهن شعر حسن. سير أعلام النبلاء، 5/ 110- 111، طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني –جدة، د.ط، د.ت، 1/ 137- 140.

[4] خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م، 8/ 510 والمحتسب، 1/ 34، 236.

[5] هو: ابن الشجري الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي من أهل الكرخ. كان إماما في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها صنف عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الأمالي وهو أكبر تواليفه وأكثرها إفادة، وجمع أيضا كتابا سماه الحماسة، ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي، وله في النحو عدة تصانيف، منها: ما اتفق لفظه واختلف معناه، وشرح اللمع لابن جني، وشرح التصريف الملوكي، وغيرها. ولد سنة: 450هـ، وتوفي سنة: 542هـ. نزهة الألباء، ص348، وفيات الأعيان، 6/ 45- 50.

المطلب الثاني: مظاهر تأثر الفارسي بابن مجاهد وابن السراج والفراء

الفرع الأول: تأثر الفارسي بالإمام ابن مجاهد

يشكِّل الإمام أبو بكر بن مجاهد ركناً مميزاً بين جملة الأئمة، الذين برَّزوا الإمام أبا علي وصقلوا شخصيته في الساحة العلمية؛ يظهر ذلك في الآتي:

أولا: مورده وروايته عنه

معلوم أن أبا علي لازم ابن مجاهد وأخذ عنه القراءات، وأوحى إليه كتابه "السبعة في القراءات" إلى تأليف "الحجة في القراءات السبع" لشرح سبعة ابن مجاهد وتوجيه حروف الخلاف فيها وتعليلها، وإن لم يكن عليه من الفضل إلا هذا لكفاه، زد على ذلك عناية أبي علي في حجته بالرواية عن شيخه؛ إذ لا يفتأ يقول: "حدثنا ابن مجاهد..."[2].

ثانيا: اتباع منهجه

ذكرت –قبْلاً[3]– أن مصنَّفي الإمامين يتقاطعان في كثير من نقاط التوافق، خصوصا ما يتعلق بالمنهج العام، ويكاد ينحصر الفرق بينهما في كون كتاب ابن مجاهد يوشك أن يخلو –كليّاً– من توجيه القراءات وتعليلها إلا ما ذكره في سورة الفاتحة؛ قصد تقريب الفهم وخشية تثقيل الكتاب، وهذا ما صرّح به قائلا: "قال أبو بكر: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة –يعني الفاتحة– وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك"[4]. غير أن الذي نجزم به هو أن أبا علي اطلع على الكتاب؛

---

[1] أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني العلوي، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1413هـ- 1992م، 2/ 57- 59.

[2] المصدر نفسه. انظر على سبيل المثال: 1/ 205، 2/ 37، 46 وغيرها.

[3] انظر المقارنة بين حجة أبي علي وسبعة ابن مجاهد.

[4] السبعة لابن مجاهد، ص112.

إذ هو موضوع الدراسة، فاستوعبه وتجاوزه بعمق الطرح وكثير الدراسة والتحليل والمناقشة.

الفرع الثاني: تأثر الفارسي بالإمام السَّرَّاج

يعتبر أبو بكر محمد بن السرِّي الملقب بالسراج، أحد أئمة الأدب والعربية الشارحين لكتاب سيويه، وأبو علي واحد من المتأثرين بشخصيته. ومن مظاهر ذلك التأثر ما يأتي:

أولا: الرواية عنه

تفيد كتب التراجم أن أبا علي أخذ عن ابن السراج وروى عنه، بل يذكر هو نفسه في "الحجة" أنه سبقه إلى هذا العمل إلا أنه لم يكمله، فلم يكن عمل أبي علي بعد هذا غيرَ وحي استوحاه من شيخه أبي بكر، وله عليه من الفضل ما مكنه أن يحقق ما طمح إليه شيخه قبله، ولا يخفى أثر الجلوس بين يدي الشيخ والسماع منه والرواية عنه من تأثير واضح في نفس الراوي والمتلقي، ودليل ذلك أنا أبا علي قال في "حجته": "وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا"[1].

ثانيا: نقل أقواله والإفادة منها

اعتنى أبو علي رحمه الله –كما ذكر في المقدِّمة– بإسناد اجتهادات أبي بكر وأقواله إليه من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية الآية الثانية من سورة البقرة[2]، وأفاد منها كثيراً في توجيهاته واختياراته النحوية؛ من ذلك:

قوله في معرض الاحتجاج لقوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭽ [الفاتحة: ٧]:

"قال أبو بكر في الحجة في الجرِّ: إنهم قالوا ينخفض على ضربين: على البدل من الذين، ويستقيم أن يكون صفة للنكرة... قال: ويجوز عندي النصب أيضا على أعني ... قال: والاختيار الذي لا خفاء به الكسر". يستأنف أبو علي في نقل كلام شيخه جميعا وبيانه: "... قال أبو بكر: والذي عندي أنَّ ﭽ ﭪ ﭽ في هذا الموضع مع ما أضيفت إليه معرفة، وهذا شيء فيه نظر ولبس. فليفهم

[1] مقدمة الحجة، ص31.

[2] وهي قوله تعالى: [هدى للمتقين] [البقرة: 02].

عني ما أقول: ..." فساق كلاما مفصَّلاً له، إلى قوله: "ومن جعل غير بدلا فقد استغنى عن هذا الاحتجاج؛ لأنَّ النكرة قد تبدل من المعرفة. انتهت الحكاية عن أبي بكر"[1].

ثالثا: التماسه ودفاعه عنه

يمتاز أبو علي رحمه الله بحسن العرض والتأويل، ويدفعه حقُّ المشيخة أن يرفع اللَّبس عن قول أبي بكر السري ويجلي الحقيقة؛ إذ نجده في أكثر من موضع يفعل هذا. فحينما تعرض للاحتجاج لقراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [البقرة: ٢]، قال: "قال أبو بكر –في رواية من روى عن أبي عمرو وغيره أنه كان يشم ويدغم–: هذا محال، لا يمكن الإدغام مع شيء من هذا، وذلك أنه لا فصل بين الحرفين إذا أدغما بحال من الأحوال، لا بقطع ولا حركة ولا ضرب من الضروب، وإنما يصيران كالحرف الواحد للزوم اللسان لموضع واحد... انتهت الحكاية عن أبي بكر"[2]. وبعد عشر صفحات كاملة من العرض والمناقشة يعود أبو علي إلى شيخه مرَّة أخرى ملتمساً لقوله ومبرِّراً له:

"ولعلَّ أبا بكر ظن أن القراء ليس يعنون بالإشمام ما يَعني به النحويون في أنه تهيئة العضو للصوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللفظ. والذي أحسب أنه من أجله ظنَّ ذلك حكايته عن أبي حاتم أنه أراد أبو عمرو ونافع الإخفاء، فلذلك أشما الضم والكسر، والإشمام يكون عند النحويين في الضم، فأما الكسر فلا إشمام فيه..."[3].

رابعا: مخالفته وانتقاده

لا يعني التماسُ أبي علي والدفاع عن مذهب شيخه الرُّكونَ لكلِّ ما يقوله، ومجاراته فيما يختار، وذوبان شخصيته ووقوعه رهينةَ من ينقل عنهم، بل على العكس فإن أبا علي يتسم بشخصية علمية قوية، وهو أربأُ بنفسه أن يفعل ذلك أو أن يهتك ستر الأمانة العلمية؛ لذلك نجده في معرض الحديث عن قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [الفاتحة: ٤]، قال: "قال أبو بكر محمد بن السري: الاختيار عندي: ﭽ مَلِكِ يوم الدين ﭼ، والحجة في ذلك: أن المِلْك والمُلْك يجمعهما معنى واحد، ويرجعان إلى أصل؛ وهو الربط والشدُّ..."، وبعد ثلاث صفحات من الدراسة والاستشهاد قرّر أبو علي أن "ما حكاه أبو بكر عن بعض من اختار القراءة بمَلِك، من أن الله سبحانه قد

---

[1] الحجة، 1/ 106- 107.

[2] المصدر نفسه، 1/ 126- 127.

[3] المصدر نفسه، 1/ 146.

وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله: چرب **العالمين**چ فلا فائدة في تكرير ذكر ما قد مضى؛ فإنه لا يرجَّح قراءة چملِك چ على چٮٮچ ؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة..."[1].

الفرع الثالث: تأثره بالإمام الفرَّاء

يعدُّ أبو زكريا الفرَّاء[2] أحد أئمة مدرسة الكوفة في اللغة والأدب وأبرعهم فيهما، كما يمثل واحداً من أهم الشخصيات التي أفاد منها أبو علي الفارسي على غرار إفادته من الخليل بن أحمد وسيبويه[3] وثعلب[4]، وكل هؤلاء كثر ذكرهم في "الحجة" واستدل بأقوالهم وبشواهدهم ونافح على آرائهم ومذاهبهم. غير أن الأمر الملفت للانتباه موقف أبي علي مع الفراء في "الحجة" وكيفية تعاطي أقواله وتعامله معها. ولا أَدلَّ على كلِّ ذلك من الآتي:

أولا: العناية بإيراد أقواله

معلوم أن أبا علي رحمه الله لم يلتق أبا زكريا الفراء رحمه الله؛ فلم يظفر منه بحظ الصحبة والرواية، ولكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على تراثه والإفادة منه؛ فقد روى عنه كتاب "معاني القرآن" عن طريق أبي بكر بن مجاهد[5]، ومن أمثلة ذلك:

قول أبي علي في معرض الاحتجاج لقوله تعالى: چ ھ ے ۓ چ [إبراهيم: ٢٢] -الياء الثانية محركة إلى الكسر-: "قال أبو علي: قال **الفراء** في كتابه التصريف: هو قراءة الأعمش[6]، ويحيى بن وثاب[7].

---

[1] الحجة، 1/ 37.

[2] سبقت ترجمته، ص11.

[3] تقدمت ترجمته، ص11.

[4] سبقت ترجمته، ص26.

[5] مقدمة تحقيق المحتسب لابن جني، علي النجدي ناصف وغيره، ص36.

[6] هو: سليمان بن مهران الأعمش الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي أصله من أعمال الري، رأى أنسا رضي الله عنه يصلي وروى عن عبد الله بن أبي أوفى، وأبي وائل، وزيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن =جبير وخلق. قرأ القرآن على يحيى بن وثاب وغيره، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي ومجاهد وعاصم بن بهدلة. قرأ عليه حمزة الزيات وغيره وكان مولده سنة 61هـ. قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض. توفي سنة 148هـ. غاية النهاية، 286/1 ومعرفة القراء الكبار، 1/ 94.

[7] هو: يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء الكوفي، إمام أهل الكوفة في القرآن، تابعي ثقة، قليل الحديث، من أكابر القراء. =له خبر طريف من الحجاج: كان يحيى يؤم قومه في الصلاة، وأمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة إلا عربي. فقيل له: اعتزل، فبلغ الحجاج، فقال:

قال: وزعم القاسم بن معن[1] أنه صواب، قال: وكان ثقة بصيراً، وزعم قُطرب[2] أنه لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد:

ماض إذا ما همَّ بالمضِيِّ

قال لها هل لكِ يا تافِيِّ

وقد أنشد **الفراء** ذلك أيضاً"[3].

فالشاهد هنا أنه استدلَّ بقوله، بل زاد على ذلك أنه ذكر كتابه التصريف[4]؛ مما يدل على اطلاع أبي علي عليه ونقله عنه.

ثانيا: مخالفة مذهبه ومناقشته

عُني أبو علي بإيراد أقوال أبي زكريا الفراء وآرائه، وكان أشدَّ عناية في –كلِّ موضع يوردها فيه– بمناقشتها والرَّدِّ عليها، بل وبإبطالها ووصفها بعدم الاستقامة، حتى لكأنه يُظَنُّ أنه إنما يأتي بقوله ليخالفه فيه[5].

ولقد لاحظنا ذلك في خمسة مواضع[6] –عدا الموضع الآنف ذكره– يذكر فيها مذهبه فيعمَد إلى نقضه ومخالفته، أكتفي بسوْق نموذج واحد يثبت ذلك، وهو:

ليس عن مثل هذا نهيت، فصلى بهم يوما، ثم قالوا: اطلبوا إماما غيري إني أردت أن لا تستذلوني فإذا صار الأمر إلي فلا أؤمكم. مات سنة: 103هـ. غاية النهاية، 2/ 331 والنجوم الزاهرة، 252/1.

[1] هو: القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي، أبو عبد الله، قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث. عالم بالعربية والأخبار والأنساب والأدب، ومن أروى الناس للحديث والشعر، يقال له: شعبي زمانه، وكان سخيا، وهو من أحفاد الصحابي عبد الله بن مسعود وإليه نسبته. له كتاب "النوادر في اللغة"، و "غريب المصنف" وغيرهما. توفي سنة: 175هـ. إنباه الرواة، 30/3-31، بغية الوعاة، ص381 و الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خانه –كراتشي، د.ط، د.ت، 1/ 412.

[2] تقدمت ترجمته، ص73.

[3] الحجة، 3/ 16.

[4] لم أقف –في حدود اطلاعي في كتب التراجم– على عنوان هذا الكتاب ونسبته لأبي زكريا الفراء، وهذا يدل على أحد أمرين: أولهما أن كتب التراجم لم تذكر هذا الكتاب، ومعلوم أنها لم تحصر جميع المصنفات وعزوها إلى أصحابها، كما رأينا مع مصنفات كثيرة لأبي علي لم تذكرها كتب التراجم، ولعل كتاب التصريف للفراء واحد من تلك. وإما أن أبا علي يعني بكتاب التصريف هذا كتاب الجمع والتثنية، أو كتاب المذكر والمؤنث أو كليهما معا؛ وقد ذكرهما للفراء صاحبُ الفهرست وغيرُه. الفهرست: 1/ 99.

[5] ويبدو أنَّ سبب ذلك عائد إلى اختلافهما المذهبي؛ فالفراء من أعلام الكوفة وأبو علي بالرغم من انفراداته واجتهاداته =إلاَّ أنَّه لا يخرج في العموم عن طوق مذهب أهل البصرة.

[6] ذكر أبو علي أبا زكريا الفراء في ستة مواضع من كتابه؛ كلها ينقده فيها ويخالفه، انظر الحجة: 232/1، 363- 364، 445 وَ 2/ 65. عدا موضع واحد فقط، فإنه أشار فيه إلى قول له من كتابه التصريف: 3/ 16.

قول أبي علي: "وأما ما حكاه أحمد بن يحيى عن الفرَّاء في أن قوله: چ □ □ □ □ چ [البقرة: ١٦] إنما حرّكها بالحركة التي كانت تجب للام الفعل من الضمة، فإنه ذهب في ذلك إلى أن الحركة فيها ليست لالتقاء الساكنين، كما يذهب إليه سيبويه[1] وأصحابه. وهذا الذي ذهب إليه الفرَّاء لا يستقيم من غير جهة: منها أن اشترى واصطفى وما أشبه ذلك إنما انقلبت اللام فيه ألفا لتقدير الحركة فيها... ويمتنع ذلك من وجه آخر... ووجه آخر... "[2]، وراح يعدّد أوجه فساد مذهبه إلى أن قال: "فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ولم نجد في هذه الأصول شيئا على ما ادَّعاه ثبت فساد ما ذهب إليه؛ لدفع الأصول له وتعرِّيه من دلالة تدلُّ عليه"[3].

[1] انظر: كتاب سيبويه، هذا باب يُحرك فيه الحرف الذي يليه المحذوف لأنه لا يلتقي ساكنان، 2/ 263.

[2] الحجة،1/ 232.

[3] المصدر نفسه، 1/ 233.

الباب الأول

الإمام أبو علي الفارسي وكتابه الحجة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حياة الإمام أبي علي الفارسي

الفصل الثاني: التعريف بكتاب الحجة ومقارنته ببعض كتب القراءات والاحتجاج

الفصل الثالث: تأثر الإمام الفارسي بمن قبله وتأثيره فيمن بعده

الفصل الأول

حياة الإمام أبي علي الفارسي

توطئـــــة

سأتناول في هذا الفصل الأول حياة الإمام أبي علي الفارسي بصفة عامة؛ وذلك من خلال الوقوف على اسمه الكامل كما في كتب التراجم، ومولده، ونشأته والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية المحيطة به، مبرزاً كذلك عقيدته ومذهبه في القراءات والنحو والفقه، معرِّجاً على مكانته العلمية ووفاته .

وترتيبا لذلك سيتضمن هذا الفصل مبحثين.

المبحث الأول: اسم الإمام ومولده ونشأته

المبحث الثاني: عقيدة الفارسي ومكانته العلمية ووفاته

المبحث الأول

اسم الإمام ومولده ونشأته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الظروف السياسية والعلمية السائدة

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده
المطلب الثالث: نشأة الإمام

المطلب الأول: الظروف العامة السائدة

يبيِّن هذا المطلب الظروف السياسية والاجتماعية، وكذا العلمية والثقافية السائدة في عصر الإمام أبي علي الفارسي، وذلك في فرعين:

الفرع الأول: الحالة السياسية والاجتماعية

لقد هان شأن خلفاء بني العباس، وضعفت شوكتهم، وأصبح الخلفاء أداة طيّعة بيد قادة الجيوش من الترك والديلم[1]، وكان باستطاعة هؤلاء القادة عزل الخليفة وخلع السلطان عنه، واستبداله بغيره في أي وقت شاءوا، وقد كانوا يتجرؤون على قتل الخليفة والانتقام منه إذا لم يسعد بموافقتهم؛ فقد وقع سنة: 376هـ قتال بين الديلم وكانوا تسعة عشر ألفاً وبين الترك، وكانوا ثلاثة آلاف، فانهزمت الدَّيلم، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف[2].

---

[1] الديلم: هو إقليم بالعراق، والديلم يقع بين الرحاب والجبال والمفازة وخراسان، وأهله جيل سموا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر وليس باسم لأب لهم. وقيل: اسم ماءٍ لبني عبس. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله الحموي، دار الفكر –بيروت، د.ط، د.ت، 293/2. ووصفه المقدسي بقوله: "إقليم القز والصوف به صناع حذاق، وفواكه تحمل إلى الآفاق، وبزُّه معروف بمصر والعراق. كثير الأمطار، مستقيم الأسعار. مصر ظريف، ولهم عمل لطيف. يجلون الشريف، ويرحمون الضعيف. كبراء في الفقه وأجلة في الحديث رجال في القتال...". أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ت: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي –دمشق، د.ط، 1980م، ص92، 240.

[2] الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، ت: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1415هـ- 1995م، 7/ 427 وما بعدها والعبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت –الكويت، ط2 –مصورة، 1948م، 03/3.

وقد مرَّت بغداد بفتنة عظيمة، ظهرت فيها العصبية الزائدة وتحزب الناس، وطغى الفساد وأخذت أموال الناس، وتولَّد بين النَّاس أصنافٌ مختلفة من الطائفية، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور[1].

وقد صاحب هذا الاضطراب السياسي في بغداد عاصمة الدولة الإسلامية اضطرابات أخرى في شرق الدولة وغربها كانت أكبر وقعاً وأعظم خطراً على الخلافة، حيث أدت إلى تجزئة الدولة الواحدة إلى عدة دويلات متفرقة[2]، فقامت (دولة بني حمدان) في الشام، و (دولة بني بويه) في الشرق و (الدولة الإخشيدية) في مصر.

وفي خضمِّ هذه الظروف كان العزيز صاحب مصر قد أعدَّ العدَّة لغزو الروم فاحترقت مراكبه، فاتهم بها أناساً، ثم بعد ذلك وصلت رسل الرُّوم في البحر إلى ساحل القدس بتقادم للعزيز ودخلوا مصر يطلبون الصلح، فأجابهم العزيز واشترط شروطا شديدة التزموا بها كلَّها، منها: أنهم يحلفون أنه لا يبقى في مملكتهم أسير إلا أطلقوه وأن يخطب للعزيز في جامع قسطنطينية كل جمعة، وأن يحمل إليه من أمتعة الروم كل ما افترضه عليهم، ثم ردهم بعقد الهدنة سبع سنين[3].

وفي صفر من سنة: 377هـ عقد ببغداد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة وجددت البيعة بين الطائع[4] وبين شرف الدولة[5] وكان يوما مشهودا، والذي رفع عن العراق مظالم كثيرة، وردَّ على النَّاس أملاكهم[6] وكان الغلاء ببغداد فوق الوصف واشتدَّ جدًّا على الناس[1].

---

[1] المصدر السابق، 7/ 330.

[2] المصدر نفسه، 7/ 427- 428 وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، د.ت ، 88/2.

[3] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت، 4/ 51.

[4] هو: الخليفة أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي، لقبه نصر الدولة، كان قويا في بدنه، خلف والده المطيع، كانت دولته ثماني عشرة سنة، لكنه عُزل في آخر أيام إمارته، وأشهد عليه بخلع نفسه وأنه سلم الخلافة إلى القادر بالله وشهد الكبراء بذلك، وبقي بعد عزله أعواما إلى أن مات 393هـ. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9: 1413هـ، 118/15 -126.

[5] هو: صاحب العراق شرف الدولة شيرويه بن الملك عضد الدولة بن بويه الديلمي، تملك وظفر بأخيه صمصام الدوله فسجنه، وكان فيه خير وأزال المصادرات، كانت أيامه سنتين وثمانية أشهر. مات 379هـ ولم يبلغ الثلاثين، وتملك بعده أخوه بهاء الدولة، وكان أخوهما الصمصام هو الذي تملك العراق بعد أبيهم عضد الدولة ثلاثة أعوام ثم أقبل شرف الدولة لحربه فذلَّ وسلَّم نفسه إلى أخيه فغدر به وحبسه بشيراز إلى أن مات. المصدر نفسه، 16/ 384- 385.

[6] من ذلك أنه رد على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع أملاكه وكان مغلها في العام ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم. شذرات الذهب، 88/2.

الفرع الثاني: الحالة العلمية والثقافية

بالرُّغم من ذلك الجوِّ المشحون بالأزمات، ومع هذا الوضع غير المستقر قابلتها حركة علمية نشيطة ومزدهرة، فلقد كان أمراء الدويلات الإسلامية يتنافسون فيما بينهم على اجتذاب العلماء والأدباء، وكانت مجالسهم عامرة بالمناقشات العلمية وكانوا يغدقون الأموال الطائلة عليهم، ويجهزونهم بكل ما يحتاجونه من كتب ومكتبات ومدارس علمية متخصصة[2]، وكان لهذا التشجيع كبير الأثر في إنعاش الساحة العلمية والثقافية آنذاك؛ فتعددت حواضر العلم والمعرفة، ونبغ عصرئذ علماء برعوا في شتى الميادين والتخصصات. وفي هذا العصر نشأ أبو علي الفارسي[3]، وتعلَّم، ونبغ، ودرّس وألَّف.

ومما يحكى عن أبي عليٍّ أنه كان يوما في ميدان شيراز[4] يساير عضد الدولة[5]، فقال له: لم انتصب المستثنى في قولنا: قام القوم إلا زيدا؟ فقال الشيخ: بفعل مقدَّر، فقال له: كيف تقديره، فقال: أستثني زيداً، فقال له عضد الدولة: هلاَّ رفعته وقدَّرت الفعل امتنع زيد، فانقطع الشيخ وقال له: هذا الجواب ميداني، ثمَّ إنَّه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه. وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدِّم بتقوية (إلاَّ)[6].

---

[1] البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت، 202/11..

[2] المصدر السابق.

[3] ستأتي ترجمته بعد حين.

[4] شيراز بلد عظيم مشهور، وهو قصبة بلاد فارس. ذهب بعض النحويين إلى أن أصله شراز، وجمعه شراريز وجعل الياء قبل الراء بدلا من حرف التضعيف، وشبهه بديباج، ودينار، وديوان وقيراط؛ فإن أصله عندهم دباج، ودنار، ودوان، وقراط. ومن جمعه على شواريز فإن أصله عندهم شورز وهي مما استجد عمارتها واختطاطها. قيل أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن أبي عقيل، ابن عم الحجاج؛ وهي في وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخا. أنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 3/ 378 وما بعدها.

[5] هو: السلطان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو صاحب العراق وفارس ابن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة ثم كثرت بلاده واتسعت ممالكه، قصد العراق والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله وتملك ودانت له الأمم، وكان شجاعا مهيبا نحويا أديبا عالما جبارا عسوفا شديد الوطأة ،وكان يقول الشعر، نقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه)، ومات بعلة الصرع، وكان شيعيا جلدا، أظهر بالنجف قبرا زعم أنه قبر الإمام علي وبني عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء والاعتزال. مات سنة: 372هـ ببغداد. انظر: الأعلام، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، 156/5، سير أعلام النبلاء: 16/ 249- 251 ووفيات الأعيان: 4/ 51-54.

[6] روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الأصبهاني، الدرر الإسلامية –بيروت، ط1، 1411هـ-1991م، 3/ 72- 73.

كما روي أنَّه جرى ذكر الشِّعر بحضرة أبي عليٍّ، فقال: إني لأغبطكم على قول الشِّعر فإنَّ خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من موادِّه، فقال له رجل: فما قلت قطُّ شيئاً منه. قال: ما أعلم أنَّ لي شعراً إلا ثلاثةُ أبيات في الشّيب، وهي قولي:

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيبِ أولى أن يعابا

ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيبا خشيت ولا عتابا

ولكن المشيب بدا ذميماً فصيَّ رت الخضاب له عقابا[1].

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده

يشتمل هذا المطلب على اسم الإمام الكامل ونسبه في الفرع الأول، ثم مولده ونشأته وأسرته في الفرع الثاني، كما يأتي:

الفرع الأول: اسمه ونسبه

أما عن **اسمه** فهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي[2]، أبوه فارسي، وأمه عربية من سدوس شيبان[3].

وأما عن اسم **أبيه وجده** فلقد اختلف المترجمون في نسب أبي علي الفارسي زيادة ونقصا؛ فذكر جميع من ترجم له إلا من شذَّ أن اسم أبيه أحمد، واسم جدِّه عبد الغفار، وهو الذي وجد بخطه: وكتب الحسن بن أحمد.

وفي معجم الأدباء: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان اهـ[4]. ومثله في تاريخ ابن خلكان[5].

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م، 2/ 80- 81.

[2] انظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرّومي، ت: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 811/2 ووفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م، 2/80- 82.

[3] هي قبيلة عربية ترجع أصولها إلى سدوس –بفتح السين- بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، 13/ 84. وهذا مما يثير الشك في الجزم بفارسيته.

[4] معجم الأدباء، 811/2.

[5] وفيات الأعيان، 2/ 80- 82.

وعلى الرغم من أن جدَّه البعيد "أبان" عربي منصرف[1]، فقد ذهب أكثر من ترجم له إلى أن أباه فارسي الأصل. وقد يكون الأمر أن جدَّه هذا عربي الأصل استوطن بلاد فارس أثناء الفتوحات الإسلامية، أو لعله فارسي أسلم آباؤه فسموه باسم عربي، ولقب الفارسي –كما يقول الباحث عبد الفتاح شلبي– لا ينهض دليلا على فارسيته؛ إذ كثيرا ما تَلقَّب بعض المشهورين من العرب بألقاب فارسية[2].

وقال في الكامل: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[3].

وفي تاريخ بغداد: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان[4].

وفي مرآة الجنان: الحسن بن أحمد الفارسي[5].

وفي اليتيمة في ترجمة ابن أخته أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي[6]، قال: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي[7].

وفي ميزان الاعتدال: الحسن بن أحمد[8].

وفي لسان الميزان: اسم جدّه عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان[9].

وفي بغية الوعاة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان[1].

---

[1] انظر: لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1: د.ت، مادة: (أبن)، 134/16.

[2] وذلك مثل: أبي إسحاق الشيرازي، والفيروزآبادي، والترمذي صاحب السنن، والأصبهاني صاحب الأغاني وغيرهم. أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية،وآثارهُ في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة –مصر، د.ط، 1377 هـ، ص46.

[3] الكامل، 7/ 429.

[4] تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، 7/ 275.

[5] مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد أبو عبد الله اليافعي اليمني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ- 1997م، 2/ 305.

[6] أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي، أحد أفراد الدهر، وأعيان العلم، وأعلام الفضل، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ، وعليه درس، حتى استغرق علمه، واستحق مكانه، وكان أبو علي أوفده على الصاحب فارتضاه، وأكرم مثواه، وقرب مجلسه. انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك أبو منصور الثعالبي النيسابوري، المطبعة الحنفية –دمشق، د.ط، د.ت، 109/2 ومعجم الأدباء، 2523/6.

[7] المصدر نفسه، 2/ 109.

[8] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة –يروت– لبنان، د.ط، د.ت، 1/ 480.

[9] لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدَّة، دار البشائر الإسلامية – بيروت–لبنان، ط1، 1422هـ- 2002م، 3/ 26.

وفي فهرست ابن النديم: الفارسي أبو علي بن أحمد بن عبد الغفار[2].

وفي روضات الجنات: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[3].

وشذَّ صاحب شذرات الذهب فقال: الحسن بن محمد بن عبد الغفار[4] ويمكن أن يكون من سهو النساخ.

وأما عن **كنيته** فأبو علي عند الجميع من غير خلاف وقد اشتهر بكنيته.

وأمه سدوسية من سدوس شيبان من ربيعة الفرس اهـ[5].

وصفه المؤرخون بأنه كان قويَّ البنية، نظيفا في مظهره ولهذا فقد أزرى على المتنبي[6] قبح زيِّه، وما أخذ به نفسه من الكبر[7].

كما وصف بأنه كان صادقا في نفسه، مترفعا عن الكذب، رفيقا بذوي القربى[8].

وقد كان ذا موضوعية في تقرير الحقائق العلمية واللغوية والنحوية، وسوف نرى ذلك واضحاً – إن شاء الله– أثناء الحديث عن آرائه.

الفرع الثاني: مولده ورحلاته

ولد سنة 288هـ بمدينة فسا[9] من أرض فارس، وهي مدينة واسعة الأبنية، فسيحة الشوارع، ذات حصن وخندق وربض.

---

[1] بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، د.ن، ط2، 1399هـ- 1979م، 1/ 496.

[2] الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1398هـ-1978م، 1/ 95.

[3] روضات الجنات، 3/ 72.

[4] شذرات الذهب في تاريخ من ذهب، 2/ 88..

[5] معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب، 2/ 811.

[6] هو: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي. قال في العبر وليس في العالم أشعر منه أبدا وأما مثله فقليل، اشتغل في فنون الأدب ومهر فيها وتضلع من علم، اعتنى العلماء بديوانه فشرحوه أكثر من أربعين شرحا، وسمي المتنبي لأنه ادعى النبوة، قتل سنة 354هـ. له ديوان شعر مطبوع ومشروح شروحا وافية، وقد جمع الصاحب ابن عباد لفخر الدولة نخبة من أمثال المتنبي وحكمه، وتبارى الكتاب قديما وحديثا في الكتابة عنه. انظر: الأعلام، 1/ 115، شذرات الذهب، 2/ 13- 15 ووفيات الأعيان، 1/ 120- 123.

[7] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي، ت: مصطفى السقا وغيره، دار المعارف، ط3، د.ن، د.ت، ص92.

[8] معجم الأدباء، 6/ 2536.

[9] فسا بالفتح والقصر كلمة عجمية، وعندهم بسا بالباء؛ كذا يتلفظون بها، وأصلها في كلامهم: الشمال من الرياح، وهي مدينة بفارس أنزه مدينة بها، وهي مدينة مفترشة البناء واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز، وهي أصح هواء من شيراز وأوسع أبنية، وهي مدينة يجتمع فيها ما يكون في الصرود، والجروم من البلح والرطب والجوز والأترج وغير ذلك، وباقي مدن دارابجرد متقاربة،

وأما عن **رحلاته**؛ فقد رحل إلى بغداد سنة 307هـ[1] لطلب العلم فيها، كما رحل إلى غيرها من مدن العراق، وفيها ذاعت شهرته، وتنقل في شعابه، يحاضر ويؤلف ويسأل، فكانت له مؤلفات سميت بأسماء المدن العراقية، كالبصريات والبغداديات وغيرها.

وانتقل الإمام إلى الموصل، وفيها التقى بتلميذه ابن جني حيث بقي زمنا ثم سافر إلى الشام، فزار حلب والتحق ببلاط الأمير سيف الدولة الحمداني[2] فأكرم وفادته، وتنقل في بلاد الشام، فمضى إلى طرابلس ومعرة النعمان[3]، واتصل برجالها وأهل العلم فيها، وأقام بحلب فظفرت منه بالمسائل الحلبية، وقد امتحن فيها بخصومة ابن خالويه[4]، وكان من خلصاء سيف الدولة وآثرهم عنده. ولذا لم تطب الإقامة لأبي علي هناك.

وورد شيراز سنة 348هـ، فلبث فيها عشرين عاما منقطعا إلى عضد الدولة بن بويه. ثم عاد إلى بغداد بعدما استولى عليها عضد الدولة واستقر له الأمر فيها، فصنف له كتابي الإيضاح والتكملة، وعلمه النحو حتى قال فيه عضد الدولة: "أنا غلام أبي علي في النحو"[5].

واستقر أبو علي بفداء ببغداد إلى أن أدركته منيته في ربيع الآخر وقيل في ربيع الأول سنة 377هـ، فدفن هناك بالجانب الغربي منها[1].

وإليها ينسب أبو علي الفارسي الفسوي وأبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي الفارسي. معجم البلدان، 4/ 260- 261.

[1] طبقات الزبيدي، 131.

[2] هو: سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب مقصد الوفود، وكعبة الجود وحامل لواء الجهاد. كان أديبا مليح النظم فيه تشيع، ويقال ما اجتمع بباب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه، وكان يقول عطاء الشعراء من فرائض =الأمراء، ولده في سنة 331هـ، وله غزو ما اتفق لملك غيره، وكان يضرب بشجاعته المثل. مات في صفر سنة 356هـ، كانت دولته نيفا وعشرين سنة وبقي بعده ابنه سعد الدولة في ولاية حلب خمسا وعشرين سنة. سير أعلام النبلاء، 16/187- 189، وفيات الأعيان، 3/ 401- 406.

[3] معرة بفتح أوله وثانيه وتشديد الراء. قال ابن الأعرابي: المعرة الشدة، والمعرة كوكب في السماء دون المجرة، والمعرة الدية، والمعرة قتال الجيش دون إذن الأمير وقيل غير ذلك. وأما النعمان فقيل: نسبة إلى النعمان بن بشير صحابي اجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه فسميت به، وقيل أنها مسماة بالنعمان نسبة إلى الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله؛ وهي –النعمان– مدينة كبيرة قديمة، ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، ومنها كان أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري. ومعرة النعمان هي قرية من قرى الشام. أنظر: معجم البلدان، 5/ 155 وما بعدها.

[4] ستأتي ترجمته، ص14.

[5] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ت: أحمد أمين و أحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، د.ت، 131/1، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت، 4/ 15.

ولا نعلم شيئا عن دراسته الأولى، والمراحل التي اجتازها في هذه الفترة، إلا أن تردَّده على حلقات الشيوخ المشهورين في بغداد بعدما استقر فيها يوحي بأنه قد تردد على شيوخ بلاده قبل مجيئه إلى بغداد، وأخذ عنهم شتى علوم المعرفة وخاصة علوم العربية.

وقد اطَّلع على كتب المتقدِّمين فقرأ كتاب سيبويه[2] على أبي بكر بن السرَّاج[3]، وسمع معاني القرآن للفراء[4] من أبي بكر بن مجاهد[5] وسمع معاني القرآن للزجاج[6] منه[1].

---

[1] إنباه الرواة على أنباء النحاة، علي بن يوسف القفطي، ت: محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت، ط1، 1406هـ- 1986م، 308/1. تاريخ بغداد: 275/7. وفيات الأعيان، 2/ 80.

[2] هو: عمرو بن عثمان أبو بشر بن قنبر الملقب بسيبويه، مولى بني الحارث بن كعب وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه، أخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره، اختلف في سنة وفاته فقيل: توفي سنة 180. قال الذهبي في السير: "وهو أصحها"، وقيل سنة 177، وقيل سنة 161هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، 8/ 351- 352، وفيات الأعيان، 463- 464.

[3] ستأتي ترجمته بعد حين.

[4] هو: أبو زكريا الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها. أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وأخذ عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السُّمَّري وغيرهما. ولد الفراء بالكوفة وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها، وله من التصانيف: الحدود، والمعاني، وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر، وكتاب البهي؛ وهو صغير الحجم، وله كتاب اللغات، وكتاب المصادر في القرآن، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء وغيرها. توفي ستة 207هـ. إنباه الرواة على أنباء النحاة، 4/ 08 وما بعدها، سير أعلام النبلاء، 10/ 118- 121، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن أحمد، ابن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1410هـ، 2/ 460، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، د.ط، 1418هـ- 1998م، ص90، وفيات الأعيان، 6/ 176- 179.54.

[5] انظر: مقدمة تحقيق: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: علي النجدي ناصف وغيره، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –القاهرة، د.ط، 1415هـ- 1994م، ص 36. وستأتي ترجمة الإمام ابن مجاهد في الفصل الثاني من هذا الباب.

[6] ستأتي ترجمته بعد حين.

المطلب الثالث: نشأة الإمام

وتتمثل نشأته العلمية في احتكاكه بالشيوخ وتلقيه عنهم، ومزاملته لبعض الشخصيات العلمية، وثقافته وكذا إنتاجه وتخريجه لجملة من التلاميذ الذين أخذوا عن الإمام واهتموا بآثاره فيما بعد.

الفرع الأول: شيوخه

كان لأبي علي احتكاك كثير مع شيوخ في العراق؛ فأخذ عن جملة من الشيوخ والأئمة:

7- فروى عن أبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السرَّاج[2]، كان أحد الأئمة المشاهير المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرِّد[3]، أخذ عنه جماعة من الأعيان منهم أبو سعيد السيرافي[4] وعلي بن عيسى الرماني[5] وغيرهما، ونقل عنه الجوهري في كتاب الصحاح في مواضع عديدة، وله التصانيف المشهورة في النحو منها: "كتاب الأصول" وهو من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه، و"كتاب جمل الأصول"، و"كتاب الموجز"، و"كتاب الاشتقاق"، و"شرح كتاب سيبويه"، و"كتاب احتجاج القراء"[6]، و"كتاب الشعر والشعراء"، و"كتاب المواصلات" وغيرها. كان يلثغ في الراء فيجعلها غينا، فأملى يوما كلاما فيه لفظة بالراء فكتبوها عنه بالغين، فقال: لا بالغاء لا بالعاء؛ يريد بالراء وجعل يكررها على هذه الصورة، توفي سنة ستة عشرة وثلاثمائة، رحمه الله تعالى[7].

8- وروى عن أبي إسحاق الزجاج؛ إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين وصنف كتابا في معاني القرآن، له كتاب الأمالي وكتاب ما فسر من جامع المنطق، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان

---

[1] المحتسب، 36/1.

[2] مقدمة الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، 29/1.

[3] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد عبد الله الأزدي البصري، المعروف بالمبرد النحوي نزل بغداد وكان إماما في النحو واللغة وله التواليف النافعة في الأدب، منها: كتاب الكامل، وكتاب الروضة، والمقتضب وغير ذلك. أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وفي تسميته بالمبرِّد حكاية. توفي سنة: 286، وقيل: 285هـ ببغداد. وفيات الأعيان، 4/ 313- 319.

[4] ستأتي ترجمته، ص14.

[5] ستأتي ترجمته، ص16.

[6] لعل كتاب "احتجاج القراء"هذا، هو الكتاب الذي شرع فيه وارتفع منه تبييض في سورة البقرة –كما يقول الفارسي- ولم يكمله.

[7] انظر: نزهة الألباء، ص220، وشذرات الذهب، 1/ 259 ووفيات الأعيان، 4/ 339- 340.

يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه. روى أبو سليمان الخطابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي قال: كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول: إن كان فيكم أبو إسحاق الزجاج وإلا انصرفوا، توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة[1].

9- وروى عن أبي بكر بن دريد[2]؛ محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي البصري نزيل بغداد، صاحب التصانيف المفيدة في اللغة كالجمهرة والأمالي وغير ذلك. كان رأسا في اللغة وأشعار العرب وله قصيدة طنانة يمدح بها الشافعي رضي الله عنه أنشدها الحاكم أبو عبد الله في مناقب الشافعي. قال الدارقطني: تكلموا فيه، مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتوفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة[3].

10- وعن أبي الحسن –وقيل أبي المحاسن- الأخفش؛ أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، المعروف بالأخفش[4] الصغير النحوي. كان عالما، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما، وروى عنه المرزباني وأبو الفرج المعافى الجريري وغيرهما وكان ثقة، حدث عنه البخاري وغيره.

---

[1] انظر: الكامل، 7/ 16، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي –الكويت، ط1، 1407هـ، 1/ 186،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي –بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، 4/ 448 والنجوم الزاهرة، 3/ 308 و نزهة الألباء، ص225 وما بعدها.

[2] المسائل البصريات، أبو علي الفارسي، ت: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني –القاهرة، ط1، 1405هـ-1985م، 1/ 51

[3] انظر: طبقات الشافعية، 2/ 116، الفهرست، 1/ 91، نزهة الألباء، ص225- 226.

[4] على أن هناك أخفشين آخرين، هما: أبو الحسن، سعيد بن مسعدة المجاشعيّ بالولاء، النحويّ البلخيّ، المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نحاة البصرة. أخذ النحو عن سيبويه وعمن أخذ عنه سيبويه، وكان أعلم من أخذ عنه وكان أكبر منه. وهو الطريق إلى سيبويه، فإنه لما توفي قُرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازنيّ. وزاد في العروض "بحر الخَبَب"، وله كتاب "معاني القرآن"، و"الأوسط في النحو"، وكتاب "الاشتقاق"، وكتاب "العروض"، وكتاب "المسائل الكبير"، و "المسائل الصغير"، و "معاني الشعر"، و "المقاييس" و "التصريف" وغيرها مما عدت عليها العوادي وطوته فيما طوت من كنوز. توفي سنة 225 وقيل 221هـ. شذرات الذهب، 1/ 36، نزهة الألباء، ص120، الفهرست: 1/ 77، وفيات الأعيان: 2/ 380.

=أما الأكبر أو الكبير: فهو شيخ العربية أبو الخطاب البصري يقال اسمه عبد الحميد بن عبد المجيد، من أهل هجر من مواليهم، كان في دولة الرشيد. تخرج به سيبويه وحمل عنه النحو لولا سيبويه لما اشتهر. أخذ عنه أيضا عيسى بن عمر النحوي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما، وله أشياء غريبة ينفرد بنقلها عن العرب، وهو مجهول الوفاة. النجوم الزاهرة، 3/ 219، سير أعلام النبلاء، 14/ 480 و شذرات الذهب: 1/ 36.

كان يضجر كثيرا إذا سئل عن شيء من النحو وكان حافظا للأخبار، له من الكتب كتاب الأنواء كتاب التثنية والجمع وكتاب الجراد. توفي سنة خمسة عشرة وثلاث مئة[1].

11- وروى عن الشيخ ابن معدان؛ أبي الحسن علي بن الحسين بن معدان الفارسي الفسوي، حدث عن إسحاق بن راهويه وأبي عمار الحسين بن حريث، روى عنه شيخ النحو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي وأبو بكر محمد بن أحمد الأصبهاني. توفي في شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وثلاث مئة [2].

12- كما روى عن أبي بكر بن مجاهد[3]؛ هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرىء، كان واحد عصره غير مدافَع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن، روى الإمام قراءات كثيرة وله كتب مصنفة، منها: كتاب "القراءات الكبير"، كتاب "القراءات الصغير"، كتاب "الياءات"، كتاب "الهاءات"، كتاب "قراءة أبي عمرو"، كتاب "قراءة ابن كثير"، كتاب "قراءة عاصم"، كتاب "قراءة نافع"، كتاب "قراءة حمزة"، كتاب "قراءة الكسائي"، كتاب "قراءة ابن عامر" وكتاب "قراءة النبي ρ "، وتوفي رحمه الله في محبسه لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[4].

وغير هؤلاء من الشيوخ كثير؛ الأمر الذي بوَّأ أبا عليّ أحد أئمة العربية وأغزرهم علما وأوسعهم اطلاعا، وأن تكون كتبه أجل الكتب وأجدرها قراءة وتدريسا.

الفرع الثاني: زملاؤه

---

[1] النجوم الزاهرة، 3/ 219، نزهة الألباء، ص219، الفهرست، 1/ 123 ووفيات الأعيان، 3/ 301.

[2] تاريخ بغداد، 7/ 275 وسير أعلام النبلاء، 14/ 520.

[3] بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت: سهيل زكار، دار الفكر –بيروت، ط1، 1988م، 5/ 2265.

[4] انظر ترجمته: تاريخ بغداد: 144/5 وما بعدها.، طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر السبكي، ت: عبد الفتاح محمد الحلو و هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط2، 1992م، 57/3 وما بعدها، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: بشار عواد معروف وغيره، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1404هـ، 269/1-272 ، الفهرست، لابن النديم، 47/1.

كان لأبي علي زملاء أخذوا معه عن شيوخه، منهم:

4- الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي، كان إماما في النحو والفقه والشعر والقرآن والفرائض والحديث، ولي قضاء بغداد، قرأ النحو على ابن السراج وعلى أبي بكر مبرمان، واللغة على أبي بكر بن مجاهد وابن دريد[1]، وله تآليف منها شرح كتاب سيبويه وأحسن فيه مات سنة 368هـ[2].

5- الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي الهمذاني الحلبي، روى عن ابن الأنباري وأبي بكر بن مجاهد وابن دريد ونفطويه، له تصانيف كثيرة منها شرح المقصورة الدريدية والبديع في القرآن الكريم وحواشي البديع في القراءات وشرح شعر أبي نواس مات بحلب سنة 370هـ[3].

وكانت المنافسة بين أبي علي وابن خالويه على أشدِّها؛ فقد كتب أبو علي كتابه"الإغفال"، عقب فيه عما أغفله شيخه أبو إسحاق الزجاج في "معاني القرآن" ونقده، غير أن ذلك لم يرض ابن خالويه فتعقَّبه فيما كتب، ورد أبو علي على تعقيبه له في "نقض الهاذور[4]" وبسط الكلام فيه كل البسط. وقد أورد البغدادي في "خزانته" طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين أبي علي وابن خالويه، أذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه: "إن الواو إذا كانت في أوائل القصائد نحو: وقاتم الأعماق... فإنها تدل على رب فقط، ولا تكون للعطف، لأنه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو.

وقال الفارسي في "نقض الهاذور": "هذا شيء لم نعلم أحدا ممَّن حكينا قوله ذهب إليه، ولا قال به"[5].

وقال ابن الأنباري في (نزهة الألباء): إنه اجتمع هو وأبو علي الفارسي فجرى بينهما كلام، فقال لأبي علي: نتكلم في كلام سيبويه، فقال له أبو علي: بل نتكلم في الفصيح.

---

[1] تقدمت ترجمته آنفاً، ص14 . انظر المزيد: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة، ت: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1407هـ، 2/ 116، الفهرست، 1/ 91. وفيات الأعيان، 4/ 323 وما بعدها.

[2] البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، 86/1. بغية الطلب في تاريخ حلب، 5/ 2444.

[3] البلغة، 1/ 90. بغية الطلب، 2/ 2265.

[4] الهاذور من الهذر، ومعناه الهذيان، وكذا سقط الكلام الذي لا يعبأ به. انظر: لسان العرب، مادة (هـ ذ ر)، 259/5، مختار الصحاح، مادة (هـ ذ ر)، 1/ 289. واسم الكتاب يدلُّ بما لا يخفى على السجال العلمي الشديد بين الإمامين.

[5] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م، 1/ 80.

ويروى أنه قال لأبي علي: كم للسيف اسما؟ قال: اسم واحد، فقال له ابن خالويه: بل أسماء كثيرة، وأخذ يعدِّدها نحو: الحُسام، المخذم والقضيب ... فقال أبو علي: هذه كلها صفات[1].

ولم تكن منافسة ابن خالويه لأبي علي إلا صدًى لمنافسة أستاذه أبي سعيد السيرافي لأبي علي، فقد كان رحمه الله –كما يقول أبو حيان التوحيدي– "متقداً بالغيظ على أبي سعيد وبالحسد له، كيف تمَّ له تفسير كتاب سيبويه من أوَّله إلى آخره، بغريبه، وأمثاله، وشواهده وأبياته، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لأن هذا شيء ما تمَّ للمبرد، ولا للزجاج، ولا لابن السَّرَّاج ولا لابن دَرَستَويه [2]، مع سعة علمهم وفيض كلامهم"[3].

ولمنزلة أبي سعيد السيرافي في نفس تلميذه ابن خالويه أرسل إلى سيف الدولة ليُعلِمه تطاول الفارسي على السيرافي، وهو تطاول غير محمود، فمكانة السيرافي خصوصا بعد هزيمة (متّى)[4] المنطقي جديرة بأن تكسو ثوب المهابة والإجلال، ولا يسوغ لأبي علي أو غيره أن ينتقص من هذه الشخصية العلمية الفذة.

ولما علم الفارسي بالخبر أرسل إلى سيف الدولة رسالة ينفي فيها عن نفسه التهمة، ومما قال فيها: "من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل –يعني ابن خالويه– هو قوله: لو يبقى عمر نوح ما صلح –أبو علي– أن يقرأ على السيرافي مع علمه بأن السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان؟ هذا مما لا خفاء فيه، كيف وقد خلط فيما حكاه عني؟ وأني قلت: إن السيرافي قد قرأ عليَّ. ولم أقل هذا، إنما قلت: تعلَّم مني، أو أخذ مني هو أو غيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا. وليس قول القائل: تعلَّم منِّي مثل قرأ عليَّ، لأنه يقرأ

---

[1] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص271 والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، 1/ 318.

[2] هو: عبد الله بن جعفر أبو محمد بن دَرَستَويه الفارسي النحوي، أحد النحاة والأدباء المشهورين، أخذ عن المبرد وابن قتيبة، كان فسويا، وأقام ببغداد إلى حين وفاته. ألف كتبا منها: كتاب الإرشاد، وشرح كتاب الجرمي، وكتابه في الهجاء وهو أحسنها. أخذ عنه عبيد الله المرزباني وغيره. ولد سنة: 258هـ، وتوفي سنة 347 في خلافة المطيع. أنظر: نزهة الألباء، ص247- 248، وفيات الأعيان، 3/ 44.

[3] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ص131.

[4] هو: متّى بن يونس الحكيم، كان يعلم المنطق، وكان حسن العبارة في تآليفه لطيف الإشارة، ويحكى أن الآلة المسماة القانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب، وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن.أجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذي اقتصر عليها لقناعته، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في سنة 339هـ. شذرات الذهب، 1/ 352، وفيات الأعيان، 5/ 153.

عليه من لا يتعلَّم منه، وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه. وتعلُّم ابن بهراذ السيرافي منِّي في أيام محمد بن السري وبعدَه لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الورَّاق، ومحمد بن أحمد بن يونس، ومن كان يطلب هذا الشأن من بني الأزرق الكتّاب وغيرهم. وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في (صف شونيز[1]) كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، لأنه كان جاري بيْتَ بيتَ قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني"[2].

6- علي بن عيسى أبو الحسن الرماني النحوي، إمام في اللغة والنحو والمنطق. أخذ عن ابن السراج وابن دريد، صنف كتبا كثيرة منها شرح كتاب سيبويه في سبعين مجلدا، وكتاب الحدود، وكتاب معاني الحروف، وشرح الموجز لابن السراج وشرح أصول ابن السرَّاج. قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرُّمَّاني فليس معه منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء. توفي سنة 384هـ[3].

الفرع الثالث: ثقافته وتلامذته

أولا: ثقافته

---

[1] لم أقف على ترجمته.

[2] معجم الأدباء، 2/ 820.

[3] البلغة، 154/1.

تثقف أبو علي بعلوم عصره، فكان موسوعة ثقافية عديدة الجوانب، فقد درس كتاب سيبويه (180هـ)[1]، وروى كتب أبي عبيدة (210هـ)[2]، وأبي زيد (215هـ)[3] والأصمعي (216هـ)[4] وابن الأعرابي (231هـ)[5] واطلع على شوارد اللغة وشواذها، وخير دليل على ثقافته اللغوية مؤلفاته التي بين أيدينا، فهي مستودع فاخر تتجلى فيه سعة اطلاع أبي علي، وعمق ثقافته.

ومما يزيد ذلك وضوحا اعتماد المتأخرين عليها، سواء كانوا من أصحاب المعجمات، أم كانوا من أصحاب المؤلفات الأخرى التي احتوت أطرافا من اللغة.

هذا، دون أن نغض الطرف عن مسائله وآرائه المنثورة في بطون كتب المتأخرين كابن سيده، وابن الأنباري، وابن هشام والبغدادي.

أما ثقافته في علوم القرآن والقراءات والحديث، فتبدو واضحة العيان في كتابيه: الحجة، والإغفال، وفي استشهاداته واعتماده على القرآن في تفسير القرآن بالقرآن، والظواهر النحوية، واللغوية، والصرفية، والفقهية والمنطقية، حتى إن المرء يحس وهو يقرأ مصنفات أبي علي كأنه أمام سيل منحدر من الآيات المترادفة التي يصرفها كيفما يشاء، فهو يؤيد القرآن بالقرآن، ويعلل القرآن بالقرآن، ويحتج للقرآن بالقرآن، ويؤول القرآن بالقرآن في كثير من الأحيان.

أما عن القراءات؛ فقد روى عن ابن مجاهد[6]، وألف فيها كتاباً ضخما سماه: (الحجة في القراءات السبع) اعتمد عليه الكثيرون من المفسرين، وأصحاب القراءات كالزمخشري في الكشاف،

---

[1] ستأتي ترجمته في حينه.

[2] ستأتي ترجمته في حينه.

[3] ستأتي ترجمته في حينه، ص95.

[4] هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع المعروف بالأصمعي الباهلي، كان صاحب لغة ونحو وإماما في الأخبار، والنوادر، والملح والغرائب. سمع شعبة بن الحجاج، والحمادين، ومسعر بن كدام وغيرهم. وروى عنه عبدالرحمن ابن أخيه عبد الله، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي وغيرهم، وهو من أهل البصرة. وللأصمعي من التصانيف كتاب خلق الإنسان، وكتاب الأجناس، وكتاب الأنواء، وكتاب الهمز، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الفرق، وكتاب الصفات، وكتاب النوادر، وكتاب أصول الكلام، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب الاشتقاق وغيرها. توفي سنة 216هـ. وفيات الأعيان، 3/ 170- 177.

[5] هو: أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي، صاحب اللغة وهو من موالي بني هاشم فإنه مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله، ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، وناقش العلماء واستدرك عليهم، وخطأ كثيرا من نقلة اللغة، وكان رأسا في كلام العرب. ومن تصانيفه كتاب النوادر، وكتاب الأنواء، وكتاب تاريخ القبائل، وكتاب معاني الشعر، وكتاب تفسيرالأمثال، وكتاب الألفاظ وغير ذلك. وأخباره ونوادره وأماليه كثيرة. توفي إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل سنة ثلاثين ومائتين والأول. وفيات الأعيان، 4/ 306- 308.

[6] ستأتي ترجمته في حينه، ص55.

والطبرسي في معجم البيان وغيرهما. وفي الحديث كان أبو علي من السابقين إلى استعمال الحديث في مجال اللغة والنحو، واستشهد بنصوص كثيرة من الحديث.

أما ثقافته العروضية فتتجلى في الظواهر التي دوّنها عن العروض، لاسيما في مسائله الشيرازيات، وفي حدّة ذكائه الذي نزع إلى معرفة العروض من خلال علوم اللغة الأخرى، من ذلك إجابته حينما سئل عن خرم (متفاعلن)، روى ذلك الحصري قائلا: "ومما يشهد بصفاء ذهنه، وخلوص فهمه أنه سئل قبل أن ينظر في العروض عن خرم (متفاعلن)، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو فقال: لا يجوز؛ لأن متفاعلن ينقل إلى (متفعلن) إذا أضمر، فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن..."[1].

ثانيا: تلامذته

التفَّ حول أبي علي عدد غير قليل من التلاميذ أصبحوا أئمة في العربية، أشهرهم:

5- أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ[2].

6- أبو طالب أحمد بن بكر العبدي المتوفى سنة 406هـ[3]، أخذ عن أبي علي، وشرح كتاب (الإيضاح)[4].

7- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 398هـ[5] صاحب الصحاح.

8- أبو الحسن علي بن عيسى الربعي المتوفى سنة 420هـ[6].

المطلب الثالث: وفاة الإمام الفارسي

---

[1] معجم الأدباء، 7/ 235- 236.

[2] ستأتي ترجمته في حينه، ص21.

[3] معجم الأدباء، 2/ 236- 239.

[4] إنباه الرواة، 2/ 387.

[5] انظر: إنباه الرواة، 1/ 229 وما بعدها.

[6] انظر: نزهة الألباء، ص295.

لم يتفق المؤرخون في تحديد سنة وفاة أبي علي؛ فيذكر ابن النديم أنه توفي قبل سنة 370هـ[1]، وابن الأثير وأبو الفداء يذهبان إلى أنه توفي سنة 376هـ[2]، ويذكر آخرون على أنه توفي سنة 377هـ[3]. والرأي الأول بعيد؛ لأن التنوخي كان يروي الحديث عن أبي علي سنة 375هـ[4]، وكان أبو علي وكيل عضد الدولة في عقد زواج الخليفة الطائع لله على ابنة عضد الدولة سنة 396هـ[5]، وصحب ابن جني أبا علي أربعين سنة، وكان مولده سنة 321 أو سنة 322هـ، فإذا كانت وفاة أبي علي قبل سنة 370هـ كان معنى ذلك أن صحبة ابن جني لشيخه قد بدأت وهو صبي دون العاشرة، وهي إنما بدأت سنة 337هـ، أي وابن جني في الخامسة عشرة من سنه[6].

وأما اتفاق ابن الأثير وأبي الفداء على أنه توفي سنة 376هـ أقرب، ولا خلاف على أن الوفاة كانت يوم الأحد لسبع عشرة خلت من ربيع، فالخطيب وابن الأنباري يذكران أنه ربيع الأول، وابن خلكان يذكر أنه ربيع الآخر، والفرق بين هذا وذاك أهون.

المطلب الأول: اسم الكتاب وتوثيقه وتاريخه

---

[1] الفهرست، ص95.

[2] الكامل، ابن الأثير، 7/ 429. والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء ، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت، 11/ 306.

[3] تاريخ بغداد، 7/ 275، بلغة الطلب، 5/ 2274..

[4] بغية الطلب في تاريخ حلب، 5/ 2269.

[5] النجوم الزاهرة، 4/ 135.

[6] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 10.

يتناول هذا المطلب اسم الكتاب محلّ هذه الدراسة ونصوص المصادر في إثبات، وتوثيق اسمه، وكذا مدى نسبة هذا الكتاب إلى مؤلّفه أبي علي رحمه الله.

الفرع الأول: اسم الكتاب

ذكر المترجمون لأبي علي الفارسي كتاب الحجة بعبارات مختلفة، وإن كانت مشتركة في كلمة (الحجة) محور التسمية؛ كل ذلك بداعي الاختصار والاجتزاء بالبعض المفهم عن الكل.

فاكتفى كل من ابن النديم في الفهرست[1] وياقوت في معجم الأدباء[2] وابن الجزري في الطبقات[3] والذهبي في معرفة القراء الكبار[4] بتسميته (الحجة). في حين سماه الخطيب البغدادي (الحجة في علل القراءات)[5]، وابن خلكان في الوفيات[6] وصاحب الشذرات[7] وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة[8] أطلقوا عليه (الحجة في القراءات)، وزاد ابن الأنباري في نزهة الألبّاء[9] كلمة (السبع) على علل القراءات، وجاء في طبقات النحاة واللغويين تسميته بـ (الحجة في تخريج القراءات السبعة)[10].

ولعل ذلك يعود إلى اختلاف العناوين المثبتة على نسختي (الحجة)؛ فالنسخة الأولى كتبت سنة 390هـ، وهي في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم 3570ع، وتتألف هذه النسخة من سبعة أجزاء ينقصها الجزء الخامس، كتب في آخر الجزء السابع: "نُجز كتاب **الحجة للقراء**، وبُلغ الفراغ منه في يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسعين وثلاثمائة". وقد جعل المحققون هذه النسخة الأصل[11].

واضح من هذا النص تسميته بكتاب الحجة للقراء، ويبدو أن التسمية إنما هي على سبيل الاختصار والاجتزاء، والدليل على ذلك ما ثبت في أول النسخة الثانية.

---

[1] الفهرست، ابن النديم، 1/ 95.

[2] معجم الأدباء، 2/ 814.

[3] غاية النهاية في طبقات القراء، 1/ 189.

[4] معرفة القراء الكبار، 1/ 424.

[5] تاريخ بغداد، 7/ 275.

[6] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[7] شذرات الذهب، 2/ 89.

[8] النجوم الزاهرة، 4/ 151.

[9] نزهة الألبّاء، ابن الأنباري، ص274.

[10] طبقات النحاة واللغويين، ص295.

[11] الحجة في علل القراءات السبع، ص33- 35.

وأما النسخة الثانية فبخط طاهر بن غلبون المتوفى سنة 399هـ[1]، وتقع في أربعة أجزاء، كتبت الثلاثة الأولى منها سنة 427، والرابع سنة 428هـ، وهي في مكتبة مراد مُلاَّ باستانبول، وعلى الصفحة الأولى من الجزء الأول من هذه النسخة: هذا الكتاب وهو **الحجة** لأبي علي الفارسي أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون المصري النحوي.

وعلى الجانب الأيمن من هذه الأسطر الثلاثة كتب رأسيا في ثلاثة أسطر:

هذا خط علي بن جعفر بن الحسين بن البويني النحوي[2] رحمه الله.

ويلي ثلاثة الأسطر الأفقية السابقة عنوان الكتاب في ستة أسطر هكذا:

الجزء الأول من كتاب الحجة.

للقرأة السبعة قراء الأمصار.

بالحجاز والعراق والشام الذين.

ذكرهم أبو بكر بن مجاهد.

تصنيف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي رحمه الله ورضي عنه[3].

وفي هذا النص الأخير جاء التصريح بعنوان الكتاب كاملا، وهو: كتاب الحجة للقرأة السبعة قراء الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد، وما عداه إنما هو اجتزاء أو اختصار.

على أن التحقيق الأول للحجة لأبي علي سنة 1385هـ- 1965م من طرف كل من: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي –محققي – أثبتوا تسميته بـ: (الحجة في علل القراءات السبع)، دون أن يبرروا وجه هذه التسمية.

في حين رجح الباحث: كامل مصطفى الهنداوي –المعلق على الكتاب– تسميته بـ: (الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد)؛ وعزا ذلك إلى ما ثبت على غلاف الأجزاء الثلاثة الأخيرة من نسخة مراد ملا المنسوخة بخط طاهر بن غلبون[4].

---

[1] هو أبو الحسن، طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك، المقرئ الحلبي، ثم المصري، يقول الأمام الدّانيّ فيه: "لم يُرَ يُرَ في وقته مثله في فهمه وعلمه، مع فضله وصدق لهجته، كتبنا عنه كثيراً"، توفي سنة 399هـ. معرفة القراء الكبار، الذهبي: 369/1، طبقات الشافعية الكبرى، 388/3، غاية النهاية، ابن الجزري، 307/1 والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 62/1.

[2] لم أقف على ترجمته.

[3] الحجة في علل القراءات السبع، ص35- 36.

[4] مقدمة الحجة للقراء السبعة، كامل مصطفى الهنداوي، ص21.

وعلى كلٍّ ليس هناك كبير فرق بين ما هو ثابت على غلاف النسخة الثانية وبين ما اختاره الباحث مصطفى كامل الهنداوي؛ مما يجعل الركون إلى التسمية الثانية أقرب لثبوتها، ويبدو أنها الأنسب للكتاب، ولا مبرر للعدول عنها إلى غيرها. مع الأخذ بعين الاعتبار احتمال كون التسمية بالحجة من عمل المتأخرين؛ فلعلها جاءت متأخرة عن تأليف الكتاب، يدل على ذلك أن أبا علي رحمه الله لم يقدم كتابه لعضد الدولة باسم الحجة، وإنما قدمه بهذه العبارة: "فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد"[1].

وابن خالويه رحمه الله لم يصرح في مقدمة كتابه إلى تسمية "الحجة"، وإن أشار إلى أن كتابه في الاحتجاج. يقول: "فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع... إلى أن قال: وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم"[2].

الفرع الثاني: توثيقه

بلغ "كتاب الحجة للقراء السبعة" حدّ الإجماع، بحيث لا يعتري نسبته للإمام أبي علي الفارسي رحمه الله أدنى شكّ، فكلّ من ترجم لكتب القراءات أو اللغة وتحدث عنها صنَّف هذا الكتاب في فن القراءات ونسبه إلى الإمام أبي الحسن.

هذا النقل المتواتر لنسبة الكتاب جعل اسم الكتاب ومؤلفه مرتبطين ببعضهما البعض، فإذا ذكر اسم الإمام أبي علي الفارسي رحمه الله ذكر معه اسم كتاب الحجة ، وإذا ذكر اسم كتاب الحجة ذكر معه اسم الإمام أبي علي رحمه الله.

ومن أمثلة ذلك:

4- قول الإمام ابن الجزري في النشر: "قال الأستاذ أبو علي الفارسي في كتاب الحجة في قول ابن مجاهد: هذا إن كان يريد بالمدِّ ألف تفاعل وإسقاط العين واللام فهذا الحذف غير مستقيم"[3].

وبالمقارنة مع النصِّ الذي معنا نجد الكلام نفسه[1] في توجيه قول الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭽ [الشعراء: ٦١].

---

[1] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

[2] الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط6، 1417هـ- 1996م، 61- 62.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1/ 370.

5- وقال في البرهان: "قال الفارسي في الحجة: وأما قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[ص: ٨٤] فالحق والحق أقول": فالأول قسم بمنزلة (والحق)، وجوابه (لأملأن) وقوله: (والحق أقول) توكيد للقسم..."[2].

ويتطابق هذا تماما مع النص الذي معنا في (كتاب الحجة)[3].

6- وقال الآلوسي في تفسيره: "وقرأ نافع وابن عامر وابن ذكوان والأعرج وشيبة وأبو جعفر (هِيتَ) بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة وتاء مفتوحة، وحكى الحلواني عن هشام أنه قرأ كذلك إلا أنَّه همز، وتعقب ذلك الدَّاني تبعاً لأبي علي الفارسي في الحجة"[4].

والحديث نفسه نجده في (الحجَّة)؛ إذ يقول في خلف (هئت): "وأما ما رواه الحلواني عن هشام (هئتَ) مهموزا بفتح التاء، فهو يشبه أن يكون وهما من الراوي..."[5].

الفرع الثالث: تاريخه

هذا المصنَّف واحد من المصنَّفات التي قدَّمها أبو علي لعضد الدولة الذي كان يعتبر نفسه غلاما في النحو لأبي علي الفسوي[6]، ونص مقدمة الكتاب التي صدرها بالإجلال والدعاء تدل على ذلك؛ إذ يقول: " صدَّر فيها كلمة الإجلال والدعاء لعضد الدولة؛ لأن هذا المصنَّف –كما تقدم- واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له[7]؛ إذ يقول: "أما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك السيد الأجل المنصور، ولي النعمة، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العزة والبسطة والسلطان، وأيّدَه بالتوفيق والتَّسديد، وعضَده بالنَّصر والتَّمكين"[8].

---

[1] الحجة للقراء السبعة، 3/ 222.

[2] البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1391هـ، 3/ 45.

[3] الحجة للقراء السبعة، 3/ 336- 337.

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي –بيروت، د.ط.ت، 12/ 212.

[5] الحجة للقراء السبعة، 2/ 444.

[6] معجم الأدباء، 2/ 812 ووفيات الأعيان، 2/ 80.

[7] ومن المصنفات التي صنفها أبو علي لعضد الدولة كتابي الإيضاح والتكملة. انظر: سير أعلام النبلاء، 16/ 249 ووفيات الأعيان، 4/ 51.

[8] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

وواضح من هذا النصِّ أن أبا علي إنما ألف هذا الكتاب بعد سنة 367هـ[1]؛ وهي السنة التي لُقب فيها عضد الدولة بتاج الملة وقبل سنة 372هـ[2]؛ وهي السنة التي توفي فيها عضد الدولة.

وقد كان شائعا في عصر أبي علي تخصيص العلماء بتآليف للملوك والحكام، وكانت أكرم هدية يقدمها هؤلاء العلماء ما ينتجونه من عصارة قرائحهم وأفكارهم، وكان كتاب الحجَّة أيضا مما أهداه أبو علي للصاحب بن عباد[3] وأجاز له أن يرويه عنه؛ إذ جاء في معجم الأدباء ما نصه: "قرأت بخط سلامة بن عياض النحوي ما صورته: وقفت على نسخة من كتاب الحجة لأبي علي في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالرّيّ في دار كتبها التي وقفها الصاحب بن عباد رحمه الله، وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته هذه: أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل، أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه. كتاب في قراء الأمصار الذين بيّنت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة، فما تضمن من أثر وقراءة ولغة، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل –أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه– حكاية شيء منه عنهم أو عني لهذه المكاتبة فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطِّه"[4].

والاحتجاج للقراءات القرآنية –كما سيأتي قريبا– دراسة قرآنية جليلة الشأن، يراد بها توثيق القراءات، ونفي الشبه عنها ودفع الشك في سلامتها.

وكتاب الحجة إلى جانب كونه مصدرا جليلا من مصادر تراثنا الثر في اللغة، والنحو، والصرف، ومسائل الخلاف، والشواهد، والأصوات ومسائل الخلاف –إلى جانب ذلك– يعد في موضوعه طورا زكيا من أطوار الاحتجاج لقراءات الأئمة السبعة.

---

[1] الكامل، ابن الأثير، 8/ 452.

[2] تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة –مصر، ط1، 1371هـ-1371هـ- 1952م، 1/ 409.

[3] هو: أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس، كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه. أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي. قال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه: ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوِّ محله في العلم والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، وتوفي سنة 385هـ بالري ثم نقل إلى أصبهان. انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 3/ 225، والنجوم الزاهرة، 4/ 169.

[4] معجم الأدباء، 2/ 813.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب ومضامينه

يتضمَّن هذا المطلب حديثاً عن موضوع الكتاب وأفكاره الأساسية المتضمنة فيه، وذلك في فرعين.

الفرع الأول: موضوع الكتاب

يعتبر كتاب "الحجة للقراء السبعة" أجلّ آثار الإمام أبي عليّ، بل هي أجلّ الكتب المؤلفة في باب الاحتجاج للقراءات، وهي في بابها ككتاب سيبويه في بابه؛ من حيث اشتمالُهما على أصول علْمِهما وجُلِّ مادته، وغزارةُ النَّقل عنهما في كتب من بعدهما، واعتدادُ الناس بمذاهب صاحبهما، وحركةُ التصنيف التي قامت على كلٍّ منهما، حتى قيل: الحجة كتاب ليس له نظير في جلال قدرٍ واشتهارِ ذكرٍ[1].

يتناول الإمام موضوع الاحتجاج للقراءات السبعة وتوجيهها، ولا يخفى أن شرف العلم بشرف موضوعه، وعلم القراءات من أجلِّ العلوم وأشرفِها؛ إذ يُعنى موضوعُ علم القراءات بكلمات القرآن من حيث كيفيةُ أدائها، ومدى اتفاقها واختلافها معزوّة لقائليها، فحاز بنسبته إلى القرآن الكريم أسمى الشرف وأعظم المنزلة. كما أن علم التوجيه –كما سيأتي– يعتبر فنًّا جليلاً به تُعرف جلالة الألفاظ وجزالتها"[2]، وهو أيضا أداة مهمة، وعدة أساسية للمفسر والمتصدِّر للإقراء؛ فالمفسِّر يحتاج إليه في استنباط الأحكام، وترجيح بعض الوجوه على بعض[3]، والقارئ يحتاج إليه لمعرفة وجوه الوقف والابتداء الجائزة منها والممتنعة وغير ذلك.

وكتاب الحجة للفارسي –كما هو واضح من عنوانه – يذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله (السبعة في القراءات)، فموضوعه إذن تعليل قراءات القراء السبعة وتوجيهها؛ فقد عمد أبو علي إلى حشد قراءات السبعة الذين اجتباهم ابن مجاهد، واحتجَّ لها، ووثّقها، واستشهد لحروفها، وأثبت وجاهتها وصحتها، ووجَّهها وفق عيار العربية إن على المستوى اللغوي المعجمي أو الصرفي أو الصوتي أو

---

[1] ذيل تجارب الأمم، أبو شجاع، مطبعة شركة التمدُّن الصّناعيَّة، د.ط، 1334هـ، ص183.

[2] البرهان في علوم القرآن، 339/1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة، بيروت، د.ط، 1951م، 109/1.

[3] الإتقان في علوم القرآن، 226/1-227.

الدلالي البلاغي –كما سيتضح في حينه إن شاء الله–، والتمس لها الأدلة، وعلّلها عللا خفية بعيدة الغوْر، واجتلب لها النظائر، حتى جاءت بحراً تزَّاحم فيه العلوم: القراءات، والاحتجاجُ لها، واللغةُ، والتفسيرُ، وإعراب القرآن، والنَّحو، والعروض، والبلاغة، والأصوات، وفقه اللغة، ومعاني الشعر، والفقه وغيرها. وفي غضون ذلك تتوالى مسائل العربية التي أفاض أبو عليّ القول فيها، وأسلمته من موضوع إلى آخر.

ومعلوم أن ابن مجاهد رحمه الله هو أول من سبع القراءات[1] وأقنع الوزير ابن مقلة[2] على تثبيت قراءات السبعة ومنع ما عداها؛ تيمُّنا بقول النبي ρ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[3]. فأوحى كتابه هذا إلى العلماء –قبل أبي علي وبعده– بدراسات شتى تدور عليه أو تتصل به.

خ– فشرع أبو بكر محمد بن السرّي المتوفى سنة 316هـ في تأليف كتاب يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد، فأتم سورة الفاتحة، وجزءًا من سورة البقرة ثم أمسك[4].

د– وألف أبو طاهر عبد الواحد البزَّار المتوفى سنة 349هـ أكتاب الانتصار لحمزة[5].

ذ– وألف محمد بن الحسن الأنصاري المتوفى سنة 351هـ كتاب السبعة بعللها الكبير[6].

---

[1] إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة المقدسي، ت: إبراهيم عَطوة عوض، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، د.ط، د.ت، ص05، كشف الظنون، 2/ 1448.

[2] هو: علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور، كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس، وتنقلت أحواله إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله وخلع عليه، ثم استوزره الإمام القاهر بالله وخلع عليه، ولما ولي الراضي استوزره أيضا. ابتلي بالحبس وقطع يمناه، وكان ينوح على يده ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، ولما قدم بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين إلى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضا. كانت ولادته سنة 272هـ ببغداد، وتوفي سنة 326هـ رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان، 5/ 113- 117.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم: 4706، 4/ 1909. ومسلم في صحيحه، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم: 818، 560/1.

[4] انظر: خطبة الحجة للفارسي، 1/ 29.

[5] الفهرست، ص48.

[6] المصدر نفسه، ص50.

ر- وألف أبو بكر محمد بن الحسن بن مِقسم العطار المتوفى سنة 362هـ: كتاب احتجاج القراءات، كتاب السبعة بعللها الكبير، كتاب السبعة الأوسط وكتاب السبعة الأصغر[1].

ز- ويجيء بعد أبي علي الفارسي تلميذه ابن جني المتوفى سنة 392هـ، فيوحي إليه كتاب الحجة بالاحتجاج للقراءات الشاذة.

س- ثم توالت بعد ذلك التأليفات فيجيء الإمام مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ، ليؤلف كتابه الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها.

غير أن الذي يتميَّز به كتاب الحجة للفارسي في خضم حلقة هذه التآليف الكثيرة في كون الإمام يغوص فيه إلى الأعماق، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع أن يتابعه، ولا يستطيع أن يصل إلى الجوهر المنشود؛ فكثرة الاستطرادات وضخامة التعليلات قد تحول – أحيانا- بينه وبين ما يريد.

ومن هنا كان كتاب الحجة كتاباً لا يفهمه إلا القلة، ولا تهضمه إلا فئة خاصة تسلحت بما تسلح به أبو علي من عقلية منطقية، تؤمن بالقياس وتجري وراء العلة.

ويكفينا في هذا المقام شهادة تلميذه ابن جني؛ وهي شهادة على النفس، وأبو علي من ابن جني بمثابة الروح من الجسد.

يقول ابن جني في كتاب (المحتسب) ما نصه: "فإن أبا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء"[2].

وفي موضع آخر يقول: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة، فأغمضه وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدَّعي العربية، فضلاً عن القرَّاء، وأجفاهم عنه"[3].

وهؤلاء القراء السبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد وعمل أبو عليّ على الاحتجاج لقراءاتهم هم:

---

[1] المصدر السابق، ص49.

[2] انظر: مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

[3] المرجع نفسه.

ج–قراءة نافع المدني[1] في رواية إسماعيل بن جعفر[2]، والمسيبي[3]، وقالون[4] وورش[5] وخارجة بن مصعب[6].

ح–قراءة ابن كثير[7] في رواية قنبل[8] والبزّي[9].

---

[1] هو: أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، وكنيته أبو رُويم. أحد القراء الأعلام. أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة. وروى عنه القراءة إسماعيل بن جعفر وقالون وورش، وخلق كثير. أقرأ الناس دهراً طويلا يزيد عن سبعين سنة وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة. توفي سنة: 169هـ. غاية النهاية، 2/ 288- 289.

[2] هو: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولاهم، قرأ على شيبة بن نصاح ثم على نافع وعيسى بن وردان، روى عنه القراءة عرضا وسماعا الكسائيّ، والقاسم بن سلاّم، والدوري وغيرهم. توفي سنة: 180هـ. غاية النهاية: 1/ 163. معرفة القراء: 1/ 107.

[3] هو: إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد المسيَّبي المخزومي المدنيّ. إمام قيم في قراءة نافع، ضابط محقق فقيه. لأخذ القراءة عنه ولده محمد وخلف بن هشام ومحمد بن سعدان وغيرهم. توفي سنة: 206هـ. غاية النهاية: 1/ 157- 158. معرفة القراء، 1/ 143.

[4] هو: عيسى بن مينا الزرقي مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونحويها. يقال إنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه "قالون" وتعني في الرومية "جيِّداً" لجودته في القراءة. أخذ عنه القراءة عرضاً. وعرض على عيسى بن وردان. روى القراءة عنه مصعب بن إبراهيم وغيره. توفي سنة: 220. غاية النهاية، 1/ 542. معرفة القراء، 1/ 155.

[5] هو: أبو سعيد عثمان بن سعيد ورش المصري المقرئ، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو القاسم. ولد سنة: 110هـ. قرأ القرآن وجوّده على نافع عدَّة ختمات في حدود سنة 155هـ. لقّبه نافع بورش؛ لشدَّة بياضه، والورش: شيء يصنع من اللبن، ويقال لقّبه بالورشان: الطائر المعروف، وكان يعجبه ذلك. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالدّيار المصريّة في زمانه، وإليه تنسب رواية ورش. قرأ عليه أحمد بن صالح الحافظ، وداود بن أبي طيبة، وأبو يعقوب الأزرق، وغيرهم. وسمع منه عبد الله بن وهب وإسحاق بن حجَّاج وغيرهما. توفي سنة: 197هـ بمصر. انظر: معرفة القرَّاء الكبار: 1/ 153- 155. سير أعلام النبلاء: 9/ 295- 296. غاية النهاية: 1/ 446- 447.

[6] هو: خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبعي السرخسي، أخذ القراءة عن نافع و أبي عمرو وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه وروى أيضاً عن حمزة حروفاً، روى القراءة عنه العباس بن الفضل وأبو معاذ النحوي ومغيث بن بديل، توفي سنة 168هـ. غاية النهاية، 1/ 243، شذرات الذهب، 1/ 265.

[7] هو: عبد الله بن كثير أبو معبد الداري العطار الفارسي الأصل، إمام أهل مكة في القراءة وأحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا عرضا عن عبد الله بن السائب وعرض على مجاهد بن جبير. روى القراءة عنه إسماعيل القسط والخليل بن أحمد وغيرهما. كان فصيحا بليغا. توفي سنة: 120هـ. غاية النهاية، 1/ 398. معرفة القراء، 1/ 86.

[8] هو: محمد بن عبد الرحمن المخزومي بالولاء، أبو عمر المكّي الملقّب بقنبل، شيخ القراء بالحجاز. أخذ القراءة عرضا عن أحمد بن بن محمد النبال وخلفه بالقيام بها بمكة. وروى القراءة عن البزّي. روى القراءة عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وجماعة. توفي سنة: 291هـ. غاية النهاية، 2/ 146- 147. معرفة القراء، 1/ 230.

[9] هو: أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البزي الفارسي الأصل، مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام. قرأ على أبيه وعلى عبد الله الله بن زياد وعكرمة بن سليمان وغيرهم. روى عنه القراءة قنبل. وقرأ عليه جماعة. توفي سنة: 250هـ. غاية النهاية، 1/109- 110. معرفة القراء، 1/ 173.

خ–وابن عامر[1] في رواية ابن ذكوان[2] وهشام[3].

د– وعاصم[4] في رواية المفضل الضبي[5]، وحفص[6]، وأبي بكر[7] من طريق الأعشى[8] ويحيى بن آدم[9] آدم[9] عنه.

---

[1] هو: عبد الله بن عامر اليحصبي، إليه انتهت مشيخة الإقراء بالشام وأحد القراء السبعة. قرأ –في أصح الأقوال– على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي. روى عنه القراءة عرضا أخوه عبد الرحمن بن عامر، و يحيى بن الحارث الزماري وغيرهما. تولى إمامة الجامع بدمشق وائتم به الخليفة عمر بن عبد العزيز.توفي سنة: 118هـ. غاية النهاية، 1/ 380 ومعرفة القراء، 1/ 82.

[2] هو: أبو عمر عبد الله بن أحمد الفهري الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، وقرأ وقرأ على الكسائي، ورى الحروف سماعا عن إسحاق بن المسيبي عن نافع. أخذ القراءة عنه هارون الأخفش وغيره. توفي سنة: 245هـ. غاية النهاية: 1/ 404 ومعرفة القراء، 1/ 365.

[3] هو: هشام بن عمّار أبو الوليد السُّلمي الدمشقي. أخذ القراءة عرضا عن أيوب بن تميم، وعراك بن خالد وغيرهما. روى القراءة عنه أبو عيد القاسم، وأحمد بن يزيد الحلواني وغيرهم. ارتحل الناس إليه في القراءات والحديث. توفي سنة: 245هـ. غاية النهاية، 2/ 308- 309 ومعرفة القراء، 1/ 195.

[4] هو: أبو بكر عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الحناط الكوفي مولى بني أسد، أحد القراء السبعة، شيخ الإقراء بالكوفة. أحسن الناس صوتا بالقرآن. أخذ القراءة عن زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهما. روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وحفص بن سليمان، وشعبة بن عياش، والمفضل الضبي وغيرهم. روى عنه أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد وحمزة الزيات. توفي سنة: 129هـ. غاية النهاية، 1/ 315- 316 ومعرفة القراء، 1/ 88.

[5] هو: المفضل بن محمد أبو محمد الضبي الكوفي إمام مقرئ نحوي. أخذ القراءة عن عاصم والأعمش. روى القراءة عنه علي بن حمزة الكسائيّ وجبلة بن مالك. توفي سنة: 168هـ. معرفة القراء، 1/ 131.

[6] هو: حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزار. أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم وكان ربيبه وابن زوجته، زار بغداد بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها. روى القراءة عنه عرضا وسماعا عمرو بن الصباح، عبيد بن الصباح وغيرهما. توفي سنة: 180هـ. غاية النهاية، 1/ 229- 230 ومعرفة القراء، 1/ 140.

[7] هو: شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الكوفي الإمام المعلم راوي عاصم. عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات. عرض عليه أبو أبو يوسف يعقوب الأعشى ويحيى بن آدم وغيرهما. توفي سنة: 193هـ. غاية النهاية، 1/ 259- 260 ومعرفة القراء، 1/134- 135.

[8] هو: يعقوب بن محمد بن خليفة أبو يوسف الأعشى التميمي الكوفي. أخذ القراءة عرضا عن أبي بكر بن عياش. روى القراءة عنه عرضا وسماعا محمد بن حبيب الشموني وغيره. توفي سنة: 200هـ. غاية النهاية، 2/ 390 ومعرفة القراء، 1/ 159.

[9] هو: يحيى بن آدم بن زكريا الصلحي. روى القراءة عن أبي بكر بن عياش سماعا روى القراءة عنه الإمام أحمد بن حنبل، وخلف بن هشام البزار وغيرهما. توفي سنة: 203هـ. غاية النهاية، 2/ 239 ومعرفة القراء، 1/ 166.

هـ- أبو عمرو[1] في رواية عبد الوارث التنوري[2] وأبي شعيب السوسيّ[3] عن اليزيدي[4] عنه.

و- حمزة[5] في رواية خلف[6] وأبي هشام[7] عن سليم[8].

---

[1] هو: زبّان بن العلاء أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة، وأحد أئمة اللغة والأدب. ليس في القراء السبعة أكثر شيوخا منه، سمع أنسا بن مالك، وقرأ على الحسن البصري وحميد الأعرج، ومجاهد وعاصم وابن كثير وغيرهم. روى القراءة عنه عرضا وسماعا يحيى بن المبارك اليزيدي، وينس بن حبيب وسيبويه وغيرهم. توفي سنة: 155هـ. غاية النهاية، 1/ 262- 263 ومعرفة القراء، 1/ 100.

[2] هو: عبد الوارث بن سعيد أبو عبيدة العنبري مولاهم التنوري البصري، مقرئ وحافظ ومحدث البصرة بعد حماد بن زيد، ولد سنة سنة اثنتين ومائة. قال الواقدي وابن المثنى والمدائني توفي في المحرم بالبصرة سنة: 180هـ. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1410هـ، 1/ 407. شذرات الذهب، 1/ 293. العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1948م، 1/ 276.

[3] هو: صالح بن زياد أبو شعيب الرقّي مقرئ ضابط. أخذ القراءة عرضا وسماعا على اليزيدي. روى القراءة عنه أبو الحارث محمد بن أحمد الرقي وغيره. توفي سنة: 261هـ. غاية النهاية، 1/ 302 ومعرفة القراء، 1/ 193.

[4] هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد العدوي البصري، نحوي مقرئ. أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو بن العلاء وخلفه بالقيام بالقيام بها، وأخذ عن حمزة. روى القراءة عنه أولاده: محمد وعبد الله وإبراهيم وغيرهم، والسوسي والدوري وغيرهما. توفي سنة: 202هـ بمرو. غاية النهاية، 2/ 375 ومعرفة القراء، 1/ 151.

[5] هو: حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن سليمان الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن أبي ليلى وغيرهم. انتهت إليه الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش في الكوفة. قرأ عليه الكسائي وسليم بن عيس وجماعة. توفي سنة: 156هـ. غاية النهاية، 1/ 236 ومعرفة القراء، 1/ 111.

[6] سقت ترجمته، ص 17.

[7] هو: محمد بن يزيد بن رفاعة العجلي أبو هشام الرفاعي الكوفي القاضي أحد العلماء المشهورين، قرأ على سليم وسمع الحروف من من حسين الجعفي ويحيى بن آدم وأبي يوسف الأعشى والكسائي وضبط حروفا عن أبي بكر بن عياش، قال أبو عمرو الداني وله عن هؤلاء شذوذ كثير فارق فيه سائر أصحابه وله كتاب جامع في القراءات روى عنه القراءة موسى بن إسحاق القاضي وعلي بن الحسن القطيعي وأحمد بن سعيد المروزي، كما روى عن أبي بكر بن عياش وحفص بن غياث والمطلب بن زياد وابن فضيل وطائفة. قال البخاري رأيتهم مجمعين على ضعفه. مات في آخر يوم من شعبان ببغداد وكان قاضيا عليها سنة 248هـ. معرفة القراء الكبار، 1/ 224 وما بعدها، سير أعلام النبلاء، 12/ 153.

[8] سليم بن عيسى بن سليم ابن عامر بن غالب أبو عيسى ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرىء صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته به وأحذقهم بالقراءة وأقومهم بالحرف وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة، قرأ عليه خلف بن هشام البزار وخلاد بن خالد الصيرفي وأبو عمر الدوري ومحمد بن يزيد والطيب بن إسماعيل وعلي بن كيسة المصري وطائفة، ولد سنة 130هـ. سمع الحديث من حمزة وسفيان الثوري، سمع منه أحمد بن حميد وضرار بن

ز- الكسائي[1] في رواية أبي عُمر الدُّوري[2]، وأبي الحارث[3]، ونصير[4] وقتيبة[5].

الفرع الثاني: مضامينه

يمكن القول أن "كتاب الحجة للقراء السبعة" للإمام أبي علي الفارسي رحمه الله قد اشتمل على مقدمة عقبتها الدراسة، ثم خاتمة.

4- أما المقدّمة فقد تضمنت -بعد الحمدلة والصلاة- ثلاثة أفكار:

الأولى: صدَّر فيها كلمة الإجلال والدعاء للسلطان عضد الدولة؛ لأن هذا المصنَّف -كما تقدم-واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له[6]؛ إذ يقول: "أما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك

صرد وقال يحيى بن سليمان الجعفي حدثنا يحيى بن المبارك قال كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب فإذا جاء سليم قال لنا حمزة تحفظوا وتثبتوا قد جاء سليم. قال وتوفي سنة 188 وقيل سنة 189هـ. معرفة القراء الكبار، 1/ 138 وما بعدها.

[1] هو: علي بن حمزة الأسدي، أحد القراء السبعة والذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة، أخذ القراءة عن حمزة وعليه اعتماده وعن أبي بكر بن عياش وعن إسماعيل بن جعفر وعن المفضل الضبي. أخذ القراءة عنه حفص الدوريّ وقتيبة وخلف بن هشام وغيرهم. توفي سنة: 189هـ. غاية النهاية: 1/ 474 وما بعدها ومعرفة القراء، 1/ 120.

[2] هو: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان، أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي، قرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً. قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع، وقرأ أيضاً عليه، وعلى أخيه يعقوب بن جعفر عن ابن جماز عن أبي جعفر، وسليمان عن حمزة، ومحمد بن سعدان عن حمزة وعلى الكسائي لنفسه. روى القراءة عنه أحمد بن حرب شيخ المطوعي، وأحمد بن فرج. توفي في شوال سنة 246هـ. غاية النهاية، 1/ 230- 232.

[3] هو: الليث بن خالد البغدادي. عرض القراءة على الكسائي، وهو من جلة أصحابه. وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، وعن اليزيدي. روى عنه القراءة عرضا وسماعا سلمة بن عاصم صاحب الفراء وغيرهم. غاية النهاية، 2/ 33 ومعرفة القراء: 1/ 211.

[4] هو: نصير بن يوسف أبو المنذر الرازي ثم البغدادي النحوي. أخذ القراءة عرضا عن الكسائي وهو من جلة أصحابه وله عنه نسخة وأبي محمد اليزيدي. روى عنه القراءة محمد بن عيسى الأصبهاني وعلي بن أبي نصر النحوي وغيرهما. مات في حدود 240هـ. غاية النهاية، 2/ 297 ومعرفة القراء، 1/ 213.

[5] هو: قتيبة بن مهران أبو عبد الرحمن الأزاذاني قرية من أصبهان. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن الكسائي وإسماعيل بن جعفر. روى القراءة عنه عرضا وسماعا أبو بشر يونس بن حبيب وغيره. توفي بعد 200هـ. غاية النهاية، 2/ 24- 25. معرفة القراء، 212/1.

[6] ومن المصنفات التي صنفها أبو علي لعضد الدولة كتابي الإيضاح والتكملة. انظر: سير أعلام النبلاء، 16/ 249. وفيات الأعيان، 4/ 51.

السيد الأجل المنصور، ولي النعمة، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العزة والبسطة والسلطان، وأيّدَه بالتوفيق والتَّسديد، وعضَده بالنَّصر والتَّمكين "[1].

والفكرة الثانية: فقد أوضح فيها المصنِّف موضوع كتابه، والمتمثل في ذكر أوجه الاحتجاج وتعليل القراءات المختلفة للقراء السبعة في مختلف الأمصار الذين أثبتهم أبو بكر بن مجاهد في "سبعته"، كل ذلك على الصحيح الذي ثبتت روايته عنه، وهذا الأمر في غاية الأهمية يصدّر به أهل القراءات كتبهم ويحرصون عليه؛ ذلك أن مدار أخذ القراءة على المشافهة، والعرض على الشيوخ، والسماع منهم، ولا يخفى أن أهمَّ أركان القراءة الصحيحة صحة السند إلى النبي ρ؛ الأمر الذي جعل الإمام أبا علي رحمه الله حريصا في هذا الفن على ذكره كغيره من القراء؛ فيقول: "فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام، بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه، وأخذنا عنه"[2].

أما الفكرة الثالثة: فقد أشار إلى عمل أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السَّرَّاج (ت316هـ) قبله، إذ سبقه إلى هذا العمل لما شرع في تأليف كتاب يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد، فأتم سورة الفاتحة، وجزءًا من سورة البقرة ثم أمسك، وأما عمل أبي علي فهو الإفادة منه مع الإسناد إليه؛ لأن الإسناد من الدين[3]، والذي يقرأ كتاب الحجة يجد أبا علي يستشهد به كثيرا، وفي كل مرة يذكر: قال أبو بكر بن محمد بن السري. يدل على هذه الفكرة قول أبي علي رحمه الله: "وقد كان أبو بكر بن محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتدأ بإملائه، وارتفع منه تبييض ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم، وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا، وإلى الله أرغب في تيسير ما قصدته، والمعونة عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[4].

---

[1] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

[2] خطبة الحجة.

[3] من قولة عبد الله بن المبارك المشهورة: " الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء". انظر: التعديل والتجريح، سليمان بن خالف، أبو الوليد الباجي، ت: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع –الرياض، ط1، 1406هـ- 1986م، 1/ 291 وتذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر بن القيسراني، ت: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، ط1، الرياض، 1415هـ، 3/ 1054.

[4] انظر: خطبة الحجة للفارسي، 1/ 29.

5- وبعد تلك المقدّمة الموجزة شرع المصنف رحمه الله مباشرة في موضوع الدراسة، والمتمثل في عرض فرش الحروف[1]؛ وذلك في أربعة أجزاء، بدأ فيها بسورة الفاتحة وانتهى إلى سورة الناس.

ففي الجزء الأول بدأ بـ [سورة الفاتحة] إلى [الآية: 246] من أواخر [سورة البقرة].

ومن أول [سورة آل عمران] إلى آخر [سورة يوسف] في الجزء الثاني.

وأما الجزء الثالث فعرض فيه أحرف الخلاف في [سورة الرعد] إلى [الآية: 37] من [سورة الطور].

وختم كتابه في الجزء الرابع من [سورة النجم] إلى آخر [سورة الناس].

6- وبعد الرحلة الطويلة والدراسة العميقة التي خاضها أبو علي في "الحجة"، اكتفى أبو علي بختام كتابه بقوله: "والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيِّه محمد وعلى أهله وسلامه"[2].

المطلب الثالث: أهمية الكتاب ومنزلته

لا تخفى قيمة كتاب "الحجة" بين سلسلة المصنفات العظيمة في علم القراءات عموما، وفي فن توجيه القراءات وتعليلها خصوصا؛ ذلك أن ظهور هذا الكتاب يُعدُّ فتحاً كبيراً في مجال القراءات وفن الاحتجاج لها. فمؤلِّفه شخصية من أبرز الشخصيات في علم القراءات أداءً وتدريساً وأستاذيّةً وتأليفاً، ومؤلَّفه "الحجة" طبقت شهرته الآفاق وانتفع به القرّاء والنحويون والمؤلّفون؛ لما يتميّز به من سلامة في المنهج واستيعاب للأحكام. وتتجلى مظاهرها في:

أولا: كونه من أوائل المصنفات التي شرحت كتاب "السبعة" لابن مجاهد، وذلك من شأنه أن يسبغ عليه ثوب المهابة والتقدير؛ إذ من المعلوم الذي لا يخفى أن ابن مجاهد كان صاحب الفضل والسبق في انتخابه لقراء الأمصار وتسبيع قراءاتهم، فحاز كتاب "الحجة" شرف النسبة.

---

[1] القراء يسمّون ما قلّ دوره في القرآن من حروف القراءات المختلف فيها "فرشاً"؛ لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السور فهي كالمفروش بخلاف الأصول؛ لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع. وسمى بعضهم الفرش فروعاً مقابلة =للأصول. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، عليّ بن عثمان بن الحسن القاصح البغدادي، دار الفكر، بيروت، د.ط.ت، ص184.

[2] الحجة، 4/ 161.

ثانيا: إن الثروة العلمية الزاخرة بألوان المعارف المختلفة، من علوم العربية وعلوم القرآن والقراءات وغيرها في الكتاب لَتدلُّ على قمَّة النضج العلمي لمؤلِّفه وعصره، كما تدل على الشخصية العلمية الموسوعية الفذة التي اتسم بها.

ثالثا: إن أبرز ما يميز كتاب "الحجة" أنه عرض لتوجيه القراءات السبع بالتفصيل، فهو يغوص في الإعراب والتعليل وتوضيح المعنى المترتِّب على القراءة، ولا يدع حرف الخلاف إلا بعد أن يسوق له من الشواهد والأدلة الكثيرة ما يجليه ويرفع اللَّبس عنه، وإن أدَّت كثرة الاستطرادات – أحيانا– إلى إغماضه ومجافاته، فإن الدرر الغزيرة التي يظفر بها من يصبر عليه كثيرة ونفيسة.

رابعاً: كما يتميز الكتاب باستخدام القياس؛ فهو يعج بالكثير من التعليلات والقياسات المنطقية، ولعل أبا علي درس المنطق والتقى ببغداد مُتَّى بن يونس الحكيم[1]؛ فقد كان شيخا كبيرا، يقرأ الناس عليه فن المنطق، وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ويجتمع في حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه[2]. ولا شك أن استخدام القياس والعلل يجعل صاحبه يتمتع بشخصية منطقية متزنة، وتجعل مؤلَّفه في مصافِّ الكتب.

خامساً: إضافة إلى ما سبق، فقد حظي كتاب "الحجة" بإجازة العلماء له؛ فقدَّروه حق قدره، وأثنوا عليه وشُغلوا به يتدارسونه ويختصرونه ولاسيما أهل الأندلس[3]، زيادة على ذلك ما جاء في ذيل تجارب الأمم: "صُنِّف في أيام عصر الدولة المصنفات الرائعة في أجناس العلوم المتفرقة، فمنها كتاب الحجة في القراءات السبع، وهو كتاب ليس له نظير في جلالة قدر واشتهار ذكر"[4]. وذكر الدكتور شلبي أنه قد جاء في صحيفة الأهرام: "ألقى الدكتور بشر فارس في قاعة المجمع العلمي المصري محاضرة ضمنها نصا عربيا قديما في كتاب مخطوط ألفه أبو علي الفارسي من أئمة العربية والمسلمين في القرن الرابع الهجري، خصصه لبحث مسألة التصوير في الإسلام، مصرحا بأنه جائز بإجماع لا يقترح فيه اعتراض الآحاد، والحظر فيه مقصور على تصوير الله عز وجل تصوير الأجسام، فأما غير ذلك من التصاوير للأحياء فليس محظورا، وقد طلب كثير من الأدباء المستمعين طبع هذه

---

[1] تقدمت ترجمته، ص16.

[2] وفيات الأعيان، 5/ 153.

[3] انظر: ص29 من هذا البحث.

[4] ذيل تجارب الأمم، نقلا عن: أبي علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المطبوعات الحديثة، السعودية، ط3، 1989م، ص252.

المحاضرة إذاعة لذلك النص الفريد المفيد، وتعزيزا للنهضة الفنية في الشرق الحديث، فوعدوا بإجابة طلبهم"[1]. وقد علق الدكتور شلبي على هذا النص قائلا: "وقد يكون الباعث على ذلك، توجيه الناس إلى نص من نصوص أبي علي بحسم الخلاف في جواز التصوير"[2].

سادساً: اعتنى ابن الجزريّ رحمه الله بهذا الكتاب فجعله أصلاً من أصول كتابه العظيم "النشر في القراءات العشر"، يعزو إليه من حين لآخر. كما تأثر به ابن جني، وأوحى إليه كتابه "الحجة" بتصنيف "المحتسب"؛ فنقل عنه وروى مما أنشده إياه من شواهد، وما أخذه عنه من أصول.

المطلب الأول: مقارنة كتاب الحجة بكتاب السبعة لابن مجاهد

لا يخفى أن كتابي "السبعة" لابن مجاهد و "الحجة" لأبي علي مختلفان في موضوع الدراسة، ولا تتأتى المقارنة بين كتابين مختلفين في الموضوع. غير أن العلاقة الوطيدة بينهما تفرض –على الأقل– الإشارة إلى الملامح العامة للمصدر الذي استقى منه أبو علي مادته العلمية وشرحه لكتاب "السبعة" لابن مجاهد، وذلك بعد التعريف بالمصنِّف.

الفرع الأول: التعريف بمؤلِّف كتاب السبعة

هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس؛ ابن مجاهد[1] شيخ العصر أبو بكر البغداديّ العطشيّ المقرىء، كان واحد عصره غير مدافَع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن حسَنَ الأدب رقيق الخلق كثير المداعبة ثاقب الفطنة جوادا، آخر من انتهت إليه الرياسة بمدينة السلام في عصره. ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين.

---

[1] المرجع السابق، ص353- 354.

[2] المرجع نفسه، ص254.

[1] انظر ترجمته: غاية النهاية، 1/ 128-130، ومعرفة القراء الكبار، 1/269- 272، وتاريخ بغداد، 144/5 وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى، 57/3 وما بعدها والفهرست، لابن النديم، 47/1.

قرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس وقنبل المكيّ، كما أكبّ على طلب العلوم اللغوية والشرعية منذ نعومة أظفاره، وأقبل على أساتذة النحو الكوفيين يأخذ ما عندهم. وفي كتابه "السبعة" بعض اصطلاحات النحو الكوفي. كما أنه لم يألُ جهدا في طلب الحديث النبوي ومعرفة الآثار، وأكبّ إكباباً منقطع النظير على قراءات القرآن وتفسيره ومعانيه وإعرابه وروايات حروفه وطرقها، وقد سمع القراءات من طائفة كبيرة مذكورين في صدر كتابه، أسعفه في ذلك حافظة واعية لا يرتسم فيها شيء إلا يثبت وكأنما يُحفَر فيها حفراً، كما ساعده ذكاء وقّاد ومعرفة واعية بالرواة والقرّاء على مرّ الأيام من زمن رسول الله ρ إلى زمانه.

وتصدَّر للإقراء وازدحم عليه أهل الأداء ورجل إليه من الأقطار وبعُد صيتُه، وظلَّ قبل وفاته بنحو أربعين عاما وخلائقُ لا تكاد تُحصى تتحلَّق من حوله، وتأخذ عن لفظه كتاب الله.

قرأ عليه: أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم وصالح بن إدريس وأبو عيسى بكَّار بن أحمد وأبو بكر الشذائيّ وأبو الفرج الشنبوذيّ وأبو الحسين عبيد الله وغيرهم كثير.

قال أبو عمرو الدانيّ: "فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسكه تصدر للإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائيّ الصغير"، وقال عبد الواحد بن أبي هشام: "سأل رجل ابن مجاهد لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفا يحمل عنه فقال نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا".

وتوفي رحمه الله في محبسه بدار السلطات يوم الأربعاء لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ودفن في تربة في حريم داره بسوق العطش ثاني يوم موته، بعد أن كان الوزير أبو عليّ بن مقلة ضربه أسواطاً، فدعا عليه بقطع اليد فاتفق أن قطعت يده، وهذا من عجيب الاتفاق.

روى الإمام قراءات كثيرة وله كتب مصنفة، منها: كتاب "القراءات الكبير"، كتاب "القراءات الصغير"، كتاب "الياءات"، كتاب "الهاءات"، كتاب "قراءة أبي عمرو"، كتاب "قراءة ابن كثير"، كتاب "قراءة عاصم"، كتاب "قراءة نافع"، كتاب "قراءة حمزة"، كتاب "قراءة الكسائي"، كتاب "قراءة ابن عامر" وكتاب "قراءة النبي ρ ".

ومن كلامه وفوائده قال: "من قرأ لأبي عمرو وتمذهب للشافعي واتجر في البزّ وروى شعر ابن المعتز فقد كمل ظرفه".

الفرع الثاني: التعريف بكتاب السبعة

كتاب "السبعة في القراءات" للإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، المتوفى سنة أربعة وعشرين وثلاثمائة للهجرة، وبه اشتهر الإمام ابن مجاهد رحمه الله، وهو أول وأصحّ كتاب يُصنَّف في القراءات السبعة.

وقد طُبع كتاب السبعة في كتاب بتحقيق الدكتور: شوقي ضيف في طبعته الثانية –منقحة– عن دار المعارف –كورنيش النيل بالقاهرة– في أول شوال عام 1400هـ، وهي الطبعة الوحيدة التي وقفت عليها واعتمدت عليها في بحثي، وهي تقع في حوالي 759 صفحة.

وقد قسَّم المحقق دراسته إلى قسمين:

أ– قسم دراسي: وتناول فيه دراسة موجزة لحياة المصنف الإمام ابن مجاهد رحمه الله ثم تناول دراسة كتابه السبعة وأهميته ومنهجه فيه.

ب– قسم للتحقيق: اعتمد الباحث فيه على النسخة الأصلية التركية المحفوظة بمكتبة الفاتح، وقف إبراهيم في إستانبول برقم:69. وكان يقابلها بالنسخة التونسية –مصورة عن الأصلية– ، وكذا بالنسخة العتيقة المتضَمَّنة في كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسي؛ معتمدا في ذلك على الجزء الأول المطبوع من كتاب "الحجة"، وعلى مصورة مكتبة جامعة القاهرة حتى سورة الزخرف، وعلى مصورة دار الكتب المصرية المأخوذة عن نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية حتى نهاية الكتاب.

الفرع الثالث: الملامح العامة لمنهج كتاب "السبعة"

تظهر الملامح العامة للمصدر الذي استقى منه أبو علي مادته العلمية وشرحه لكتاب "السبعة" لابن مجاهد ومنهجه فيه في الآتي:

ح– **المقدمة**: لقد قدَّم ابن مجاهد رحمه الله نبذة مختصرة عن اختلاف القراءات، مصدِّراً ذلك بمقدمة يبين فيها موضوع الكتاب وعمله فيه، قائلا: "اختلف الناس في القراءة، كما اختلفوا في الأحكام، ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين، وبعض ذلك قريب من بعض. وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودال على الأئمة منهم، ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام، وشارح مذاهب أهل القراءة ومبين اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله، وإياه أسأل التوفيق بمنِّه"[1].

خ– ثم بين صفات القارئ الثقة وما ينبغي أن يتحلى به من يتصدر للإقراء، مشيراً إلى

[1] السبعة في القراءات، ص45.

توقيفية القراءة وعدم توفيقيتها؛ إذ القراءة سنة متبعة لا يسوغ فيها الاجتهاد والابتداع.

د- من حيث التعريفُ بالأئمّة القراء وذكر الأسانيد والطرق:

كما اهتم ابن مجاهد بذكر أئمة القراء وأنسابهم وأساتذتهم وتلاميذهم؛ فكان قبل ذكر الرواة عن القراء يذكر نسب المقرئ[1]، ويقف مليّاً عند أساتذته وأهم تلامذته، ذاكرا أسانيدهم وطرقهم للرواية، مرتبا إياهم على حسب الأمصار التي أقرؤوا فيها. فكان البدء بقراءة "نافع"؛ تبرُّكا بمدينة رسول الله ρ، حيث صرّح ابن مجاهد بذلك قائلا: "فأوّل من أبتدئ بذكره من أئمة الأمصار من قام بالقراءة بمدينة رسول الله ρ وإنما بدأت بذكر أهل المدينة؛ لأنها مُهاجَر رسول الله ρ ومعدن الأكابر من صحابته، وبها حُفظ عنه الآخر من أمره. فكان –نافع– الإمامَ الذي قام بالقراءة بمدينة رسول الله ρ بعد التابعين"[2].

ذ- من حيث منهجيةُ تقسيم الكتاب إلى أصول وفرش:

ثم ركز الحديث عن الخلاف بين القراء؛ وذلك في قسمين رئيسين:

- قسم الأصول:

تعرف الأصول بأنها: انسحاب حكم الحرف الواحد على جميع القرآن[3]. أو هي: الحكم الكلي الجاري في كلّ ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم كالمدّ والقصر والإظهار والإدغام والفتح والإمالة ونحو ذلك.

ومعنى ذلك أن القارئ يقرأ الكلمة بطريقة معينة مطّردة في القرآن، نحو كلمة: [يُؤْمِن] وتصريفاتها، مثل: [يُؤْمِنُونَ] و [مُؤْمِنُونَ] فالقارئ يبدل همز هذه الكلمات –إذا كان من مذهبه الإبدال– في القرآن كلّه.

أو: هو القسم الذي يشمل الحروف المختلف فيها بين القراء، والتي تطَّرِد تحت قاعدة معينة، ويمكن إجراء القياس عليها، كالإدغام والإمالة والمد وغير ذلك مما هو معهود عند الأئمة القراء.

---

[1] هناك فرق بين مصطلح (المقرئ) و (القارئ)؛ أما المقرئ: فهو: مَن علِم القراءات أداءً ورواها مشافهة، وأما القارئ: فهو المتلقّي للقراءة، وهو إمّا مبتدئ أو متوسّط أو منته. فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط من أفرد إلى أربع أو خمس، والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تصحيح وتعليق: علي محمد الضّباع، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ط.ت، ص5.

[2] المصدر السابق، ص53.

[3] كنز المعاني، محمد بن أحمد الموصلي المعروف بـ شُعلة، الاتحاد العام لجماعة القراء، القاهرة. د.ط.ت، ص257.

– قسم الفرش:

ويقصد به كما سبق أيضاً: الحكم المنفرد غير المطّرد، وهو ما يذكر في السور من كيفية قراءة كل كلمة قرآنية يُختلف فيها بين القراء، مع عزْو كل قراءة إلى صاحبها، وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول.

فهذا القسم إذن يشمل الحروف التي يقلّ دورها في القرآن الكريم، ولا يمكن إجراء القياس عليها.

وهذه المنهجية قد سار عليها معظم من ألَّف في القراءات منذ عصر الأئمة الأوائل إلى يوم الناس هذا[1].

وقد علق محقق "السبعة" على هذا العمل قائلا: "كأنهم يقسمون مباحث القراءات قسمين: قسما في أصولها الكلية، وقسما في مفرداتها، فقواعد الإدغام، وتسهيل الهمز والإمالة تندرج في الكليات، وبقية الكتاب تندرج بجميع جزئياتها في الفرش ودقائقه القرآنية النيرة، وقراءاته المختلفة التي لقنها أئمة القراء السبعة"[2].

ر– من حيث توجيهُ القراءات:

يلاحظ أنَّ كتاب ابن مجاهد يكاد يخلو –كليّاً– من توجيه القراءات وتعليلها إلا ما ذكره في سورة الفاتحة؛ قصد تقريب الفهم وخشية تثقيل الكتاب، وهذا ما صرّح به قائلا: "قال أبو بكر: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة –يعني **الفاتحة**– وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك"[3].

ولعلَّ هذا الفراغ حفَّزَ أبا علي رحمه الله لأن ينبري لشرح الكتاب وأن يعمل على توجيه ما فيه من قراءات قراء الأمصار الذين ذكرهم ابن مجاهد، ويتأكَّد هذا العمل بعد أن حمَّسه شيخه أبو بكر محمد بن السريّ، لما شرع في تفسيره لكنه أمسك ولم يكمله.

---

[1] انظر مثلا: التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، ت: عبد الفتاح بحيرى إبراهيم، مطبعة الزهراء للإعلام العربي –القاهرة، ط1، 1410هـ– 1990م، 2/ 309، التيسير في القراءات السبع، ص73، النشر في القراءات العشر، 2/ 155.

[2] السبعة في القراءات، ص38.

[3] المصدر نفسه، ص112.

المطلب الثاني: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "الحجة" لابن خالويه

يتناول هذا المطلب أبا عبد الله الحسين بن خالويه أحدَ زملاء ومنافسي أبي عليّ، ومؤلَّفَه "الحجَّة في القراءات السبع" وأوجه المقارنة بينه وبين كتاب "الحجة" لأبي علي موضوعِ البحث. وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول: التعريف بأبي عبد الله ابن خالويه

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي أصله من همذان، ولكنه دخل بغداد، وخَالَوَيْه بفتح الخاء الموحَّدة، وبعد الألف لام مفتوحة، وواو مفتوحة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة.

أدرك جِلَّة العلماء بها، مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرىء وأبي عمر الزاهد[1] وابن دريد، وقرأ على أبي سعيد السيرافي. انتقل إلى الشام واستوطن حلباً وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه، وهو القائل: "دخلت يوما على سيف الدولة بن حمدان، فلما مثلت بين يديه قال لي: اقعد ولم يقل اجلس، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطِّلاعه على أسرار كلام العرب"، وإنما قال ابن خالويه هذا، لأنَّ المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم اقعد وللنَّائم أو السَّاجد اجلس، ولابن خالويه كتاب كبير في الأدب سماه "كتاب ليس"، وهو يدل على اطِّلاع عظيم، فإنَّ مبنى الكتاب من أوَّله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا، وله كتاب لطيف سماه "الآل"، وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسما وما أقصر فيه، وله "كتاب الاشتقاق"، و"كتاب الجمل في النحو"، و"كتاب

---

[1] هو: الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي المطرز الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، ولد سنة 361هـ. سمع من موسى بن سهل الوشاء، وأحمد بن عبيد الله النرسي، ومحمد بن يونس الكديمي وغيرهم، حدث عنه أبو الحسن بن رزقويه، وابن منده، وأبو عبد الله الحاكم، والقاضي أبو القاسم ابن المنذر، والقاضي محمد بن أحمد ابن المحاملي وخلق كثير. استدرك على الفصيح لثعلب كراسا سماه "فائت الفصيح" وله: كتاب الياقوتة، وكتاب الموضح، وكتاب الساعات، وكتاب يوم وليلة،وكتاب المستحسن، وكتاب الشورى، وكتاب البيوع، وكتاب تفسير أسماء الشعراء وغيرها. مات في ذي القعدة سنة: 345هـ. سير أعلام النبلاء، 15/ 508 وما بعدها، وفيات الأعيان، 4/ 329 وما بعدها.

القراءات"، و"كتاب إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز"، و"كتاب المقصور والممدود"، و"كتاب المذكر والمؤنث"، و"كتاب الألفات"، و"كتاب شرح المقصورة لابن دريد"، و"كتاب الأسد"، و"البديع في القرآن الكريم"، و"حواشي البديع في القراءات"، و"شرح شعر أبي نواس" وغير ذلك. ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي[1] مجالس ومباحث عند سيف الدولة[2]، وله شعر حسن. من ذلك:

إذا لم يكن صدر المجالس سيد فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل ما لي رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس

وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلاثمائة بحلب رحمه الله تعالى[3].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب الحجة في القراءات السبع

أولا: وصف كتاب الحجة

كتاب "الحجة في القراءات السبع" للإمام أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني البغدادي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة للهجرة. جاء في الصفحة الأولى منه: "كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين في الرواية للعلامة المحقق إمام النحو واللغة أبي عبد الله الحسين بن خالد[4] بن خالويه رحمه الله، وحباه من الخير ما يتوالى"[5]. من أجلِّ كتب الإمام وأصحِّها عنه، بيْد أنه لم

---

[1] سبقت ترجمته، ص09.

[2] ومن نوادر تلك المجالس أنه مرة كان العلماء يحضرون مجلس سيف الدولة، ويتناظرون كل ليلة فوقع بين المتنبي وابن خالويه ليلة كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح فشجه فخرج ودمه يسيل على وجهه. انظر: شذرات الذهب، 14/2.

[3] وفيات الأعيان، 2/ 178- 179. ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1409هـ، 1/ 106 وشذرات الذهب، 2/ 72- 73.

[4] أغلب التراجم التي وقفت عليها، وكذا أغلب كتبه المطبوعة كالطارقية وإعراب ثلاثين سورة، ومختصر في شواذ القرآن، وكتاب الريح، وكتاب ليس في كلام العرب وغيرها تثبت أنه الحسين بن أحمد وليس ابنَ خالد كما هو ثابت في مخطوطه "الحجة"، ولم ينبه المحققان إلى هذا الأمر، وكنيته أبو عبد الله باتفاق. أنظر مثلا: الأعلام، الزركلي، 131/2، البداية والنهاية، 11/ 297، ذيل مولد العلماء، 1/ 106، شذرات الذهب، 71/2، سير أعلام النبلاء، 16/ 341، العبر في خبر من غبر، 2/ 362، وفيات الأعيان، 2/ 178، غاية النهاية، 1/ 215، أما الأنباري فقد أسماه –وحده- في نزهته بـ عبد الله، فقال: "وأما عبد الله بن خالويه..."، وهو –لاشك- خطأ؛ إما من المصنِّف وغفل المحقق –محمد أبو الفضل إبراهيم- عن التنبيه إليه، أو أنه خطأ من المحقق. انظر: نزهة الألباء، 2/ 170.

[5] مقدمة الحجة، ابن خالويه، ص31.

يشتهر عنه على غرار أخريات الكتب، نحو: "كتاب إعراب ثلاثين سورة"، و"كتاب البديع و"كتاب مختصر شواذ القرآن" وغيرها.

ولعل السبب في ذلك راجع –كما يقول محقق الكتاب– إلى أن الكتاب في القراءات فاستُغنِي بذكره عن كلمة "الحجة" أو أن حجة أبي علي الفارسي غطَّت شهرتها على حجة ابن خالويه، فاحتُفِظ للفارسي بهذه النسبة لإيمانهم بأقيسته وعللها، واكتفوا بذكر القراءات لابن خالويه[1]، إضافة إلى ما ذكرناه عن تسمية الحجة بأنها من عمل المتأخرين[2].

وقد طبع كتاب الحجة في كتاب بتحقيق وشرح الدكتور: عبد العال سالم مكرم في عدة طبعات، وبين يدي الطبعة السادسة منه –منقحة– عن مؤسسة الرسالة –بيروت، في سنة: 1417هـ/ 1996م، وهي الطبعة التي وقفت عليها واعتمدتها في بحثي، وهي تقع في 416 صفحة. كما انبرى لتحقيقه مرة أخرى الدكتور أحمد فريد المزيدي، قدَّم له الدكتور فتحي حجازي بجامعة الأزهر، وصدر عن منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1420هـ-1999م، وتقع هذه الطبعة في 253 صفحة.

تناول فيه المصنِّف توجيه حروف الخلاف بين القراء السبعة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، صدَّره المحقق بمقدمة عامة تحدَّث فيها –باختصار– عن حياة المصنِّف الاجتماعية والعلمية عموما، وعن نسبة الكتاب إليه وتوثيقه، ومنهجه فيه وقيمته في عصرنا الحاضر.

ثانيا: منهج ابن خالويه في الحجة

يمكن تلخيص منهجه في النقاط الآتية:

12- اعتمد في حجته على القراءات المشهورة، دون الروايات الشاذة المتروكة؛ يقول: "... معتمِد فيه على ذكر القراءة المشهورة، ومنكِّب عن الروايات الشاذة المنكورة"[3].

13- الإيجاز والاختصار؛ فالكتاب بعيد عن الاستطراد المملّ والاختصار المخلّ، وذلك واضح من مقدمته في الكتاب: "وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم ... وقاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار"[4].

---

[1] المصدر السابق، ص21.

[2] انظر: ص 39 من هذا البحث.

[3] المصدر السابق، ص62.

[4] الحجة، ص62.

14- يعرض القراءات من غير عزو لها لأصحابها، ولا يعزو إلا في القليل النادر[1]؛ وذلك لأن هدفه الإيجاز وعدم الإكثار.

15- دعاه الحرص على الإيجاز إلى عدم تَكرار تعليل وتوجيه بعض الحروف التي تقدَّم تحرير الخُلف فيها، فيكتفي إحالة القارئ إلى مواطنها الأولى[2]، وما سيأتي لاحقاً ينبه إلى رصده في موضعه[3].

16- ومن منهجه أنه يقدِّم لغة أهل الحجاز وينتصر لها؛ يظهر ذلك في توجيهه لقوله تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الإسراء: ٣٥]، قال: "يُقرَأ بكسر القاف وضمِّها، وهما لغتان فصيحتان والضم أكثر لأنه لغة أهل الحجاز"[4].

17- لا يهتمُّ بالتفسير وأسباب النزول إلا ما جاء منها عرضاً[5].

18- يسوق الشواهد في أغلب الأحيان ويحتجُّ بها، لكنه لا يحفَل بإعرابها إلا في القليل النادر؛ وذلك نحو:

يا ربَّ سارٍ بات لن يُوسَّدا   تحت ذراع العنْسِ أو كفِّ اليدا

في هذا البيت تعرض لإعراب مواضع منه، مفسرا بعض كلماته[6].

19- ابن خالويه يحتجُّ برسم المصحف ويأخذ به[7].

20- لا يفوت الإمام أبا عبد الله أن يستشهد بالأحاديث النبوية في عدَّة مواضع من كتابه[8].

21- يتميز بشخصية متزنة معتدلة، متحرر النزعة، غير متعصب للبصريين ولا للكوفيين، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح[9] -وهو الأغلب- ، أو يرجح بدليل[10]، وقد ينفرد بآراء خاصة[1].

---

[1] المصدر نفسه، مثلا: ص302، 244، 245

[2] المصدر نفسه، مثلا: 294، 369، 318.

[3] المصدر نفسه، مثلا: ص70، 143، 281.

[4] المصدر نفسه، ص217.

[5] المصدر نفسه، مثلا: ص87، 237، 277، 278، 320.

[6] المصدر نفسه، ص204-205.

[7] المصدر نفسه، ص 72، 77، 243.

[8] المصدر السابق، ص53، 57، 64، 118.

[9] المصدر نفسه، ص80، 84، 118، 133، 140، 144، 249، 279، 294.

[10] المصدر نفسه، ص96.

ولعل هذا الملمح المتميز في الإمام جلب انتباه المستشرق برجستراسر، والذي يقول عنه: "في حلب أخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة، ونهج فيها منهجا جديدا، لأنه لم يتبع طريقة الكوفيين، ولا طريقة البصريين، ولكنه اختار من كليهما ما كان أحلى وأحسن"[2].

22- الاستدلال والاستئناس بالقراءات الشاذة، خصوصا قراءتي أبي وعبد الله بن مسعود[3].

الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين الحجتين

من خلال تتبّع كلا الكتابين وتأمُّل محتواهما نلاحظ أنهما اتفقا في كثير من الأمور، واختلفا في جملة منها أيضاً.

أولا: أوجه الاتفاق

من الأوجه التي اتفقا فيها ما يأتي:

ح- من حيث التسمية والموضوع:

يتحد الكتابان في موضوع البحث وهو توجيه القراءات السبع والاحتجاج لها، ويتفقان إلى حدٍّ كبير في تسمية كتابيهما، خصوصا إذا راعينا الخلاف في تسمية حجة أبي علي[4].

خ- من حيث وضعُهما للمقدّمات:

نجد أن الإمامين اتفقا في وضع مقدّمات لكتابيهما تضمنت مجمل ما حواه كل كتاب وغرض المؤلف وطريقته فيه.

د- من حيث استخدام العلة والقياس:

يشترك الكتابان في اللغة المنطقية[5] التي تؤمن بالقياس وتجري وراء العلة؛ وهذا عائد إلى التكوين العلمي للإمامين، فقد كانا -كما أشرنا سابقا[6]- في عصر مناسب

---

[1] المصدر نفسه، ص314- 315، 342.

[2] مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي -القاهرة، د.ط، د.ت، ص7.

[3] المصدر السابق، ص147، 217، 218، 238، 271.

[4] انظر: ص 37 من هذا البحث.

[5] يستخدم الإمامان كثيرا عبارة "فإن قيل... يقال له، أو قلنا"؛ ويُسمَّى أسلوب الفنقلة. تظهر هذه اللغة والتعليل المنطقيين في كتاب أبي علي أكثر، وهذا راجع إلى توسع المصنف وإطالته فيه.

[6] لنظر: ص 52 من هذا البحث.

وبيئة خصبة لدراسة المنطق الأرسطي، واستخدام أساليب الجدل والمحاججة العقلية وأدوات القياس والتعليل.

ذ- من حيث الاختيار والترجيح:

لا يكتفي الإمامان بتحرير الخُلف بين القراء والاحتجاج له، بل يعمَدان إلى اختيار بعض الأوجه في حروف الخلاف[1]، وإن اختلفا في الأساس المعتمد لهذا الاختيار والترجيح. .

ر- من حيث عدم إيرادهما للخاتمة:

إن المتصفِّح للكتابين يجد خلوَّهما من خاتمة موجزة.

ثانيا: أوجه الاختلاف

وأما عن أوجه الفرق بين الكتابين فظاهرة في اختلاف المنهجين وتباين الطريقتين، من ذلك:

ج- من حيث نسبة الكتابين إلى الآخر:

يجدر التنبيه إلى أن كتاب الحجة المنسوب لابن خالويه لا يمثل أحد المختصرات لحجة أبي علي[2]؛ فهناك من يدَّعي أنَّ ابن خالويه لم تُذكر في ترجمته أن له كتابَ الحجة، وما هذا الأخير إلا لمؤلِّف مجهول حاول اختصار حجة أبي علي[3].

ح- من حيث الإيجازُ وعدمُه:

إن أبا علي في حجته –على أهميته- كثير الاستطراد، حتى تجاوز[4] فيه –كما يقول تلميذه- قدر الحاجة إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء[5] والقراء، وهو مع هذا يغوص يغوص إلى الأعماق، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع متابعته والصبر عليه للوصول إلى الهدف المنشود، فكثرة الاستطرادات وزخم التعليلات قد تحول بينه وبين ما يريد، وهذا المنهج الذي سلكه أبو علي يحيل في تقديري –على حدِّ قول

---

[1] يبدو أن الاختيار والترجيح عند الفارسي أكثر استعمالا بمقارنته بابن خالويه.

[2] المتأمل يجد البون شاسعا، إن في منهج الكتابين عموما، أو في منهجهما عن المقدمتين، أو طريقة التحليل واستخدام الألفاظ والأفكار وغير ذلك مما سأشير إليه.

[3] انظر تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق الحجة لابن خالويه، ص52 وما بعدها.

[4] الكتاب يقع في أربعة أجزاء. أما حجة ابن خالويه في جزء واحد لا يتعدى 416 صفحة.

[5] مقدمة المحتسب لابن جني، ص34.

تلميذه عنه- إلى خلوِّ سربه، وسروح فكره، وفروده[1]، وانبتات علائق الهموم عن قلبه[2] وصفاء ذهنه.

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي لا تناله إلا القلة التي تسلحت بأدوات القياس والتعليل المنطقيين؛ ولذلك لم يلق التقدير اللائق للجهد المبذول فيه، حتى قال فيه تلميذه ما قال من إجفائه وتجاوز قدر الحاجة فيه، وأضاف في موضع آخر: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل في كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله، حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية، فضلا عن القراء وأجفاهم عنه"[3].

وأما ابن خالويه فقد نهج في كتابه نهجاً آخر، نهجاً يقوم على الرواية والسماع؛ إذ اللغة ليست في تقديره تؤخذ من المنطق، أو تقوم على الأقيسة[4] كما كان يفعل أبو علي.

ولعل ابن خالويه أحس بذلك الإغماض والتعقيد في كتاب أبي علي، فنحا نحو الاختصار في أسلوب سهل جزل، ينتفع به الناس ويفيدون منه؛ وهذا واضح في مقدِّمته: "قاصداً قصد الإبانة في اختصار من غير إطالة ولا إكثار... جامعاً ذلك بلفظ جزل، ومقال واضح سهل، ليقرب على مريده، وليسهل على مستفيده"[5].

خ- من حيث عزو القراءة إلى أصحابها:

سبق وأن رأينا عدم اهتمام ابن خالويه بنسبة القراءة وعزوها إلى الناقلة إلا في القليل النادر، أما أبو علي فلم يتخلَّف ولو لمرَّة عن مسلكه في عزو القراءة إلى أصحابها، كلما مر على حرف من حروف الخلاف.

د- من حيث تسميةُ بعض السور[6]:

بخصوص أسماء السور فإن بعضها تسمى بأسماء عدّة، وهذا معلوم لدى المطَّلِع على كتب القراءات القدامى المحققين وعلى كتب التفسير وعلوم القرآن.

---

[1] أي تفرُّده وانفراده، فأبو علي لم يكن له أهل ولم ينشغل بالولد.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 1/ 236.

[4] مقدمة الحجة لابن خالويه، ص30.

[5] المصدر السابق، ص62.

[6] وافق أبو علي رحمه الله شيخه ابن مجاهد في الكثير من أسماء السور، مثل سورة سليمان عليه السلام، وسورة الملائكة، وسورة المؤمن وغيرها.

ولقد اتفق الإمامان[1] في تسمية بعض السور واختلفا في بعض؛ ومما اختلفا في تسميتها مثل:

سورة "**النّمل**"، ويسميها أبو علي سورة "**سليمان عليه السلام**"[2]، ويسميها ابن خالويه باسمها[3]، وسورة "**فاطر**" يسميها أبو علي سورة "**الملآئكة**"، وسورة "**غافر**" يسمياها سورة "**المؤمن**"، وسورة "**فصِّلت**" يسمياها أيضا سورة "**السّجدة**"، وسورة "**المعارج**" يسميها ابن خالويه سورة " **السائل**"[4] ويسميها أبو أبو علي "**سأل سائل**"[5]، وسورة "**التكوير**" يسميها أبو علي سورة "**إذا الشمس الشمس كورت**"[6]، وسورة "**الانفطار**" يسميها أبو علي سورة "**إذا السماء انفطرت**"[7] إلى غير ذلك من اختلافهما في أسماء السور.

المطلب الثالث: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "المحتسب" لابن جني

يتناول هذا المطلب أبا الفتح بن جني أحدَ تلامذة أبي عليّ، ومؤلَّفَه "المحتسب" وأوجه المقارنة بينه وبين كتاب "الحجة" لأبي علي موضوعِ البحث. وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول: التعريف بأبي الفتح بن جني

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي الأزدي بالولاء النحوي المشهور، كان أبوه جني مملوكا روميا يونانيا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي وزير شرف الدولة قراوش ملك العرب وصاحب الموصل.

---

[1] اتفقا في تسمية سورة الإسراء بسورة "بني إسرائيل"، وفصلت بسورة "السجدة"، وغافر بسورة "المؤمن"، "والشورى" بـ "عسق"، والنبأ بسورة "عمّ يتساءلون".

[2] الحجة، الفارسي، 3/ 228.

[3] الحجة، ابن خالويه، ص269.

[4] المصدر نفسه، ص352.

[5] الحجة، الفارسي، 4/ 61.

[6] المصدر نفسه، 4/ 61.

[7] المصدر نفسه، 4/ 102.

وجنيٍّ بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء، وليس منسوباً. ومعناه في العربية: فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري ومخلص[1].

كان إماما في علم العربية. قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل ثم ترك حلقته وتبعه ولازمه في السفر والحضر حتى تمهَّر.

كانت ولادة ابن جني قبل 330هـ بالموصل، وفيها نشأ، وإليها يُنسب.

ويبدو أن أبا الفتح كان يعاني مع أسرته من هموم الحياة وتصاريفها. قال في خطبة المحتسب بعد ذكره لما كان عليه شيخُه أبو علي "من خلو سربه، وانبتات علائق الهموم عن قلبه" قال: "ولعل الخطرة الواحدة تخرق بفكري أقصى الحجب المتراخية عني في جميع الشتات من أمري، ودَمْل العوارض الجائحة لأحوالي، وأشكر الله ولا أشكوه، وأسأله توفيقا لما يرضيه"[2].

ولابن جني من التصانيف المفيدة في النحو كتاب: الخصائص، وسر الصناعة، والتلقين في النحو، والتعاقب، والكافي في شرح القوافي للأخفش، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والتمام في شرح شعر الهذليين[3]، والمنهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة، ومختصر في العروض، ومختصر في القوافي، والمسائل الخاطريات، والتذكرة الأصبهانية، ومختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها، والمقتضب في المعتل العين، واللمع، وغير ذلك.

توفي أبو الفتح يوم الجمعة سنة: 392هـ ببغداد رحمه الله تعالى[4].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات

كتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" للإمام أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ، ألفه أبو الفتح وقد علت به السن وأشرف على نهاية العمر، قال الشريف الرضي: "كان شيخنا أبو الفتح النحوي عمل في آخر عمره كتابا يشمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ"[5]. وقال أبو الفتح في مقدمة المحتسب: "وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك

---

[1] يقال: هات جناة من جناك، وهذه شجرة طيبة الجناة. أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (ج ن ي). وجنى النبات إذا كثر والتف، والنخلة مجنونة إذا طالت. لسان العرب، 13/ 100. كما يطلق الجنى على الذهب. لسان العرب، مادة: (جني)، 14/ 153.

[2] المحتسب، ص34.

[3] كتاب التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري تم نشره في بغداد، سنة 1381هـ/ 1962م. أنظر مقدمة المحتسب، 1/ 07.

[4] البداية والنهاية، 11/ 331، سير أعلام النبلاء، 17/ 17 وما بعدها، شذرات الذهب، 2/ 140- 141، وفيات الأعيان، 3/ 246- 248.

[5] حقائق التأويل، 5/ 231.

بنا، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا، فإذا انقضت علائق مددنا، واستُوفي ما في الصحف المحفوظة لديك من عدِّ أنفاسنا، واستؤنفت أحوال الدار الآخرة بنا فاقلبنا إلى كنز جنتك التي لم تُخلق إلا لمن وسع ظلُّ رحمتك"[1].

وهذا كلام قلَّما يقوله إلا امرؤ غلب عليه التفكر في الآخرة، يشعر بدنوّ ساعته ويحب أن يتزوَّد لها. ولعل ذلك ما يفسِّر تسمية كتابه بالمحتسب؛ فاختار أن يدل [2]باسمه على الغرض الذي يريده به، لا على الموضوع الذي يريده عليه.

جاء في كشف الظنون أن كتاب ابن جني هذا عنوانه: المحتسب في إعراب الشواذ[3]، وهو شرح لكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، ولهذا الأخير كتاب المحتسب في شرح الشواذ، وابن جني نفسه ذكره واعتمده كمصدر[4] من مصادر كتابه.

وقد طُبع كتاب المحتسب في كتاب بتحقيق الباحثين: علي النّجدي ناصف، وعبد الحليم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي بجمهورية مصر العربية –القاهرة، عام 1415هـ- 1415م، وهي الطبعة الوحيدة التي وقفت عليها واعتمدت عليها في بحثي، وهي تقع في جزأين يحوي الجزء الأول 392 صفحة والجزء الثاني 544 صفحة.

بعد أن ألف الفارسي كتابه "الحجة" بدا له أن يؤلف كتابا مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة، يقول تلميذه ابن جني في ذلك: "قد كان وقتا حدَّث نفسه بعمله، وهمَّ أن يضع يده فيه ويبدأ به، فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه، وحالت كبواته بينه وبينه".

من أجل ذلك تجرَّد ابن جني لذلك وانبرى للقراءات الشاذة ينوب عن شيخه في الاحتجاج لها، ويؤدِّي حقها عليه، وقد كانت قبل ذلك داعية الاحتجاج للشاذِّ لازمة له؛ إذ على الرُّغم من خروجه –الشاذ- عن القراء السبعة فهو نازع بالثقة إلى قرائه، مساو في قوة الفصاحة للمجتمَع عليه، يقول: "... لكن غرضُنا منه أن نُري وجه قوة ما يسمَّى الآن شاذًّا، وأنه ضارب في صحَّة الرواية بِجِرانه،

---

[1] مقدمة المحتسب، 1/ 31.

[2] المصدر نفسه، 1/ 33.

[3] كشف الظنون، حاجي خليفة، 2/ 1612.

[4] سيأتي الحديث عن مصادره المكتوبة والمسموعة قريبا.

آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مُرئً[1] أن العدول عنه إنما هو غضٌّ منه أو تهمة له"[2].

ويقول في موضع آخر يبين رأيه في الشاذ ومكانه عند الله: "... إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كلَّ جائز رواية ودراية، فإنَّا نعتقد قوَّة هذا المسمَّى شاذًّا، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبُّله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضي من القول لديه"[3].

ومما زاد من حماسة أبي الفتح ورغبته في الاحتجاج له أنَّ أحداً من أصحابه لم يتقدَّم للاحتجاج له على النَّحو الذي يريد. قال: "فإذا كانت هذه حاله عند الله ... وكان من مَضى من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتاباً فيه، ولا أوْلَوه طرفا من القول عليه، وإنما ذكروه مرويا مسلَّما، مجموعا أو متفرِّقاً، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقنِع فيه. فأمَّا أن يفردوا له كتاباً مقصوراً عليه ... فلا نعلمه –حسُن[4]، بل وجب التوجُّه إليه، والتشاغل بعمله، وبسط القول على غامضه ومشكَله"[5].

تناول المصنِّف في محتسبه وجوه شواذ القراءات من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، غير أنه لم يستوعب كافة القراءات الشاذة عن السبعة؛ إذ ليس موضوعا لذلك، وإنما "الغرض منه إبانة ما لطفت صفته، وأُغرِبت طريقتُه... وغُمِض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعوَّل عليه، المولى جهة الاشتغال به"[6].

صدَّره المحققون بمقدمة عامة تحدَّثوا فيها –باختصار– عن حياة المصنِّف الاجتماعية والعلمية عموما، ولمحة موجزة عن الاحتجاج للقراءات، ثم دلفوا إلى تقديم كتاب المحتسب، فأشاروا إلى منهجه ومصادره فيه وختموا بذكر النسختين المعتمدتين في التوثيق والتحقيق.

الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين كتاب الحجة والمحتسب

من خلال تتبّع كلا الكتابين وتأمُّل محتواهما نلاحظ أنهما اتفقا في كثير من الأمور، واختلفا في جملة منها أيضاً.

أولا: أوجه الاتفاق

---

[1] لئلا يمتري ظان أو شاك.

[2] مقدمة المحتسب، 32- 33.

[3] المصدر نفسه، ص33.

[4] جواب الشرط غير الجازم: فإذا كانت هذه حاله عند الله (السابق).

[5] المصدر السابق، ص34.

[6] المصدر نفسه، ص35.

وهي كثيرة؛ فمنهج المحتسب كمنهج الحجة، لا يكاد يخالفه إلا بقدر ما تتطلبه طبيعة الموضوع، ويمكن عدُّ بعضها في الآتي:

ب- من حيث وضعُهما للمقدّمات:

نجد أن الإمامين اتفقا في وضع مقدّمات لكتابيهما تضمنت مجمل ما حواه كل كتاب وغرض المؤلف وطريقته فيه.

ب- من حيث العزو والإسناد:

لم يتخلف أبو الفتح رحمه الله في عزو القراءة وإسنادها إلى أصحابها بعد عرضها، تماماً كما يفعل شيخه أبو علي رحمه الله.

ب- من حيث الاستشهادُ وطريقتهُ فيه:

إذا تأمَّلنا الكتابين وجدنا بينهما توافقاً كبيراً في منهجيَّة الاحتجاج للقراءة؛ فكلاهما يرجع في أمر حرف الخلاف إلى اللغة، ويلتمس لها شاهداً فيرويه، أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردُّها إليها ويؤنسُها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه في قصد وإجمال أو غير ذلك.

ت- من حيث الاختيار والترجيح وإيراد الآراء :

يزخر الكتابان باختيار بعض الوجوه وترجيحها على غيرها، كما حفل الإمامان بتسجيل آرائهما اللغوية والنحوية والدلالية والصوتية[1] ومخالفتهما لغيرهما[2] والتي تدل على غزارة العلم وتمكنه.

ث- من حيث استخدام القياس والاستنباط:

سبقت الإشارة إلى ولع أبي علي بالقياس وإيمانه بالعلة، وهاهو تلميذه أبو الفتح يسير على خطاه ويتبع نهجه، فيستخدم أساليب القياس شأنه في ذلك شأن أستاذه، كما يمتاز ببراعة الاستنباط وصحته؛ وليس هذا بكثير على أبي الفتح، ولا هو مما يتعاظمه، فذلك دأبه في كتبه، ثم هو بعد هذا قد ألف المحتسب في آخر حياته كما سبق، حين استفاضت تجاربه ونضجت معارفه واستحصدت ملكاته[3].

ث- من حيث عدم إيرادهما للخاتمة:

لا يقف المتصفِّح للكتابين على خاتمة موجزة.

---

[1] انظر مثلا: المحتسب، 1/ 68، 71، 80، 81، 83، 265، 270، 290 وَ 2/ 4، 5-6 وغيرها. أما عن آراء الفارسي وبحوثه فستأتي إن شاء الله في حينها.

[2] انظر –على سبيل المثال- مخالفته: لابن مجاهد: المحتسب، 1/ 125، 130، 266، وللفراء: المصدر نفسه،293/1، ولسيبويه: المصدر نفسه، 110/1، 299 وغيرها.

[3] المصدر نفسه، 1/ 69، 80، 267، 268، 270، 302، 304 وغيرها.

ثانيا: أوجه الاختلاف

هناك بعض أوجه الفرق بين الكتابين، من ذلك:

ج- من حيث الموضوع:

يختلف الكتابان –كما هو واضح- في موضوع البحث، فكتاب الحجة لأبي علي في توجيه القراءات السبعة، وأما كتاب أبي الفتح فهو توجيه القراءات الخارجة عن السبعة الشاذة والإيضاح عنها. والحقيقة أن المؤلّفَين يشكلان تكاملا معرفيا مهمّاً في توجيه القراءات والاحتجاج لها، خصوصا أن أبا علي همَّ بما قام به –بعد ذلك- تلميذه أبو الفتح لولا صروف الدهر وخوالج الأيَّام.

ح- من حيث الإيجازُ وعدمُه:

إن أكثر ما يميز كتاب المحتسب عزوفه عن الإسهاب في الاستشهاد[1] والإمعان في الاستطراد، فنراه في مقدِّمة كتابه يفضل كتاب أبي حاتم السجستاني[2] في الشواذ على كتاب قطرب[3]، "من حيث كان كتاب أبي حاتم[4] مقصوراً على ذكر القراءات، عاريا من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انحطَّ قطرب[5] فيها وتناهى إلى متباعد غاياتها"[6]. بعكس الحال عند أبي علي –كما رأينا- فقد يصدق عليه في حجته – على حدِّ وصف ابن جني- ما يصدق على كتاب قطرب من الاستطراد والتعمُّق.

---

[1] على أن أبا الفتح رحمه الله لم يلتزم الاقتصاد في الاستشهاد في كل مقام، ولاسيما حين تكون القراءة غريبة، يدعو ظاهرها إلى التناكر لها والتعجب منها. فقد استشهد في قراءة "اهدنا صراطا مستقيما" المحتسب، 1/ 41- 43، بعشرة شواهد، واحتج لقراءة "ولا أدرأتكم به" فأطال، ثم ختمه بقوله: "وهذا وإن طالت الصنعة فيه أمثل من أن تُعطى اليد بفساده. 1/ 309- 312.

[2] هو: سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد، إمام البصرة في اللغة والنحو والقراءة والعروض. قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي وغيره وأخذ العربية عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، صنف التصانيف. يقول ابن الجزري: "وأحسبه أول من صنف في القراءات". توفي ستة 255هـ، ويقال سنة: 250هـ. غاية النهاية، ابن الجزري، 1/ 289، ومعرفة القراء الكبار، الذهبي، 1/ 219- 220 والفهرست، ابن النديم، ص87.

[3] هو: أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب، أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، كان يلازم سيبويه ويبكر إليه، فإذا خرج صباحا وجده على بابه. فقال له مرة: ما أنت إلا قطرب ليل وهو دويبة دائبة السعي. وله من التصانف كتاب معاني القرآن، وكتاب الإشتقاق، وكتاب القوافي، وكتاب النوادر، وكتاب الأزمنة، وكتاب الفرق، وكتاب الأصوات، وكتاب الصفات، وكتاب العلل في النحو، وكتاب الأضداد وغيرها. مات سنة 206هـ. بغية الوعاة، 104، وفيات الأعيان، 4/ 312 وما بعدها.

[4] لأبي حاتم تصانيف كثيرة، ولعل الكتاب المقصود هنا كتاب القراءات لأبي حاتم. الفهرست، ابن النديم، 1/ 87.

[5] أعتقد أن كتاب قطرب المقصود هنا، هو كتاب إعراب القرآن. الفهرست، 1/ 78.

[6] مقدمة المحتسب، 1/ 36.

خ- من حيث إيراد الأحاديث النبوية والأمثال العربية

عمِد كلٌّ من أبي علي وأبي الفتح رحمهما الله إلى إيراد الأحاديث الشريفة والأمثال العربية وكلام البلغاء والاستئناس بها، ولكن نسبة إيرادها عند أبي الفتح أقل مقارنة بأبي علي.

د- من حيث ذكرُ مصادر الكتاب وعدمُه:

لعلّ من أهم نقاط الفرق بين المصنَّفين تصريح أبي الفتح رحمه الله في مقدمة "المحتسب" بمصادره فيه، وهي كما يقول نوعان: كتب يأخذ منها، وروايات صحَّ لديه الأخذ بها. فأما الكتب فهي:

كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة، وكتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، وكتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب، وكتاب المعاني للزجاج وكتاب المعاني للفراء[1].

وأما ما صح عنده الأخذ به مما يرويه عن غيره، فيقول عنه: "لا نألو فيه ما نقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحرِّي الصحة في روايته"[2].

وقد نقل عن طائفة من العلماء ورواة اللغة واستشهد بشواهدهم؛ مثل الكسائي، وابن مجاهد، وسيويه، وأبي علي وغيرهم[3].

أما أبو علي وإن تعرض ضمنا لبعض الأئمة وأعلام النحو والقراءة، واستشهد بشواهدهم، واستأنس بأقوالهم وخالف بعضهم فإنه لم يحفل بذكر المصادر[4] التي اعتمدها في "حجته".

---

[1] مقدمة المحتسب، 1/ 35.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 1/ 35- 36.

[4] ذكر أبو علي فقط في مقدمة مصنفه –كما سبق بيانه– عمل محمد بن أبي بكر السري، وأنه لم يتم ما ألزم به نفسه، ولم يذكر غيره إلا ما جاء في ثنايا حجته ضمنا.

المطلب الأول: مظاهر تأثر الفارسي بالأخفش الأوسط وأسبابه

لا يخفى تأثر اللاحق بالسابق وإفادته منه، وأبو علي رحمه الله واحدٌ من هؤلاء الذين تأثّروا بمن سبقه، ومن هؤلاء شيخه الأخفش الأوسط. وهذا ما سأتكلم عنه في الآتي:

الفرع الأول: مظاهر تأثر الفارسي بأبي الحسن الأخفش

يعتبر أبو الحسن الأخفش -الأخفش الأوسط- أحد أئمة النحو الذين أخذ عنهم أبو علي وأعجب بشخصيتهم وتأثر بآرائهم.

ويبدو هذا التأثر واضحاً جليّاً من خلال تصفحنا لكتاب "الحجة"؛ إذ كثُر فيه ذكرُه لأبي الحسن ونقلُه لأقواله وآرائه في كثير من المواضع.

ويمكن إبراز مدى هذا التأثر في الخصائص الآتية:

أولا: الرواية عنه

سبقت الإشارة في ترجمة أبي علي إلى أنه أخذ عن الأخفش الأوسط وروى عنه.

وهذه الخصيصة تكفي في صقل شخصية أبي علي وتكوينها بشكل كبير؛ ذلك أنه من المعلوم أن الرواية تحتاج إلى الصّحبة الدائمة والاختلاف المتواصل إلى الراوي والأخذ من أدبه قبل علمه. من ذلك قوله في معرض توجيه وإعراب ﭽ ﭑ ﭽ [البقرة: ٣]

"... هذا لفظ أحمد بن يحيى[1]، واستثبت أبا الحسن في ذلك فأثبته وصحّحه"[2].

وهذا يدل على لزوم أبي علي لأبي الحسن واختلافه إليه في كل مرة. وأبو علي يروي كتاب الأخفش "معاني القرآن" عن أبي عبد الله اليزيدي[3] عن عمّه عبيد الله اليزيدي[4] عن الأخفش[1]،

---

[1] هو الإمام النحوي ثعلب المشهور، تقدمت ترجمته ص26.

[2] الحجة، 1/ 160.

[3] هو: أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي النحوي، كان إماما في النحو، والقراءات، والأدب، ونقل النوادر وكلام العرب. أخذ عن عمه عُبيد الله وعن أبي العباس ثعلب وأبي الفضل الرياشي. وروى عنه أبو بكر الصولي، وأبو عبيد الله العسكريّ، وعمر بن سيف وغيرهم. له تصانيف منها: كتاب الخيل، وكتاب مناقب بني العباس، وكتاب أخبار اليزيديين وله مختصر في النحو. توفي سنة: 310هـ. أنظر: نزهة الألباء، ص215، الفهرست، 1/ 75، وفيات الأعيان، 4/ 337- 338.

[4] هو: عبيد الله بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك أبو القاسم، ابن اليزيدي العدوي البغدادي شيخ مشهور، روى القراءة عن عمه إبراهيم بن أبي محمد، وعن أخيه أحمد بن محمد. روى القراءة عنه أحمد بن جعفر بن المنادى، وأبو بكر بن مجاهد، وأحمد بن عثمان بن يحيى الآدمي، ومحمد بن يعقوب المعدل وغيرهم. توفي سنة: 284هـ. غاية النهاية، 438/1.

ويروي معاني الزجاج عن ابن مجاهد[2]، بل هو مشارك في التأليف فيه، وكتابه الإغفال في إصلاح ما أغفله أبو إسحاق في كتاب معاني القرآن غير بعيد منه. وكتابنا "الحجة" فيما عرض له من أعاريب وما نبّه عليه من دقائق معاني القرآن يمكن أن يُعَدّ في كتب معاني القرآن وأعاريبه.

كما أن الإجماع منعقد على أن الأخفش هو الطريق إلى كتاب سيبويه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا وعرضه عليَّ. ولم يقرأ الكتاب على سيبويه أحدٌ، ولم يقرأه سيبويه على أحد، ومن ثم قرأه على أبي الحسن بعد موت سيبويه الجرميّ[3] والمازنيّ[4]، ومن طريقهما ذاع الكتاب في الناس[5].

هذا، وقد أسند أبو علي –كما تقدَّم– روايته لمعاني الأخفش إلى أبي عبد الله اليزيدي عن عمِّه أبي جعفر اليزيدي[6] عن الأخفش[7]، وصرَّح باسم كتابه مرتين في "الحجة": مرة وصفه بكتاب أبي الحسن في القرآن[8] ومرة أسماه كتاب أبي الحسن في المعاني[9].

ثانيا: الإفادة الكثيرة من أقواله

---

[1] انظر: الحجة، 1/ 35.

[2] انظر: الإغفال: المسائل المصلحة من كتاب "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزجاج، أبو علي الفارسي، ت: محمود محمد الطنَّاحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1992م، 1/ 38.

[3] هو: أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي –بفتح الجيم– النحوي، كان فقيها عالما بالنحو واللغة، وهو من البصرة. قدم بغداد وأخذ النحو عن الأخفش وغيره، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي وطبقتهم. له في النحو: كتاب جيد يعرف بـ "الفرخ"؛ معناه: فرخ كتاب سيبويه، وناظر ببغداد الفراء، وكان عالما باللغة حافظا لها وله كتب انفرد بها. له كتاب في السير عجيب، وكتاب الأبنية، وكتاب العروض، ومختصر في النحو وكتاب غريب سيبويه. كانت وفاته سنة 225هـ. تاريخ بغداد، 9/ 313، شذرات الذهب، 57/1، وفيات الأعيان، 2/ 485- 486.

[4] هو: أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان وقيل بقية المازني البصري النحوي كان إمام عصره في النحو والأدب أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم وأخذ عنهم عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة وله من التصانيف كتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الألف واللام وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج على خلاف كتاب أبي عبيدة. توفي سنة 249، وقيل: سنة: 248هـ بالبصرة. إنباه الرواة، 1/ 281- 282، وفيات الأعيان، 1/ 283- 286.

[5] انظر: إنباه الرواة، 2/ 39، بغية الوعاة، 1/ 590 ومعجم الأدباء، 3/ 1374.

[6] هو: إبراهيم بن يحيى بن المبارك أبو إسحاق بن أبي محمد اليزيدي البغدادي ويكنى أيضاً بأبي جعفر، ضابط شهير نحوي لغوي، قرأ على أبيه، وروى القراءة عنه ابنا أخيه العباس بن محمد وعبيد الله بن محمد شيخ ابن مجاهد، له مؤلفات كثيرة، منها: "كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه"، و"كتاب مصادر القرآن" مات قبل تكميله. غاية النهاية، 32/1 وتاريخ بغداد، 6/ 209.

[7] الحجة، 1/ 35.

[8] المصدر السابق، 1/ 225.

[9] المصدر نفسه، 1/ 228.

بالرُّغم مما تمتاز به "الحجة" لأبي علي من مادة علمية مهمة، إلا أن كبير الفضل في ذلك يعود لشيخه أبي الحسن؛ ذلك أن المتصفح لكتاب "الحجة" يجد اسم أبي الحسن يتردد فيه بشكل ملفت للانتباه ولا يكاد يغيب، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على توثيق أبي علي له، إذ لا يفتأ يذكر اسمه ويستشهد لمذهبه ويقويه عند كل مسألة يناقشها. ومن ذلك ما يأتي تمثيلا لا حصراً:

ت- في الصفحات الأولى من الكتاب نجد أبا علي في الاحتجاج لقوله تعالى: ملك يقول: "قال أبو علي [الحسن بن أحمد بن عبد الغفار رضي الله عنه] قال أبو الحسن الأخفش فيما روى محمد بن العباس عن عمه عنه: يقال: مِلِك بيِّن المِلك، الميم مضمومة..."[1].

ث- وفي موضع آخر في الاحتجاج لقوله تعالى شواظ من نار. قال أبو علي: "الشِّواظ والشُّواظ لغتان زعموا. قال أبو الحسن: أهل مكة يكسرون الشواظ"[2].

وكثرة إيراده لأقواله توحي في بعض الأحيان أن الإمام أبا علي ينقل عنه فقط ولا يجاوزه إلى غيره[3]، حتى بلغت نقوله عن في معاني القرآن زُهاء مائة وخمسين موضعا؛ وهي نقول ثرّة في العربية والأعاريب واللغات والإنشاد، صرّح بعزو جلّ هذه النقول إليه وسكت عن عزو بعضها[4]. وهذا يدل يدل على إعظام أبي لكتاب الأخفش وإجلاله إياه، ومن لطيف ما يدل على ذلك: قوله لابن جني بحلب سنة 346هـ: "مالي صديق إلا وأشتهي أن يكون كتاب أبي الحسن في معاني القرآن عنده"[5].

وهذا النقل المتكرر يدل على تمكّن أبي علي من معاني القرآن وحفظه له، حتى أنه افتتح كلامه في الحجة بما اختتم به أبو الحسن معانيه، ناقلا كلامه[6] في "ملك" من قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﭽ [الناس: ١] [الناس: ٢]، ومُجريا له على قوله: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﭽ [الفاتحة: ٤]، وأنه نقل كلامه في "هدي" من قوله: ﭽ □ □ □ ﭽ [الأعراف: ٤٣]، وأجراه على قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭽ [البقرة: ٢]، وأضاف إليه ما حكاه أبو الحسن في آية البقرة من أنّ من العرب من يؤنثون الهدى[7].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 35.

[2] المصدر نفسه، 4/ 16.

[3] انظر مزيد ذلك مثلا: 1/ 228، 473، 474، 477، 478، 491، 498، 508، وَ 2/ 20، 22، 31، 38، 41، 51، 91 145، 174، 282 و 4/ 15، 16، 21، 43، 51، 52، 67، 112 وغيرها.

[4] قارن مثلا –على التوالي- بين: الحجة، 2/ 232، 254، 3/ 557- 58 وغيرها، و بين معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، ت: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1411هـ- 1990م، 1/ 320، 333، 2/ 422- 423 وغيرها.

[5] بقية الخاطريات، أبو الفتح بن جني، ت: محمد أحمد الدّالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، د.ت، ص44.

[6] معاني القرآن، 2/ 590.

[7] الحجة، 1/ 129- 131، معاني القرآن، الأخفش، 1/ 28، 1/ 325.

ففي كل هذا وغيره ترى أبا عليّ لا يكاد يِندُّ عنه شيء من كتاب أبي الحسن مما يتصل بالمقام الذي هو فيه.

ثالثا: تبني أقواله والدفاع عنها غالبا

لا يكتفي الفارسي بإيراد أقوال الأخفش في المسائل النحوية والتوجيهات اللغوية، بل يتبناها في كثير من الأحيان ولا يعقب عليها إلا في النادر القليل، بل يحمله الأمر في الغالب الأعمِّ إلى الدفاع عنها وتقوية اختياراته والاستشهاد لها. من ذلك:

4- قال أبو علي: "قال أبو الحسن: الأحسن في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل: دار آجرٍّ، وثوبُ خزٍّ. قال: و چ ج چچ [سبأ: ١٦] كثيرة وليست بالجيدة في العربية"[1]اهـ.

نلاحظ أبا علي رحمه الله في هذا الموضع لما ساق اختيار أبي الحسن رحمه الله لم يعقب ولم يزد على كلامه، بل اكتفى به وتبناه؛ إذ لو عنَّ له اعتراض أو بيان لأفصح، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة[2]، والأمثلة على ذلك كثيرة[3].

5- وأبو علي ينافح عن مذهب شيخه ويدافع عنه، قائلاً في توجيه "اللام" من قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ چ [قريش: ١]: "فقال أبو الحسن: چ ۀ ہ ہ چ [الفيل: ٥][4]، واعترض معترض فقال: إنما جُعلوا كعصف مأكول لبُعدهم، ولم يُجعَلوا كذلك لتأتلف قريش، وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه يجوز أن يكون المعنى: أهلكوا لكفرهم، ولما أدى إهلاكهم إلى أن

---

[1] المصدر السابق، 3/ 294.

[2] انظر: المعتمد، أبو الحسن محمد بن علي الطيب البصري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1403هـ، 1/ 257، الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة –بيروت، د.ط، د.ت، 3/ 344 وَ قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، 1/ 199.

[3] انظر على سبيل المثال في الحجة، 2/ 52، 282، 3/ 186، 265، 4/ 125 وغيرها.

[4] قال أبو الحسن: "أي: فَعَلَ ذلِكَ [لإيلاف قُرَيْشٍ] لتألّف، ثم أبدل فقال: [إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ] لأنها من (أَلَفَ)". معاني القرآن، الأخفش، 2/ 585.

تألف قريش، جاز ذلك، كقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃﮄ [القصص: ٨] وهم لم يلتقطوه لذلك"[1].

6- وفي موضع آخر يذكر أبو علي اختلاف النحويين في تخفيف الهمزة في ﭽﭾ ﭿ.

فقال سيبويه[2]: تجعلها إذا خففتها بين بين، فتقول: [يستهزوون]، وهو مذهب الخليل. ويذهب أبو الحسن الأخفش[3] إلى قلب الهمزة قلبا صحيحا[4].

ومضى أبو علي منتصراً لمذهب إمامه، يطيل النفس في بيانه والردّ على من خطَّأه، موضحا: "وقال أبو الحسن في كتابه في القرآن[5]: من زعم أن الهمزة المضمومة لا تتبع الكسرة إذا خُففت دخل عليه أن يقول: هذا قارِوٌ، وهؤلاء قارِؤُون، ويتستهزِؤُون، قال: وليس هذا من كلام من خفف من العرب. قال أبو علي: وجه دخول هذا عليه ولزومه له عنده أن الهمزة إذا كانت مفتوحة وكان ما قبلها مفتوحاً جاز تخفيفها، فكذلك إذا كانت مكسورة وما قبلها مفتوح ..."، وراح أبو علي يفصِّل في المسألة، يفترض ويجيب في ستِّ صفحات كاملة، إلى أن قال: "... وأما ما ذكره محمد بن يزيد في هذه المسألة في كتاب المترجَم بالشرح من قوله: والأخفش لا يقول إلا كما يقول النحويون: هذا عبد بِبِلك، ولكن يخالف في يستهزئون؛ فهذا الإطلاق يوهم أنه لا يفصل بين المتَّصل والمنفصل، وقد فصل أبو الحسن... فينبغي إذا كان كذلك ألا تُرسل الحكاية عنه حتى تُقيَّد..."[6].

ولعل دفاع أبي علي المستميت على آراء أبي الحسن حمل ابن جني على وصفه بأنه كاد يعبد أبا الحسن[7]، ومن يعود إلى نقوله عنه في معاني القرآن والقوافي وغيرهما مما عوّل عليها في تراثه يوشك أن يجاري ابن جني في مقالته هذه.

رابعا: مخالفته وردُّ أقواله

---

[1] الحجة، 4/ 148- 149.

[2] كتاب سيبويه، هذا باب الهمز، 3/ 541

[3] معاني القرآن، الأخفش، 1/ 49.

[4] الحجة، 1/ 223

[5] يقصد كتابه معاني القرآن. انظر مذهبه فيه: 1/ 49- 50.

[6] الحجة، 1/ 223- 228

[7] انظر: بقية الخاطريات، ص45.

إذا أردنا أن نستقصي مخالفات أبي عليّ لشيخه أبي الحسن فإننا لا نقف إلا على أمثلة قليلة منحسرة، ومع ذلك فإن أبا عليّ يفرض شخصيَّته ويعبِّر عن آرائه التي انتهى إليها اجتهاده، غير أن الذي يميِّزه هو أسلوبه المتأدِّب ومسلكه المتواضع اللذان غلبا على مناقشته ومخالفته له، فإذا عنَّ له أن يردَّ شيئا من كلام أبي الحسن ردَّه على استحياء دون أن يسمِّيه، من ذلك قوله:

"وليس قول من قال: إن هذه الواو إنما حركت بالضم –يعني تحريك الواو بالضمّ في نحو اشترُوا– لالتقاء الساكنين فيه كحركة الإعراب بمستقيم. ألا ترى أن الياء في اخشيِ القوم يا امرأة، فاعلة في المعنى، واتفقوا على تحريكها في الكسر!"[1].

يشبه أن يكون أبو عليّ يعني الأخفش ويردُّ عليه قوله: "وحركت الواو بالضم؛ لأنك لو قلت "اشترا الضلالة"، فألقيت الواو، لم تعرف أنه جمع. وإنما حركتها بالضم؛ لأن الحرف الذي ذهب من الكلمة مضموم، فصار يقوم مقامه"[2].

بل وربما آثر قوله في مسألة على قول سيبويه وقوَّاه[3].

ومع هذا فإن اقتدار أبي علي واضح لا يُنكر، وشخصيته قوية غير خفية؛ تظهر في كيفية التعامل مع هذه النُّقول الكثيرة وتحليلها والاحتجاج لها والاعتداد بها أو ردِّها، حسب ما يقتضيه المقام.

الفرع الثاني: أسباب تأثر الفارسي بالأخفش

يمكن التماسُ بعض أسباب تأثر أبي علي الاستثنائي بالأخفش في الآتي:

أولا: العقيدة

جاء في عقيدة أبي الحسن أنه معتزلي، يتعاطى الكلام والجدل ويقول بالعدل[4]؛ ويدل على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ [البقرة: ٢٥٧]، حيث قال: "يَحْكُم بأنَّهم كذاك، كما تقول: قَدْ أَخْرَجكم الله من ذا الأمر، ولم تكن فيه قط. وتقول: أَخْرَجَنِي فُلانٌ من الكِتْبَةِ، ولم تكن فيها قط. أي: لَمْ يجعَلْني من أهلها ولا فيها"[5]. ومعلوم أن المعتزلة يقولون بأن أفعال العبد

---

[1] المصدر السابق، 1/ 232.

[2] معاني القرآن، الأخفش، 1/ 50- 51.

[3] أنظر الحجة، 1/ 109، 134، 143 وغيرها. وانظر: معاني القرآن، الأخفش، على التوالي: 1/ 110- 111، 24، 28 وغيرها.

[4] إنباه الرواة، 2/ 39، وبغية الوعاة، 1/ 590.

[5] معاني القرآن، 1/ 196.

منسوبة إليه لا يصح إسنادها إلى الله[1]، وهذا ما يصرح به هذا النص، زد على ذلك أن مصطلح العدل والتوحيد مما يطلقه المعتزلة على أنفسهم[2]. وأبو علي إن لم نجزم باعتزاليته فإنَّ في الكتاب ما يشير إلى ذلك؛ إذ أشاع فيه من وصف الله تعالى بـ "القديم"، والقدم أخصّ وصف ذاته[3] عند المعتزلة.

ثانيا: تفردهما بكتاب سيبويه

فأبو الحسن –كما سبق– أوَّلُ من أقرأ الكتاب، والناس لا يعرفونه إلا من روايته، وقد عُلِّق عنه أشياء وأشعار وهو يُقرئ الكتاب ويتكلَّم عليه. وأبو عليّ في مدارسة الكتاب –على حدِّ وصف أبي حيَّان– أشدُّ تفرُّدا بالكتاب وانكباباً عليه، وله أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها، ولم يأْتلِ، ولكنه قعَد على الكتاب على النظم المعروف[4]، وله عليه تعليقة.

ثالثا: بعد النظر والإمعان في القياس

يمتاز الإمامان ببعد النظر في المسائل وتقديمهما للقياس؛ الأمر الذي جعلهما أحيانا، يفتيان في المسألة الواحدة بقولين مختلفين أو أكثر. فقد حكى أبو علي عن أبي إسحاق الزيادي[5] عنه في قولهم: زيد ذهب عمرو أخوه، وقد سأله –أي أبا الحسن– أبدلٌ هو أم صفة؟ فقال: ما أبالي أيهما قلت... وقال في هذه المسألة في بعض كتبه: "إن جعلتَ قولَك أخوه بدلا لم يجز، وإن جعلته صفة جاز"[6].

وذكر ابن جني أنا أبا الحسن كان ركّاباً لهذا الثَّبج[7] آخذا به، غير محتشِم منه، وأكثرُ كلامه في عامّة كتبه عليه، وروى ابن جني عن أبي عليّ: مذاهب أبي الحسن كثيرة[1].

---

[1] الملل والنحل، 1/ 45.

[2] المصدر السابق، 1/ 43.

[3] المصدر نفسه، 1/ 44.

[4] الإمتاع والمؤانسة، 96/1.

[5] هو: إبراهيم بن سفيان أبو إسحاق الزيادي، من أحفاد زياد بن أبيه، أديب، راوية، كان يُشبه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعانيه. له شعر، وله من الكتب "النقط والشكل"، "الأمثال"، "تنميق الأخبار"، "شرح نكت كتاب سيبويه"، "أسماء السحاب والرياح والأمطار" وغيرها. توفي سنة: 249هـ. الأعلام، 1/ 40، بغية الوعاة، ص08.

[6] الحجة، 1/ 109.

[7] الثبج: بمعنى عُبابَه ووسطه. جاء في المعاجم: يقال: ثبجُ كلِّ شيء؛ أي معظمه، ووسطه وأعلاه. والجمع: أثباج، وثبوج. لسان العرب، 2/ 219– 222، مختار الصحاح، الجوهري، 1/ 35.

وأبو عليّ قرين أبي الحسن في هذا الثبج، وهو يعرف هذا من نفسه؛ فقد روى عنه ابن جني أنه كان يقول في (هيهات): "أنا أفتي مرة بكونها اسماً سُمِّي به الفعل؛ كصه ومهْ، وأُفتي مرة أخرى بكونها ظرفاً، على قدْر ما يحضرني في الحال"[2].

ونحو ذلك من خِلاج الخاطر وتعادي المناظر كثير، حتى قال أبو علي عن نفسه: "أنا أعجب من هذا الخاطر في حضوره تارة ومغيبه أخرى"[3].

رابعا: الغموض

معلوم من أنَّ مسائل النحو في أغلبها عبارة عن قواعد وقوانين لا تحتاج إلى إغماض أو نحوه، إلاَّ أنَّه بالرُّغم من ذلك فإنَّ غموضاً كبيراً يكتنف الدرس النحوي عند أبي عليّ، ولعلَّ السِّرَّ في ذلك يتَّضح في محاورة الجاحظ أبا الحسن، قائلاً: "قلت لأبي الحسن: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلَّها، وما بالنا نفهم بعضها، ولا نفهم أكثرَها، وما بالك تُقدِّم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟ قال: أنا رجل لم أضَعْ كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتُها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلَّتْ حاجتُهم إليَّ فيها، وإنما كانت غايتي المنالةَ، فأنا أضعُ بعضها هذا الوضع المفهومَ لتدعوَهم حلاوةُ ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا"[4].

وأما أبو علي فقد تواترت الأخبار التي تصف أسلوبه بالإغماض والقلاقة، منها ما رواه الأنباري عن بعض أهل الأدب: "كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا، ومنهم من نفهم بعضَ كلامه ومنهم من نفهم جميع كلامه. فأما من لا نفهم شيئا فأبو الحسن الرُّمَّاني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسيّ وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي"[5].

وفي حديث أنس بن مالك أنه سمع حديث النبي ρمع أم حرام، وفيه : (يركبون ثبج هذا البحر) متفق عليه انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، رقم: 2636، 3/ 1027. أي: وسطه ومعظمه.

[1] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، د.ط، د.ت، 1/205-206.

[2] المصدر السابق ، 1/ 206.

[3] المصدر نفسه، 1/ 207.

[4] الحيوان، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلبي –القاهرة، د.ط، 1965م، 1/ 91- 92.

[5] نزهة الألباء، ص276- 277.

وقال ابن جني في بعض توجيهاته: "سألنا يوماً أبا عليّ عن بيت عديّ[1] فأخذ يتطلَّب له وجها ويتعسَّف فيه ... فأطال الطريق وأعْور المذهب"[2].

وقال ابن الشَّجْريّ[3]: "وقد ألغز أبو عليّ في كلامه هذا ... فاعرف ما ذكرتُه في هذا الفصل؛ فإنَّه في كلام أبي عليّ أغمض منه في كلام سيبويه"[4].

المطلب الثاني: مظاهر تأثر الفارسي بابن مجاهد وابن السراج والفراء

الفرع الأول: تأثر الفارسي بالإمام ابن مجاهد

يشكِّل الإمام أبو بكر بن مجاهد ركناً مميزاً بين جملة الأئمة، الذين برَّزوا الإمام أبا علي وصقلوا شخصيته في الساحة العلمية؛ يظهر ذلك في الآتي:

أولا: مورده وروايته عنه

معلوم أن أبا علي لازم ابن مجاهد وأخذ عنه القراءات، وأوحى إليه كتابه "السبعة في القراءات" إلى تأليف "الحجة في القراءات السبع" لشرح سبعة ابن مجاهد وتوجيه حروف الخلاف فيها

---

[1] هو: عدي بن زيد، ابن الخمار بن زيد بن أيوب العبادي التميمي النصراني، يكنى أبا عمرو. جاهلي من فحول الشعراء، وهو أحد الفحول الأربعة الذين هم: هو، وطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة بن عبدة، له أربع قصائد غرر روائع مبرَّزات، وله بعدهن شعر حسن. سير أعلام النبلاء، 5/ 110- 111، طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني –جدة، د.ط، د.ت، 1/ 137- 140.

[2] خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م، 8/ 510 والمحتسب، 1/ 34، 236.

[3] هو: ابن الشجري الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي من أهل الكرخ. كان إماما في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها صنف عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الأمالي وهو أكبر تواليفه وأكثرها إفادة، وجمع أيضا كتابا سماه الحماسة، ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي، وله في النحو عدة تصانيف، منها: ما اتفق لفظه واختلف معناه، وشرح اللمع لابن جني، وشرح التصريف الملوكي، وغيرها. ولد سنة: 450هـ، وتوفي سنة: 542هـ. نزهة الألباء، ص348، وفيات الأعيان، 6/ 45- 50.

[4] أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني العلوي، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1413هـ- 1992م، 2/ 57- 59.

وتعليلها، وإن لم يكن عليه من الفضل إلا هذا لكفاه، زد على ذلك عناية أبي علي في حجته بالرواية عن شيخه؛ إذ لا يفتأ يقول: "حدثنا ابن مجاهد..."[1].

ثانيا: اتباع منهجه

ذكرت –قبْلاً[2]– أن مصنَّفي الإمامين يتقاطعان في كثير من نقاط التوافق، خصوصا ما يتعلق بالمنهج العام، ويكاد ينحصر الفرق بينهما في كون كتاب ابن مجاهد يوشك أن يخلو –كليّاً– من توجيه القراءات وتعليلها إلا ما ذكره في سورة الفاتحة؛ قصد تقريب الفهم وخشية تثقيل الكتاب، وهذا ما صرّح به قائلا: "قال أبو بكر: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة –يعني الفاتحة– وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك"[3]. غير أن الذي نجزم به هو أن أبا علي اطلع على الكتاب؛ إذ هو موضوع الدراسة، فاستوعبه وتجاوزه بعمق الطرح وكثير الدراسة والتحليل والمناقشة.

الفرع الثاني: تأثر الفارسي بالإمام السَّرَّاج

يعتبر أبو بكر محمد بن السرِّي الملقب بالسراج، أحد أئمة الأدب والعربية الشارحين لكتاب سيويه، وأبو علي واحد من المتأثرين بشخصيته. ومن مظاهر ذلك التأثر ما يأتي:

أولا: الرواية عنه

تفيد كتب التراجم أن أبا علي أخذ عن ابن السراج وروى عنه، بل يذكر هو نفسه في "الحجة" أنه سبقه إلى هذا العمل إلا أنه لم يكمله، فلم يكن عمل أبي علي بعد هذا غيرَ وحي استوحاه من شيخه أبي بكر، وله عليه من الفضل ما مكنه أن يحقق ما طمح إليه شيخه قبله، ولا يخفى أثر الجلوس بين يدي الشيخ والسماع منه والرواية عنه من تأثير واضح في نفس الراوي والمتلقي، ودليل ذلك أنا أبا علي قال في "حجته": "وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا"[4].

ثانيا: نقل أقواله والإفادة منها

---

[1] المصدر نفسه. انظر على سبيل المثال: 1/ 205، 2/ 37، 46 وغيرها.

[2] انظر المقارنة بين حجة أبي علي وسبعة ابن مجاهد.

[3] السبعة لابن مجاهد، ص112.

[4] مقدمة الحجة، ص31.

اعتنى أبو علي رحمه الله –كما ذكر في المقدِّمة– بإسناد اجتهادات أبي بكر وأقواله إليه من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية الآية الثانية من سورة البقرة[1]، وأفاد منها كثيراً في توجيهاته واختياراته النحوية؛ من ذلك:

قوله في معرض الاحتجاج لقوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭽ [الفاتحة: ٧]:

"قال أبو بكر في الحجة في الجرِّ: إنهم قالوا ينخفض على ضربين: على البدل من الذين، ويستقيم أن يكون صفة للنكرة... قال: ويجوز عندي النصب أيضا على أعني ... قال: والاختيار الذي لا خفاء به الكسر". يستأنف أبو علي في نقل كلام شيخه جميعا وبيانه: "... قال أبو بكر: والذي عندي أنَّ ﭽ ﭪ ﭽ في هذا الموضع مع ما أضيفت إليه معرفة، وهذا شيء فيه نظر ولبس. فليفهم عني ما أقول: ..." فساق كلاما مفصَّلاً له، إلى قوله: "ومن جعل غير بدلا فقد استغنى عن هذا الاحتجاج؛ لأنَّ النكرة قد تبدل من المعرفة. انتهت الحكاية عن أبي بكر"[2].

ثالثا: التماسه ودفاعه عنه

يمتاز أبو علي رحمه الله بحسن العرض والتأويل، ويدفعه حقُّ المشيخة أن يرفع اللَّبس عن قول أبي بكر السري ويجلي الحقيقة؛ إذ نجده في أكثر من موضع يفعل هذا. فحينما تعرض للاحتجاج لقراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭽ [البقرة: ٢]، قال: "قال أبو بكر –في رواية من روى عن أبي عمرو وغيره أنه كان يشم ويدغم–: هذا محال، لا يمكن الإدغام مع شيء من هذا، وذلك أنه لا فصل بين الحرفين إذا أدغما بحال من الأحوال، لا بقطع ولا حركة ولا ضرب من الضروب، وإنما يصيران كالحرف الواحد للزوم اللسان لموضع واحد... انتهت الحكاية عن أبي بكر"[3]. وبعد عشر صفحات كاملة من العرض والمناقشة يعود أبو علي إلى شيخه مرَّة أخرى ملتمساً لقوله ومبرِّراً له:

"ولعلَّ أبا بكر ظن أن القراء ليس يعنون بالإشمام ما يَعني به النحويون في أنه تهيئة العضو للصوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللفظ. والذي أحسب أنه من أجله ظنَّ ذلك حكايته عن أبي حاتم أنه

---

[1] وهي قوله تعالى: [هدى للمتقين] [البقرة: 02].

[2] الحجة، 1/ 106- 107.

[3] المصدر نفسه، 1/ 126- 127.

أراد أبو عمرو ونافع الإخفاء، فلذلك أشما الضم والكسر، والإشمام يكون عند النحويين في الضم، فأما الكسر فلا إشمام فيه..."[1].

رابعا: مخالفته وانتقاده

لا يعني التماسُ أبي علي والدفاع عن مذهب شيخه الرُّكونَ لكلِّ ما يقوله، ومجاراته فيما يختار، وذوبان شخصيته ووقوعه رهينةَ من ينقل عنهم، بل على العكس فإن أبا علي يتسم بشخصية علمية قوية، وهو أربأُ بنفسه أن يفعل ذلك أو أن يهتك ستر الأمانة العلمية؛ لذلك نجده في معرض الحديث عن قوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ [الفاتحة: ٤]، قال: "قال أبو بكر محمد بن السري: الاختيار عندي: **ﭽمَلِكِ يوم الدين ﭽ**، والحجة في ذلك: أن المِلْك والمُلْك يجمعهما معنى واحد، ويرجعان إلى أصل؛ وهو الربط والشدُّ..."، وبعد ثلاث صفحات من الدراسة والاستشهاد قرّر أبو علي أن "ما حكاه أبو بكر عن بعض من اختار القراءة بمَلِك، من أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله: **ﭽرب العالمينﭽ** فلا فائدة في تكرير ذكر ما قد مضى؛ فإنه لا يرجَّح قراءة **ﭽملِك ﭽ** على **ﭽﭧﭽ** ؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة..."[2].

الفرع الثالث: تأثره بالإمام الفرَّاء

يعدُّ أبو زكريا الفرَّاء[3] أحد أئمة مدرسة الكوفة في اللغة والأدب وأبرعهم فيهما، كما يمثل واحداً من أهم الشخصيات التي أفاد منها أبو علي الفارسي على غرار إفادته من الخليل بن أحمد وسيبويه[4] وثعلب[5]، وكل هؤلاء كثر ذكرهم في "الحجة" واستدل بأقوالهم وبشواهدهم ونافح على آرائهم ومذاهبهم. غير أن الأمر الملفت للانتباه موقف أبي علي مع الفراء في "الحجة" وكيفية تعاطي أقواله وتعامله معها. ولا أَدلَّ على كلِّ ذلك من الآتي:

أولا: العناية بإيراد أقواله

معلوم أن أبا علي رحمه الله لم يلتق أبا زكريا الفراء رحمه الله؛ فلم يظفر منه بحظ الصحبة والرواية، ولكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على تراثه والإفادة منه؛ فقد روى عنه كتاب "معاني القرآن"

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 146.

[2] الحجة، 1/ 37.

[3] سبقت ترجمته، ص11.

[4] تقدمت ترجمته، ص11.

[5] سبقت ترجمته، ص26.

عن طريق أبي بكر بن مجاهد[1]، ومن أمثلة ذلك:

قول أبي علي في معرض الاحتجاج لقوله تعالى: ﭽ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﭼ [إبراهيم: ٢٢] -الياء الثانية محركة إلى الكسر-: "قال أبو علي: قال **الفراء** في كتابه التصريف: هو قراءة الأعمش[2]، ويحيى بن وثاب[3].

قال: وزعم القاسم بن معن[4] أنه صواب، قال: وكان ثقة بصيراً، وزعم قُطرب[5] أنه لغة في بني بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد:

ماض إذا ما همَّ بالمضِيِّ

قال لها هل لكِ يا تافِيِّ

وقد أنشد **الفراء** ذلك أيضاً"[6].

فالشاهد هنا أنه استدلَّ بقوله، بل زاد على ذلك أنه ذكر كتابه التصريف[7]؛ مما يدل على

---

[1] مقدمة تحقيق المحتسب لابن جني، علي النجدي ناصف وغيره، ص36.

[2] هو: سليمان بن مهران الأعمش الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي أصله من أعمال الري، رأى أنسا رضي الله عنه يصلي وروى عن عبد الله بن أبي أوفى، وأبي وائل، وزيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن =جبير وخلق. قرأ القرآن على يحيى بن وثاب وغيره، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي ومجاهد وعاصم بن بهدلة. قرأ عليه حمزة الزيات وغيره وكان مولده سنة 61هـ. قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض. توفي سنة 148هـ. غاية النهاية، 286/1 ومعرفة القراء الكبار، 1/ 94.

[3] هو: يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء الكوفي، إمام أهل الكوفة في القرآن، تابعي ثقة، قليل الحديث، من أكابر القراء. =له خبر طريف من الحجاج: كان يحيى يؤم قومه في الصلاة، وأمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة إلا عربي. فقيل له: اعتزل، فبلغ الحجاج، فقال: ليس عن مثل هذا نهيت، فصلى بهم يوما، ثم قالوا: اطلبوا إماما غيري إني أردت أن لا تستذلوني فإذا صار الأمر إلي فلا أؤمكم. مات سنة: 103هـ. غاية النهاية، 2/ 331 والنجوم الزاهرة، 252/1.

[4] هو: القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي، أبو عبد الله، قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث. عالم بالعربية والأخبار والأنساب والأدب، ومن أروى الناس للحديث والشعر، يقال له: شعبي زمانه، وكان سخيا، وهو من أحفاد الصحابي عبد الله بن مسعود وإليه نسبته. له كتاب "النوادر في اللغة"، و "غريب المصنف" وغيرهما. توفي سنة: 175هـ. إنباه الرواة، 30/3-31، بغية الوعاة، ص381 و الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خانه –كراتشي، د.ط، د.ت، 1/ 412.

[5] تقدمت ترجمته، ص73.

[6] الحجة، 3/ 16.

[7] لم أقف –في حدود اطلاعي في كتب التراجم- على عنوان هذا الكتاب ونسبته لأبي زكريا الفراء، وهذا يدل على أحد أمرين: أولهما أن كتب التراجم لم تذكر هذا الكتاب، ومعلوم أنها لم تحصر جميع المصنفات وعزوها إلى أصحابها، كما رأينا مع مصنفات كثيرة لأبي علي لم تذكرها كتب التراجم، ولعل كتاب التصريف للفراء واحد من تلك. وإما أن أبا علي يعني بكتاب التصريف هذا كتاب الجمع والتثنية، أو كتاب المذكر والمؤنث أو كليهما معا؛ وقد ذكرهما للفراء صاحبُ الفهرست وغيرُه. الفهرست: 1/ 99.

اطلاع أبي علي عليه ونقله عنه.

ثانيا: مخالفة مذهبه ومناقشته

عُني أبو علي بإيراد أقوال أبي زكريا الفراء وآرائه، وكان أشدَّ عناية في -كلِّ موضع يوردها فيه- بمناقشتها والرَّدِّ عليها، بل وبإبطالها ووصفها بعدم الاستقامة، حتى لكأنه يُظَنُّ أنه إنما يأتي بقوله ليخالفه فيه[1].

ولقد لاحظنا ذلك في خمسة مواضع[2] -عدا الموضع الآنف ذكره- يذكر فيها مذهبه فيعمَد إلى نقضه ومخالفته، أكتفي بسوْق نموذج واحد يثبت ذلك، وهو:

قول أبي علي: "وأما ما حكاه أحمد بن يحيى عن الفرَّاء في أن قوله: ﭽ □ □ □ □ □ ﭼ [البقرة: ١٦] إنما حرّكها بالحركة التي كانت تجب للام الفعل من الضمة، فإنه ذهب في ذلك إلى أن الحركة فيها ليست لالتقاء الساكنين، كما يذهب إليه سيبويه[3] وأصحابه. وهذا الذي ذهب إليه الفرَّاء لا يستقيم من غير جهة: منها أن اشترى واصطفى وما أشبه ذلك إنما انقلبت اللام فيه ألفا لتقدير الحركة فيها... ويمتنع ذلك من وجه آخر... ووجه آخر... "[4]، وراح يعدّد أوجه فساد مذهبه إلى أن قال: "فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ولم نجد في هذه الأصول شيئا على ما ادَّعاه ثبت فساد ما ذهب إليه؛ لدفع الأصول له وتعرِّيه من دلالة تدلُّ عليه"[5].

---

[1] ويبدو أنَّ سبب ذلك عائد إلى اختلافهما المذهبي؛ فالفراء من أعلام الكوفة وأبو علي بالرغم من انفراداته واجتهاداته =إلاَّ أنَّه لا يخرج في العموم عن طوق مذهب أهل البصرة.

[2] ذكر أبو علي أبا زكريا الفراء في ستة مواضع من كتابه؛ كلها ينقده فيها ويخالفه، انظر الحجة: 1/232، 363- 364، 445 وَ 2/ 65. عدا موضع واحد فقط، فإنه أشار فيه إلى قول له من كتابه التصريف: 3/ 16.

[3] انظر: كتاب سيبويه، هذا باب يُحرك فيه الحرف الذي يليه المحذوف لأنه لا يلتقي ساكنان، 2/ 263.

[4] الحجة،1/ 232.

[5] المصدر نفسه، 1/ 233.

المطلب الأول: مظاهر تأثير الفارسي في ابن جني

إن أثر أبي علي رحمه الله فيمن بعده لا يُنكر وإفادات غيره منه لا تكاد تُحصر، فكم أخذ الآخر عن الأول. أمّا بخصوص كتابه "الحجة"؛ فإن أثره يبدو جليّاً في نماذج كثيرة ومختلفة أيضا، منهم الإمام ابن جني (392هـ) الذي كان من جملة من تأثروا بالإمام أبي علي وأفادوا منه كثيرا ومن كتبه خصوصا كتابه "الحجة"، ويظهر ذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: الإفادة منه

ومن مظاهر هذه الإفادة ما يأتي:

أولا: حسن الصحبة والرواية

شكّلت الرواية أحد أهمّ روافد وإفادات الإمام ابن جنّي عن شيخه أبي علي؛ ذلك أن جذور العلاقة بين الشيخ والتلميذ –كما ذكر أبو البركات الأنباري– علاقة علمية، سببها مسألة صرفية هي (قلب الواو ألفاً)؛ فقد: "أخذ عن أبي علي الفارسي، وصحبه أربعين سنة. وكان سبب صحبته

إياه، أن أبا علي الفارسي كان قد سافر إلى الموصل، فدخل إلى الجامع فوجد أبا الفتح عثمان بن جني يُقرئ النحو وهو شاب، وكان بين يديه متعلِّم وهو يكلِّمه في قلب الواو ألفا، قام وقال، فاعترض عليه أبو علي فوجده مقصِّراً، فقال له أبو علي: "زبَّبت قبل أن تحصرم"، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جني، وسأل عنه فقيل له: هو أبو علي الفارسي النحوي، فأخذ في طلبه، فوجده ينزل إلى السميرية[1] يقصد بغداد، فنزل معه في الحال، ولزمه وصاحبه من حينئذ إلى أن مات أبو علي وخلفه ابن جني، ودرس النحو ببغداد وأخذ عنه، وكان تبحر ابن جني في علم التصريف؛ لأن السبب في صحبته أبو علي، وتغرُّبه عن وطنه، ومفارقة أهله مسألة تصريفية، فحمله ذلك على التبحُّر والتدقيق فيه"[2].

واضح مما سبق أن سبب نبوغ ابن جني وتمهُّره وبلوغه من أمره ما بلغ إنما كان بسبب شيخه أبي علي، وكأنَّ خطأه أمام أستاذه في مسألة قلب الواو ألفا كان سبباً في عنايته بها وإكثاره من القول فيها.

ولقد طالت العلاقة بين الإمامين عدَّة سنين، فأقاما معاً في بلاط سيف الدولة الحمداني[3] في حلب زمناً، وفي بلاط عضد الدولة البويهي[4] في شيراز زمنا آخر ، وهذه الصحبة الطويلة تدل على أن كلا منهما محتاج للآخر في شؤونه العلمية فضلا عن الشؤون الأخرى، حتى قيل: "إن ابن جني كان في حاجة إلى العيش اللين الذي كان أبو علي يتمتع به في رحاب الملوك والأمراء، وفي حاجة إلى علم شيخه الغزير وعلوِّ قدره، وأبو علي في حاجة إلى خدمة تلميذه لتذليل متاعب الحياة وتوفير وقته الثمين في الدرس والبحث، وإلى الاستئناس برأي ابن جني فيما يعرض له من عويص المسائل؛ فقد كان ابن جني عنده كمخبار يمتحن به تجاربه"[5].

من ذلك ما ذكره ابن جني أنه دخل يوماً على أبي علي خالياً في آخر النهار، "فحين رآني قال لي: أين أنت؟ أنا أطلبك. قلت: وما ذاك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من حَوْريت؟ فخضنا

---

[1] موضع بأرض ببغداد. انظر: تاريخ بغداد، 7/ 228.

[2] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص288.

[3] سبقت ترجمته، ص09.

[4] سبقت ترجمته، ص06.

[5] مقدمة محققي سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: مصطفى السقا، إبراهيم مصطفى وغيرهما، مطبعة البابي الحلبي مصر، ط1، 1374هـ- 1954م، 1/ 33.

معاً فيه، فلم نحل بطائل منه، فقال: هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار[1]، فلا ينكر أن يجيء مخالفا لأمثلتهم"[2].

على أنه لم يسجَّل سوء تفاهم أو عكر صفاء بينهما طيلة هذه السنوات، واعتزاز كل منهما بالآخر وإجلال بعضهما حفلت به الكتب؛ فقد كانا متحابين كما يظهر جليا في كتب ابن جني نفسه، الذي كان يثني على شيخه في موضوعات كثيرة من كتبه، فنراه يصفه بالعلم والنباهة عند ارتضائه قصيدة أبي الطيب المتنبي الميمية، بقوله: "لأن أبا علي مع جلالة قدره في العلم، ونباهة محله، واقتدائه بسنة أهل الفضل لم يكن ليطلق هذا القول عليه إلا وهو مستحق له عنده"[3].

هذا، ولقد أخذ أبو الفتح تصريف المازني[4] قراءة على أبي علي، جاء في المنصف: "قال أبو الفتح عثمان بن جني: أخبرني الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي قراءة مني عليه بحلب، عن أبي بكر بن محمد بن السريّ السرّاج، عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد، عن أبي عثمان بكر بن محمد بن بقيَّة المازنيّ، رحمهم الله أجمعين"[5].

كما قرأ عليه كتبا كثيرة، نحو: كتاب سيبويه، وكتاب الهمز وكتاب النوادر كلاهما[6] لأبي زيد[7]، زيد[7]، والقلب والإبدال ليعقوب وكتاب التصريف للأخفش[8].

---

[1] الصحيح (لغة بني) وبنو نزار: بطن من عدنان، وهم بنو نزار بن معد بن عدنان، كان له من الولد أربعة منهم على عمود النسب: مضر، وخارج عن عمود: النسب أياد وربيعة وأنمار، ولما حضرت نزار الوفاة كنَّى لهم بقسمة كل واحد منهم، وأحالهم على ملك نجران الأفعى الجرهمي ليخبرهم بوصية أبيهم عنده. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، 1/ 139.

[2] الخصائص، 1/ 387، 3/ 207.

[3] الفسر، أو شرح ابن جني لديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: صفاء خلوصي، طبع دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد، ط1، 1988م، 1/ 26.

[4] تقدمت ترجمته، ص78.

[5] المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان ابن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي، ت: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة الحلبي –مصر، ط1، 1373هـ- 1954م، 1/ 6.

[6] المصدر نفسه، 3/ 57.

[7] هو: أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، اللغوي البصري. كان من أئمة الأدب، وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب. له في الآداب مصنفات مفيدة، منها: كتاب القوس، والترس، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب المطر، وكتاب المياه، وكتاب اللغات، وكتاب النوادر، وكتاب الجمع والتثنية، وغير ذلك. توفي سنة 215، وقيل: 216هـ. الطبقات الكبرى، 27/7، الفهرست، 1/ 81، وفيات الأعيان، 2/ 378-380.

[8] انظر: سر صناعة الإعراب، 1/ 72، 2/ 546، تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع، أبو الفتح عثمان بن جني، جني، ت: محمد بهجة الأثري، المطبعة الهاشمية –دمشق، د.ط، 1386هـ- 1966م، ص80.

أما روايته لهذه الكتب فكانت رواية النوادر —وهي أكثر روايته في كتبه منها– عن طريق الرياشي[1]؛ إذ يقول: "وقرأت عليه عن أبي الحسن علي بن سليمان[2] عن أبي العباس عن أبي الفضل الرياشي في نوادر أبي زيد"[3].

وعن أبي سعيد السكري[4] عن الرياشي "أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد السكري السكري عن أبي الفضل الرياشي قال: أنشد أبو زيد"، وعن طريق أبي عثمان المازني "أخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد"[5] وعن أبي سعيد السكري عن أبي زيد: "أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد عن أبي زيد في كتاب النوادر"[6].

أما كتاب الهمز لأبي زيد فقد رواه عن طريق أبي العباس قراءة على أبي علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس عن أبي زيد في كتاب الهمز"[7].

أما كتاب القلب والإبدال ليعقوب فقد قرأه أيضا على أبي علي بقوله: "وكذلك قرأت هذه اللفظة على أبي علي في كتاب القلب والإبدال عن يعقوب"[8].

وأخيرا كتاب التصريف للأخفش فكانت قراءته على أبي علي بقوله: "هذا الذي حكيته لك عن أبي الحسن موجود في نسخ كتابه في التصريف، وهكذا قرأته على أبي علي ووجدته أيضا في نسخة أخرى مقروءة عليه وفي نسخة أخرى كان يستجيدها ويصف صحتها"[9].

---

[1] أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي النحوي اللغوي البصري، كان عالما راوية ثقة عارفا بأيام العرب، كثير الاطلاع روى عن الأصمعي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما، وروى عنه إبراهيم الحربي، وابن أبي الدنيا وغيرهما. قتل بالبصرة أيام العلوي البصري سنة 257هـ. انظر: تاريخ بغداد، 12/ 138، سير أعلام النبلاء، 12/ 372- 373، ووفيات الأعيان، 3/ 27- 28.

[2] هو: الأخفش الصغير، تقدمت ترجمته، ص13.

[3] المنصف، 3/ 17.

[4] هو: شيخ الأدب أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة بن الأمير المهلب الأزدي المهلبي السكري النحوي، صاحب التصانيف. سمع من يحيى بن معين جماعة، وأخذ العربية عن أبي حاتم =السجستاني، والرياشي وعمر بن شيبة، روى عنه محمد بن أحمد الحكيمي، ومحمد بن عبد الملك التاريخي وأبو سهل بن زياد. صنف التصانيف؛ له كتاب الوحوش، وكتاب النبات وكان عجبا في معرفة أشعار العرب. توفي سنة: 275هـ. سير أعلام النبلاء، 13/ 126- 127، الفهرست، 1/ 117، نزهة الألباء، ص187.

[5] الخصائص، 2/ 14.

[6] المنصف، 3/ 10، والمحتسب، 1/ 63.

[7] المنصف، 3/ 11.

[8] سر صناعة الإعراب، 1/ 239.

[9] المصدر نفسه، 2/ 751- 752.

هذا، ولم يدخر أبو الفتح وسعا في توثيق أستاذه؛ فوصفه بالأمانة في روايته "دائم الاستظهار لإيراد ما يرويه"[1]، وذكر "نُبْل قدره ونباوة محلِّه"[2].

ثانيا: نقل علمه والإفادة من أصوله

سبقت الإشارة إلى أن ابن جني من التلامذة الأوفياء لأبي علي؛ إذ عُني بعلمه أيما عناية، فهو لا يفتأ ينقل أقواله وآراءه في المسائل المختلفة، ويثبتها في كتبه وينتصر لها، كما حرص على تلخيص بعض كتبه كالتذكرة[3] وغيرها، وقد رأينا أن سبب تأليفه لكتاب المحتسب هو اهتمام شيخه بالتأليف في القراءات الشواذ؛ فقد حدَّث نفسه بوضع كتاب فيها على شاكلة الحجة، لولا صروف الدهر التي حالت دون ذلك.

ومن ثمة أصبح ابن جني مستودع علم شيخه وموطن ثقته؛ إذ توثقت الصلة بينهما بأوثق الأسباب وأمتن العرى، فالتلميذ يتقبَّل رأي الشيخ[4] وينتفع به ويطري على عمله ويرجع فضل ذلك إلى شيخه ويفتخر بالانتساب إليه في أسباب علمه، ويوثق آراءه في كتبه منسوبة إلى أستاذه حصيلة ملازمة طويلة، بل "لم يجد خيرا من ملازمة هذا الإمام الفذ متنقلا معه في رحلاته، شغوفا بآرائه، مبهورا بفطنته ودقة أقيسته وتعليلاته، ومن يقرأه في كتبه المطبوعة ولاسيما الخصائص يحس أن مادة علمه مستمدة من أستاذه، وكأنه كان قلما في يده يسجل كل خواطره ولفتاته النحوية والصرفية، وهي لفتات وخواطر اندفع ينميها ويضيف إليها من عقله الخصب النادر ما جعله يتقن ظواهر التصريف والنحو علماً وفقهاً وتأويلاً وتحليلاً، بل ما جعله يرث إمامة أستاذه"[5].

وعناية أبي الفتح بعلْم أبي علي ونقله لم يختص بمكان معين، بل في عدة أماكن في الشام، وحلب، وبغداد والموصل، جاء في الخصائص: "قال لي أبو علي –رحمه الله– (بحلب) سنة ست وأربعين..."[6]، "وقال لي أبو علي بالشام..."[7]، " وأنشدنيه –رحمه الله– ونحن في دار الملك[8]..."[1]. الملك[8]..."[1]. وغير هذا التقييد كثير مبثوث في كتب أبي الفتح.

---

[1] المصدر نفسه، 3/ 313.

[2] المصدر نفسه، 1/ 208.

[3] عثمان بن جني لخص كتابه التذكرة لأبي علي الفارسي. انظر: إنباه الرواة، 1/ 308.

[4] يوافق ابن جني رأي أستاذه في أكثر الأحيان وينتصر لمذهبه ويدعمه، ولم أره يخالفه في كتبه –خاصة الخصائص– إلا في القليل النادر. انظر مثلا: الخصائص، 2/ 31، 40 وغيرها و المحتسب،1/73، 76، 80، 95 وغيرها.

[5] مقدمة محققي سر صناعة الإعراب، 1/ 33.

[6] الخصائص، 2/ 88. وفي المحتسب، ت: هنداوي، 1/ 83، 113.

[7] المصدر نفسه، 1/ 121.

[8] يعني: دار السلطان عضد الدولة فناخسرو ببغداد أو شيراز.

كما لا يخفى أن أغلب كتب ابن جني من إملاء أبي علي؛ إذ أن التلميذ يسأل والأستاذ يوجِّه وربما يصحح له التلميذ، فكان أبو علي يعرض عليه قسماً من المسائل، أو يذكر له تعليلاً، أو يسأل عن تعليل وكان يطلبه إذا غاب، وابن جني يوافقه ويدعم رأيه ببرهان أو يخالفه ويرى رأياً آخر، ولم يكن أبو علي يضيق بهذه المخالفة بل كان ينزل على رأيه أحياناً.

بل نجده أحياناً يفيد بعض مسائل ومباحث اللغة من في أستاذه دون غيره، فيقول في باب تلاقي اللغة: "هذا موضع لم أسمع فيه لأحد شيئا إلا لأبي عليّ رحمه الله"[2]، وهو في ذلك اشدّ إعجاباً به؛ يقول: "وسألت مرة أبا عليّ –رحمه الله– عن ردّ سيبويه كثيرا من أحكام التحقير إلى أحكام التكسير وحمله إياها عليها..."، فأجاب الشيخ ودلّل، يضيف ابن جني معلقا: "... هذا معقِدُ معناه، وما أحسنه وما أعلاه!"[3].

وبلغ تأثير أبي علي في شخصية تلميذه العلمية مبلغا كبيراً حمله على أن يعتمد أصول إمامه؛ يقول شوقي ضيف: "ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إن أكثر الأصول التي اعتمدها ابن جني في كتابه الخصائص إنما استمدها من إملاءات أبي علي أستاذه وملاحظاته"[4]. كما حمله على أن يتمذهب بمذهب أهل البصرة مذهبِ إمامه، وكان "يعرض ما يكتبه على أستاذه أبي علي فيقرُّه عليه، ويزداد إعجابه به، ويشجعه على المضي في تمهيد هذه الطريق الوعرة التي تحاماها كثير من الدارسين على ما لهم من بعد الهمة وطول الباع في الدرس اللغوي والنحوي"[5].

الفرع الثاني: ثناؤه عليه وتوثيقه

أولا: ثناؤه عليه

إن عبارات الثناء والإطراء التي يلوكها أبو الفتح كلما ذكر شيخه أبا علي، وترحُّمَه عليه ليدل على رفعة مقام الإمام، وهيبته وعلو شأنه في نفس تلميذه؛ فنجده يسِمه بالشيخ الفاضل والأستاذ المبجَّل بقوله: "فهذه أحكام تصريف هذه اللفظة، ولست أعرف أحدا من أصحابنا خاض فيها إلى

---

[1] المصدر نفسه، 3/ 270.

[2] الخصائص، 1/ 321.

[3] المصدر نفسه، 1/ 354.

[4] المدارس النحوية، ص259.

[5] أعلام في النحو العربي، مهدي المخزومي، الموسوعة الصغيرة (60)، منشورات دار الجاحظ ودار الحرية للطباعة –بغداد، 1980م، ص98.

ههنا، ولا قارب هذا الموضع أيضاً، بل رأيت أبا علي وقد نشَّم[1] فيها شيئا من القول يسيراً لم يستوفِ الحال فيه، ولا طار بهذه الجهة، وإن كان بحمد الله والاعتراف له الشيخ الفاضل والأستاذ المبجَّل، ولو لم يتضمن هذا الكتاب من الكلام على الدقيق أكثر من هذه المسألة لكانت –بحمد الله– جمالاً له ومحسنةً حاله"[2].

ومن كلمات الترضي والترحُّم التي كان أبو الفتح يسكبها على روح أستاذه، قوله: "سألت غير مرة أبا علي –رضي الله عنه– عن ذلك"[3]، و"رأيت أبا علي –رحمه الله– يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي"[4]، و"سألني أبو علي –رحمه الله– عن ألف (يا)"[5]، و"وقلت مرة لأبي علي –رحمه رحمه الله– قد حضرني شيء"[6]، و"وقد كان أبو علي –رحمه الله– كتب إليّ من حلب وأنا بالموصل"[7]، وأحيانا يستخدم الجمع، فيقول: "ونبهنا أبو علي –رحمه الله–"[8]، و"وافقنا أبو علي –رحمه الله– على هذا الموضع"[9] وغير ما ذكر كثير.

كما يشيد ابن جني بعلم شيخه الذي أخذ بجوانبه، وتوصل إليه توصلاً كاد يكون فريد دهره حتى لكأنَّه خلق لهذا العلم؛ فيقول: "ولله هو وعليه رحمته، فما كان أقوى قياسه، وأشدُّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه. فكأنه إنما كان مخلوقاً له، وكيف لا يكون كذلك، وقد أقام على هذه الطريقة مع جِلَّة أصحابها، وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة عللُه، ساقطة عنه كُلَفُه، وجعله همَّه وسدَمَه[10]، لا يعتاقه عنه ولد[11]، ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوم به مطلباً، ولا يخدم به رئيساً إلا

---

[1] نشَّم من النَّشَم. يقال: نشب في الأمر ونشَّم فيه؛ إذا ابتدأ فيه ولم يوغل فيه، ومنه قولهم: نشَّم الناس في عثمانَ؛ أي نالوا منه وطعنوا عليه. وقد عاقبت ههنا الميم الباء، ومنه قالوا: النشم والنشب: للشجر الذي يتخذ منه القسي لأنه من آلات النشوب في الشيء؛ والباء الأصل فيه؛ لأنه أذهب في التصرف. انظر: الفائق، 3/ 430. لسان العرب، 12/574- 576.

[2] سر صناعة الإعراب، ت: حسن هنداوي، 2/ 663- 664.

[3] الخصائص، 1/ 243.

[4] المحتسب، 1/ 52.

[5] المصدر السابق، 1/ 276.

[6] المصدر نفسه، 1/ 365.

[7] المصدر نفسه، 3/ 38.

[8] المصدر نفسه، 2/ 168.

[9] المصدر نفسه، 2/ 266.

[10] السدم: من سدِم –بالكسر– فهو سَدمان؛ بمعنى الهمّ، والحزن، والغيظ والندم. لسان العرب، مادة (س د م)، 12/283.

[11] أي: لا يشغله عن علمه أهل ولا ولد؛ فيتحرر ويتفرغ إليهم، وقد تقدمت الإشارة إلى تفرغ أبي علي وعدم ارتباطه بأهل.

بأَخَرَةٍ[1] وقد حطَّ من أثقاله وألقى عصا تَرحاله"[2]، ويقر باغترافه من علمه وفيضه عليه ويعترف بفضله، قائلاً: "وهو رأي أبي علي –رحمه الله– وعنه أخذته لفظاً ومراجعة وبحثاً"[3]، ويقول في موضع موضع آخر: "وسألت أبا علي –رحمه الله– من أجرى غير اللازم مجرى اللازم فقال: ....، وهو كما ذكر"[4].

وقد عقل الإمام مكانتَه في نفس تلميذه، فبادله هو الآخر بالحب والاعتزاز؛ ويتجلى هذا واضحاً من "استجادته كتبه كلِّها، ومن حرصه على مصاحبته له في قصور الملوك والأمراء في الحل والترحال نحو أربعين سنة، ولم يفترقا بعدها إلا بالموت"[5].

كما نراه يحترم رأي تلميذه ويدوِّن بعضها ويعتزُّ بها، قال ابن جني: "وقلت مرة لأبي علي –رحمه الله–: قد حضرني شيء في علَّة الإتْباع في (نِقيذِ) وإن عرى أن تكون عينه حلقية، وهو قرب القاف من الخاء والغين، فكما جاء عنهم (النخير والرغيف)، كذلك جاء عنهم (النقيذ) فجاز أن تُشبَّه القاف لقربه من حروف الحلق بها، كما شبَّه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الفم، فالنقيذ في الإتباع كالمنْخُل والمنغِل فيمن أخفى النون؛ فرضيَه وتقبَّله. ثم رأيته وقد أثبته فيما بعد بخطِّه في تذكرته"[6].

ثانيا: تقويمه

إن النتاج العلمي مُعرَّض للتقويم بين أهل الصَّنعة وهو سنَّة ظاهرة عندهم؛ وابن جني واحد من الذين استوعبوا تراث شيوخهم وانبروا لتقويمه وتصحيحه؛ إذ نجده في أغلب كتبه ينتصر لرأي أستاذه، ويأخذ به، ويستند إليه في كثير من المسائل اللغوية ولكن أحياناً –وهو قليل– يردُّ عليه وينتصر لغيره، من ذلك:

1- انتصاره لأبي الحسن الأخفش الصغير في معرض حديثه عن موضوع الفاء واللام، حيث يقول: "فقد دخل أبو الحسن معي في أن أعترف بأن الفاء واللام واوان إذ لم يجد بدّاً من

---

[1] يقال باعه بأَجِرَةٍ –بفتح الهمزة وكسر الخاء المعجمة– أي بنسيئة، وعرفه بأَخَرَةٍ –بفتح الخاء– أي أخيراً. انظر: مختار الصحاح، مادة (أخ ر)، 04/1. فهو بهذا المعنى الأخير –وهو المقصود– لا يقدِّم على علمه رئيساً ولا غيره، وإذا كان لا بدّ له من ذلك فعل أخيراً.

[2] المصدر السابق، 1/ 276- 277.

[3] الخصائص، 1/ 120.

[4] المحتسب، 1/ 68.

[5] مقدمة تحقيق سر صناعة الإعراب، ت: هنداوي، ص24.

[6] الخصائص، 1/ 365- 366.

الاعتراف بذلك، كما لم أجده أنا، ثم إنه زاد على ما ذهبنا إليه جميعاً شيئا لا نظير له في حرف من الكلام البتة"[1].

2- وفي موضع آخر يخالف شيخه ويستأثر برأي يراه؛ يقول: "وسألت يوما أبا علي – رحمه الله- عن تِخْفافٍ[2]: أتاؤه للإلحاق بباب قرطاس؟ فقال: نعم، واحتجّ في ذلك بما انضاف إليها من زيادة الألف معها. فعلى هذا يجوز أن يكون ما جاء عنهم من باب أُمْلُودٍ[3] وأظفور ملحقا بباب عُسِلوج[4]، ودملوج[5]، وأن يكون إِطريح[6] وإسليح[7] ملحقا بباب شِنظير[8] وخنزير. ويبعد هذا عندي..."[9].

المطلب الثاني: مظاهر تأثير الفارسي في الجرجاني

يعتبر الإمام الجرجاني أيضا من جملة الأئمة الذين نهلوا من علم الفارسي، وسأبين ذلك في الآتي:

الفرع الأول: التعريف بالإمام الجرجاني

هو: الإمام المشهور أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني[10]، إمام النحو والبلاغة، والمتكلم الأشعري، والفقيه الشافعي، ذو الدين المتين والورع والسكون.

ومن ورعه وقناعته ما رواه السَّلفي من دخول لص عليه وهو في الصلاة، فأخذ جميع ما وجد والإمام ينظر إليه ولم يقطع صلاته.

---

[1] المصدر السابق، 2/ 599.

[2] ما يوضع على الخيل من الحديد وغيره في الحرب؛ ليقيها الجراح. انظر: لسان العرب، مادة: (جفف)، 9/ 30.

[3] يقال: غصن أملود؛ بمعنى ليِّن. المصدر نفسه، مادة: (ملد)، 3/ 410.

[4] هو ما اخضر ولان من القضبان. لسان العرب، مادة: (عسلج)، 2/ 324.

[5] ما يلبسه العضد من الحليّ. المصدر نفسه، مادة: (دملج)، 2/ 276.

[6] يقال: سنام إطريح؛ إذا طال ثم مال في أحد شقيه. المصدر نفسه، مادة: (طرح)، 2/ 529.

[7] شجرة، أو حشيشة ترعاها الإبل فتُسلّحُها –من العذرة- وتغزُر عليها. انظر: المصدر نفسه، مادة: (سلح)، 487/2.

[8] الشنظير: السّيء الخلق والسخيف العقل. المصدر نفسه، مادة: (شنظر)، 4/ 431.

[9] الخصائص، 1/ 231.

[10] انظر: إنباه الرواة، 2/ 188 وما بعدها، والبلغة، ص127 وما بعدها، وبغية الوعاة، ص24 وما بعدها، وشذرات الذهب، 3/ 340 وما بعدها، وطبقات الشافعية، السبكي، 3/ 244 وما بعدها، وطبقات المفسرين، الداودي، 230/1، وكشف الظنون، 1793/2، ومرآة الجنان، 3/ 101، ونزهة الألباء، ص434 وغيرها.

والجرجاني فارسي الأصل، جرجاني[1] المولد، أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي[2]، ابن أخت أبي علي الفارسي، الذي طرأ عليه في جرجان[3] وكان يحكي عنه كثيرا ولم يأخذ عن غيره، لأن عبد القاهر لم يلق شيخا في العربية غيره، ولأنه أيضا لم يخرج عن جرجان. وقد قرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء فتصدر بجرجان، وحثت إليه الرحال، وصار الإمام المشهور المقصود، له تصانيف كثيرة جيدة وجليلة؛ فقد صنف في النحو والأدب كتبا مفيدة. وقد علق عنه السلفي، حتى قيل فيه: "ما مقلت عيني لغويا مثله، وأما في النحو فعبد القاهر"، كما أنه من كبار أئمة العربية واللغة والبيان، وأول من دون علم المعاني، وكلامه فيه وفي البيان يدل على جلالته وتحقيقه ودبانته وتوفيقه.

انتهت إليه رئاسة النحو في زمانه، واتفقت على إمامته الألسنة، وأثنى عليه طيب العناصر وثنيت به عقود الخناصر.

أخذ عنه جملة من التلامذة، منهم: أحمد بن محمد الشجري[4] الذي أخذ عنه كتابه "المقتصد" "المقتصد" في النحو.

له مؤلفات كثيرة في ميادين شتى، منها: العوامل المائة، كتاب الجمل، الإيجاز، المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرح الإيضاح، المقتصد في شرح التكملة، العمدة في التصريف، إعجاز القرآن، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز وغيرها من الكتب.

ولم يزل مقيما بجرجان يفيد الراحلين إليه والوافدين عليه، إلى أن توفي سنة 471، وقيل: 474هـ.

الفرع الثاني: جوانب تأثير الفارسي في الجرجاني

---

[1] يقال إنما سمي جرجان جرجانا لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وفتح جرجان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فتح نهاوند. انظر: تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، ت: محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب –بيروت، ط3، 1401هـ- 1981م، 1/ 44.

[2] لم أقف على ترجمته كاملة، ومن ذكره لم يزد على كونه ابن أخت أبي علي الفاري. سير أعلام النبلاء، 18/ 432، شذرات الذهب، 2/ 340.

[3] إقليم في فارس، يقال إنما سميت بذلك، لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان له أخوان فارس واجفاس؛ واجفاس؛ فارس ويقال جرجيج بن ولاد قال، وفتح جرجان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فتح نهاوند. تاريخ جرجان، 1/ 43.

[4] لم أقف على ترجمته.

يعتبر الجرجاني واحداً من الذين تأثروا بالإمام أبي علي الفارسي، وارتسمت معالم ذلك في تكوينه وشخصيته، ولعلَّ أبرز مظاهر ذلك التأثُّر يتجلَّى في الآتي:

1- تلقِّيه النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي[1]، ابن أخت أبي علي الفارسي بعد أن طرأ عليه، ولم يتلقَّه عن غيره؛ ولعل هذه الصلة أسهمت بشكل أو بآخر في ظهور أثر أبي علي رحمه الله في أبي بكر الجرجاني؛ الأمر الذي دفعه –وفاء لأستاذه وحفاظا على امتداد مدرسته– أن يهتم بتراث أبي علي.

2- ولا أدلَّ على ذلك من عناية أبي بكر بتراث أبي علي شرحاً وتوضيحاً وتلخيصاً؛ فقد شرح كتاب "الإيضاح"[2] في النحو لأبي علي في كتاب أسماه "المغني في شرح الإيضاح"؛ وهو شرح طويل، قيل أنه وضعه في نحو ثلاثين مجلداً[3]، وأشار أبو بكر في كتابه "المقتصد" إلى هذا الكتاب عدة مرات[4] ووصفه في مقدمة المقتصد قائلا: "... وذكرتم أنَّ ما عملت فيه –أي في الإيضاح– من الكتاب الموسوم بالمغني لا يطول باع كل أحد لبلوغ رتبته وتسنَّم ذروته؛ لاشتماله على مسائل جمَّة وفصول ممتدَّة، إذ كان أكثر الغموض فيه أن أحصن ما بذلت له وقتي من وثبة الأيام، وتصرُّف الأحوال، لأنَّ جميع ما يدخل في جملة الإنسان يألف للفناء والزوال ومعرض لحبالة الزَّمان"[5].

3- ثم لخَّصه في مجلد أسماه "المقتصد في شرح الإيضاح"؛ وهو شرح متوسط[6]، صدَّره بقوله: "أحمد الله عزت قدرته على نعمه..."[7]. أمَّا روايته فقد جاء فيها: "قال الشيخ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أخبرنا الشيخ أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث قال: أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن أحمد بن عبد الغفار رحمه الله، فقال: ..."[8].

---

[1] سبقت ترجمته، ص08.

[2] سبقت الإشارة إلى أن أبا علي ألف الإيضاح لعضد الدولة، وتعليم أبناء أخيه.

[3] انظر: طبقات الشافعية، 2/ 252، طبقات المفسرين، 2/ 133، نزهة الألباء، 314. والمغني من الكتب المفقودة.

[4] مقدمة المقتصد، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ت: كاظم بحر مرجان، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، سنة: 1982م، ص67.

[5] المصدر نفسه.

[6] طبع كتاب المقتصد في جزأين بتحقيق: الدكتور: كاظم بحر مرجان، وطبع سنة: 1982م.

[7] المصدر نفسه، ص67.

[8] المصدر نفسه.

4- ثم اختصر الإيضاح في كتاب أسماه "الإيجاز"؛ جاء في أوله: "الحمد لله الذي تظاهرت علينا آلاؤه..."[1]، وهو من الكتب المفقودة.

5- كما التفت إلى كتاب "التكملة" لأبي علي، فلم تقصر همته على شرحه[2] في كتاب أسماه "المقتصد في شرح التكملة"؛ عُني فيه بمعالجة الموضوعات اللغوية والصرفية.

6- لقد كان تأثر أبي بكر بأبي علي إيجابيا؛ بمعنى أنه وقف من آرائه موقف المتلقي المستفيد المؤيد، ولم يقف منها موقف الناقد إلا نادرا، فتضاءلت مواقف نقده أمام الكثرة الغالبة من مواقف التأييد والموافقة.

المطلب الثالث: مظاهر تأثير الفارسي في شراحه ونقاده

شهد القرن السادس الهجري نشاطا علميًّا متميِّزاً؛ فازدهرت حركة التأليف في مختلف العلوم كالنَّحو اللغة والقراءات، وحظيت كتب أبي علي بالدراسة والشرح والتقويم وامتدّ تأثيرها إلى المشارقة والمغاربة؛ وذلك لما لها من صدى كبير على السَّاحة العلمية يومها، وفيما يأتي نماذج تثبت هذا التأثير:

الفرع الأول: تأثير الفارسي في شراحه

لقد انبرى لشرح تراث أبي علي جملة من العلماء، وأعجبوا بشخصيته وبمنهجه. أذكر من هؤلاء تمثيلا لا حصراً:

أولا: الإمام أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي[3]:

وتتلخص بعض مظاهر التأثير في الآتي:

أ- يعتبر أبو الحسن القيسي واحداً من شراح الإيضاح والتكملة لأبي علي، وألَّف في ذلك كتاب أسماه "إيضاح شواهد الإيضاح"[1]؛ فقد حاول الإمام –موفَّقاً- أن يشرح الأبيات التي

---

[1] كشف الظنون، 1/ 212.

[2] المصدر نفسه.

[3] أبو الحسن القيسي: لم أقف على ترجمته، إلا ما جاء في كشف الظنون أن القيسي صنف في شرح الإيضاح للفارسي، يقول: "... أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبقري القيسي الأديب القرطبي، المتوفى سنة 567هـ وسماه الإيضاح أيضا أوله الحمد لله العظيم السلطان القديم الإحسان". 1/ 212. ويبدو أنه –كما قال المحقق- عاش في القرن السادس الهجري، في ظل دولة المرابطين، وقد رجح الدكتور إحسان عباس أن القيسي هو الخراز نزيل تلمسان، نحوي أديب فقيه قارئ، كما غلّب المحقق جعلَه أبا علي الحسن بن عبد الله السعدي، وقد ترجم له صاحب غاية النهاية، 1/ 199. انظر: مقدمة إيضاح شواهد الإيضاح، ص13- 21.

استشهد بها أبو علي، ويتناولها بالدراسة والتحليل، يدلُّ على موطن الشَّاهد، ويأخذ في عرض المسألة النحويَّة، ويذكر آراء النُّحاة فيها ويستفيض في شرح بعض المسائل الخلافيَّة وأخيراً يختم حديثه عن الشَّاهد بإعراب ما أشكل عنه. كما اعتنى بالنَّاحية الصرفيَّة، وهذا لا يحتاج إلى دليل طالما أنَّ كتاب التكملة في الصَّرف.

ب- اعتمد أبو علي القيسي في شرحه هذا جملة من كتب أبي علي الفارسي؛ منها: الإيضاح والتكملة؛ وهما موضوعا البحث، والأمالي[2]، والتذكرة[3]، والبصريات[4]، والحلبيات[5] وغيرها.

ت- ومما يدلُّ أيضا على تأثُّره بالفارسي موافقته في أغلب آرائه وتلقِّيها بالقبول والرِّضى، بل ودفاعه عنها إن اقتضى الأمر. غير أنَّ هذا لم يمنعه من تسجيل بعض الملاحظات[6] على الفارسي ومخالفته[7] في جملة من آرائه.

ثانيا: الإمام أبو محمد عبد الله بن بري[8]: وتتجلى بعض جوانب التأثير في الآتي:

أ- حظي إيضاح الفارسي بمباركة الكثير، فهذا الإمام أبو محمد عبد الله، ابن بري اعتنى به وشرح أبياته هو الآخر في كتاب أسماه "شرح شواهد الإيضاح"[9]؛ أورد ابن بري في شرحه أربعة وعشرين وثلاثمائة شاهدا عن أبي علي، مع احتساب الشاهد المكرَّر شاهداً واحداً، وزاد عليها

---

[1] طبع هذا الكتاب في جزأين، بتحقيق: الباحث محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب اللإسلامي –بيروت، ط1، =1408هـ-1987م.

[2] إيضاح شواهد الإيضاح، 1/ 80 وغيرها.

[3] المصدر نفسه، 1/ 113، 120 وغيرهما.

[4] المصدر نفسه، 1/ 119وغيرها.

[5] المصدر نفسه، 1/ 200 وغيرها.

[6] وذلك نحو استشهاد أبي علي في بعض الأبواب ببيت تكلّف فيه؛ إرضاء لعضد الدولة، وكان الأولى أن يسوق شاهد الكتاب لسيبويه. المصدر نفسه، 1/ 144.

[7] المصدر نفسه: مثلا: 1/ 121، 134، 135، 136 وغيرها.

[8] أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بن عبد الجبار بن بري المقدسي الأصل المصري الإمام، المشهور في علم النحو، واللغة، والرواية والدراية. أخذ علم العربية عن أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني النحوي، وأبي طالب عبد الجبار بن محمد المعافري القرطبي وغيرهما. واطلع على أكثر كلام العرب. له على كتاب الصحاح للجوهري حواش. أخذ عنه أبو موسى الجزولي. كان عارفا بكتاب سيبويه وعلله، وكان إليه التصفح في ديوان الإنشاء لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملك من ملوك النواحي إلا بعد أن يتصفحه، ويصلح ما خفي منه. توفي سنة: 582هـ. إنباه الرواة، 2/ 110- 111، سير أعلام النبلاء، 21/ 136- 137، الكامل في التاريخ، 10/ 42، وفيات الأعيان، 3/108- 109.

[9] طبع الكتاب في مجلد، بتحقيق: عبيد مصطفى درويش، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية –القاهرة، د.ط، سنة: 1405هـ-1985م.

ابن برّي نحو مائة شاهدٍ في أثناء شرحه لها. وجميع الشَّواهد المذكورة في الكتاب من عصر الاحتجاج الذي ينتهي بإبراهيم بن هَرْمة[1]، إلا بيتاً واحداً[2] أورده ابن برّي عن أبي علي، وعدَّه ابن بري مثالا للمسألة النحوية المثارة وليس شاهدا عليها.

ب- كان ابن بري واسع الاطِّلاع فتأثَّر بمصادر عديدة، منها: الإيضاح العضدي، والتكملة، وشرح الإيضاح وثلاثتها لأبي علي الفارسي، وهذه الكتب هي مصادره الأصليَّة في تصنيف كتابه شرح شواهد الإيضاح، وتنتشر آراء أبي علي في كتب ابن بري الأخرى سواء أكانت من هذه الكتب أم من غيرها.

ت- وقد كان تأثُّر ابن بري بأبي علي تأثُّراً إيجابيًّا؛ بمعنى أنه وقف من آرائه موقف المتلقّي المستفيد المؤيِّد، ولم يقف منها موقف النَّاقد إلا نادراً[3]، فتضاءلت مواقف نقده أمام الكثرة الغالبة من مواقف التَّأييد والموافقة.

ثالثا: الإمام ابن الباذش[4]

تأثر ابن الباذش الأندلسي بالإيضاح لأبي عليّ، فكان هو الآخر أحد شرَّاحه، وبلغ تأثُّره وإعجابه به أن قال فيه شعراً؛ يدلك فعلا على عنايته به واهتمامه به، فقال[5]:

أضَعِ الكرى لتحفُّظِ الإيضاحِ وصل الغدو لفهمه برواح
هو بغية المتعلمين ومن بغى حمل الكتاب يلجه بالمفتاح
لأبي علي في الكتاب إمامة شهد الرواة لها بفوز قداح

---

[1] هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري المدني، إبراهيم بن هرمة، شاعر زمانه أحد البلغاء من شعراء الدولتين، وكان منقطعا إلى العلوية، قال الدارقطني هو مقدم في شعراء المحدثين قدمه بعضهم على بشار. توفي سنة: 176هـ. سير أعلام النبلاء، 6/ 207، الفهرست، 1/ 227.

[2] هذا البيت من شعر أبي تمام رقم: 18 من شواهد الكتاب. مقدمة تحقيق شرح شواهد الإيضاح، ابن بري، ص54.

[3] انظر على سبيل المثال مخالفته في المواضع الآتية: ص90، 98، 142 وغيرها. وأحيانا لا يسلّم له؛ وذلك في نحو قول ابن بري: بري: "وهذا الذي منعه أبو علي فيه نظر". ص126 وغيرها. وأحيانا يعترض على استشهاده؛ وذلك في نحو استشهاده ببيت لحبيب في باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر: قال ابن بري: "وليس بحجة، ولكنه مثَّل به الحديث الذي قبله كأنه مسألة" ص112 وغيرها.

[4] هو: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري عرف بابن الباذش الجياني الغرناطي إمام نحوي مسند مقرىء نقاد. قرأ على المقري بغرناطة أبي القاسم نعمة الخلف الأنصاري، وأبي علي الصدفي وغيرهما. حدث عنه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، والقاضي أبو محمد بن عطية، والقاضي أبو خالد عبد الله بن أبي زمنين وغيرهم. ألف في النحو كتبا منها على كتاب سيبويه، وعلى كتاب المقتضب، وعلى الأصول لابن السراج، وشرح كتاب الإيضاح وغيرها. توفي سنة: 528هـ. الديباج المذهب، 1/ 205-206 وغاية النهاية، 79/1.

[5] إنباه الرواة، 2/ 228.

يفضي على أسراره بنوافذ من علمه بهرت قوى الأمداح
فيخاطب المتعلمين بلفظه ويحل مُشكِلُه بومضة واح
مضت العصور وكل نحو ظلمة وأتى فكان النحو ضوء صباح
أوصى ذوي الإعراب أن يتذاكروا بحروفه في الصحف والألواح
فإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا إن النصيحة غبّها لنجاح

الفرع الثاني: تأثيره في مقوِّميه ونقَّاده

شكَّلت مصنفات أبي علي الفارسي أيضا –في مقابل التأثير الإيجابي- موضوعا للنَّظر والتَّقويم من طرف جملة من العلماء والمحقِّقين؛ فاستدرك عليه من استدرك ونقدها من نقد، من هؤلاء:

أولا: الإمام أبو الحسن الباقولي[1]

يعتبر الإمام الباقولي واحداً من الذين تأثَّروا بشخصية أبي علي الفارسي، وأُعجبوا بنباهته ودقة آرائه؛ فأثنى عليه ومدحه، ودرس كتبه وأمعن فيها النظر فشرح ولخَّص وقوَّم وانتقد، ويمكن تسجيل بعض نقاط التأثر في الآتي:

1-ثناء الباقولي على أبي علي:

ارتسمت عبارات الثناء والإجلال لفارس النحو أبي علي الفارسي وسجلها في جملة من كتبه؛ فالرجل متأثر بأبي علي، شديد الاعتداد به، يعشق آثاره، ويكبّ عليها ويحسن فهمها. ومن تلك العبارات:

وصفه بـ: "فارس الصناعة وفارسهم الفارس"[2].

وفي شرح اللمع يقول فيه: "ولولا هو لما فهم كتاب سيبويه ولا مشكلاته"[1].

---

[1] هو: أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ الأصبهانيّ الباقوليّ الحنفيّ الضرير، يلقّب بـ "جامع العلوم" أو الجامع. يُعدُّ من جلَّة أعيان أهل العربية والقراءات والتفسير، شديد الإكباب على كتاب سيبويه عاشقا لآثار أبي علي وابن جني. له آثار طيبة ومن نظر فيها عرف أنه –كما قال البيهقي في الوشاح- "لاحق سبق السابقين"، فقد صنف في علوم العربية والقرآن. منها: الإبانة في تفصيل ماءات القرآن وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة، الاختلاف، الاستدراك على أبي علي، البيان في شواهد القرآن، التتمة، جواهر القرآن ونتائج الصنعة، الخلاف بين النحاة، شرح الأبيات، شرح اللمع، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، وغيرها. توفي جامع العلوم أبو الحسن الباقولي سنة: 543هـ. انظر: إنباه الرواة، 2/ 247- 249، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 4/ 1736- 1737.

[2] انظر: الاستدراك على أبي علي في الحجة، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، ت: محمد أحمد الدالي، لجنة نشر التراث –الكويت، ط1، 1428هـ- 2007م ، 14- 28.، 2/ 18.

وفي الكشف يرفع شأنه قائلا: "ومثله لا يولد من بعدُ"[2].

ويضيف أيضا: "وهو بعيد الغوْر"[3]، "رحمه الله كيف تعمَّق وجاء بالكلام الذي هو أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف..."[4].

2- عنايته بتراثه واهتمامه به:

اهتم الإمام أبو الحسن بتراث أبي علي عموما وأولى كتاب "الحجة" الرعاية الخاصة، وتظهر هذه العناية في الأعمال الآتية:

أ- إشادته بتراثه ومدحه له: لقد أشاد الباقولي بآثار أبي علي رحمه الله وافتخر بها، وتعجَّب لنباهته فيها ودقَّته، فقال في بعض المناسبات: "فافهمه عن أبي عليّ ولم يهتد إليه غيرُه..."[5]. ووصفها في موضع بالدُّرر: "فهذه دُرر أخرجها فارسهم من صُدَف الكتاب ... والفارس فرَّق فيها الكلام في مواضع، وهذا مجموعه"[6]. وقال: فإذا أَشكل عليك شيء من كلام الفارس فإنه لا يفتحه لك إلا هذه الأجزاء التي أمللناها عليك"[7]. وقال أيضا: "وكلُّه مبسوط كلام فارسهم"[8]، " وما حوى كلامنا إلا شرح كلام أبي علي"[9].

ب- **خدمته لتراثه واهتمامه به:** فقد عُني الإمام أبو الحسن الباقولي بالحجة؛ فصنف في شرحها "كشف الحجة"[10]، الذي هذّب فيه –كما يبدو- كتاب الحجة، وكشف عن مغمضاتها وملمة متفرّقها[11].

---

[1] شرح اللمع، أبو الحسن الباقولي الأصبهاني، ت: إبراهيم أبو عباة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، 1411هـ-1990م، ص496.

[2] كشف المشكلات، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، ت: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، 1415هـ- 1995، ص922.

[3] المصدر السابق، 296.

[4] الاستدراك، مسألة 11، ص 565.

[5] كشف المشكلات، ص630.

[6] المصدر نفسه، 629.

[7] المصدر نفسه، ص727.

[8] المصدر نفسه، ص726.

[9] المصدر نفسه، ص416.

[10] لم يذكره من ترجم له، وذكره المؤلف في كشف المشكلات، ص72.

[11] مقدمة الاستدراك، ص25.

وصنف "كشف المشكلات وإيضاح المعضلات"؛ وهو في جملته جمع لما تفرق من كلام أبي علي في الحجة وفي غيره من الكتب[1]، والكشف مطبوع ومحقق في رسالة علمية.

كما صنف في شرح الأبيات التي أنشدها أبو علي فيه[2]، ويسميه أحيانا بكتاب الأشعار[3].

الأشعار[3].

وصنف الاستدراك على أبي علي في الحجة وفي غيره. هذا الكتاب أحيانا يسميه المستدرك[4]، المستدرك[4]، وأحيانا يسميه المسائل المأخوذة على أبي علي[5].

3- نقد تراثه وتقويمه:

لم يفت أبا الحسن الباقولي وهو يقرأ تراث أبي علي ويفيد منه أن يسجِّل ملاحظات على كتابه "الحجة"، بعد أن أوفاه قراءة نقديَّة، قراءة عالم بصير بآثار أبي عليّ، متضلِّعٍ بعلوم العربية والقراءات والتفسير؛ فاستوت تلك القراءة والملاحظات في تصنيف كتاب أسماه "الاستدراك على أبي علي في الحجة"[6].

لو لم يكتف الجامع في "مستدركه" بالوقوف على كلام أبي عليّ في نسخة من الحجة مرضِيَّة عنده، بل راجع الموضع من كلامه في نسخ الحجة التي وقف عليها، ومنها نسخة عليه خطُّ أبي علي، ونسخ بعض تلامذته[7].

نعم لقد أفاد الإمام أبو الحسن الباقولي من تراث أبي علي عموماً ومن كتابه "الحجة" على وجه الخصوص. وعِدَّة المسائل المأخوذة عليه في الدُّفعة الأولى 87 مسألة، وأورد عقبها مسائل غلَط فيها أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن، وفاتت أبا علي في إصلاح غلط أبي إسحاق في "الإغفال" ، وهي المسائل 88- 97 على أن المسألتين 94 و 96 مأخوذتان على أبي علي لا على أبي إسحاق. ثم رجع أبو الحسن الجامع إلى الحجة، فأورد مسائل فاتته في الدفعة الأولى، وهي المسائل 98- 22، ثم أورد مسائل غفل فيها ابن جني في الخصائص والمحتسب، وهي المسائل 123-

---

[1] مقدمة تحقيق كشف المشكلات، ص55.

[2] انظر مقدمة تحقيق الاستدراك، ص15.

[3] نفسه.

[4] ذكره بهذا الاسم في: كشف المشكلات، ص565.

[5] المصدر نفسه، ص1037، 1128 وغيرهما.

[6] استدرك جامع العلوم فيه على أبي علي في الحجة، وعلى الزَّجَّاج مما فات أبا عليّ في الإغفال، وعلى أبي عليّ في غير الحجّة وعلى ابن جنيّ في الخصائص والمحتسب، وطبع الكتاب وحقق في جزء واحد يقع في 815 صفحة.

[7] مقدمة الاستدراك على أبي علي في الحجة.

131، ثم رجع إلى أبي علي فأورد مسألتين مأخوذتين عليه، وهما المسألتان 132 و 133؛ أولاهما مما أخذه عليه في الإغفال، والثانية مسألة خالف فيها أبو علي شيخه أبا إسحاق الزجاج، وفاته ذكرها في الإغفال.

وهذه المسائل التي استدرك فيها الجامع على أبي عليّ في مواضع من الحجة متنوعة، يمكن تصنيفها –بإيجاز– في الآتي:

– مواضع أجاز فيها أبو علي وجوهاً من الإعراب والجامع يراها غير جائزة، أو وجوهاً لم يُجزها أبو علي وهي عند الجامع جائزة، أو وجوهاً اختارها أبو علي والمختار عند الجامع غيرها[1].

– ومواضع اضطرب فيها كلام أبي علي في الحجة وغيره من كتبه، فأجاز فيها ما كان قد منعه في غيرها، أو منع فيها ما كان قد أجازه في غيرها[2].

– ومواضع قصَّر أبو علي في ذكر الوجوه النحويّة الجائزة فيه[3]، أو قصَّر في شرحها[4].

شرحها[4].

– ومواضع استشهد فيها أبو علي ببعض الآي على شيءٍ ذكره، ولا يقوم بها الاستشهاد، والشاهد غير ما ذكر من الآي[5].

– وأحياناً ينسب بعض الآراء إلى سيبويه، وليست مذهباً له[6]، أو ينشد أبياتاً على غير وجهها[7]، أو ينسبها إلى غير أصحابها أو لا ينسبها أصلاً[8].

– وأحياناً أخرى يسهو في بعض كلامه[9]، أو يقع فيه غلط[10] أو يتابع ابن مجاهد في السَّبعة على غلطه[11].

---

[1] انظر بعض هذه المسائل في الاستدراك: م1، 10، 11، 18، 35، 38، 50، 63، 82 وغيرها من الدفعة الأولى و 98، 110، 120 وغيرها من الدفعة الثانية.

[2] انظر مثلا المسائل: 2، 96، 97، 118 وغيرها.

[3] انظر: المسألة 15.

[4] انظر: المسألة 4.

[5] انظر مثلا: م 20، 56، 113 وغيرها.

[6] وذلك في: م 3، 6 و60.

[7] وذلك نحو: م 5، 16، 30، 41، 51 وغيرها.

[8] انظر مثلا: م 13، 22، 42، 61 وغيرها.

[9] نحو: م 7، 6، 42، 74، 108 وغيرها.

[10] نحو: م 21، 25، 26.

[11] وذلك في المسألة: 115.

ويدلُّك على مدى استيعاب تراث أبي علي وحسن فهمه له أنه يستدرك عليه من كلامه هو نفسه، كما قال: "فاعلم أنا أخذنا به عليه، وهكذا رُكِّب هذا الكُتيب"[1]، وفي شرح اللمع: "فبك نأخذ عليك"[2].

4- شدته عليه ومؤاخذته:

رأينا آنفا عبارات الشكر والامتنان والحب التي ساقها الباقولي في شخص أبي علي وعلمه، غير أن ذلك الإجلال والإكبار سرعان ما يغيب نجمه ويحلُّ محِلَّه بعضُ الكلمات الشديدة، لما يخوض أبو الحسن في النقد والاستدراك، حتى ليرتاب المرتاب في مدحه ويظنُّ الظانُّ أنه إنما امتدحه لينتقده، من ذلك:

قوله: "وقد نبهناك غير مرة على أن الفارس يسيء النظر في التلاوة"[3].

وقوله: "وقع لفارسهم هنا أيضا سوء التأمّل في التلاوة على ما هو عادته"[4].

وتغليطه: "واستدلال أبي علي... استدلال فاسد ومغالطة منه"[5].

وتغفيله: "انظر أبا علي ما أغفله عن الفصل بين الصلة والموصول"[6].

واستصغاره: "وليس العجب منه، إنما العجب من الكبار الذين سمعوا عليه هذا الكتاب – يقصد الحجة- ولم يسألوا ما مرادك بهذا"[7]، حتى يبلغ به الحدّ أن يقول: "فلا أدري هل ختم برواية حفص على أحد ختمة أم لا"[8] ويذكر أيضا أن "مثل هذا من أبي علي في كتبه إغراب وتنفير للنَّاس للنَّاس من كلامه، وليس هو من الفصاحة، بل هو من خنزوانة[9] الرجل وادعائه على الناس والتكبُّر عليهم، وليس من العلم في شيء، فكأنه يشبه ألغاز الصبيان في المكاتب"[10].

---

[1] الاستدراك، مسألة: 116، ص546.

[2] شرح اللمع، ص497.

[3] الاستدراك، م 99، ص472.

[4] كشف المشكلات، ص995- 996.

[5] الاستدراك، م 94، ص414.

[6] المصدر نفسه، م 50، ص221.

[7] المصدر نفسه، م 38، ص178.

[8] المصدر نفسه، م 105، ص500.

[9] الخنزوة، والخنزوانة والخنزوانية والخنزوان بمعنى الكبر. لسان العرب، 5/ 347.

[10] الاستدراك، م 8، ص42- 43.

وأعتقد أنَّ الإمام الباقولي وإن وُفِّق في كثير من المسائل[1] التي استدركها على أبي علي، فإن ذلك لا يحمله على الخوض فيما خاض؛ لأن تعاطي مثل هذا الكلام الشديد النابي لا يصلح في مثل هذه المحالّ، ولا يليق بجلال العلماء وبقدرهم، وإن في التماس الأعذار لهم أثناء بيان الحق مندوحةً عن اتهامهم والانتقاص من مكانتهم.

ثانيا: الإمام ابن الطراوة[2]

ويمكن أن نضيف إلى جملة النُّقَّاد الذين لم يحظ أبو علي الفارسي عندهم بالكرامة والرِّضى الإمامُ ابنَ الطراوة، أحدَ معاصري ابن الباذش؛ فقد:

- ألف في ذلك رسالة أسماها بـ "الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح"[3]، وقد ردَّ على هذه الرسالة[4] ابن الصائغ[5].

- كما نلقاه يحمل على كتب أبي علي وتلميذه ابن جني، قائلا: "وغبِنَ رأيَه من عدل عن التواليف المسندة، والقوانين المقيدة، كالجمل والكافي، وكتاب سيويه الشافي، وفرغ للإيضاح، والشيرازيات، والخصائص والحلبيات، ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم، إلا تشدُّقاً بالكتب، وإحالة على الصحف، وإن هذا لهو الخسران المبين"[6].

---

[1] وتجدر الإشارة هنا أنَّ محقق كتاب الاستدراك: الباحث محمد أحمد الدَّالي، تابعه على كثير من ملاحظاته واستدراكاته على الإمام الإمام الفارسي، وأوهنها، وبيَّن غفلته في ذلك وصوَّب آراء أبي علي.

[2] هو: سليمان بن محمد ين عبد الله النحوي المالقي، أبو الحسين بن الطراوة. أخذ النحو عن أبي الحجاج الأعلم، وأبي بكر الشرشائي الأديب وأبي مروان بن سراج. كان أعلم أهل عصره بالأدب والعربية، له مصنفات منها: الإفصاح على الإيضاح والترشيح والمقدمات على كتاب سيبويه. وتلمذ له السهيلي وابن سمحون القرطبي. توفي بمالقة سنة 528هـ. الإنباه، 2/ 228، البلغة، 1/ 108 و نفح الطيب، 4/ 332.

[3] كشف الظنون، 1/ 212.

[4] المصدر نفسه.

[5] هو: علي بن محمد الكناني المعروف بابن الصائغ، توفي سنة 680هـ. كشف الظنون، 1/ 212.

[6] مقدمة إيضاح شواهد الإيضاح للقيسي، ص15.

المطلب الأول: مسلك الفارسي في إيراد مصطلحات التجويد والقراءات

عُني الإمام أبو عليّ رحمه الله في كتابه "الحجة" بذكر القراءات وكان أشدَّ عنايةً بتوجيه أحرف الخلاف، وهذا لم يمنعه أن يدلف إلى مصطلحات علم التجويد والقراءات، وكذا الوقف والابتداء ليورد منها جملةً من المصطلحات الشَّائعة عند أهل الأداء عموماً، وجملة أخرى غير متداولة كثيراً؛ وذلك كما يأتي:

الفرع الأول: أهم مصطلحات علمي التجويد والقراءات المتداولة

وأعني بها تلك المصطلحات المتداولة والمشتهرة بين أهل الفنِّ والأداء التي استخدمها في كتابه، وممّا ذكر:

1- مصطلحات مخارج الحروف وصفاتها وما تعلّق بها[1]:

الحلق – الخياشيم – اللسان – الفم – الإطباق – الاستطالة – الاستعلاء – التفخيم – الهمس– الجهر – اللين– التفشي – الصفير – الرخاوة – التكرير والتكرر.

2- مصطلحات النون الساكنة والتنوين[2]:

التنوين – النون الساكنة – الإظهار والبيان– الإخفاء – الإدغام – الغنة.

3- مصطلحات المدّ:

المدّ – الإشباع – البدل – اللين – القصر.

4- مصطلحات الوقف وتوابعه[3]:

السكت – الوصل – الوقف – الوقيفة – الإشمام – الرَّوْم – القطع – الوقف بالنقل – الوقف بالبدل – الإشارة – الصلة – الإسكان – الإدراج والدَّرج – الابتداء.

5- مصطلحات الحركة[4]

اختلاس الحركة – تخفيف الحركة – التثقيل – الشدّ – إشمام الحركة – إشباع الحركة – حذف الحركة – الضم – الرّفعة – الكسر – الإسكان – الفتح – الكسر – الضم – إشمام الفتح – إشمام الضمة – الحركة المشبعة الممطلة.

6- مصطلحات الهمزة وما يلحقها[5]:

الهمز – التحقيق – الإلقاء – نبر الهمزة – نقل حركة الهمزة – إسقاط الهمز – حذف الهمزة – قلب الهمزة – انقلاب الحركة – الإبدال – ذوق الهمز– بين الهمزة والألف.

7- مصطلحات الفتح والإمالة[6]:

الفتح – الإمالة – بين الفتح والإمالة – بين الكسر والفتح – إمالة غير إفراط – إشباع إمالة – إضجاع– إجناح – بطح– انتحاء.

8- مصطلحات طرق التلاوة والتجويد[1]:

---

[1] هذه المصطلحات مبثوثة في تضاعيف الكتاب. انظر من ذلك: 1/ 145، 246، 298، 2/ 99، 3/ 07، 3/ 313، 4/ 104 وغيرها.

[2] انظر من ذلك: 1/ 145، 2/ 433، 3/ 304، 313 وغيرها.

[3] انظر من ذلك: 1/ 186، 2/ 432، 433، 3/ 73، 304، 4/ 79، 104 وغيرها.

[4] من ذلك: 1/ 145، 299، 302، 2/ 364، 433، 3/ 73، 306 وغيرها.

[5] المصدر السابق، 1/ 186، 2/ 85، 160، 3/ 308 وغيرها.

[6] المصدر نفسه، 1/ 246، 3/ 304، 4/ 104 وغيرها.

التلاوة – الإدراج – الدرج – التحقيق.

الفرع الثاني: أهم مصطلحات علمي التجويد والقراءات قليلة التداول

وأعني بذلك بعض مصطلحات التجويد والقراءات التي يقلّ تداولها بين المصنّفين؛ أي أنها ليست في درجة الاستعمال والتَّداول نفسِها إذا ما قارنَّاها بالمصطلحات الأولى، أوقد يكون تسمية بعضها خاصّاً ببعض المصنِّفين دون سواهم، ومن ذلك ما ذكره أبو علي في كتابه:

أولا: مصطلح الوقيفة

استخدم الإمام أبو علي رحمه الله مصطلح "الوقيفة" في مواضع قليلة من كتابه، من ذلك قوله في معرض شرح قول ابن مجاهد في ترجمة سكت حمزة على الساكن قبل الهمزة:

"كان حمزة يسكت على الياء من شيْء قبل الهمزة سكتة خفيفة، ثم يهمز فيقول: شيء قدير، وكذلك يسكت على اللام من ﭽ ﭙ ﭽ [البقرة: ٩٤] و ﭽ ﭼ ﭽ [البقرة: ٢٢] و ﭽ ﭽ ﭽ [البقرة: ٣١] وما أشبه ذلك وغيره من هؤلاء الفرَّاء يصل الياء من شيء بالهمز واللام من الأرض وأخواتها بالهمز بلا سكتة"[2]. فعلَّق على كلام ابن مجاهد موضِّحاً:

"قال أبو علي: الحجة لحمزة في ذلك أنه أراد بهذه الوُقَيْفة التي وقفها تحقيق الهمزة وتبيينها، فجعل الهمزة بهذه الوقيفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز فيها معها إلا التحقيق، لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة معارضة للمبتدأ بها، والمبتدأُ بها لا يجوز تخفيفها، ألا ترى أن أهل التخفيف لا يخفِّفونها مبتدأة، فكذلك هذه الوقيفة آذنت بتخفيفها لموافقتها بها صورة ما لا يخفَّف من الهمزات"[3].

يلاحَظُ كيف عدل الإمام عن مصطلح "السكتة" وهو المشهور، واختار لنفسه مصطلح "الوقيفة" والتزم به في جميع المواضع التي ورد فيها الكلام عن السكت. بل نجده في بعض المواضع يترجم للسكت بقوله: "يقف ثم يبتدئ"؛ من ذلك تحريره الخلف في قوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭽ ﭾ [القيامة: ٢٧]: "حفص وقنبل: ﭽ ﭨ ﭩ ﭽ ﭾ يقف على (من) ويبتدئ: ﭽ ﭩ ﭽ ﭾ ولم يقطعها غيره، وكأنه في ذلك يصل"[4].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 186، 2/ 160، 432، 3/ 99.

[2] المصدر نفسه، 1/ 241- 242. السبعة، ابن مجاهد، ص148.

[3] المصدر السابق، 1/ 242.

[4] المصدر نفسه، 4/ 79 وانظر مثله: 4/ 104.

ومصطلح "الوقيفة" ونحوُه[1] مشهور عند علماء القراءات؛ من ذلك ما نجده عند الإمام أبي عبد الله ابن شريح الرعيني الأندلسي—صاحب الكافي في القراءات السبع- لما عبَّر بقوله: "كان حمزة يقف على ياء چ ڳ چ [البقرة: ٢٠ وغيرها] وعلى لام التعريف إذا كانت بعدها همزة، نحو: چ ه چ [البقرة: ٢٢ وغيرها] و چ پ چ [البقرة: ٩٤ وغيرها] **وقيفة** ثم يصل"[2].

والمراد بباب وقف حمزة على الساكن الذي بعده همزة: السَّكت على الساكن الذي بعده همزة، وهذه الوقفة اليسيرة أو الخفيفة لم يشتهر استعمالها بين علماء الفنِّ، وإنما شاع بينهم استعمال مصطلح "السكت". وهذا ما نجده-مثلا-:

عند ابن الباذش في "باب سكت حمزة"؛ يقول —مبيِّنا-: "كان حمزة **يسكت** على ما ينقل ورش فيه الحركة، وذلك كل ساكن بعده همزة من كلمة أخرى، وليس بحرف مد، **سكتة خفيفة** من غير قطْع لنَفَسه...وكذلك لام التعريف نحو (الأَرْض، والآخرة) لأن ذلك في حكم ما كان من كلمتين..."[3].

وهو المراد بكلٍّ من: "وقفة خفيفة، وقفة يسيرة، وقيفة..."، وهذا التَّعبير مستعملٌ عند عدد من العلماء ك: ابن غلبون وابن بلّيمة وغيرهما.

وأولى منه التعبير بالسكت لوضوحه، وعدم اللَّبس فيه، وهو ما عليه عامَّة أهل الفنِّ[4].

ثانيا: مصطلح ذوق الهمز

مصطلح "ذوق الهمز" من المصطلحات التي يقلُّ تداولها عند المصنفين في علم القراءات، ولم أقف —في حدود اطِّلاعي- على غير ابن مجاهد الذي استخدمه، ونقله عنه أبو عليّ في معرض تحرير الخلف في أرأيتكم، قائلا: "وقرأ نافع (أَرَايْتُمْ)، و(أَرَايْتَكُمْ) و (أَرَايْتَ) بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز"[5].

---

[1] مثل: الوقفة اليسيرة، الوقفة الخفيفة، يقف ثم يبتدئ، سكتة خفيفة وغيرها من التعبيرات التي يستخدمها أهل الأداء.

[2] الكافي في القراءات السبع، أبو عبد الله محمد بن شريح، الرعيني الإشبيلي الأندلسي، تحقيق: سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني، أم القرى، 1419، سنة: 1419هـ، 287/1.

[3] الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري، ابن الباذش، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، القاهرة، د.ت.ط، ص237.

[4] وهو ما عليه أيضا: الداني في التيسير، ص62، وابن الجزري في كل من: النشر، 325/1، وتقريب النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، ت: إبراهيم عَطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 1425هـ- 2004م، ص115. غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار، ت: أشرف محمد فؤاد طلعت، جدة، ط1، سنة: 1414هـ، 264/1.

[5] السبعة في القراءات، ص257 والحجة، 2/ 160.

وبعد أن أورده عنه أبو عليّ راح يشرحه بأسلوبه، قائلاً:

"قرأ نافع بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بيْن بين، وقياسها إذا خُفِّفت أن تُجعل بيْن بين، أي بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق"[1].

وذوق الهمزة كما هو واضح يعني بها تسهيلها بيْن بين.

ويعبر أبو علي أحيانا عن هذا التخفيف أو التسهيل باللين وبيْن وبين، وكلها تفيد ذات المعنى؛ فيقول في معرض الاحتجاج لبعض الحروف:

"قال أبو علي: أبو عمرو يريد **چأَينَّكُمْ چ**[2] ثم يلين الهمزة الأخيرة فتصير بيْن بين"[3].

على أن القدامى من النحاة وحتى القراء[4] يستخدمون عادة مصطلح التخفيف بدل التسهيل أو ذوق الهمز. يقول سيبويه: "اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل. فالتحقيق قولك: قرأْت، ورأْسٌ، وسأَل، ولؤُمَ، وبئْس وأشباه ذلك. وأما التخفيف فتصير الهمزةُ فيه بين بيْن وتُبدَل وتحذف"[5].

يقول السِّيرافي في شرحه لقول سيبويه: "ومعنى قولنا بين بيْن في هذا الموضع وفي كلِّ موضعٍ يرد بعده من الهمز أن تجعلها من مخرج الهمزة ومخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة. فإذا كانت مفتوحة جعلناها متوسِّطةً في إخراجها بين الهمزة والألف؛ لأنَّ الفتحة من الألف، وذلك قولك (سال) إذا خففنا (سأل)، وقرا يا فتى إذا خففنا (قرأ). وإذا كانت مضمومة فجعلناها بين بيْن أخرجناها متوسطة بين الهمزة والواو، كقولنا: (لوم) تخفيف (لؤم). وإذا كانت مكسورة جعلناها بين الياء والهمزة"[6].

ويقول سيبويه في موضع آخر: "ومنهم –أي من العرب– من يحقق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك: **(فَقَدْ جَآءَ اشْرَاطُهَا)**، و**(يَا زَكَرِيَّآءُ اِنَّا)**"[7].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] سورة النمل، الآية: 55.

[3] المصدر السابق، 3/ 242.

[4] انظر مثلا: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، 1/ 77.

[5] كتاب سيبويه، 3/ 541.

[6] كتاب سيبويه، 3/ 541، تهميش رقم: 03.

[7] المصدر نفسه، 3/ 549.

المطلب الثاني: مسلك الفارسي في التعريف بالمصطلحات

لم يول الإمام أبو عليّ رحمه الله عناية بتعريف المصطلحات الخاصَّة بعلمي التجويد والقراءات، بالرُّغم من طول نفسه في الكتاب وسبره الأغوار، ويبدو أنَّ الإمام منشغل بما هو فيه من الإغراق والتَّفصيل في تتبُّع المسائل اللُّغوية التي تتَّجه عليها القراءات القرآنية المختلفة والمعاني التي تترتَّب عليها، فجاء كتابه كما ترى خِلواً عن هذه التعريفات إلا ما جاء عرضاً.

وفيما يأتي بيان وتفصيل للقسمين:

أولا: المصطلحات التي ذكر تعريفها

لم يخلُ كتابُ "الحجة في القراءات السبع" من تعريفٍ لجملة من مصطلحات التجويد والقراءات، غير أن ميزتها الاختصار وعدم الإطناب.

ثم إنَّ أغلب هذه التَّعريفات لم تكن مقصودة ومباشرة، وإنما عرَّج عنها الإمام في ثنايا الحديث وجاء الحديث عنها عرضاً، وبيان ذلك في الآتي:

1- المصطلحات التي ذكر لها تعريفا مباشراً:

يبدو من خلال استقرائي لمصطلحات الأداء والتجويد التي عرَّف بها أبو علي —وهي قليلة– أنَّ الإشمام هو المصطلح الوحيد الذي تقصَّد إلى تعريفه وبيانه قصْداً؛ فيذكر في بعض ثنايا "الحجة" أنَّ:

"الإشمامَ عند النَّحويِّين ليس بصوت فيفصِلَ بين المدغَم والمدغَم فيه، وإنما هو تهيئة العضو لإخراج الصوت الذي هو الضَّم ليدلَّ عليه، وليس بخارج إلى اللفظ"[1]. ثم ينبِّه إلى قضية في غاية الأهميَّة قائلاً: "ولعلَّ أبا بكر ظنَّ أنَّ القرَّاء ليس يَعنون بالإشمام ما يعني به النحويُّون في أنه تهيئة العضو للصَّوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللَّفظ". ثم يبيِّن: "والإشمام إنما يكون عند النحويِّين في الضَّمّ؛ فأمَّا الكسر فلا إشمام فيه؛ وذلك أنَّ الإشمام إنما هو تحريك الشَّفتين يراه البصير دون الأعمى، فيستدلُّ لذلك على إرادة الفاعل لذلك الضمِّ، وليس هذا في الكسر؛ لأنه لا فائدة لبصير ولا لأعمى من حيث لا يظهر للرَّائي"[2].

وبعد أن عرَّف به جعل في كلِّ مرة يتعرَّض فيها إلى محالِّه يعرِّفه ويزيد في توضيحه؛ من ذلك ما ذكره في بعض المواضع في سياق الحديث عن الخلف في ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً: "فمن

---

[1] المصدر السابق، 1/ 145.

[2] المصدر نفسه، 1/ 146.

حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في چۈچ وليس ذلك بصوت خارج إلى اللفظ، إنما تهيئة العضو لإخراج ذلك الصوت به، ليُعلم بالتهيئة أنه يريد ذلك المتهيَّأ له..."[1].

وفي آخر قائلاً: "وروى خلف بن هشام وأبو هشام الرفاعي عن سُليم بن عيسى الحنفي[2] عن حمزة أنه كان يشمّ الراء الأولى من قوله: ذاتِ قرارٍ، والأشرارِ، وما كان مثل ذلك الكسر من غير إشباع"[3].

وفي محلٍّ آخر يسميه بتسمية جديدة؛ وهي الإشارة[4]: "...فهذا وجه الإدغام، والإشارة بالضم إلى الحرف المدغم"[5].

2- المصطلحات التي ذكر تعريفها عرضاً:

جاءت بقية التعريفات المذكورة في "الحجة" عرضاً وفي سياقات مختلفة، غير مقصودة ولا مباشرة، وهي:

أ- **الاختلاس**: ذكر الإمام أبو علي مصطلح الاختلاس في معرض ذكر الخلف في قوله تعالى: چڑ ڑ چ [آل عمران: ٨٠]، وذلك بعد تفصيل طويل في جوانب مختلفة لمسألة إشباع الحركات وتخفيفها، ثم يقول:

"وهذا الاختلاس والتَّخفيف إنما يكون في الضَّمَّة والكسرة، فأمَّا الفتحة فليس فيها إلا الإشباع ولم تُخفَّف الفتحة بالاختلاس، كما لم تخفَّف بالحذف في نحو: جمَلٍ، وجَبَلٍ... وهذا الاختلاس وإن كان الصَّوت فيه أضعفَ من التَّمطيط وأخفى، فإن الحرف المختلَس حركتُه بزنة المتحرِّك"[6]. ثم يوضِّح أنَّ الاختلاس في مقابل الإسكان وليس إسكاناً، فيقول:

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 432.

[2] هو: سليم بن عيسى الحنفي بالولاء، الكوفي، إمام في القراءة. كان أخص أصحاب حمزة وأضبطهم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة. الأعلام، 3/ 119، وغاية النهاية، 1/ 288.

[3] الحجة، 2/ 59.

[4] يدلُّ مصطلح الإشارة على هيئة الوقف للإمالة على أواخر الكلم بالإيماء إليه وتضعيف الصوت به. انظر: جامع البيان في القراءات السبع: 483/1. أي أن الإشارة تكون بالروم أو الإشمام. ومصطلح الإشارة استخدمه بهذا المعنى كثير من أئمة فن التجويد، منهم الإمام الداني في "جامع البيان" في عدّة مواضع، منها: في باب ذكر مذاهبهم في الوقف على الممال في الوصل، وذكر مصطلح الإشارة إلى الكسر. المصدر نفسه. كما استخدمه بالمعنى نفسه ابن الباذش في عدة مواضع أيضا، منها قوله: "والروم والإشمام ممتنعان في الحرف المبدل من الهمزة المسكونة، وذكر أنه لا تجوز الإشارة إلى ألف [ذرأ]، الإقناع، ص200.

[5] الحجة، 2/ 433.

[6] المصدر السابق، 1/ 303.

"فمن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو –ﭽ ﭼ ﭽ [البقرة: ٥٤]– فلعلَّه سمعه يختلسُ فحسبه لضَعف الصوت به والخفاء إسكاناً"[1].

وفي بعض المواضع لم نجده يصرح بمصطلح الاختلاس، إنما ذكر بدله مصطلح الإخفاء، غير أن السِّياق الذي جاء به يفيد أنه يريده؛ إذ يذكر بعد إغراق طويل في الحديث عن الخلف في حرف ﭽ ﯧ ﭽ [التوبة: ١٢] والاستشهاد له قائلاً:

"... أو يعني به إخفاء الحركة، ولم يجز واحد من الوجهين الأولين؛ ثبت إنه إخفاء الحركة، والإخفاء تضعيف الصوت بالحركة، فهو يضارع السكون من جهة الإخفاء، وإن كان المخفِيُّ في وزن المتحرك"[2].

ب– **الرَّوْم**: أشار الإمام إلى الرَّوْم في معرض الفرق بينه وبين الإشمام، أثناء تعرضه للخلف في ﭽ ﯡ ﭽ [يوسف: ١١]، قائلاً:

"ولو رام الحركة فيها لم يجز مع الإدغام، كما جاز الإشمام مع الإدغام لأن روم الحركة حركة، وإن كان الصوت قد أضعف بها، ألا ترى أنهم قالوا: إن روم الحركة يُفضل به بين المذكر والمؤنث، نحو: رأيتُكِ ورأيتُك"[3].

وذكر بعد ذلك وجه الرَّوْم في قراءة ﭽ ﯡ ﭽ، وعبر عنه بالإخفاء والاختلاس واعتبره وجهاً آخر سائغاً في العربيَّة، قائلاً:

"وقد يجوز في ذلك وجه آخر في العربيَّة؛ وهو أن تُبيِّن ولا تدغم، ولكنك تخفي الحركة، وإخفاؤها هو أن لا تشبعه بالتَّمطيط، ولكنك تختلسها اختلاساً"[4].

فالرَّوْم إذن غير الإشمام؛ وهو صوت ضعيف تذهب فيه معظم الحركة، أو على حدِّ تعبير الإمام: "ولو كان مكان الإشمام روم الحركة لامتنع الروم مع الإدغام؛ لأنه صوت يحجز"[5].

ت– **تسهيل الهمز**: تعرض أبو علي لتعريف التسهيل –التخفيف– ضمناً، ولم يقصد إليه قصداً، وذلك أثناء شرحه لمصطلح "ذوق الهمز" الذي ذكره أبو بكر بن مجاهد رحمه الله في

---

[1] المصدر نفسه.

[2] المصدر نفسه، 2/ 314– 315.

[3] المصدر نفسه، 2/ 432.

[4] المصدر السابق، 2/ 433.

[5] المصدر نفسه، 1/ 145.

"سبعته"[1] في معرض الحديث عن الخلف في چ ٹچ [الأنعام:٤٠]، و چپچ [الأنعام:٤٦] ونحوها؛ فيسوق قوله ثمَّ يوضِّحه:

"وقرأ نافع (أَرَايْتُم، وأَرَايْتَكُم، وأَرَايْتَ) بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز".

"وقوله: قرأ نافع بألف في كلّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بيْن بين أي بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق"[2].

ث– الإمالة: جاء ذكر الإمالة في عدّة مواضع من كتاب "الحجة" لم يصرِّح فيها بتعريف مباشر لها أو يبين أيَّ الإمالتين يقصد الصغرى أم الكبرى، غير أنه يُفهَم من حديثه عنها أنه في كلِّ مرة يذكرها مطلقة غير مقيدة انصرفت إلى الإمالة الكبرى[3]؛ وهذا الذي درج عليه القدامى.

والملفت للانتباه أنَّ أبا علي يطلق على الإمالة اصطلاحات مختلفة؛ فيسمِّيها أحياناً "الكسر"؛ وذلك في قوله: "وقرأ حمزة والكسائي: چ گ چ [هود: ٤١] بفتح الميم وكسر الرَّاء، وكذلك حفص عن عاصم: (مَجْرِيها) بفتح الميم، وكسر الراء من غير إضافة. قال: وليس يكسر في القرآن غير هذا الحرف، يعني الرَّاءَ في مجرِاها"[4].

وأحياناً يردفها في الموضع الواحد بعدة اصطلاحات كلُّها تصبُّ في ذات المعنى، ك "الإجناح، والإضجاع، والإمالة الشَّديدة" وغيرها؛ كما في قوله: "وقول أحمد في حكايته عن نافع: لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة، يريد به –إن شاء الله– لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة فتميل الألف نحو الياء كثيراً، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخف لذلك إجناح الألف وإضجاعها"[5].

ج– **التقليل**: لم يعرف أبو علي مصطلح التقليل ولم يذكره بهذا اللفظ، بل اكتفى بالتعبير عنه –عرضاً– هو الآخر بعدَّة إطلاقات؛ فهو:

"بين الفتح والكسر"؛ كما في قوله: "قال أحمد بن موسى: كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعده راء مكسورة، مثل من **النار** و من **قرار** و **الأبرار** و **الأشرار** و دار **البوار** و **الأبصار** و

---

[1] السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص257.

[2] المصدر نفسه، 2/ 160.

[3] المصدر نفسه، 1/ 246- 249.

[4] المصدر السابق، 2/ 393.

[5] المصدر نفسه، 1/ 246.

بقنطار و بدينار و ديارهم و على آثارهم بل كان في ذلك كلِّه بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب"[1].

أو يصفه بأنه "بين الكسر والتفخيم"؛ وذلك صريح في أثناء تعرضه للخلف في قوله تعالى: چ گچ [هود: ٤١]، قال: " وكان نافع وعاصم في رواية أبي بكر يقرآنها بين الكسر[2] والتفخيم[3]"[4].

وأحيانا يسميه "بين الإمالة والتفخيم"؛ كما في قوله: " وكان أبو عمرو لا يميل من ذلك إلا ما كان في رؤوس الآي إذا كانت السورة أواخر آياتها الياء، مثل: أمات وأحيَا فإنه كان يلفظ بهذه الحروف في هذه المواضع بين الإمالة والتفخيم"[5].

أو يصطلح عنه بـ "الإنحاء نحو الياء"؛ يقول في هذا الصدد: "فكما غُيِّر موضع الوقف بهذا النحو من التغيير، كذلك غُيِّرت الألف بأن نُحِيَ بها نحو الياء..."[6].

ووجدناه مرّةً عبَّر عنه بـ "إشمام الإضجاع"؛ وذلك في معرض حديثه عن خلف بعض الحروف، قال في ذلك: "وأمال الرَّاء أبو عمرو وابن عامر والكسائي من (الأشرار)، وقرأ نافع بإشمام الراء الأولى: الإضجاع، وكذلك حمزة يشمُّ، وفتحها ابن كثير وعاصم"[7].

ح- **الإدغام**: أشار أبو عليّ إلى تعريف الإدغام في معرض الاحتجاج لقراءة المضارعة أو الإشمام بين الصاد والزاي في قوله تعال: چٹ ٹ ٹچ [الفاتحة: ٦]، فقد نقل بعض الحجج التي توهن من هذه القراءة، ومنها أنَّ المضارعة تشبه الإدغام في "أنَّه تقريب الحرف الأوَّل من الثَّاني"[8].

والنَّص واضح في أنَّ هذا التَّشبيه ليس تعريفاً في الحقيقة للإدغام، وإنما هو بيان لوظيفة الإدغام وكذا المضارعة النَّاتجة عن تقريب الحرفين وتناسب أحدهما إلى الأخر.

3- مقارنة تعريفات أبي علي بتعريفات غيره من الأئمة:

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 246.

[2] تسمي العرب الإمالة كسراً. انظر: شرح المفصّل في النحو والصرف، موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 154، النشر في القراءات العشر، 2/ 24.

[3] وتسمي الفتح تفخيماً، وربما قيل له النَّصب. المصدران نفسهما.

[4] الحجة، 2/ 393.

[5] المصدر نفسه، 1/ 249.

[6] المصدر السابق، 1/ 249.

[7] المصدر نفسه، 3/ 335.

[8] المصدر نفسه، 1/ 57.

وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين بعض التعريفات التي ذكرها الإمام أبو علي رحمه الله –مع قلَّتها– بتعريفات غيره من الأئمة نجدها متطابقة في الغالب، وحتى وإن لم تتطابق في المبنى فهي متطابقة في المعنى.

أ– مقارنة تعريفه للرَّوْم والإشمام بتعريفات غيره:

- **تعريفات بعض اللغويين**: من هؤلاء:

– **تعريف سيبويه**:

وصف الإمام سيبويه **الإشمام** قائلا: "وأمَّا الإشمام ، فليس إليه سبيل، وإنما كان في الرَّفع لأن الضمَّة من الواو، فأنت تقدِّر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئتَ ثمَّ تضمَّ شفتيك؛ لأن ضمَّك شفتيك كتحريكك بعضَ جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذُن"[1].

وجاء عنه في **الرَّوْم** قوله: "وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرصُ على أن يُخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كلِّ حال، وأن يُعلِموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكَن على كلِّ حال. وذلك أراد الذين أشمُّوا؛ إلا أن هؤلاء أشدُّ توكيداً"[2]. قال الجوهري: "روْم الحركة الذي الذي ذكره سيبويه حركة مختلسة مختفاة لضرب من التَّخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنها تُسمع، وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسة، مثل همزة بيْن بين"[3].

وقريب من معنى الرَّوْم مصطلح الاختلاس؛ فقد تعرَّض إليه سيبويه عرضاً في باب (الإشباع في الجرّ والرفع) قائلا: "فأمَّا الذين يُشبعون فيمطِّطون، وعلامته واو وياءٌ، وهذا تُحكِمه لك المشافهة... وأمَّا الذين لا يُشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربُها ومن مأمنِك، يُسرعون اللَّفظ. ومن ثَمَّ قال أبو عمرو: **إلى بارِئِكم**[4]..."[5].

– تعريف ابن جني:

"والرَّوْم على جهة التَّقريب – أي تقريب الحركة – "هي كالإهابة بالساكن نحو الحركة، وهو لذلك ضرب من المضارعة، وأخفى منها الإشمام؛ لأنَّه للعين لا للأذن"[6].

---

[1] الكتاب سيبويه، 4/ 171.

[2] الكتاب، 4/ 168.

[3] لسان العرب، مادة (روم)، 12/ 258.

[4] الآية: 45، من سورة البقرة.

[5] الكتاب، سيويه، 4/ 202.

[6] المصدر نفسه، 145/2.

ومن المعلوم عند علماء القراءات –كما سيأتي– أن الرَّوم هو اختلاس الحركة أي عدم نطقها كاملة واضحة وهو للأذن، وأمَّا الإشمام فهو للعين في الضم خاصة: تضم الشَّفتين كأنَّك تنطق ضمَّة ولكن من دون إحداث صوت الضمَّة.

وقد نبَّه ابن جني إلى مواضع التَّقريب الذي يجري مجرى الإدغام: "مما قرب فيه الصوت من الصوت"، ولكنه ليس إدغاماً تامّاً، واستخدم له مصطلح (التقريب).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن جنيّ قد ذكر مصطلحي الإشمام والرَّوْم في باب (الساكن والمتحرك) الذي أورد فيه بعض المصطلحات الصَّوتية، ولكنه لم يعرف –كغيره– هذه المصطلحات تعريفاً شافياً، بل كان يذكرها ويبين ما يحدث فيها من تقريب في الأصوات – أصوات الحروف أو الحركات – كما في قوله في بيان الفرق بين الإشمام والروم: "فأمَّا الإشمام فإنَّه للعين دون الأذن، لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً، ألا تراك تفصل به بين المذكَّر والمؤنَّث في قولك في الوقف أنتَ وأنتِ، فلولا أن هناك صوتاً لما وجدت فصلاً"[1].

- **تعريف بعض أهل الأداء**: أذكر منهم:

– تعريف الدَّانيِّ:

يقول أبو عمرو –رحمه الله– : "فأمَّا حقيقة الرَّوم فهو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها، فتسمع لها صوتا خفيّاً يدركه الأعمى بحاسَّة سمعه. وأمَّا حقيقة الإشمام فهو ضمُّك شفتيك بعد سكون الحرف أصلاً، ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى لأنه لرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالعضو إلى الحركة"[4].

– تعريف الرُّعينيّ:

يقول أبو عبد الله: "والرَّوْم إضعاف الصَّوت بالحركة حتى يذهب أكثرها، وهو يكون في المرفوع والمخفوض. والإشمام ضمُّ الشَّفتين من غير صوت يسمع، وهو يكون في المرفوع خاصَّةً"[2].

– تعريف مكيّ بن أبي طالب القيسي:

---

[1] الخصائص، 328/2.وانظر في تعريف الإشمام: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1405هـ، ص44، وفي تعريف الرَّوم، ص151.

[4]– التيسير، ص59.

[2] الكافي في القراءات السبع، ص 283.

يقول أبو محمد –رحمه الله–: "فالرَّوْم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسمعها الأعمى. والإشمام إتيانك بضمِّ شفتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسّه، لأنه لرَأي العين"[1].

– تعريف الإمام الشاطبيّ:

وفي الرَّوم والإشمام قال القاسم –رحمه الله–:

وروملك إسماع المحرك واقف بصوت خفي كل دان تنوَّلا

والإشمام إطباق الشفاه بعيدما يسكن لا صوت هناك فيصْحلا[2]

وواضح من كلِّ ما سبق مطابقة هذه التعاريف لتعاريف أبي عليّ –رحمه الله–، أو دورانها – على الأقلّ– في فلَك واحدٍ.

ب– مقارنة تعريفه للإمالة بتعريفات غيره:

- **تعريف أهل اللغة**: ومنهم:

– **ابن جني:**

حيث يقول في تعريفها: "الإمالة التي وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، نحو كلمة: (عالم) التي قرُبتْ فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأمَلْت الألف إلى الياء"[3].

- **تعريف بعض أهل القراءات**: من هؤلاء:

– **تعريف ابن غلبون:**

ذكر أبو الحسن طاهر بن غلبون الإمالة في معرض الحديث عن "مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمزة"، وتعرّض إلى بيان معناها، فقال: "يعني أنه كان إذا وقف على هذه الهمزة –أي حمزة– خفّف همزتها، لأنها متوسطة، وهي ممالة قد نُحِي بحركتها نحو الكسرة، فلذلك يجعلها بين الهمزة والياء الساكنة[4].

– ابن الجزري:

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م، 122/1.

[2] متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيّرة الرعيني الشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، ط4، 1425هـ- 2004م، ص30.

[3] الخصائص، 2/ 141.

[4] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 220/1.

يعرِّف محقِّق الفنّ ابن الجزري الإمالة ويفصِّل فيها كما يأتي: "والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له الكسر أيضاً (وقليلاً) وهو بين اللفظين ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين؛ فخي بهذا الاعتبار تنقسم أيضاً إلى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسطة وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب"[1].

ويتضح مما سبق أن تعريف المصطلحات التي ذكرها أبو علي لا تختلف عن تعريفات غيره من أهل اللغة والأداء.

ثانيا: المصطلحات التي لم يعرف بها

سبق وأن أشرت إلى أن "كتاب الحجَّة" جاء مركِّزاً على موضوع توجيه القراءات والاحتجاج لها؛ لذلك لم يُعنَ فيه الإمام أبو عليّ –رحمه الله– كثيراً بتعريف مصطلحات علمي التجويد والقراءات، وأورد أكثر المصطلحات دون تعريف.

1- الدَّرج والإدراج:

استخدم الإمام أبو علي في الحجة هذين المصطلحين في أكثر من موضع، دون أن يعرِّفهما أو يشير إلى ذلك.

ومن أمثلة استخدامه لمصطلح الدَّرْج قوله:

"وما رُوي عن أبي عمرو من قوله: (ءأنذرتهم)[2] إنما هو عند الاستئناف دون الدَّرْج. ولو أدرج القراءة فقال: (سَوَآءٌ عَلَيْهِم أأنذَرْتَهُم) لوجب في قياس قول أبي عمرو الذي حكاه عنه سيبويه أن يحذف الهمزة الأولى..."[3].

ومن الأمثلة التي استخدم فيها مصطلح الإدراج قوله:

"قال أبو علي: اعلم أنَّ أبا زيد قوله في ذلك خلاف ما ذهب إليه سيبويه، وذلك أنه قال: قال أبو أدهم الكلابي" لَه (ربّي لا أقول) فتَح اللام وكسر الهاء في الإدراج، قال أبو زيد: ومعناه: والله ربي لا أقول"[1].

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 2/ 24.

[2] سورة البقرة، الآية: 06.

[3] الحجة، 1/ 186. وانظر مثله: 1/ 468،

وفي موضع آخر يحتج فيه للحرف ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قال: "...وجهه: أن الحرف المدغم بمنزلة الحرف الموقوف عليه من حيث جمَعَها السكون، فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في تأمنا..."[2].

ويُفهم من مجموع المواقع التي ورد فيها مصطلحي الدَّرج أو الإدراج أن الإمام يعني بهما ذات المعنى؛ والمراد بهما الوصل في مقابل الوقف؛ يفسِّرُ ذلك –فضلاً عمَّا سبق– قوله في معرض حديثه عن ﭽ ﭾ ﭼ [الكهف: ٣٨]: "فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: لكن هو الله ربي بإسقاط الألف في الوصل وإثباتها في الوقف..."[3].

وهذا الوصل الذي ذكره يفسِّر الإدراج الذي عناه فيما تلاه بعد ذلك من تفصيل؛ قائلا: "... ومثل هذه الألف –يقصد ألف لكنا– في أنها تثبت في الوقف وتسقط في الإدراج، الألف في حَيَّهَلا..."[4].

وإذا تقرَّر هذا المعنى عند أبي عليّ –وهو الظَّاهر– عُلِم أنَّ الإمام تعوزه –في تقديري– نوعٌ من الدِّقّة في هذا الأمر؛ ذلك أنَّ مصطلح الإدراج لا يعني الوصل في علم الأداء، وإن جاز إطلاقه عليه لغة[5]، بل يعني الإسراع في القراءة.

يقول ابن الجزري رحمه الله: "والمقصود بالإدراج هو الإسراع، وهو ضدَّ التَّحقيق، لا كما فهمه من لا فهم له من أنَّ معناه الوصل الذي هو ضدَّ الوقف"[6].

2- الإشباع والتَّمطيط:

ذكر أبو علي كلاًّ من الإشباع والتَّمطيط في مواضع مختلفة من كتابه، يعطف بأحدهما على الآخر في أغلبها، غير أنه لم يقف عند تعريفهما[7].

ومن أمثلة ذلك قوله:

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 421.

[2] المصدر نفسه، 2/ 432، وانظر مثله: 3/ 86، 87، 302.

[3] المصدر نفسه، 3/ 86.

[4] المصدر السابق، 3/ 87.

[5] يقال: استمرّ فلان أدراجه؛ إذا ذهب ومضى فيها.ويقال: وهذا الأَمر مَدْرجَةٌ لهذا أَي مُتَوَصَّلٌ به إليه. لسان العرب، مادة (درج)، 2/ 266- 267.

[6] النشر في القراءات العشر، 2/ 304.

[7] انظر الحجة في المواضع الآتية: 1/ 299، 302، 303، 2/ 433 وغيرها.

"واعلم أنَّ الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمَّة والكسرة منهما ضربين، أحدهما: الإشباع والتَّمطيط، والآخر: الاختلاس والتَّخفيف"[1]. ثم يضيف في ذات السِّياق قائلاً: "وكما لم يُبدلِ الأكثرُ من التنوين ولا الواو في الجر والرفع كما أبدلوا الألف في النصب، وهذا الاختلاس، وإن كان لصوت فيه أضعف من التَّمطيط"[2].

واضح من هذا المثال وغيره –من خلال استقراء جميع هذه المواضع– أنَّ الإمام يطلق المصطلحين على ذات المعنى؛ وهو الإتيان بالحركات كوامل غيرَ منقوصات ولا مختلسات، على حدِّ تعريف الإمام ابن الجزريّ له؛ والذي يقول في ذلك: "فهو –أي الإشباع– عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصِّيغة لمن له ذلك ويستعمل أيضاً، ويراد به الحركات الكوامل غير منقوصات ولا مختلسات"[3].

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن التمطيط ينبغي أن يُقيَّد؛ إذ قد ينصرف أحياناً إلى معنىً يُخلُّ بالقراءة ويخرجها عن حدِّها وفصاحتها، خصوصاً إذا تعلق الأمر بباب المدّ، فغالبا ما يراد به تمكين المدّ تمكينا تامّاً زائداً عن المدّ الطبيعي يتجاوز مقدار الألفين إلى الثلاثة عند ورش وحمزة.

ومن ذلك ما جاء عن الإمام طاهر بن غلبون الذي ذكر هذا المصطلح –التّمطيط– في معرض الحديث عن التَّفاضل في إشباع المدّ –عند ورش خاصة–، والذي اعتبره من الإسراف الذي يخرج القراءة عن حدّها وفصاحتها وسهولتها؛ فيقول: "وهذا الإشباع في المدّ الذي عرّفتك أنهم يتفاضلون فيه، إنما هو على التّقريب من غير تمطيط ولا إسراف. كما روي عن حمزة: أن رجلاً قرأ عليه فجعل يمدّ، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أنَّ ما كان فوق الجعودة[4]، فهو قطط[5] وما كان كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة. وكما روي عن نافع أنه قال: قراءتنا

---

[1] الحجة، 1/ 302.

[2] المصدر نفسه، 1/ 303.

[3] التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ- 1985م، ص 55.

[4] الجعد من الشعر: خلاف السبط، وقيل هو القصير؛ ,ويقال: رجل جعد؛ إذا كان قصيراً متردّد الخلق، كما يقال أيضا: رجل جعد؛ إذا كان بخيلاً لئيماً لا يَبِضُّ حَجَره. لسان العرب، 3/121-122.

[5] يقال: رجل قَطَطٌ وشعر قَطَطٌ وامرأَة قَطَطٌ، والجمع قَطَطُونَ و قَطَطاتٌ، وشعر قَطٌّ وقطَطٌ: جَعْد قصير،و القَطَطُ: الشديدُ الجعُودةِ، وقيل: الحسَنُ الجعُودةِ. لسان العرب، 7/380.

قراءة أكابر أصحاب رسول الله ρ سهلٌ، جزلٌ لا نمضغ، ولا نلوك، ننبر[1] ولا ننتهر، نسهل، ولا نشدِّد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها"[2].

ويذكر ابن الجزري عن مدِّ بعض القرَّاء قائلا: "...والأعشى وقتيبة يمدُّون مدّاً مشبعاً من غير تمطيط ولا إفراط كان، وكذلك ذكر أشياخنا"[3].

وواضح مما سبق عرضُه أن هذا المعنى الأخير لا يريده الإمام أبو عليّ.

الباب الأول

الإمام أبو علي الفارسي وكتابه الحجة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حياة الإمام أبي علي الفارسي

الفصل الثاني: التعريف بكتاب الحجة ومقارنته ببعض كتب القراءات والاحتجاج

الفصل الثالث: تأثر الإمام الفارسي بمن قبله وتأثيره فيمن بعده

---

[1] النَّبْرُ بالكلامِ: الهَمْز. قال: وكلُّ شيء رفع شيئاً، فقد نَبَرَه. والنبْرُ: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُهُ نَبْراً هَمَزَه. لسان العرب، 189/5.

[2] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 1/ 148- 149.

[3] النشر، 2/ 259.

الفصل الأول

حياة الإمام أبي علي الفارسي

توطئـــــة

سأتناول في هذا الفصل الأول حياة الإمام أبي علي الفارسي بصفة عامة؛ وذلك من خلال الوقوف على اسمه الكامل كما في كتب التراجم، ومولده، ونشأته والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية المحيطة به، مبرزاً كذلك عقيدته ومذهبه في القراءات والنحو والفقه، معرِّجاً على مكانته العلمية ووفاته .

وترتيبا لذلك سيتضمن هذا الفصل مبحثين.

المبحث الأول: اسم الإمام ومولده ونشأته

المبحث الثاني: عقيدة الفارسي ومكانته العلمية ووفاته

المبحث الأول

اسم الإمام ومولده ونشأته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الظروف السياسية والعلمية السائدة

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده
المطلب الثالث: نشأة الإمام

المطلب الأول: الظروف العامة السائدة

يبيِّن هذا المطلب الظروف السياسية والاجتماعية، وكذا العلمية والثقافية السائدة في عصر الإمام أبي علي الفارسي، وذلك في فرعين:

الفرع الأول: الحالة السياسية والاجتماعية

لقد هان شأن خلفاء بني العباس، وضعفت شوكتهم، وأصبح الخلفاء أداة طيّعة بيد قادة الجيوش من الترك والديلم[1]، وكان باستطاعة هؤلاء القادة عزل الخليفة وخلع السلطان عنه، واستبداله بغيره في أي وقت شاءوا، وقد كانوا يتجرؤون على قتل الخليفة والانتقام منه إذا لم يسعد بموافقتهم؛ فقد وقع سنة: 376هـ قتال بين الديلم وكانوا تسعة عشر ألفاً وبين الترك، وكانوا ثلاثة آلاف، فانهزمت الدَّيلم، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف[2].

---

[1] الديلم: هو إقليم بالعراق، والديلم يقع بين الرحاب والجبال والمفازة وخراسان، وأهله جيل سموا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر وليس باسم لأب لهم. وقيل: اسم ماءٍ لبني عبس. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله الحموي، دار الفكر –بيروت، د.ط، د.ت، 293/2. ووصفه المقدسي بقوله: "إقليم القز والصوف به صناع حذاق، وفواكه تحمل إلى الآفاق، وبزُّه معروف بمصر والعراق. كثير الأمطار، مستقيم الأسعار. مصر ظريف، ولهم عمل لطيف. يجلون الشريف، ويرحمون الضعيف. كبراء في الفقه وأجلة في الحديث رجال في القتال...". أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ت: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي –دمشق، د.ط، 1980م، ص92، 240.

[2] الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، ت: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1415هـ- 1995م، 7/ 427 وما بعدها والعبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت –الكويت، ط2 –مصورة، 1948م، 03/3.

وقد مرَّت بغداد بفتنة عظيمة، ظهرت فيها العصبية الزائدة وتحزب الناس، وطغى الفساد وأخذت أموال الناس، وتولَّد بين النَّاس أصنافٌ مختلفة من الطائفية، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور[1].

وقد صاحب هذا الاضطراب السياسي في بغداد عاصمة الدولة الإسلامية اضطرابات أخرى في شرق الدولة وغربها كانت أكبر وقعاً وأعظم خطراً على الخلافة، حيث أدت إلى تجزئة الدولة الواحدة إلى عدة دويلات متفرقة[2]، فقامت (دولة بني حمدان) في الشام، و (دولة بني بويه) في الشرق و (الدولة الإخشيدية) في مصر.

وفي خضمِّ هذه الظروف كان العزيز صاحب مصر قد أعدَّ العدَّة لغزو الروم فاحترقت مراكبه، فاتهم بها أناساً، ثم بعد ذلك وصلت رسل الرُّوم في البحر إلى ساحل القدس بتقادم للعزيز ودخلوا مصر يطلبون الصلح، فأجابهم العزيز واشترط شروطا شديدة التزموا بها كلَّها، منها: أنهم يحلفون أنه لا يبقى في مملكتهم أسير إلا أطلقوه وأن يخطب للعزيز في جامع قسطنطينية كل جمعة، وأن يحمل إليه من أمتعة الروم كل ما افترضه عليهم، ثم ردهم بعقد الهدنة سبع سنين[3].

وفي صفر من سنة: 377هـ عقد ببغداد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة وجددت البيعة بين الطائع[4] وبين شرف الدولة[5] وكان يوما مشهودا، والذي رفع عن العراق مظالم كثيرة، وردَّ على النَّاس أملاكهم[6] وكان الغلاء ببغداد فوق الوصف واشتدَّ جدًّا على الناس[1].

---

[1] المصدر السابق، 7/ 330.

[2] المصدر نفسه، 7/ 427- 428 وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، د.ت ، 88/2.

[3] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت، 4/ 51.

[4] هو: الخليفة أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي، لقبه نصر الدولة، كان قويا في بدنه، خلف والده المطيع، كانت دولته ثماني عشرة سنة، لكنه عُزل في آخر أيام إمارته، وأشهد عليه بخلع نفسه وأنه سلم الخلافة إلى القادر بالله وشهد الكبراء بذلك، وبقي بعد عزله أعواما إلى أن مات 393هـ. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9: 1413هـ، 118/15 -126.

[5] هو: صاحب العراق شرف الدولة شيرويه بن الملك عضد الدولة بن بويه الديلمي، تملك وظفر بأخيه صمصام الدوله فسجنه، وكان فيه خير وأزال المصادرات، كانت أيامه سنتين وثمانية أشهر. مات 379هـ ولم يبلغ الثلاثين، وتملك بعده أخوه بهاء الدولة، وكان أخوهما الصمصام هو الذي تملك العراق بعد أبيهم عضد الدولة ثلاثة أعوام ثم أقبل شرف الدولة لحربه فذلَّ وسلَّم نفسه إلى أخيه فغدر به وحبسه بشيراز إلى أن مات. المصدر نفسه، 16/ 384- 385.

[6] من ذلك أنه رد على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع أملاكه وكان مغلها في العام ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم. شذرات الذهب، 88/2.

الفرع الثاني: الحالة العلمية والثقافية

بالرُّغم من ذلك الجوِّ المشحون بالأزمات، ومع هذا الوضع غير المستقر قابلتها حركة علمية نشيطة ومزدهرة، فلقد كان أمراء الدويلات الإسلامية يتنافسون فيما بينهم على اجتذاب العلماء والأدباء، وكانت مجالسهم عامرة بالمناقشات العلمية وكانوا يغدقون الأموال الطائلة عليهم، ويجهزونهم بكل ما يحتاجونه من كتب ومكتبات ومدارس علمية متخصصة[2]، وكان لهذا التشجيع كبير الأثر في إنعاش الساحة العلمية والثقافية آنذاك؛ فتعددت حواضر العلم والمعرفة، ونبغ عصرئذ علماء برعوا في شتى الميادين والتخصصات. وفي هذا العصر نشأ أبو علي الفارسي[3]، وتعلَّم، ونبغ، ودرّس وألَّف.

ومما يحكى عن أبي عليٍّ أنه كان يوما في ميدان شيراز[4] يساير عضد الدولة[5]، فقال له: لم انتصب المستثنى في قولنا: قام القوم إلا زيدا؟ فقال الشيخ: بفعل مقدَّر، فقال له: كيف تقديره، فقال: أستثني زيداً، فقال له عضد الدولة: هلاَّ رفعته وقدَّرت الفعل امتنع زيد، فانقطع الشيخ وقال له: هذا الجواب ميداني، ثمَّ إنَّه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه. وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدِّم بتقوية (إلاَّ)[6].

---

[1] البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت، 202/11..

[2] المصدر السابق.

[3] ستأتي ترجمته بعد حين.

[4] شيراز بلد عظيم مشهور، وهو قصبة بلاد فارس. ذهب بعض النحويين إلى أن أصله شراز، وجمعه شراريز وجعل الياء قبل الراء بدلا من حرف التضعيف، وشبهه بديباج، ودينار، وديوان وقيراط؛ فإن أصله عندهم دباج، ودنار، ودوان، وقراط. ومن جمعه على شواريز فإن أصله عندهم شورز وهي مما استجد عمارتها واختطاطها. قيل أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن أبي عقيل، ابن عم الحجاج؛ وهي في وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخا. أنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 3/ 378 وما بعدها.

[5] هو: السلطان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو صاحب العراق وفارس ابن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة ثم كثرت بلاده واتسعت ممالكه، قصد العراق والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله وتملك ودانت له الأمم، وكان شجاعا مهيبا نحويا أديبا عالما جبارا عسوفا شديد الوطأة ،وكان يقول الشعر، نقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه)، ومات بعلة الصرع، وكان شيعيا جلدا، أظهر بالنجف قبرا زعم أنه قبر الإمام علي وبني عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء والاعتزال. مات سنة: 372هـ ببغداد. انظر: الأعلام، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، 156/5، سير أعلام النبلاء: 16/ 249- 251 ووفيات الأعيان: 4/ 51-54.

[6] روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الأصبهاني، الدرر الإسلامية –بيروت، ط1، 1411هـ-1991م، 3/ 72- 73.

كما روي أنَّه جرى ذكر الشِّعر بحضرة أبي عليٍّ، فقال: إني لأغبطكم على قول الشِّعر فإنَّ خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من موادِّه، فقال له رجل: فما قلت قطُّ شيئاً منه. قال: ما أعلم أنَّ لي شعراً إلا ثلاثةُ أبيات في الشّيب، وهي قولي:

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيبِ أولى أن يعابا

ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيبا خشيت ولا عتابا

ولكن المشيب بدا ذميماً فصيَّ رت الخضاب له عقابا[1].

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده

يشتمل هذا المطلب على اسم الإمام الكامل ونسبه في الفرع الأول، ثم مولده ونشأته وأسرته في الفرع الثاني، كما يأتي:

الفرع الأول: اسمه ونسبه

أما عن **اسمه** فهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي[2]، أبوه فارسي، وأمه عربية من سدوس شيبان[3].

وأما عن اسم **أبيه وجده** فلقد اختلف المترجمون في نسب أبي علي الفارسي زيادة ونقصا؛ فذكر جميع من ترجم له إلا من شذَّ أن اسم أبيه أحمد، واسم جدِّه عبد الغفار، وهو الذي وجد بخطه: وكتب الحسن بن أحمد.

وفي معجم الأدباء: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان اهـ[4]. ومثله في تاريخ ابن خلكان[5].

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م، 2/ 80- 81.

[2] انظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرّومي، ت: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 811/2 ووفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م، 2/80- 82.

[3] هي قبيلة عربية ترجع أصولها إلى سدوس –بفتح السين- بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، 13/ 84. وهذا مما يثير الشك في الجزم بفارسيته.

[4] معجم الأدباء، 811/2.

[5] وفيات الأعيان، 2/ 80- 82.

وعلى الرغم من أن جدَّه البعيد "أبان" عربي منصرف[1]، فقد ذهب أكثر من ترجم له إلى أن أباه فارسي الأصل. وقد يكون الأمر أن جدَّه هذا عربي الأصل استوطن بلاد فارس أثناء الفتوحات الإسلامية، أو لعله فارسي أسلم آباؤه فسموه باسم عربي، ولقب الفارسي –كما يقول الباحث عبد الفتاح شلبي– لا ينهض دليلا على فارسيته؛ إذ كثيرا ما تَلقَّب بعض المشهورين من العرب بألقاب فارسية[2].

وقال في الكامل: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[3].

وفي تاريخ بغداد: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان[4].

وفي مرآة الجنان: الحسن بن أحمد الفارسي[5].

وفي اليتيمة في ترجمة ابن أخته أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي[6]، قال: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي[7].

وفي ميزان الاعتدال: الحسن بن أحمد[8].

وفي لسان الميزان: اسم جدّه عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان[9].

وفي بغية الوعاة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان[1].

---

[1] انظر: لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1: د.ت، مادة: (أبن)، 134/16.

[2] وذلك مثل: أبي إسحاق الشيرازي، والفيروزآبادي، والترمذي صاحب السنن، والأصبهاني صاحب الأغاني وغيرهم. أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية،وآثارهُ في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة –مصر، د.ط، 1377 هـ، ص46.

[3] الكامل، 7/ 429.

[4] تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، 7/ 275.

[5] مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد أبو عبد الله اليافعي اليمني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ- 1997م، 2/ 305.

[6] أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي، أحد أفراد الدهر، وأعيان العلم، وأعلام الفضل، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ، وعليه درس، حتى استغرق علمه، واستحق مكانه، وكان أبو علي أوفده على الصاحب فارتضاه، وأكرم مثواه، وقرب مجلسه. انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك أبو منصور الثعالبي النيسابوري، المطبعة الحنفية –دمشق، د.ط، د.ت، 109/2 ومعجم الأدباء، 2523/6.

[7] المصدر نفسه، 2/ 109.

[8] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة –يروت– لبنان، د.ط، د.ت، 1/ 480.

[9] لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدَّة، دار البشائر الإسلامية – بيروت–لبنان، ط1، 1422هـ- 2002م، 3/ 26.

وفي فهرست ابن النديم: الفارسي أبو علي بن أحمد بن عبد الغفار[2].

وفي روضات الجنات: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[3].

وشذَّ صاحب شذرات الذهب فقال: الحسن بن محمد بن عبد الغفار[4] ويمكن أن يكون من سهو النساخ.

وأما عن **كنيته** فأبو علي عند الجميع من غير خلاف وقد اشتهر بكنيته.

وأمه سدوسية من سدوس شيبان من ربيعة الفرس اهـ[5].

وصفه المؤرخون بأنه كان قويَّ البنية، نظيفا في مظهره ولهذا فقد أزرى على المتنبي[6] قبح زيِّه، وما أخذ به نفسه من الكبر[7].

كما وصف بأنه كان صادقا في نفسه، مترفعا عن الكذب، رفيقا بذوي القربى[8].

وقد كان ذا موضوعية في تقرير الحقائق العلمية واللغوية والنحوية، وسوف نرى ذلك واضحاً – إن شاء الله– أثناء الحديث عن آرائه.

الفرع الثاني: مولده ورحلاته

ولد سنة 288هـ بمدينة فسا[9] من أرض فارس، وهي مدينة واسعة الأبنية، فسيحة الشوارع، ذات حصن وخندق وربض.

---

[1] بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، د.ن، ط2، 1399هـ- 1979م، 1/ 496.

[2] الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1398هـ-1978م، 1/ 95.

[3] روضات الجنات، 3/ 72.

[4] شذرات الذهب في تاريخ من ذهب، 2/ 88..

[5] معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب، 2/ 811.

[6] هو: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي. قال في العبر وليس في العالم أشعر منه أبدا وأما مثله فقليل، اشتغل في فنون الأدب ومهر فيها وتضلع من علم، اعتنى العلماء بديوانه فشرحوه أكثر من أربعين شرحا، وسمي المتنبي لأنه ادعى النبوة، قتل سنة 354هـ. له ديوان شعر مطبوع ومشروح شروحا وافية،. وقد جمع الصاحب ابن عباد لفخر الدولة نخبة من أمثال المتنبي وحكمه، وتبارى الكتاب قديما وحديثا في الكتابة عنه. انظر: الأعلام، 1/ 115، شذرات الذهب، 2/ 13- 15 ووفيات الأعيان، 1/ 120- 123.

[7] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي، ت: مصطفى السقا وغيره، دار المعارف، ط3، د.ن، د.ت، ص92.

[8] معجم الأدباء، 6/ 2536.

[9] فسا بالفتح والقصر كلمة عجمية، وعندهم بسا بالباء؛ كذا يتلفظون بها، وأصلها في كلامهم: الشمال من الرياح، وهي مدينة بفارس أنزه مدينة بها، وهي مدينة مفترشة البناء واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز، وهي أصح هواء من شيراز وأوسع أبنية، وهي مدينة يجتمع فيها ما يكون في الصرود، والجروم من البلح والرطب والجوز والأترج وغير ذلك، وباقي مدن دارابجرد متقاربة،

وأما عن **رحلاته**؛ فقد رحل إلى بغداد سنة 307هـ[1] لطلب العلم فيها، كما رحل إلى غيرها من مدن العراق، وفيها ذاعت شهرته، وتنقل في شعابه، يحاضر ويؤلف ويسأل، فكانت له مؤلفات سميت بأسماء المدن العراقية، كالبصريات والبغداديات وغيرها.

وانتقل الإمام إلى الموصل، وفيها التقى بتلميذه ابن جني حيث بقي زمنا ثم سافر إلى الشام، فزار حلب والتحق ببلاط الأمير سيف الدولة الحمداني[2] فأكرم وفادته، وتنقل في بلاد الشام، فمضى إلى طرابلس ومعرة النعمان[3]، واتصل برجالها وأهل العلم فيها، وأقام بحلب فظفرت منه بالمسائل الحلبية، وقد امتحن فيها بخصومة ابن خالويه[4]، وكان من خلصاء سيف الدولة وآثرهم عنده. ولذا لم تطب الإقامة لأبي علي هناك.

وورد شيراز سنة 348هـ، فلبث فيها عشرين عاما منقطعا إلى عضد الدولة بن بويه. ثم عاد إلى بغداد بعدما استولى عليها عضد الدولة واستقر له الأمر فيها، فصنف له كتابي الإيضاح والتكملة، وعلمه النحو حتى قال فيه عضد الدولة: "أنا غلام أبي علي في النحو"[5].

واستقر أبو علي بفداء ببغداد إلى أن أدركته منيته في ربيع الآخر وقيل في ربيع الأول سنة 377هـ، فدفن هناك بالجانب الغربي منها[1].

وإليها ينسب أبو علي الفارسي الفسوي وأبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي الفارسي. معجم البلدان، 4/ 260- 261.

[1] طبقات الزبيدي، 131.

[2] هو: سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب مقصد الوفود، وكعبة الجود وحامل لواء الجهاد. كان أديبا مليح النظم فيه تشيع، ويقال ما اجتمع بباب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه، وكان يقول عطاء الشعراء من فرائض =الأمراء، ولده في سنة 331هـ، وله غزو ما اتفق لملك غيره، وكان يضرب بشجاعته المثل. مات في صفر سنة 356هـ، كانت دولته نيفا وعشرين سنة وبقي بعده ابنه سعد الدولة في ولاية حلب خمسا وعشرين سنة. سير أعلام النبلاء، 16/187- 189، وفيات الأعيان، 3/ 401- 406.

[3] معرة بفتح أوله وثانيه وتشديد الراء. قال ابن الأعرابي: المعرة الشدة، والمعرة كوكب في السماء دون المجرة، والمعرة الدية، والمعرة قتال الجيش دون إذن الأمير وقيل غير ذلك. وأما النعمان فقيل: نسبة إلى النعمان بن بشير صحابي اجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه فسميت به، وقيل أنها مسماة بالنعمان نسبة إلى الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله؛ وهي –النعمان– مدينة كبيرة قديمة، ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، ومنها كان أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري. ومعرة النعمان هي قرية من قرى الشام. أنظر: معجم البلدان، 5/ 155 وما بعدها.

[4] ستأتي ترجمته، ص14.

[5] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ت: أحمد أمين و أحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، د.ت، 131/1، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت، 4/ 15.

ولا نعلم شيئا عن دراسته الأولى، والمراحل التي اجتازها في هذه الفترة، إلا أن تردَّده على حلقات الشيوخ المشهورين في بغداد بعدما استقر فيها يوحي بأنه قد تردد على شيوخ بلاده قبل مجيئه إلى بغداد، وأخذ عنهم شتى علوم المعرفة وخاصة علوم العربية.

وقد اطَّلع على كتب المتقدِّمين فقرأ كتاب سيبويه[2] على أبي بكر بن السرَّاج[3]، وسمع معاني القرآن للفراء[4] من أبي بكر بن مجاهد[5] وسمع معاني القرآن للزجاج[6] منه[1].

---

[1] إنباه الرواة على أنباء النحاة، علي بن يوسف القفطي، ت: محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت، ط1، 1406هـ- 1986م، 308/1. تاريخ بغداد: 275/7. وفيات الأعيان، 2/ 80.

[2] هو: عمرو بن عثمان أبو بشر بن قنبر الملقب بسيبويه، مولى بني الحارث بن كعب وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه، أخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره، اختلف في سنة وفاته فقيل: توفي سنة 180. قال الذهبي في السير: "وهو أصحها"، وقيل سنة 177، وقيل سنة 161هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، 8/ 351- 352، وفيات الأعيان، 463- 464.

[3] ستأتي ترجمته بعد حين.

[4] هو: أبو زكريا الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها. أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وأخذ عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السُّمَّري وغيرهما. ولد الفراء بالكوفة وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها، وله من التصانيف: الحدود، والمعاني، وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر، وكتاب البهي؛ وهو صغير الحجم، وله كتاب اللغات، وكتاب المصادر في القرآن، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء وغيرها. توفي ستة 207هـ. إنباه الرواة على أنباء النحاة، 4/ 08 وما بعدها، سير أعلام النبلاء، 10/ 118- 121، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن أحمد، ابن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1410هـ، 2/ 460، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، د.ط، 1418هـ- 1998م، ص90، وفيات الأعيان، 6/ 176- 179.54.

[5] انظر: مقدمة تحقيق: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: علي النجدي ناصف وغيره، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –القاهرة، د.ط، 1415هـ- 1994م، ص 36. وستأتي ترجمة الإمام ابن مجاهد في الفصل الثاني من هذا الباب.

[6] ستأتي ترجمته بعد حين.

المطلب الثالث: نشأة الإمام

وتتمثل نشأته العلمية في احتكاكه بالشيوخ وتلقيه عنهم، ومزاملته لبعض الشخصيات العلمية، وثقافته وكذا إنتاجه وتخريجه لجملة من التلاميذ الذين أخذوا عن الإمام واهتموا بآثاره فيما بعد.

الفرع الأول: شيوخه

كان لأبي علي احتكاك كثير مع شيوخ في العراق؛ فأخذ عن جملة من الشيوخ والأئمة:

13- فروى عن أبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السرَّاج[2]، كان أحد الأئمة المشاهير المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرِّد[3]، أخذ عنه جماعة من الأعيان منهم أبو سعيد السيرافي[4] وعلي بن عيسى الرماني[5] وغيرهما، ونقل عنه الجوهري في كتاب الصحاح في مواضع عديدة، وله التصانيف المشهورة في النحو منها: "كتاب الأصول" وهو من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه، و"كتاب جمل الأصول"، و"كتاب الموجز"، و"كتاب الاشتقاق"، و"شرح كتاب سيبويه"، و"كتاب احتجاج القراء"[6]، و"كتاب الشعر والشعراء"، و"كتاب المواصلات" وغيرها. كان يلثغ في الراء فيجعلها غينا، فأملى يوما كلاما فيه لفظة بالراء فكتبوها عنه بالغين، فقال: لا بالغاء لا بالعاء؛ يريد بالراء وجعل يكررها على هذه الصورة، توفي سنة ستة عشرة وثلاثمائة، رحمه الله تعالى[7].

14- وروى عن أبي إسحاق الزجاج؛ إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين وصنف كتابا في معاني القرآن، له كتاب

---

[1] المحتسب، 36/1.

[2] مقدمة الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، 29/1.

[3] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد عبد الله الأزدي البصري، المعروف بالمبرد النحوي نزل بغداد وكان إماما في النحو واللغة وله التواليف النافعة في الأدب، منها: كتاب الكامل، وكتاب الروضة، والمقتضب وغير ذلك. أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وفي تسميته بالمبرِّد حكاية. توفي سنة: 286، وقيل: 285هـ ببغداد. وفيات الأعيان، 4/ 313- 319.

[4] ستأتي ترجمته، ص14.

[5] ستأتي ترجمته، ص16.

[6] لعل كتاب "احتجاج القراء"هذا، هو الكتاب الذي شرع فيه وارتفع منه تبييض في سورة البقرة –كما يقول الفارسي- ولم يكمله.

[7] انظر: نزهة الألباء، ص220، وشذرات الذهب، 1/ 259 ووفيات الأعيان، 4/ 339- 340.

الأمالي وكتاب ما فسر من جامع المنطق، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه. روى أبو سليمان الخطابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي قال: كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول: إن كان فيكم أبو إسحاق الزجاج وإلا انصرفوا، توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة[1].

15- وروى عن أبي بكر بن دريد[2]؛ محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي البصري نزيل بغداد، صاحب التصانيف المفيدة في اللغة كالجمهرة والأمالي وغير ذلك. كان رأسا في اللغة وأشعار العرب وله قصيدة طنانة يمدح بها الشافعي رضي الله عنه أنشدها الحاكم أبو عبد الله في مناقب الشافعي. قال الدارقطني: تكلموا فيه، مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتوفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة[3].

16- وعن أبي الحسن –وقيل أبي المحاسن- الأخفش؛ أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، المعروف بالأخفش[4] الصغير النحوي. كان عالما، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما، وروى عنه المرزباني وأبو الفرج المعافى الجريري وغيرهما وكان ثقة، حدث عنه البخاري وغيره.

---

[1] انظر: الكامل، 7/ 16، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي –الكويت، ط1، 1407هـ، 1/ 186،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي –بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، 4/ 448 والنجوم الزاهرة، 3/ 308 و نزهة الألباء، ص225 وما بعدها.

[2] المسائل البصريات، أبو علي الفارسي، ت: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني –القاهرة، ط1، 1405هـ-1985م، 1/ 51

[3] انظر: طبقات الشافعية، 2/ 116، الفهرست، 1/ 91، نزهة الألباء، ص225- 226.

[4] على أن هناك أخفشين آخرين، هما: أبو الحسن، سعيد بن مسعدة المجاشعيّ بالولاء، النحويّ البلخيّ، المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نحاة البصرة. أخذ النحو عن سيبويه وعمن أخذ عنه سيبويه، وكان أعلم من أخذ عنه وكان أكبر منه. وهو الطريق إلى سيبويه، فإنه لما توفي قُرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازنيّ. وزاد في العروض "بحر الخَبَب"، وله كتاب "معاني القرآن"، و"الأوسط في النحو"، وكتاب "الاشتقاق"، وكتاب "العروض"، وكتاب "المسائل الكبير"، و "المسائل الصغير"، و "معاني الشعر"، و "المقاييس" و "التصريف" وغيرها مما عدت عليها العوادي وطوته فيما طوت من كنوز. توفي سنة 225 وقيل 221هـ. شذرات الذهب، 1/ 36، نزهة الألباء، ص120، الفهرست: 1/ 77، وفيات الأعيان: 2/ 380.

=أما الأكبر أو الكبير: فهو شيخ العربية أبو الخطاب البصري يقال اسمه عبد الحميد بن عبد المجيد، من أهل هجر من مواليهم، كان في دولة الرشيد. تخرج به سيبويه وحمل عنه النحو لولا سيبويه لما اشتهر. أخذ عنه أيضا عيسى بن عمر النحوي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما، وله أشياء غريبة ينفرد بنقلها عن العرب، وهو مجهول الوفاة. النجوم الزاهرة، 3/ 219، سير أعلام النبلاء، 14/ 480 و شذرات الذهب: 1/ 36.

كان يضجر كثيرا إذا سئل عن شيء من النحو وكان حافظا للأخبار، له من الكتب كتاب الأنواء كتاب التثنية والجمع وكتاب الجراد. توفي سنة خمسة عشرة وثلاث مئة[1].

17- وروى عن الشيخ ابن معدان؛ أبي الحسن علي بن الحسين بن معدان الفارسي الفسوي، حدث عن إسحاق بن راهويه وأبي عمار الحسين بن حريث، روى عنه شيخ النحو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي وأبو بكر محمد بن أحمد الأصبهاني. توفي في شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وثلاث مئة [2].

18- كما روى عن أبي بكر بن مجاهد[3]؛ هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرىء، كان واحد عصره غير مدافَع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن، روى الإمام قراءات كثيرة وله كتب مصنفة، منها: كتاب "القراءات الكبير"، كتاب "القراءات الصغير"، كتاب "الياءات"، كتاب "الهاءات"، كتاب "قراءة أبي عمرو"، كتاب "قراءة ابن كثير"، كتاب "قراءة عاصم"، كتاب "قراءة نافع"، كتاب "قراءة حمزة"، كتاب "قراءة الكسائي"، كتاب "قراءة ابن عامر" وكتاب "قراءة النبي ρ "، وتوفي رحمه الله في محبسه لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[4].

وغير هؤلاء من الشيوخ كثير؛ الأمر الذي بوَّأ أبا عليّ أحد أئمة العربية وأغزرهم علما وأوسعهم اطلاعا، وأن تكون كتبه أجل الكتب وأجدرها قراءة وتدريسا.

الفرع الثاني: زملاؤه

---

[1] النجوم الزاهرة، 3/ 219، نزهة الألباء، ص219، الفهرست، 1/ 123 ووفيات الأعيان، 3/ 301.

[2] تاريخ بغداد، 7/ 275 وسير أعلام النبلاء، 14/ 520.

[3] بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت: سهيل زكار، دار الفكر –بيروت، ط1، 1988م، 5/ 2265.

[4] انظر ترجمته: تاريخ بغداد: 144/5 وما بعدها.، طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر السبكي، ت: عبد الفتاح محمد الحلو و هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط2، 1992م، 57/3 وما بعدها، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: بشار عواد معروف وغيره، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1404هـ، 269/1-272 ، الفهرست، لابن النديم، 47/1.

كان لأبي علي زملاء أخذوا معه عن شيوخه، منهم:

7- الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي، كان إماما في النحو والفقه والشعر والقرآن والفرائض والحديث، ولي قضاء بغداد، قرأ النحو على ابن السراج وعلى أبي بكر مبرمان، واللغة على أبي بكر بن مجاهد وابن دريد[1]، وله تآليف منها شرح كتاب سيبويه وأحسن فيه مات سنة 368هـ[2].

8- الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي الهمذاني الحلبي، روى عن ابن الأنباري وأبي بكر بن مجاهد وابن دريد ونفطويه، له تصانيف كثيرة منها شرح المقصورة الدريدية والبديع في القرآن الكريم وحواشي البديع في القراءات وشرح شعر أبي نواس مات بحلب سنة 370هـ[3].

وكانت المنافسة بين أبي علي وابن خالويه على أشدِّها؛ فقد كتب أبو علي كتابه"الإغفال"، عقب فيه عما أغفله شيخه أبو إسحاق الزجاج في "معاني القرآن" ونقده، غير أن ذلك لم يرض ابن خالويه فتعقَّبه فيما كتب، ورد أبو علي على تعقيبه له في "نقض الهاذور[4]" وبسط الكلام فيه كل البسط. وقد أورد البغدادي في "خزانته" طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين أبي علي وابن خالويه، أذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه: "إن الواو إذا كانت في أوائل القصائد نحو: وقاتم الأعماق... فإنها تدل على رب فقط، ولا تكون للعطف، لأنه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو.

وقال الفارسي في "نقض الهاذور": "هذا شيء لم نعلم أحدا ممَّن حكينا قوله ذهب إليه، ولا قال به"[5].

وقال ابن الأنباري في (نزهة الألباء): إنه اجتمع هو وأبو علي الفارسي فجرى بينهما كلام، فقال لأبي علي: نتكلم في كلام سيبويه، فقال له أبو علي: بل نتكلم في الفصيح.

---

[1] تقدمت ترجمته آنفاً، ص14 . انظر المزيد: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة، ت: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1407هـ، 2/ 116، الفهرست، 1/ 91. وفيات الأعيان، 4/ 323 وما بعدها.

[2] البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، 86/1. بغية الطلب في تاريخ حلب، 5/ 2444.

[3] البلغة، 1/ 90. بغية الطلب، 2/ 2265.

[4] الهاذور من الهذر، ومعناه الهذيان، وكذا سقط الكلام الذي لا يعبأ به. انظر: لسان العرب، مادة (هـ ذ ر)، 259/5، مختار الصحاح، مادة (هـ ذ ر)، 1/ 289. واسم الكتاب يدلُّ بما لا يخفى على السجال العلمي الشديد بين الإمامين.

[5] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م، 1/ 80.

ويروى أنه قال لأبي علي: كم للسيف اسما؟ قال: اسم واحد، فقال له ابن خالويه: بل أسماء كثيرة، وأخذ يعدِّدها نحو: الحُسام، المخذم والقضيب ... فقال أبو علي: هذه كلها صفات[1].

ولم تكن منافسة ابن خالويه لأبي علي إلا صدًى لمنافسة أستاذه أبي سعيد السيرافي لأبي علي، فقد كان رحمه الله –كما يقول أبو حيان التوحيدي– "متقداً بالغيظ على أبي سعيد وبالحسد له، كيف تمَّ له تفسير كتاب سيبويه من أوَّله إلى آخره، بغريبه، وأمثاله، وشواهده وأبياته، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لأن هذا شيء ما تمَّ للمبرد، ولا للزجاج، ولا لابن السَّرَّاج ولا لابن دَرَستَويه [2]، مع سعة علمهم وفيض كلامهم"[3].

ولمنزلة أبي سعيد السيرافي في نفس تلميذه ابن خالويه أرسل إلى سيف الدولة ليُعلِمه تطاول الفارسي على السيرافي، وهو تطاول غير محمود، فمكانة السيرافي خصوصا بعد هزيمة (متّى)[4] المنطقي جديرة بأن تكسو ثوب المهابة والإجلال، ولا يسوغ لأبي علي أو غيره أن ينتقص من هذه الشخصية العلمية الفذة.

ولما علم الفارسي بالخبر أرسل إلى سيف الدولة رسالة ينفي فيها عن نفسه التهمة، ومما قال فيها: "من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل –يعني ابن خالويه– هو قوله: لو يبقى عمر نوح ما صلح –أبو علي– أن يقرأ على السيرافي مع علمه بأن السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان؟ هذا مما لا خفاء فيه، كيف وقد خلط فيما حكاه عني؟ وأني قلت: إن السيرافي قد قرأ عليَّ. ولم أقل هذا، إنما قلت: تعلَّم مني، أو أخذ مني هو أو غيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا. وليس قول القائل: تعلَّم منِّي مثل قرأ عليَّ، لأنه يقرأ

---

[1] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص271 والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، 1/ 318.

[2] هو: عبد الله بن جعفر أبو محمد بن دَرَستَويه الفارسي النحوي، أحد النحاة والأدباء المشهورين، أخذ عن المبرد وابن قتيبة، كان فسويا، وأقام ببغداد إلى حين وفاته. ألف كتبا منها: كتاب الإرشاد، وشرح كتاب الجرمي، وكتابه في الهجاء وهو أحسنها. أخذ عنه عبيد الله المرزباني وغيره. ولد سنة: 258هـ، وتوفي سنة 347 في خلافة المطيع. أنظر: نزهة الألباء، ص247- 248، وفيات الأعيان، 3/ 44.

[3] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ص131.

[4] هو: متّى بن يونس الحكيم، كان يعلم المنطق، وكان حسن العبارة في تآليفه لطيف الإشارة، ويحكى أن الآلة المسماة القانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب، وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن.أجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذي اقتصر عليها لقناعته، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في سنة 339هـ. شذرات الذهب، 1/ 352، وفيات الأعيان، 5/ 153.

عليه من لا يتعلَّم منه، وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه. وتعلُّم ابن بهراذ السيرافي منِّي في أيام محمد بن السري وبعدَه لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الورَّاق، ومحمد بن أحمد بن يونس، ومن كان يطلب هذا الشأن من بني الأزرق الكتّاب وغيرهم. وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في (صف شونيز[1]) كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، لأنه كان جاري بيْتَ بيتَ قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني"[2].

9- علي بن عيسى أبو الحسن الرماني النحوي، إمام في اللغة والنحو والمنطق. أخذ عن ابن السراج وابن دريد، صنف كتبا كثيرة منها شرح كتاب سيبويه في سبعين مجلدا، وكتاب الحدود، وكتاب معاني الحروف، وشرح الموجز لابن السراج وشرح أصول ابن السرَّاج. قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرُّمَّاني فليس معه منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء. توفي سنة 384هـ[3].

الفرع الثالث: ثقافته وتلامذته

أولا: ثقافته

---

[1] لم أقف على ترجمته.

[2] معجم الأدباء، 2/ 820.

[3] البلغة، 154/1.

تثقف أبو علي بعلوم عصره، فكان موسوعة ثقافية عديدة الجوانب، فقد درس كتاب سيبويه (180هـ)[1]، وروى كتب أبي عبيدة (210هـ)[2]، وأبي زيد (215هـ)[3] والأصمعي (216هـ)[4] وابن الأعرابي (231هـ)[5] واطلع على شوارد اللغة وشواذها، وخير دليل على ثقافته اللغوية مؤلفاته التي بين أيدينا، فهي مستودع فاخر تتجلى فيه سعة اطلاع أبي علي، وعمق ثقافته.

ومما يزيد ذلك وضوحا اعتماد المتأخرين عليها، سواء كانوا من أصحاب المعجمات، أم كانوا من أصحاب المؤلفات الأخرى التي احتوت أطرافا من اللغة.

هذا، دون أن نغض الطرف عن مسائله وآرائه المنثورة في بطون كتب المتأخرين كابن سيده، وابن الأنباري، وابن هشام والبغدادي.

أما ثقافته في علوم القرآن والقراءات والحديث، فتبدو واضحة العيان في كتابيه: الحجة، والإغفال، وفي استشهاداته واعتماده على القرآن في تفسير القرآن بالقرآن، والظواهر النحوية، واللغوية، والصرفية، والفقهية والمنطقية، حتى إن المرء يحس وهو يقرأ مصنفات أبي علي كأنه أمام سيل منحدر من الآيات المترادفة التي يصرفها كيفما يشاء، فهو يؤيد القرآن بالقرآن، ويعلل القرآن بالقرآن، ويحتج للقرآن بالقرآن، ويؤول القرآن بالقرآن في كثير من الأحيان.

أما عن القراءات؛ فقد روى عن ابن مجاهد[6]، وألف فيها كتاباً ضخما سماه: (الحجة في القراءات السبع) اعتمد عليه الكثيرون من المفسرين، وأصحاب القراءات كالزمخشري في الكشاف،

---

[1] ستأتي ترجمته في حينه.

[2] ستأتي ترجمته في حينه.

[3] ستأتي ترجمته في حينه، ص95.

[4] هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع المعروف بالأصمعي الباهلي، كان صاحب لغة ونحو وإماما في الأخبار، والنوادر، والملح والغرائب. سمع شعبة بن الحجاج، والحمادين، ومسعر بن كدام وغيرهم. وروى عنه عبدالرحمن ابن أخيه عبد الله، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي وغيرهم، وهو من أهل البصرة. وللأصمعي من التصانيف كتاب خلق الإنسان، وكتاب الأجناس، وكتاب الأنواء، وكتاب الهمز، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الفرق، وكتاب الصفات، وكتاب النوادر، وكتاب أصول الكلام، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب الاشتقاق وغيرها. توفي سنة 216هـ. وفيات الأعيان، 3/ 170- 177.

[5] هو: أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي، صاحب اللغة وهو من موالي بني هاشم فإنه مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله، ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، وناقش العلماء واستدرك عليهم، وخطأ كثيرا من نقلة اللغة، وكان رأسا في كلام العرب. ومن تصانيفه كتاب النوادر، وكتاب الأنواء، وكتاب تاريخ القبائل، وكتاب معاني الشعر، وكتاب تفسيرالأمثال، وكتاب الألفاظ وغير ذلك. وأخباره ونوادره وأماليه كثيرة. توفي إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل سنة ثلاثين ومائتين والأول. وفيات الأعيان، 4/ 306- 308.

[6] ستأتي ترجمته في حينه، ص55.

والطبرسي في معجم البيان وغيرهما. وفي الحديث كان أبو علي من السابقين إلى استعمال الحديث في مجال اللغة والنحو، واستشهد بنصوص كثيرة من الحديث.

أما ثقافته العروضية فتتجلى في الظواهر التي دوّنها عن العروض، لاسيما في مسائله الشيرازيات، وفي حدّة ذكائه الذي نزع إلى معرفة العروض من خلال علوم اللغة الأخرى، من ذلك إجابته حينما سئل عن خرم (متفاعلن)، روى ذلك الحصري قائلا: "ومما يشهد بصفاء ذهنه، وخلوص فهمه أنه سئل قبل أن ينظر في العروض عن خرم (متفاعلن)، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو فقال: لا يجوز؛ لأن متفاعلن ينقل إلى (متفعلن) إذا أضمر، فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن..."[1].

ثانيا: تلامذته

التفَّ حول أبي علي عدد غير قليل من التلاميذ أصبحوا أئمة في العربية، أشهرهم:

9- أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ[2].

10- أبو طالب أحمد بن بكر العبدي المتوفى سنة 406هـ[3]، أخذ عن أبي علي، وشرح كتاب (الإيضاح)[4].

11- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 398هـ[5] صاحب الصحاح.

12- أبو الحسن علي بن عيسى الربعي المتوفى سنة 420هـ[6].

---

[1] معجم الأدباء، 7/ 235- 236.

[2] ستأتي ترجمته في حينه، ص21.

[3] معجم الأدباء، 2/ 236- 239.

[4] إنباه الرواة، 2/ 387.

[5] انظر: إنباه الرواة، 1/ 229 وما بعدها.

[6] انظر: نزهة الألباء، ص295.

المطلب الأول: عقيدة الفارسي ومذهبه

يتناول هذا المطلب عقيدة الإمام أبي عليّ ومذهبه الفقهي ومكانته العلمية وأهمّ أقوال العلماء فيه ثم أهم آثاره المعروفة عنه ووفاته رحمه الله، وذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: عقيدته

لعل أول خبر يمكن الركون إليه في تحديد اتجاه خاص لعقيدة الفارسي هو ما ذكره الخطيب البغدادي أنه كان متَّهما بالاعتزال[1]. وواضح من هذا الخبر عدم الجزم باعتزاليته؛ إذ هناك فرق بين التَّصريح باعتزاليته وبين اتهامه بها. والدليل على ذلك أن صاحب الكامل في التاريخ أوهن هذه التهمة، ولم يذكر في عقيدة أبي علي أكثر من قوله: قيل كان معتزليًّا[2].

قد يكون هذان النصَّان أوثق ما ورد في تحديد عقيدة أبي علي وبيان نحلته، لقدم مصدريهما، وقوة ما عرف عن هذين المصدرين من التحرّي والدقة.

هذا، إذا استثنينا صاحب المزهر الذي صرَّح باعتزاليته، في قوله: "وقال ابنُ جني في الخصائص وكان هو وشيخه أبو عليّ الفارسي مُعْتَزِلِيَّيْن: باب القول على أصل اللغة، إلهام هي أم اصطلاح"[3].

وقد توارث المترجمون المتأخِّرون لحياة أبي علي اتهامه بالاعتزال[4] في وصف متردِّد بين التَّشكيك التَّشكيك والتَّرجيح[5].

كما ورد ذكر لمصنفات أبي علي الفارسي في كتاب: الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد بن محسن الرازي، ولكن مصنف هذا الكتاب من متأخري الشيعة، على أنه لم يرد ذكر لأبي علي ولا

---

[1] تاريخ بغداد، 275/7.

[2] الكامل في التاريخ، 429/7.

[3] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي،1/ 14.

[4] انظر: وفيات الأعيان، 82/2، وإنباه الرواة للقفطي، 1/ 309 وبغية الوعاة، 216.

[5] ومما يقوي اتهام أبي علي بالاعتزال إشاعته في "الحجة" من وصف الله تعالى بالقديم؛ والقدم أخصُّ وصف للذات الإلهية عند المعتزلة. أنظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1404هـ، 1/ 44. كما أورد مصطلحي التحسين والتقبيح العقليين في غير الحجة؛ ومعلوم أن هذين المصطلحين –كما يقول الشهرستاني تجب معرفتهما بالعقل، وهم –المعتزلة– يدعون إلى النظر والتفكير والاستدلال على الحسن والقبح بإعمال العقل. انظر: كتاب التكملة، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، ت: كاظم بحر المرجان، مطبعة دار الكتب –الموصل– العراق، د.ط، 1980م، ص227، 293، 294، 298. كما أشاع في كتابه أيضاً من ذكر أصلي التوحيد والعدل، ومعلوم أن المعتزلة يسمون بأصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية. الملل والنحل، 1/ 43. وقد جزم بعض النحاة كابن سيده وغيره باعتزاليته؛ فبعد أن نقل توجيهاً له في سورة آل عمران، قال: "انتهت تخريجات أبي علي، وهو معتزلي، فلذلك يشتمل كلامه على لفظ المعتزلة من التوحيد والعدل". إعراب القرآن من البحر المحيط لأبي حيان، ابن سيده النحوي، مكتبة المشكاة الإسلامية، د.ط، د.ت، 3/ 25.

لكتبه في كتاب "معالم العلماء" لرشيد الدين أبي جعفر محمد السروي المتوفى سنة: 588هـ، وكتابه هذا فهرست لكتب وأسماء المصنفين من الشيعة قديما وحديثا، ولا في غيره من كتب الفهرست عندهم.

وما ورد من نسبته إلى الاعتزال أو التشيع إن أظهر أبو علي من ذلك شيئا، فلعله يعود إلى مجاملة الأمير عضد الدولة بقصد التقرب إليه[1]؛ فقد سبق في ترجمة هذا الأخير أنه كان شيعيا جلدا، أقام شعار الرفض والاعتزال. وأبو علي رحمه الله لم يظهر في كتبه خصوصا "الحجة" ما يدل على كل ذلك، ولو كان كذلك أو أبدى من ذلك شيئا لاشتهر أمره، وفضحه أعداؤه ومنافسوه في وقت كانت تعدُّ فيه الهفوات، بل على العكس من ذلك تماما فإن المتأمِّل لكتاب الحجة يجد فيه ذكر الصحابة وترضيه عنهم عموما، وأبي بكر وعائشة وعمر خصوصا رضي الله عنهم أجمعين؛ فقد ذكر أبا بكر في كتابه ثلاث مرات، استأنس بروايته ونعته في الأولى والثانية بلقبه الصديق، فقال: "كنحو ما روي عن أبي بكر الصديق أنه قال..." [2]. وأما في الثالثة فقد ترضى عنه[3]. وأما عمر رضي الله عنه فقد ذكره هو الآخر في ثلاثة مواضع؛ في الموضع الأول استدل برواية عنه[4]، وفي الثاني ترحَّم عليه[5] وذكر موافقته للقرآن[6] في اتخاذ مقام إبراهيم عليه السلام مصلى وفي الثالث ترحَّم عليه مرة

---

[1] شأنه في ذلك شأن من يحب أن ينال قربا عند السلطان. فابن خالويه أحد معاصريه –على سبيل المثال– يقول فيه ابن حجر: "كان صاحب سنة في الظاهر فقط ليتقرب إلى سيف الدولة الحمداني". انظر: مقدمة كتاب إعراب ثلاثين سورة، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، دار مكتبة الهلال –بيروت– لبنان، د.ط، 1985م.

[2] الحجة، الفارسي، 1/ 357، 361.

[3] المصدر نفسه، 1/ 458.

[4] المصدر نفسه، 1/ 358.

[5] المصدر نفسه، 1/ 380.

[6] روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال عمر: وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله: "لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى" فنزلت: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، وآية الحجاب، قلت يا رسول الله: لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهنَّ البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ρفي الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية. صحيح البخاري، ، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير–اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ– 1987م، (كتاب أبواب القبلة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى القبلة، برقم: 393)، 1/ 157، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ط، (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم: 2399)، 1865/4.

أخرى واستدل بقولته تدعم توجيهه لبعض أحرف الخلاف[1]. وذكر السيدة عائشة أمَّ المؤمنين رضي الله عنها في موضع واحد[2]، مستدلا بروايتها والتي تدعم أيضا مذهبه.

وأما مذهبه في علي رضي الله عنه فمعتدل؛ فقد ذكره هو الآخر في ثلاثة مواضع، استدل بروايته في الأولى، فقال: "ويروى أن عليّاً عليه السلام، لما قال له..."[3]، ووصفه مرة بأمير المؤمنين وسلم عليه، فقال: "كما يروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن[4]: إن أباك لا يبالي أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه"[5]، وترضَّى عنه مرَّة أخرى شأنه في ذلك شأن غيره من الصحابة، قائلا: "وزعموا أن هذه القراءة رويت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[6].

هذا، ويمكن الاستئناس بقرينة قد تدفع عنه التشيُّع والقول به؛ مفادها ما جاء عنه في توجيهه لقراءة ﭽ ﭟ ﭼ من قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭟ ﭼ [المائدة: ٦]:

"وقراءة النصب هي قراءة نافع، وابن عامر، والكسائي ﭽ ﭟ ﭼ نصباً وحفص عن عاصم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو وحمزة ﭽ وَأَرْجُلِكُمْ ﭼ خفضاً"[7].

---

[1] الحجة، 1/ 445.

[2] المصدر نفسه، 1/ 368.

[3] المصدر نفسه، 1/ 172.

[4] هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي سبط رسول الله وريحانته أمير المؤمنين أبو محمد. روى عن النبي أحاديث حفظها عنه منها في السنن الأربعة. قال الواقدي مات سنة 49هـ، وقال المدائني مات سنة 50، وقيل سنة 51 وقال ابن منده مات سنة 49هـ. ويقال إنه مات مسموماً. انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1: 1412هـ- 1992م، 73/2 والأعلام، 2/ 199- 200.

[5] الحجة، 3/ 251.

[6] المصدر نفسه، 3/ 72.

[7] السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد، ت: شوقي ضيف، عن دار المعارف –القاهرة، ط2، 1400هـ، ص224، وانظر أيضا: الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط6، 1417هـ- 1996م، ص129، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م، 406- 407، والتيسير في القراءات السبع، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح: ارتويرتزل، دار الكتاب العربي –بيروت، د.ط، د.ت، ص74 والنشر في القراءات العشر، محمد بن محمد أبو الخير الدمشقي، ابن الجزري، قدم له: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان، ط2، 1423هـ- 2002م، 2/ 254.

قال أبو علي بعدها: "وجه من نصب فقال: أنه حمل ذلك على الغَسل دون المسح؛ لأن العمل من فقهاء الأمصار فيما علمت على الغسل دون المسح، وروي أن النبي ρ رأى قوماً، وقد توضؤوا، وأعقابهم تلوح، فقال عليه السلام: (ويل للعراقيب من النار)، وهذا أجدر أن يكون في المسح منه في الغسل؛ لأن إفاضة الماء لا يكاد يكون غير عام للعضو"[1].

يلاحظ في هذا التوجيه أن الإمام أبا عليّ يركن إلى الرأي الفقهي القائل بوجوب غسل الرجلين في الوضوء ويقدِّمه على المسح –مع أن هذا التوجيه في قراءة الجر يخالف رأيه في الحمل على العامل الأقرب[2]– وهذا الذي تعلمه من فقهاء الأمصار، ولا يخفى أن هذا الرأي يخالف ما عليه الشيعة الذين يرون أن الواجب في الأرجل المسح وليس الغسل؛ فقد جاء في الموسوعة الشيعية: "اعلم أن فرض الرجلين عندنا في الوضوء هو المسح دون الغسل، ومن غسل فلم يؤدِّ الفرض، وقد وافقنا على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس"[3].

وعلى كلٍّ –وبعد هذا العرض– لا يمكن أن نجزم بأي اتجاه عقدي لأبي علي طالما أن المصادر لم تنقل إلينا ذلك صراحة.

---

[1] الحجة، 2/ 113.

[2] سأورد في فصل آراء الفارسي واختياراته نماذج من ذلك إن شاء الله.

[3] راجع موقع الموسوعة الشيعية. منتدى الحوار: http/ www. Shialinks.net

الفرع الثاني: مذهبه

أولا: مذهبه في القراءات

روى أبو عليّ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، وروى القراءة عنه عرضاً عبد الملك بن بكران النهرواني[1] وأخذ النحو عن أبي إسحاق الزجاج ثم عن أبي بكر بن السري وأخذ عنه كتاب سيبويه وانتهت إليه رياسة علم النحو[2].

أما عن مذهبه في القراءات فالأقرب أنه كان يقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، ويؤيد ذلك أنه كان يحتج في مواطن مختلفة لقراءته ويرجحها، ففي كتاب الإغفال يرجِّح لقراءة أبي عمرو (**يومنون**) بالتخفيف، ويراه أحق بالإيثار من التحقيق[3]. فضلا على أنه لم يقم في الحجاز المشهورة بقراءتي الحرميين؛ نافع وابن كثير، وبعيد أن يقرأ بقراءة ابن عامر، حيث لم يقم طويلا في الشام، وكونه بصريا يجعل قراءات الكوفيين؛ عاصم وحمزة والكسائي بعيدة أن يقرأ بها، فلم تبق إلا قراءة أبي عمرو.

ثانيا: مذهبه في النحو

كان أبو علي من نحاة البصرة؛ فيذكر أبو علي لابن جني أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين، وكنت قد كتبت ذلك كلَّه بخطي، وقرأته على أصحابنا[4].

ثم إنَّ الأصول التي كان يأخذ بها في درس النحو تشهد ببصريته؛ فهو لا يعتدُّ بقليل[5]، ولا يقيس على شاذ[6]، ولا يقبل ما ليس بالمتسع في الاستعمال ولا المتَّجه في القياس[7].

---

[1] هو: عبد الملك بن بكران، أبو الفرج النهرواني المقرىء القطان، من جلة شيوخ المقارىء، قرأ على زيد بن علي الكوفي وأبي بكر النقاش وهبة الله بن جعفر وابن مقسم وغيرهم. وله مصنف في القراءات قرأ عليه الحسن بن محمد المالكي والحسن بن علي بن عبد الله العطار ونصر بن عبد العزيز الفارسي وأبو علي غلام الهراس وآخرون. وثقة الخطيب وقال توفي في رمضان سنة 404هـ. سير أعلام النبلاء، 1/ 209، غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، عناية: ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط1، 1427هـ–2006م، 417/1.

[2] غاية النهاية ، 1/ 189.

[3] الإغفال، ص 60، مخطوط برقم 875 تفسير.

[4] معجم الأدباء، 2/ 819.

[5] انظر على سبيل المثال في الحجة، 93/1. وسيأتي مزيد ذلك في معايير أبي علي في التوجيه والاختيار.

[6] المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، أبو علي الفارسي النحوي، ت: صلاح الدين عبد الله السيكاوي، مطبعة العاني –بغداد، د.ط، د.ت، 1/ 83.

[7] انظر على سبيل المثال في الحجة، 1/ 104. وسيأتي مزيد ذلك في معايير أبي علي في التوجيه والاختيار.

وبصريَّة أبي علي لم تدفعه إلى التحيُّز والتعصُّب، بل كان مستوعباً لآراء المدرسة الكوفية، ينظر في المسائل ويناقش بمنهجيَّة علمية، ولم يكن يلوك كلام الأئمَّة، ويتقبَّل آراءهم على علاتها، متابعة لهم أو عصبيَّة، ولكنَّه كان يناقش المسائل، وينظر في أدلَّتها حتى يتبيَّن له وجه الرَّأي، فيأخذ به أيًّا كان موقعه.

والدَّليل على ذلك مخالفته لغيره من البصريِّين؛ فقد خالف الخليل[1] في مسألة اشتقاق الحركات من الحروف[2] وغيرها[3]، وغلّط سيبويه في غير مسألة[4] وخالف في الإغفال آراء الزجاج والمبرد[5].

ووافق الكوفيين في بعض آرائهم، فدعم رأي أستاذه ابن السراج في تخطئة سيبويه في (فنعلول) وهو اسم[6]، ويصف رواية ثعلب[7] بأنها جيدة[8]، إضافة إلى كونه متوسعاً في القياس إلى أقصى الحدود الحدود ورحب الأفق في النظر والاستدلال.

وإذا اختلف نحاة البصرة رأيته يعرض حججهم ويفند آراءهم، ثم يرجح ما يراه أولى بالترجيح؛ فعندما عارض أبو عثمان سيبويه[9] في صرف (أفْعل) من قولك: هذا رجل أَفعل، وغلط سيبويه، إذ

---

[1] هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي، كان إماما في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه وله معرفة بالإيقاع والنغم، كان من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء، حدث عن أيوب السختياني، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب وغالب القطان. أخذ عنه سيبويه كثيرا، والنضر بن شُمَيْل، وأبو فَيْد مؤرّج الَّدوسيّ وغيرهم. من أشهر تصانيفه كتاب العيْن. وما يُحكى عليه من العلم والزهد أشهر من أن يُنشر، وأظهر من أن يذكر. توفي سنة: 160هـ. سير أعلام النبلاء، 7/ 429- 431، غاية النهاية: 1/ 275، نزهة الألباء، ص49- 51 ووفيات الأعيان، 2/ 244 وما بعدها.

[2] انظر: كتاب سيبويه، 4/ 101 مقدمة تحقيق التعليقة، ص37.

[3] التعليقة، انظر مثلا: 205/1.

[4] انظر: مقدمة تحقيق التعليقة، ص41.

[5] انظر مثلا: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة –القاهرة، ط1، 1327هـ، 1/ 75.

[6] الكتاب، 4/ 230.

[7] هو: أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني النحوي المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو اللغة في زمانه. أخذ عن محمد بن زياد الأعرابي، وعلي بن المغيرة الأثرم، وسلمة بن عاصم وغيرهم. وأخذ عنه أبو الحسن الأخفش الصغير، وابن عرفة المعروف بنفطويه، وابن الأنباري وغيرهم. له كتاب الفصيح وغيره من التصانيف، كان مولده سنة 200هـ وتوفي سنة 291هـ. نزهة الألباء، ص 202- 205، سير أعلام النبلاء، 14/ 05- 07 ووفيات الأعيان، 102/1 وما بعدها.

[8] مقدمة تحقيق التعليقة، ص39.

[9] ستأتي ترجمته في حينه في الفصل الثالث من هذا الباب.

يرى صرفه[1]، وقال أبو العباس المبرد: لم يصنع أبو عثمان شيئا، فسَّر أبو علي مراد أبي العباس، ووضح قول سيبويه، وختم الحِجاج بقوله: "فقول سيبويه إذاً صحيح"[2].

ثالثا: مذهبه في الفقه

لم أقف –فيما اطَّلعت عليه من كتب التُّراجم– على ذكر المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها أبو علي، كما أن كتاب الحجة جاء خِلواً عن ذلك، ولم يأت فيه ما يدل على مذهبه الفقهي، ولعل السبب في ذلك أن موضوع الكتاب لا يتَّصل بالفقه، وليس هناك ما يدعو إلى معرفة ذلك.

غير أن المتتبع لتضاعيف أجزاء الكتاب والمتأمِّل عباراته يقف على إشارات وقرائن تسعف –في تقديري– إلى حدٍّ ما تصنيف فقه أبي علي وإلحاقه بمدرسة أبي حنيفة النعمان[3]. والذي يدلُّ على ذلك ما يأتي:

ح–تكرُّر ذكر الإمام في الكتاب كله أربع مرات، وفي كلٍّ يسوق فيها أبو علي رحمه الله قول إمام المذهب، من ذلك:

- ما جاء في معرض حديثه عن الاتساع في كلمة (القول) واستعمالها في غير اللفظ، حيث يقول: "وقد أجري القول مُجرى الاعتقاد والمذهب في نحو: هذا قول أهل العدل، وهذا قول أبي حنيفة، يعنون بذلك رأيهم واعتقاداتهم، ليس اللفظ"[4].
- وفي موضع آخر تحدَّث عن بعض مشتقَّات مادة (أخذ)، منها (مؤخذ)، يقول: "وقال أبو حنيفة في الرجل المؤخَّذ[5] عن امرأته: يؤجَّل كما يؤجّل العنّين[6]"[7].

---

[1] الكتاب، 3/ 202.

[2] مقدمة التعليقة، 40.

[3] هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ولد سنة: 60هـ، وأجمعوا على أنه مات سنة: 150هـ. صاحب المذهب الحنفي، أحد المذاهب الأربعة المشهورة. قال أبو يوسف: ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة. أنظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء، منشورات مير محمد كتب خانه، كراشي، د.ط، د.ت، 1/ 26 وما بعدها.

[4] الحجة للقراء السبعة، الفارسي، 1/ 217.

[5] المؤخَّذ بمعنى المسحور، والتأْخِيذُ أَن تحتالَ المرأَةُ بحيَل في منعِ زوجِها من جِماع غيرها وذلك نوع من السحر يقال لفلانة أُخْذَةٌ تُؤْخِّذُ بها الرجال عن النساء وقد أَخَّذَتْه الساحرة تأْخيذاً. لسان العرب، (مادة: أخذ)، 3/ 470.

[6] يَعِنُّ ويَعُنُّ والتَّعْنِين الحبْس وهما لغتان، والعِنِّينُ الذي لا يأْتي النساء ولا يريدهن بَيِّنُ العَنانة والعِنِّينة والعِنِّينيَّة وعُنِّنَ عن امرأَته إذا حكم القاضي عليه بذلك أَو مُنعَ عنها بالسحر والاسم منه العُنَّة وهو مما تقدم كأَنه اعترضه ما يَحْبِسُه عن النساء. لسان العرب، (مادة: عنن)، 13/ 290.

[7] الحجة للقراء السبعة، 1/ 297.

- أما الموضعان الآخران اللذان جاء فيهما ذكر أبي حنيفة؛ فالأول تحدث فيه عن كفارة اليمين[1]، والثاني نقل فيه قول الإمام في حظر الالتذاذ بالنظر إلى الخمر والميسر[2].

خ-ومن القرائن أيضا ذكر أبي يوسف[3] صاحب أبي حنيفة مرة واحدة في الكتاب، حيث ساق قوله في معرض شرح حديث النبي ρ: (لا يُقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده)[4]، فقال: "قال أبو يوسف: ولو كان المعنى: لا يقتل مؤمن به، كان: ولا ذي عهد في عهده"[5].

د- ولم يُثبت أبو علي اسم أحد من الفقهاء وأصحاب المذاهب في جميع أجزاء وثنايا الكتاب ولو لمرة واحدة؛ مما يدل على عدم اهتمامه بغير فقه أبي حنيفة النعمان.

ذ- ثم إن هناك مشابهة واضحة بين نحو أبي علي وفقه أبي حنيفة، كلاهما يشيع فيه القياس.

ر- كما يروون عن كتب أبي علي أنها احترقت[6]، ولم يبق منها إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن[7].

وبعد إيراد هذه القرائن والشواهد يمكننا القول بأن أبا علي رحمه الله –إن صحَّ أن له مذهبا– فإن مذهب أبي حنيفة له مذهب.

---

[1] الحجة، 1/ 334.

[2] المصدر نفسه، 3/ 430.

[3] هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب أبي حنيفة وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، ولد سنة: 113هـ ومات ببغداد سنة: 282هـ، وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي وأخذ الفقه عن محمد بن عبد الرحمن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة، ولي القضاء أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته ببغداد وهو على القضاء، أول من دعي بقاضي القضاة. من كتبه "الخراج"، "النوادر" وغيرهما. أنظر: الجواهر المضية، ابن أبي الوفاء، 1/ 220. الأعلام، 8/ 193، النجوم الزاهرة، 2/ 107.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه دون قوله: (ولا ذو عهد في عهده)، كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير، رقم: 2888، 1110/3. وصحَّح النيسابوري هذه الزيادة في مستدركه: كتاب قسم الفيء، رقم: 2623، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه". المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411هـ- 1990م، 153/2.

[5] الحجة، 1/ 46.

[6] معجم الأدباء، 2/ 819.

[7] هو: محمد بن الحسن بن فرقد بن أبو عبد الله الشيباني، الإمام صاحب الإمام، صحب أبا حنيفة وأخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف وصنف الكتب ونشر علم أبي حنيفة ويروي الحديث عن مالك ودون الموطأ وحدث به عن مالك، روى عنه الإمام الشافعي ولازمه وانتفع به. توفي سنة: 126هـ، وقيل: 122هـ. طبقات الحنفية، 1/ 172 وما بعدها ووفيات الأعيان، 184/4 وما بعدها.

المطلب الثاني: مكانة الفارسي العلمية

لقي تبوأ أبو علي مكانة سامية في مختلف العلوم العربية، فقد كان موسوعة علمية في عصره، فذاع صيته واشتهر ذكره في الآفاق، وتتجلى مكانته العلمية في عدة نواحي:

الفرع الأول : توثيق العلماء له وثناؤهم عليه

ومما أكسب أبا علي شهرته وعلوَّ شأنه تزكيةُ العلماء له وثناؤُهم عليه، من ذلك:

ما ذكره أبو القاسم التنوخي[1] في (نشوار المحاضرة) حيث قال: سمعت أبي يقول: سمعت عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو[2].

ووصف الخطيب البغدادي كتبه بأنها عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، وتكلم كثيرا عن فضله وشهرته في الآفاق[3]. وقال عنه السيوطي: "النحو ما يقوله الفارسي"[4].

وقال عنه أبو البركات الأنباري في نزهة الألباء: فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرّد، وقال أبو طالب العبدي: لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه، أحد أبصر بالنحو من أبي علي[5].

وامتدحه أبو العلاء المعري بقوله: "إنه رجل يمت بكتابه في (القرآن) المعروف بكتاب الحجة"[6].

الحجة"[6].

كما قدَّره العلماء حق قدره؛ فأثنوا عليه وشُغلوا به يتدارسونه ويختصرونه ولاسيما أهل الأندلس، ومن أقوالهم فيه:

- ما جاء في طبقات النحاة والغويين: "كتاب الحجة في تخريج القراءات السبعة من أحسن الكتب وأعظمها"[1].

---

[1] هو: أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي الأنطاكي، كان عالما بأصول المعتزلة والنجوم قال الثعالبي في حقه: هو من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم. عارض أبا بكر ابن دريد في مقصورته وذكر منها أبياتا ومدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة، وتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وسمع الحديث، وكان معتزليا. توفي بالبصرة سنة 342هـ. وفيات الأعيان، 3/366-368.

[2] أنظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي التنوخي، ت: عبود الشالجي، دار صادر –بيروت، د.ط، 1972م، 4/ 43-44.

[3] تاريخ بغداد، 7/ 275.

[4] أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، ت: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية –بيروت، بيروت، د.ط، 1978م، 3/ 47.

[5] أنظر: نزهة الألباء، 1/ 274، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 2/ 812.

[6] رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، ت: بنت الشاطي (عائشة عبد الرحمن)، دار المعارف، ط5، مصر، 1969م، ص154.

- وجاء في طبقات القرَّاء: "وألّف كتاب التَّذكرة وكتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد فأجاد وأفاد والإيضاح والتكملة وغير ذلك"[2].

- وفي وفيات الأعيان قوله: "وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله... والفارسي لا حاجة لضبطه لشهرته"[3].

وقد اختصره مكي بن أبي طالب حمُّوش[4] المتوفى سنة 437هـ في كتاب سماه (منتخب الحجة في القراءات) وجعله في ثلاثين جزءاً[5]. واختصره كذلك أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي المتوفى سنة 455هـ[6] ومحمد بن شريح الرعيني[7] المتوفى سنة 476هـ[8].

الفرع الثاني: مؤلفاته

لقد ترك أبو علي جملة من الكتب نالت إعجاب واستحسان الكثير من العلماء، تعد من نفائس التراث، ولكن يد الدهر قد عبثت ببعضها، فلا نجد لها أثرا في خزائن الكتب، فعدت من الكتب المفقودة.

وبقيت بعض كتبه متناثرة في مكتبات العالم، وقد انبرى لتحقيق بعضها جماعة من الأساتذة. ويمكن أن نصنف هذه المؤلفات إلى صنفين:

---

[1] طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة، ت: محسن غياض، مطبعة النعمان –النجف، د.ط، 1974، ص295.

[2] غاية النهاية في طبقات القراء، 1/ 189.

[3] وفيات الأعيان، 1/ 82.

[4] مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي، القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، إمام القراء والمجوّدين، قرأ عليه جماعة كثيرة، كان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهورا بإجابة الدعاء، فممن قرأ عليه محمد بن أحمد بن مطرف الكناني القرطبي (355-437هـ). وله تواليف مشهورة، منها الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزءا، ومنتخب الحجة لأبي علي الفارسي، وكتاب التبصرة في القراءات، والموجز في القراءات، وكتاب الإبانة وغيرها. أنظر ترجمته: غاية النهاية: 309/2، معرفة القراء، 394/1، سير أعلام النبلاء، 591/17 ووفيات الأعيان، 274/5- 275.

[5] بغية الوعاة، ص297 و كشف الظنون، 2/ 1448.

[6] هو: إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، أبو الطاهر الأنصاري الأندلسي ثم المصري المقرىء، مصنف العنوان في القراءات، أخذ القراءات عن عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي وتصدر للإقراء زمانا ولتعليم العربية، وكان رأسا في ذلك. اختصر كتاب الحجة لأبي علي الفارسي. أخذ عنه جماهر بن عبد الرحمن الفقيه، وأبو الحسين الخشاب، وولده جعفر بن إسماعيل وغيرهم. توفي سنة: 455هـ. كشف الظنون، 2/ 1448 ومعرفة القراء الكبار، 423/1- 424.

[7] محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الرعيني أبو عبد الله الإشبيلي المقرىء الأستاذ مصنف كتاب الكافي وكتاب التذكير، من جلة قراء الأندلس، توفي سنة 476هـ. أنظر: معرفة القراء الكبار، 1/ 434، كشف الظنون، 2/ 1379 ونفح الطيب، 2/ 611.

[8] الصلة، ابن بشكوال، ص215.

أولا: المؤلفات التي وصلت إلينا

13- الإغفال[1] فيما أغفله الزجاج من المعاني في تفسير القرآن الكريم، حققه محمد حسن إسماعيل، رسالة ماجستير في كلية الآداب، عين شمس.

14- الإيضاح النحوي (العضدي) ألفه لعضد الدولة البويهي، حققه الدكتور حسن شاذلي فرهود، وطبع سنة 1969م في القاهرة.

15- التعليقة على كتاب سيبويه، حققه الدكتور عوض بن حمد القوري، وطبع بمطبعة الأمانة –القاهرة،الطبعة الأولى، سنة 1410هـ- 1990م.

16- التكملة: حققه الدكتور كاظم بحر المرجان (رسالة ماجستير) وهو مطبوع على الآلة الكاتبة، جامعة القاهرة 1972م، وأعيد طبعه ثانية بدار عالم الكتب –بيوت، سنة 1419هـ- 1999م.

17- الحجة في علل القراءات السبع: طبع الجزء الأول من هذا الكتاب سنة 1965م، بتحقيق الدكتور علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي. ولم أقف على تحقيق وطبع بقية الأجزاء. كما طُبعت جميع أجزائه وحُقِّقت من طرف الدكتور: كامل مصطفى الهنداوي في أربعة أجزاء، سنة 1421هـ- 2001م، بدار الكتب العلمية –بيروت. وهي الطبعة التي اعتمدتها غالباً في هذا البحث.

18- المسائل البصريات: ذكر محقق كتاب المسائل البغداديات[2] أنه توجد نسخة من هذا هذا الكتاب في مكتبة شهيد علي الملحقة بالمكتبة السليمانية باسطنبول، تحت رقم/ 2/2516.

19- المسائل البغداديات: وهو كتاب المسائل المشكَلة نفسُه، حققه الأستاذ صلاح الدين عبد الله السيكاوي، مطبعة العاني –بغداد.

20- المسائل الحلبيات في اللغة والنحو[3].

21- المسائل الشيرازيات في اللغة والنحو: حققه الدكتور علي جابر المنصوري سنة 1976م (رسالة دكتوراه) وهو مطبوع على الآلة الكاتبة.

22- المسائل المنثورة[4].

---

[1] ويسمى بالمسائل المصلحة من كتاب ابن السراج. معجم الأدباء، 2/ 814 و الفهرست: 1/ 95.

[2] المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ص24، ص26.

[3] معجم الأدباء، 2/ 814.

[4] نشر بتحقيق مصطفى الحدري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة 1986م.

23- المسائل العسكريات في النحو العربي[1]: درسه وحققه الدكتور علي جابر المنصور سنة 2002م.

24- شرح أبيات الإيضاح[2].

ثانيا: المؤلفات التي لم تصل إلينا

17- أبيات الإعراب[3].

18- أبيات المعاني[4].

19- الإيضاح الشعري[5].

20- كتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي[6] في التفسير[7].

21- التذكرة: يقول صاحب وفيات الأعيان في وصفه: "ومن تصانيفه كتاب التذكرة وهو كبير"[8]، وذكر بعضهم أنها تقع في عشرين مجلدا، وتعالج اللغة العربية[9].

22- الترجمة، ولم يصفه أحد بشيء[10].

23- شرح أبيات الإعراب[11].

24- كتاب تفسير[12] قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [المائدة: ٦].

---

[1] معجم الأدباء، 2/ 814. وقد ذكر محقق البغداديات أن الكتاب نسبة إلى عسكر مُكرم، وتوجد منه نسخة في مكتبة شهيد علي الملحقة بالمكتبة السليمانية باسطنبول، تحت رقم: 2516/ 4. مقدمة تحقيق المسائل البغدادية، ص27 و مقدمة تحقيق الحجة، ت: عبد الفتاح شلبي وغيره، ص27.

[2] الفهرست، ص95.

[3] الفهرست، 1/ 95. وقد ذكر محقق الحجة، أنه طُبع جزء من هذا الكتاب سنة 1869م، وفي مكتبة جامعة القاهرة نسخة منه برقم 675. مقدمة الحجة، ت: عبد الفتاح شلبي وغيره، ص25.

[4] معجم الأدباء، 2/ 814.

[5] المصدر نفسه.

[6] هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام، أبوعلي الجبائي البصري شيخ المعتزلة. كان رأسا في الفلسفة والكلام. أخذ عن يعقوب الشحام البصري، وله مقالات مشهورة وتصانيف وتفسير. أخذ عنه أبو أبو هاشم والشيخ أبو الحسن الأشعري ثم أعرض الأشعري عن طريق الاعتزال وتاب منه. مات الجبائي في سنة 303هـ. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة –القاهرة، ط1، 1396هـ، 1/ 102.

[7] المصدر السابق.

[8] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[9] الفهرست، 95، معجم الأدباء، 2/ 814.

[10] المصدر نفسه.

[11] وهي المعروفة بشرح أبيات الإيضاح. الفهرست، 1/ 95.

[12] المصدر نفسه.

25- مختصر عوامل الإعراب[1].

26- المسائل الدمشقية، ولم نعرف عنها شيئا[2].

27- المسائل الكرمانية[3].

28- المسائل المجلسيات[4].

29- المسائل القصريات أو القصرية[5].

30- المقصور والممدود[6].

31- نقض الهاذور[7]؛ وهو في الرد على ابن خالويه فيما اتهمه من الوهم.

32- العوامل المائة[8].

المطلب الثالث: وفاة الإمام الفارسي

---

[1] معجم الأدباء، 2/ 814 و الفهرست، 1/ 95.

[2] معجم الأدباء،2/ 814.

[3] إنباه الرواة القفطي، 1/ 309. معجم الأدباء، 2/ 814.

[4] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[5] أملاها على تلميذه أبي الطيب محمد بن طوس القصري، فسميت به ومات شابا. وقيل: إنها ألفت في قصر ابن هبيرة. انظر: كشف الظنون، 2/ 1670 ومعجم الأدباء، 6/2542-2543.

[6] معجم الأدباء، 2/814، وفيات الأعيان، 2/ 81.

[7] المصدر السابق.

[8] وفيات الأعيان، 2/ 81.

لم يتفق المؤرخون في تحديد سنة وفاة أبي علي؛ فيذكر ابن النديم أنه توفي قبل سنة 370هـ[1]، وابن الأثير وأبو الفداء يذهبان إلى أنه توفي سنة 376هـ[2]، ويذكر آخرون على أنه توفي سنة 377هـ[3]. والرأي الأول بعيد؛ لأن التنوخي كان يروي الحديث عن أبي علي سنة 375هـ[4]، وكان أبو أبو علي وكيل عضد الدولة في عقد زواج الخليفة الطائع لله على ابنة عضد الدولة سنة 396هـ[5]، وصحب ابن جني أبا علي أربعين سنة، وكان مولده سنة 321 أو سنة 322هـ، فإذا كانت وفاة أبي علي قبل سنة 370هـ كان معنى ذلك أن صحبة ابن جني لشيخه قد بدأت وهو صبي دون العاشرة، وهي إنما بدأت سنة 337هـ، أي وابن جني في الخامسة عشرة من سنه[6].

وأما اتفاق ابن الأثير وأبي الفداء على أنه توفي سنة 376هـ أقرب، ولا خلاف على أن الوفاة كانت يوم الأحد لسبع عشرة خلت من ربيع، فالخطيب وابن الأنباري يذكران أنه ربيع الأول، وابن خلكان يذكر أنه ربيع الآخر، والفرق بين هذا وذاك أهون.

المطلب الأول: اسم الكتاب وتوثيقه وتاريخه

---

[1] الفهرست، ص95.

[2] الكامل، ابن الأثير، 7/ 429. والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء ، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت، 11/ 306.

[3] تاريخ بغداد، 7/ 275، بلغة الطلب، 5/ 2274..

[4] بغية الطلب في تاريخ حلب، 5/ 2269.

[5] النجوم الزاهرة، 4/ 135.

[6] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 10.

يتناول هذا المطلب اسم الكتاب محلّ هذه الدراسة ونصوص المصادر في إثبات، وتوثيق اسمه، وكذا مدى نسبة هذا الكتاب إلى مؤلّفه أبي علي رحمه الله.

الفرع الأول: اسم الكتاب

ذكر المترجمون لأبي علي الفارسي كتاب الحجة بعبارات مختلفة، وإن كانت مشتركة في كلمة (الحجة) محور التسمية؛ كل ذلك بداعي الاختصار والاجتزاء بالبعض المفهم عن الكل.

فاكتفى كل من ابن النديم في الفهرست[1] وياقوت في معجم الأدباء[2] وابن الجزري في الطبقات[3] والذهبي في معرفة القراء الكبار[4] بتسميته (الحجة). في حين سماه الخطيب البغدادي (الحجة في علل القراءات)[5]، وابن خلكان في الوفيات[6] وصاحب الشذرات[7] وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة[8] أطلقوا عليه (الحجة في القراءات)، وزاد ابن الأنباري في نزهة الألبّاء[9] كلمة (السبع) على علل القراءات، وجاء في طبقات النحاة واللغويين تسميته بـ (الحجة في تخريج القراءات السبعة)[10].

ولعل ذلك يعود إلى اختلاف العناوين المثبتة على نسختي (الحجة)؛ فالنسخة الأولى كتبت سنة 390هـ، وهي في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم 3570ع، وتتألف هذه النسخة من سبعة أجزاء ينقصها الجزء الخامس، كتب في آخر الجزء السابع: "نُجز كتاب **الحجة للقراء**، وبُلغ الفراغ منه في يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسعين وثلاثمائة". وقد جعل المحققون هذه النسخة الأصل[11].

واضح من هذا النص تسميته بكتاب الحجة للقراء، ويبدو أن التسمية إنما هي على سبيل الاختصار والاجتزاء، والدليل على ذلك ما ثبت في أول النسخة الثانية.

---

[1] الفهرست، ابن النديم، 1/ 95.

[2] معجم الأدباء، 2/ 814.

[3] غاية النهاية في طبقات القراء، 1/ 189.

[4] معرفة القراء الكبار، 1/ 424.

[5] تاريخ بغداد، 7/ 275.

[6] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[7] شذرات الذهب، 2/ 89.

[8] النجوم الزاهرة، 4/ 151.

[9] نزهة الألبّاء، ابن الأنباري، ص274.

[10] طبقات النحاة واللغويين، ص295.

[11] الحجة في علل القراءات السبع، ص33- 35.

وأما النسخة الثانية فبخط طاهر بن غلبون المتوفى سنة 399هـ[1]، وتقع في أربعة أجزاء، كتبت الثلاثة الأولى منها سنة 427، والرابع سنة 428هـ، وهي في مكتبة مراد مُلاَّ باستانبول، وعلى الصفحة الأولى من الجزء الأول من هذه النسخة: هذا الكتاب وهو **الحجة** لأبي علي الفارسي أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون المصري النحوي.

وعلى الجانب الأيمن من هذه الأسطر الثلاثة كتب رأسيا في ثلاثة أسطر:

هذا خط علي بن جعفر بن الحسين بن البويني النحوي[2] رحمه الله.

ويلي ثلاثة الأسطر الأفقية السابقة عنوان الكتاب في ستة أسطر هكذا:

الجزء الأول من كتاب الحجة.

للقرأة السبعة قراء الأمصار.

بالحجاز والعراق والشام الذين.

ذكرهم أبو بكر بن مجاهد.

تصنيف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي رحمه الله ورضي عنه[3].

وفي هذا النص الأخير جاء التصريح بعنوان الكتاب كاملا، وهو: كتاب الحجة للقرأة السبعة قراء الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد، وما عداه إنما هو اجتزاء أو اختصار.

على أن التحقيق الأول للحجة لأبي علي سنة 1385هـ- 1965م من طرف كل من: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي –محققي – أثبتوا تسميته بـ: (الحجة في علل القراءات السبع)، دون أن يبرروا وجه هذه التسمية.

في حين رجح الباحث: كامل مصطفى الهنداوي –المعلق على الكتاب– تسميته بـ: (الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد)؛ وعزا ذلك إلى ما ثبت على غلاف الأجزاء الثلاثة الأخيرة من نسخة مراد ملا المنسوخة بخط طاهر بن غلبون[4].

---

[1] هو أبو الحسن، طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك، المقرئ الحلبي، ثم المصري، يقول الأمام الدّانيّ فيه: "لم يُرَ يُرَ في وقته مثله في فهمه وعلمه، مع فضله وصدق لهجته، كتبنا عنه كثيراً"، توفي سنة 399هـ. معرفة القراء الكبار، الذهبي: 369/1، طبقات الشافعية الكبرى، 388/3، غاية النهاية، ابن الجزري، 307/1 والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 62/1.

[2] لم أقف على ترجمته.

[3] الحجة في علل القراءات السبع، ص35- 36.

[4] مقدمة الحجة للقراء السبعة، كامل مصطفى الهنداوي، ص21.

وعلى كلٍّ ليس هناك كبير فرق بين ما هو ثابت على غلاف النسخة الثانية وبين ما اختاره الباحث مصطفى كامل الهنداوي؛ مما يجعل الركون إلى التسمية الثانية أقرب لثبوتها، ويبدو أنها الأنسب للكتاب، ولا مبرر للعدول عنها إلى غيرها. مع الأخذ بعين الاعتبار احتمال كون التسمية بالحجة من عمل المتأخرين؛ فلعلها جاءت متأخرة عن تأليف الكتاب، يدل على ذلك أن أبا علي رحمه الله لم يقدم كتابه لعضد الدولة باسم الحجة، وإنما قدمه بهذه العبارة: "فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد"[1].

وابن خالويه رحمه الله لم يصرح في مقدمة كتابه إلى تسمية "الحجة"، وإن أشار إلى أن كتابه في الاحتجاج. يقول: "فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع... إلى أن قال: وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم"[2].

الفرع الثاني: توثيقه

بلغ "كتاب الحجة للقراء السبعة" حدّ الإجماع، بحيث لا يعتري نسبته للإمام أبي علي الفارسي رحمه الله أدنى شكّ، فكلّ من ترجم لكتب القراءات أو اللغة وتحدث عنها صنَّف هذا الكتاب في فن القراءات ونسبه إلى الإمام أبي الحسن.

هذا النقل المتواتر لنسبة الكتاب جعل اسم الكتاب ومؤلفه مرتبطين ببعضهما البعض، فإذا ذكر اسم الإمام أبي علي الفارسي رحمه الله ذكر معه اسم كتاب الحجة ، وإذا ذكر اسم كتاب الحجة ذكر معه اسم الإمام أبي علي رحمه الله.

ومن أمثلة ذلك:

7- قول الإمام ابن الجزري في النشر: "قال الأستاذ أبو علي الفارسي في كتاب الحجة في قول ابن مجاهد: هذا إن كان يريد بالمدِّ ألف تفاعل وإسقاط العين واللام فهذا الحذف غير مستقيم"[3].

وبالمقارنة مع النصِّ الذي معنا نجد الكلام نفسه[1] في توجيه قول الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭽ [الشعراء: ٦١].

---

[1] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

[2] الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط6، 1417هـ- 1996م، 61- 62.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1/ 370.

8- وقال في البرهان: "قال الفارسي في الحجة: وأما قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[ص: ٨٤] فالحق والحق أقول": فالأول قسم بمنزلة (والحق)، وجوابه (لأملأن) وقوله: (والحق أقول) توكيد للقسم..."[2].

ويتطابق هذا تماما مع النص الذي معنا في (كتاب الحجة)[3].

9- وقال الآلوسي في تفسيره: "وقرأ نافع وابن عامر وابن ذكوان والأعرج وشيبة وأبو جعفر (هِيتَ) بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة وتاء مفتوحة، وحكى الحلواني عن هشام أنه قرأ كذلك إلا أنَّه همز، وتعقب ذلك الدَّاني تبعاً لأبي علي الفارسي في الحجة"[4].

والحديث نفسه نجده في (الحجَّة)؛ إذ يقول في خلف (هئت): "وأما ما رواه الحلواني عن هشام (هئتَ) مهموزا بفتح التاء، فهو يشبه أن يكون وهما من الراوي..."[5].

الفرع الثالث: تاريخه

هذا المصنَّف واحد من المصنَّفات التي قدَّمها أبو علي لعضد الدولة الذي كان يعتبر نفسه غلاما في النحو لأبي علي الفسوي[6]، ونص مقدمة الكتاب التي صدرها بالإجلال والدعاء تدل على ذلك؛ إذ يقول: " صدَّر فيها كلمة الإجلال والدعاء لعضد الدولة؛ لأن هذا المصنَّف –كما تقدم- واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له[7]؛ إذ يقول: "أما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك السيد الأجل المنصور، ولي النعمة، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العزة والبسطة والسلطان، وأيّدَه بالتوفيق والتَّسديد، وعضَده بالنَّصر والتَّمكين"[8].

---

[1] الحجة للقراء السبعة، 3/ 222.

[2] البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1391هـ، 3/ 45.

[3] الحجة للقراء السبعة، 3/ 336- 337.

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي –بيروت، د.ط.ت، 12/ 212.

[5] الحجة للقراء السبعة، 2/ 444.

[6] معجم الأدباء، 2/ 812 ووفيات الأعيان، 2/ 80.

[7] ومن المصنفات التي صنفها أبو علي لعضد الدولة كتابي الإيضاح والتكملة. انظر: سير أعلام النبلاء، 16/ 249 ووفيات الأعيان، 4/ 51.

[8] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

وواضح من هذا النصِّ أن أبا علي إنما ألف هذا الكتاب بعد سنة 367هـ[1]؛ وهي السنة التي لُقب فيها عضد الدولة بتاج الملة وقبل سنة 372هـ[2]؛ وهي السنة التي توفي فيها عضد الدولة.

وقد كان شائعا في عصر أبي علي تخصيص العلماء بتآليف للملوك والحكام، وكانت أكرم هدية يقدمها هؤلاء العلماء ما ينتجونه من عصارة قرائحهم وأفكارهم، وكان كتاب الحجَّة أيضا مما أهداه أبو علي للصاحب بن عباد[3] وأجاز له أن يرويه عنه؛ إذ جاء في معجم الأدباء ما نصه: "قرأت بخط سلامة بن عياض النحوي ما صورته: وقفت على نسخة من كتاب الحجة لأبي علي في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالرّيّ في دار كتبها التي وقفها الصاحب بن عباد رحمه الله، وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته هذه: أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل، أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه. كتاب في قراء الأمصار الذين بيّنت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة، فما تضمن من أثر وقراءة ولغة، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل –أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه– حكاية شيء منه عنهم أو عني لهذه المكاتبة فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطِّه"[4].

والاحتجاج للقراءات القرآنية –كما سيأتي قريبا– دراسة قرآنية جليلة الشأن، يراد بها توثيق القراءات، ونفي الشبه عنها ودفع الشك في سلامتها.

وكتاب الحجة إلى جانب كونه مصدرا جليلا من مصادر تراثنا الثر في اللغة، والنحو، والصرف، ومسائل الخلاف، والشواهد، والأصوات ومسائل الخلاف –إلى جانب ذلك– يعد في موضوعه طورا زكيا من أطوار الاحتجاج لقراءات الأئمة السبعة.

---

[1] الكامل، ابن الأثير، 8/ 452.

[2] تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة –مصر، ط1، 1371هـ-1371هـ- 1952م، 1/ 409.

[3] هو: أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس، كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه. أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي. قال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه: ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوِّ محله في العلم والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، وتوفي سنة 385هـ بالري ثم نقل إلى أصبهان. انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 3/ 225، والنجوم الزاهرة، 4/ 169.

[4] معجم الأدباء، 2/ 813.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب ومضامينه

يتضمَّن هذا المطلب حديثاً عن موضوع الكتاب وأفكاره الأساسية المتضمنة فيه، وذلك في فرعين.

الفرع الأول: موضوع الكتاب

يعتبر كتاب "الحجة للقراء السبعة" أجلّ آثار الإمام أبي عليّ، بل هي أجلّ الكتب المؤلفة في باب الاحتجاج للقراءات، وهي في بابها ككتاب سيبويه في بابه؛ من حيث اشتمالُهما على أصول علْمِهما وجُلِّ مادته، وغزارةُ النَّقل عنهما في كتب من بعدهما، واعتدادُ الناس بمذاهب صاحبهما، وحركةُ التصنيف التي قامت على كلٍّ منهما، حتى قيل: الحجة كتاب ليس له نظير في جلال قدرٍ واشتهارِ ذكرٍ[1].

يتناول الإمام موضوع الاحتجاج للقراءات السبعة وتوجيهها، ولا يخفى أن شرف العلم بشرف موضوعه، وعلم القراءات من أجلِّ العلوم وأشرفِها؛ إذ يُعنى موضوعُ علم القراءات بكلمات القرآن من حيث كيفيةُ أدائها، ومدى اتفاقها واختلافها معزوّة لقائليها، فحاز بنسبته إلى القرآن الكريم أسمى الشرف وأعظم المنزلة. كما أن علم التوجيه –كما سيأتي– يعتبر فنًّا جليلاً به تُعرف جلالة الألفاظ وجزالتها"[2]، وهو أيضا أداة مهمة، وعدة أساسية للمفسر والمتصدِّر للإقراء؛ فالمفسِّر يحتاج إليه في استنباط الأحكام، وترجيح بعض الوجوه على بعض[3]، والقارئ يحتاج إليه لمعرفة وجوه الوقف والابتداء الجائزة منها والممتنعة وغير ذلك.

وكتاب الحجة للفارسي –كما هو واضح من عنوانه – يذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله (السبعة في القراءات)، فموضوعه إذن تعليل قراءات القراء السبعة وتوجيهها؛ فقد عمد أبو علي إلى حشد قراءات السبعة الذين اجتباهم ابن مجاهد، واحتجَّ لها، ووثّقها، واستشهد لحروفها، وأثبت وجاهتها وصحتها، ووجَّهها وفق عيار العربية إن على المستوى اللغوي المعجمي أو الصرفي أو الصوتي أو

---

[1] ذيل تجارب الأمم،، أبو شجاع، مطبعة شركة التمدُّن الصّناعيَّة، د.ط، 1334هـ، ص183.

[2] البرهان في علوم القرآن، 339/1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة، بيروت، د.ط، 1951م، 109/1.

[3] الإتقان في علوم القرآن، 226/1-227.

الدلالي البلاغي –كما سيتضح في حينه إن شاء الله–، والتمس لها الأدلة، وعلّلها عللا خفية بعيدة الغوْر، واجتلب لها النظائر، حتى جاءت بحراً تزَّاحم فيه العلوم: القراءات، والاحتجاجُ لها، واللغةُ، والتفسيرُ، وإعراب القرآن، والنَّحو، والعروض، والبلاغة، والأصوات، وفقه اللغة، ومعاني الشعر، والفقه وغيرها. وفي غضون ذلك تتوالى مسائل العربية التي أفاض أبو عليّ القول فيها، وأسلمته من موضوع إلى آخر.

ومعلوم أن ابن مجاهد رحمه الله هو أول من سبع القراءات[1] وأقنع الوزير ابن مقلة[2] على تثبيت قراءات السبعة ومنع ما عداها؛ تيمُّنا بقول النبي ρ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[3]. فأوحى كتابه هذا إلى العلماء –قبل أبي علي وبعده– بدراسات شتى تدور عليه أو تتصل به.

ش- فشرع أبو بكر محمد بن السرّي المتوفى سنة 316هـ في تأليف كتاب يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد، فأتم سورة الفاتحة، وجزءًا من سورة البقرة ثم أمسك[4].

ص- وألف أبو طاهر عبد الواحد البزَّار المتوفى سنة 349هـ أكتاب الانتصار لحمزة[5].

ض- وألف محمد بن الحسن الأنصاري المتوفى سنة 351هـ كتاب السبعة بعللها الكبير[6].

---

[1] إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة المقدسي، ت: إبراهيم عَطوة عوض، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، د.ط، د.ت، ص05، كشف الظنون، 2/ 1448.

[2] هو: علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور، كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس، وتنقلت أحواله إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله وخلع عليه، ثم استوزره الإمام القاهر بالله وخلع عليه، ولما ولي الراضي استوزره أيضا. ابتلي بالحبس وقطع يمناه، وكان ينوح على يده ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، ولما قدم بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين إلى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضا. كانت ولادته سنة 272هـ ببغداد، وتوفي سنة 326هـ رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان، 5/ 113- 117.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم: 4706، 4/ 1909. ومسلم في صحيحه، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم: 818، 560/1.

[4] انظر: خطبة الحجة للفارسي، 1/ 29.

[5] الفهرست، ص48.

[6] المصدر نفسه، ص50.

ط- وألف أبو بكر محمد بن الحسن بن مِقسم العطار المتوفى سنة 362هـ: كتاب احتجاج القراءات، كتاب السبعة بعللها الكبير، كتاب السبعة الأوسط وكتاب السبعة الأصغر[1].

ظ- ويجيء بعد أبي علي الفارسي تلميذه ابن جني المتوفى سنة 392هـ، فيوحي إليه كتاب الحجة بالاحتجاج للقراءات الشاذة.

ع- ثم توالت بعد ذلك التأليفات فيجيء الإمام مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ، ليؤلف كتابه الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها.

غير أن الذي يتميَّز به كتاب الحجة للفارسي في خضم حلقة هذه التآليف الكثيرة في كون الإمام يغوص فيه إلى الأعماق، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع أن يتابعه، ولا يستطيع أن يصل إلى الجوهر المنشود؛ فكثرة الاستطرادات وضخامة التعليلات قد تحول – أحيانا- بينه وبين ما يريد.

ومن هنا كان كتاب الحجة كتاباً لا يفهمه إلا القلة، ولا تهضمه إلا فئة خاصة تسلحت بما تسلح به أبو علي من عقلية منطقية، تؤمن بالقياس وتحري وراء العلة.

ويكفينا في هذا المقام شهادة تلميذه ابن جني؛ وهي شهادة على النفس، وأبو علي من ابن جني بمثابة الروح من الجسد.

يقول ابن جني في كتاب (المحتسب) ما نصه: "فإن أبا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء"[2].

وفي موضع آخر يقول: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة، فأغمضه وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدَّعي العربية، فضلاً عن القرَّاء، وأجفاهم عنه"[3].

وهؤلاء القراء السبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد وعمل أبو عليّ على الاحتجاج لقراءاتهم هم:

---

[1] المصدر السابق، ص49.

[2] انظر: مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

[3] المرجع نفسه.

ذ- قراءة نافع المدني[1] في رواية إسماعيل بن جعفر[2]، والمسيبي[3]، وقالون[4] وورش[5] وخارجة بن مصعب[6].

ر- قراءة ابن كثير[7] في رواية قنبل[8] والبزّي[9].

---

[1] هو: أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، وكنيته أبو رُويم. أحد القراء الأعلام. أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة. وروى عنه القراءة إسماعيل بن جعفر وقالون وورش، وخلق كثير. أقرأ الناس دهراً طويلا يزيد عن سبعين سنة وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة. توفي سنة: 169هـ. غاية النهاية، 2/ 288- 289.

[2] هو: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولاهم، قرأ على شيبة بن نصاح ثم على نافع وعيسى بن وردان، روى عنه القراءة عرضا وسماعا الكسائيّ، والقاسم بن سلاّم، والدوري وغيرهم. توفي سنة: 180هـ. غاية النهاية: 1/ 163. معرفة القراء: 1/ 107.

[3] هو: إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد المسيَّبي المخزومي المدنيّ. إمام قيم في قراءة نافع، ضابط محقق فقيه. لأخذ القراءة عنه ولده محمد وخلف بن هشام ومحمد بن سعدان وغيرهم. توفي سنة: 206هـ. غاية النهاية: 1/ 157- 158. معرفة القراء، 1/ 143.

[4] هو: عيسى بن مينا الزرقي مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونحويها. يقال إنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه "قالون" وتعني في الرومية "جيِّداً" لجودته في القراءة. أخذ عنه القراءة عرضاً. وعرض على عيسى بن وردان. روى القراءة عنه مصعب بن إبراهيم وغيره. توفي سنة: 220. غاية النهاية، 1/ 542. معرفة القراء، 1/ 155.

[5] هو: أبو سعيد عثمان بن سعيد ورش المصري المقرئ، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو القاسم. ولد سنة: 110هـ. قرأ القرآن وجوّده على نافع عدَّة ختمات في حدود سنة 155هـ. لقّبه نافع بورش؛ لشدَّة بياضه، والورش: شيء يصنع من اللبن، ويقال لقّبه بالورشان: الطائر المعروف، وكان يعجبه ذلك. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالدّيار المصريّة في زمانه، وإليه تنسب رواية ورش. قرأ عليه أحمد بن صالح الحافظ، وداود بن أبي طيبة، وأبو يعقوب الأزرق، وغيرهم. وسمع منه عبد الله بن وهب وإسحاق بن حجَّاج وغيرهما. توفي سنة: 197هـ بمصر. انظر: معرفة القرَّاء الكبار: 1/ 153- 155. سير أعلام النبلاء: 9/ 295- 296. غاية النهاية: 1/ 446- 447.

[6] هو: خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبعي السرخسي، أخذ القراءة عن نافع و أبي عمرو وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه وروى أيضاً عن حمزة حروفاً، روى القراءة عنه العباس بن الفضل وأبو معاذ النحوي ومغيث بن بديل، توفي سنة 168هـ. غاية النهاية، 1/ 243، شذرات الذهب، 1/ 265.

[7] هو: عبد الله بن كثير أبو معبد الداري العطار الفارسي الأصل، إمام أهل مكة في القراءة وأحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا عرضا عن عبد الله بن السائب وعرض على مجاهد بن جبير. روى القراءة عنه إسماعيل القسط والخليل بن أحمد وغيرهما. كان فصيحا بليغا. توفي سنة: 120هـ. غاية النهاية، 1/ 398. معرفة القراء، 1/ 86.

[8] هو: محمد بن عبد الرحمن المخزومي بالولاء، أبو عمر المكّي الملقّب بقنبل، شيخ القراء بالحجاز. أخذ القراءة عرضا عن أحمد بن بن محمد النبال وخلفه بالقيام بها بمكة. وروى القراءة عن البزّي. روى القراءة عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وجماعة. توفي سنة: 291هـ. غاية النهاية، 2/ 146- 147. معرفة القراء، 1/ 230.

[9] هو: أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البزي الفارسي الأصل، مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام. قرأ على أبيه وعلى عبد الله الله بن زياد وعكرمة بن سليمان وغيرهم. روى عنه القراءة قنبل. وقرأ عليه جماعة. توفي سنة: 250هـ. غاية النهاية، 1/109- 110. معرفة القراء، 1/ 173.

ز- وابن عامر[1] في رواية ابن ذكوان[2] وهشام[3].

س- وعاصم[4] في رواية المفضل الضبي[5]، وحفص[6]، وأبي بكر[7] من طريق الأعشى[8] ويحيى ويحيى بن آدم[9] عنه.

---

[1] هو: عبد الله بن عامر اليحصبي، إليه انتهت مشيخة الإقراء بالشام وأحد القراء السبعة. قرأ –في أصح الأقوال- على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي. روى عنه القراءة عرضا أخوه عبد الرحمن بن عامر، و يحيى بن الحارث الزماري وغيرهما. تولى إمامة الجامع بدمشق وائتم به الخليفة عمر بن عبد العزيز.توفي سنة: 118هـ. غاية النهاية، 1/ 380 ومعرفة القراء، 1/ 82.

[2] هو: أبو عمر عبد الله بن أحمد الفهري الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، وقرأ وقرأ على الكسائي، وروى الحروف سماعا عن إسحاق بن المسيبي عن نافع. أخذ القراءة عنه هارون الأخفش وغيره. توفي سنة: 245هـ. غاية النهاية: 1/ 404 ومعرفة القراء، 1/ 365.

[3] هو: هشام بن عمّار أبو الوليد السُّلمي الدمشقي. أخذ القراءة عرضا عن أيوب بن تميم، وعراك بن خالد وغيرهما. روى القراءة عنه أبو عيد القاسم، وأحمد بن يزيد الحلواني وغيرهم. ارتحل الناس إليه في القراءات والحديث. توفي سنة: 245هـ. غاية النهاية، 2/ 308- 309 ومعرفة القراء، 1/ 195.

[4] هو: أبو بكر عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الحناط الكوفي مولى بني أسد، أحد القراء السبعة، شيخ الإقراء بالكوفة. أحسن الناس صوتا بالقرآن. أخذ القراءة عن زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهما. روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وحفص بن سليمان، وشعبة بن عياش، والمفضل الضبي وغيرهم. روى عنه أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد وحمزة الزيات. توفي سنة: 129هـ. غاية النهاية، 1/ 315- 316 ومعرفة القراء، 1/ 88.

[5] هو: المفضل بن محمد أبو محمد الضبي الكوفي إمام مقرئ نحوي. أخذ القراءة عن عاصم والأعمش. روى القراءة عنه علي بن حمزة الكسائيّ وجبلة بن مالك. توفي سنة: 168هـ. معرفة القراء، 1/ 131.

[6] هو: حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزار. أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم وكان ربيبه وابن زوجته، زار بغداد بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها. روى القراءة عنه عرضا وسماعا عمرو بن الصباح، عبيد بن الصباح وغيرهما. توفي سنة: 180هـ. غاية النهاية، 1/ 229- 230 ومعرفة القراء، 1/ 140.

[7] هو: شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الكوفي الإمام المعلم راوي عاصم. عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات. عرض عليه أبو أبو يوسف يعقوب الأعشى ويحيى بن آدم وغيرهما. توفي سنة: 193هـ. غاية النهاية، 1/ 259- 260 ومعرفة القراء، 1/134- 135.

[8] هو: يعقوب بن محمد بن خليفة أبو يوسف الأعشى التميمي الكوفي. أخذ القراءة عرضا عن أبي بكر بن عياش. روى القراءة عنه عرضا وسماعا محمد بن حبيب الشموني وغيره. توفي سنة: 200هـ. غاية النهاية، 2/ 390 ومعرفة القراء، 1/ 159.

[9] هو: يحيى بن آدم بن زكريا الصلحي. روى القراءة عن أبي بكر بن عياش سماعا روى القراءة عنه الإمام أحمد بن حنبل، وخلف بن هشام البزار وغيرهما. توفي سنة: 203هـ. غاية النهاية، 2/ 239 ومعرفة القراء، 1/ 166.

هـ- أبو عمرو[1] في رواية عبد الوارث التنوري[2] وأبي شعيب السوسيّ[3] عن اليزيدي[4] عنه.

و- حمزة[5] في رواية خلف[6] وأبي هشام[7] عن سليم[8].

---

[1] هو: زبّان بن العلاء أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة، وأحد أئمة اللغة والأدب. ليس في القراء السبعة أكثر شيوخا منه، سمع أنسا بن مالك، وقرأ على الحسن البصري وحميد الأعرج، ومجاهد وعاصم وابن كثير وغيرهم. روى القراءة عنه عرضا وسماعا يحيى بن المبارك اليزيدي، وينس بن حبيب وسيبويه وغيرهم. توفي سنة: 155هـ. غاية النهاية، 1/ 262- 263 ومعرفة القراء، 1/ 100.

[2] هو: عبد الوارث بن سعيد أبو عبيدة العنبري مولاهم التنوري البصري، مقرئ وحافظ ومحدث البصرة بعد حماد بن زيد، ولد سنة سنة اثنتين ومائة. قال الواقدي وابن المثنى والمدائني توفي في المحرم بالبصرة سنة: 180هـ. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1410هـ، 1/ 407. شذرات الذهب، 1/ 293. العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1948م، 1/ 276.

[3] هو: صالح بن زياد أبو شعيب الرقّي مقرئ ضابط. أخذ القراءة عرضا وسماعا على اليزيدي. روى القراءة عنه أبو الحارث محمد بن أحمد الرقي وغيره. توفي سنة: 261هـ. غاية النهاية، 1/ 302 ومعرفة القراء، 1/ 193.

[4] هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد العدوي البصري، نحوي مقرئ. أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو بن العلاء وخلفه بالقيام بالقيام بها، وأخذ عن حمزة. روى القراءة عنه أولاده: محمد وعبد الله وإبراهيم وغيرهم، والسوسي والدوري وغيرهما. توفي سنة: 202هـ بمرو. غاية النهاية، 2/ 375 ومعرفة القراء، 1/ 151.

[5] هو: حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن سليمان الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن أبي ليلى وغيرهم. انتهت إليه الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش في الكوفة. قرأ عليه الكسائي وسليم بن عيس وجماعة. توفي سنة: 156هـ. غاية النهاية، 1/ 236 ومعرفة القراء، 1/ 111.

[6] سقت ترجمته، ص 17.

[7] هو: محمد بن يزيد بن رفاعة العجلي أبو هشام الرفاعي الكوفي القاضي أحد العلماء المشهورين، قرأ على سليم وسمع الحروف من من حسين الجعفي ويحيى بن آدم وأبي يوسف الأعشى والكسائي وضبط حروفا عن أبي بكر بن عياش، قال أبو عمرو الداني وله عن هؤلاء شذوذ كثير فارق فيه سائر أصحابه وله كتاب جامع في القراءات روى عنه القراءة موسى بن إسحاق القاضي وعلي بن الحسن القطيعي وأحمد بن سعيد المروزي، كما روى عن أبي بكر بن عياش وحفص بن غياث والمطلب بن زياد وابن فضيل وطائفة. قال البخاري رأيتهم مجمعين على ضعفه. مات في آخر يوم من شعبان ببغداد وكان قاضيا عليها سنة 248هـ. معرفة القراء الكبار، 1/ 224 وما بعدها، سير أعلام النبلاء، 12/ 153.

[8] سليم بن عيسى بن سليم ابن عامر بن غالب أبو عيسى ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرىء صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته به وأحذقهم بالقراءة وأقومهم بالحرف وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة، قرأ عليه خلف بن هشام البزار وخلاد بن خالد الصيرفي وأبو عمر الدوري ومحمد بن يزيد والطيب بن إسماعيل وعلي بن كيسة المصري وطائفة، ولد سنة 130هـ. سمع الحديث من حمزة وسفيان الثوري، سمع منه أحمد بن حميد وضرار بن

ز- الكسائي[1] في رواية أبي عُمر الدُّوري[2]، وأبي الحارث[3]، ونصير[4] وقتيبة[5].

الفرع الثاني: مضامينه

يمكن القول أن "كتاب الحجة للقراء السبعة" للإمام أبي علي الفارسي رحمه الله قد اشتمل على مقدمة عقبتها الدراسة، ثم خاتمة.

7- أما المقدّمة فقد تضمنت -بعد الحمدلة والصلاة- ثلاثة أفكار:

الأولى: صدَّر فيها كلمة الإجلال والدعاء للسلطان عضد الدولة؛ لأن هذا المصنَّف -كما تقدم-واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له[6]؛ إذ يقول: "أما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك

صرد وقال يحيى بن سليمان الجعفي حدثنا يحيى بن المبارك قال كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب فإذا جاء سليم قال لنا حمزة تحفظوا وتثبتوا قد جاء سليم. قال وتوفي سنة 188 وقيل سنة 189هـ. معرفة القراء الكبار، 1/ 138 وما بعدها.

[1] هو: علي بن حمزة الأسدي، أحد القراء السبعة والذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة، أخذ القراءة عن حمزة وعليه اعتماده وعن أبي بكر بن عياش وعن إسماعيل بن جعفر وعن المفضل الضبي. أخذ القراءة عنه حفص الدوريّ وقتيبة وخلف بن هشام وغيرهم. توفي سنة: 189هـ. غاية النهاية: 1/ 474 وما بعدها ومعرفة القراء، 1/ 120.

[2] هو: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان، أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي، قرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً. قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع، وقرأ أيضاً عليه، وعلى أخيه يعقوب بن جعفر عن ابن جماز عن أبي جعفر، وسليمان عن حمزة، ومحمد بن سعدان عن حمزة وعلى الكسائي لنفسه. روى القراءة عنه أحمد بن حرب شيخ المطوعي، وأحمد بن فرج. توفي في شوال سنة 246هـ. غاية النهاية، 1/ 230- 232.

[3] هو: الليث بن خالد البغدادي. عرض القراءة على الكسائي، وهو من جلة أصحابه. وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، وعن اليزيدي. روى عنه القراءة عرضا وسماعا سلمة بن عاصم صاحب الفراء وغيرهم. غاية النهاية، 2/ 33 ومعرفة القراء: 1/ 211.

[4] هو: نصير بن يوسف أبو المنذر الرازي ثم البغدادي النحوي. أخذ القراءة عرضا عن الكسائي وهو من جلة أصحابه وله عنه نسخة وأبي محمد اليزيدي. روى عنه القراءة محمد بن عيسى الأصبهاني وعلي بن أبي نصر النحوي وغيرهما. مات في حدود 240هـ. غاية النهاية، 2/ 297 ومعرفة القراء، 1/ 213.

[5] هو: قتيبة بن مهران أبو عبد الرحمن الأزاذاني قرية من أصبهان. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن الكسائي وإسماعيل بن جعفر. روى القراءة عنه عرضا وسماعا أبو بشر يونس بن حبيب وغيره. توفي بعد 200هـ. غاية النهاية، 2/ 24- 25. معرفة القراء، 212/1.

[6] ومن المصنفات التي صنفها أبو علي لعضد الدولة كتابي الإيضاح والتكملة. انظر: سير أعلام النبلاء، 16/ 249. وفيات الأعيان، 4/ 51.

السيد الأجل المنصور، ولي النعمة، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العزة والبسطة والسلطان، وأيّدَه بالتوفيق والتَّسديد، وعضَده بالنَّصر والتَّمكين "[1].

والفكرة الثانية: فقد أوضح فيها المصنِّف موضوع كتابه، والمتمثل في ذكر أوجه الاحتجاج وتعليل القراءات المختلفة للقراء السبعة في مختلف الأمصار الذين أثبتهم أبو بكر بن مجاهد في "سبعته"، كل ذلك على الصحيح الذي ثبتت روايته عنه، وهذا الأمر في غاية الأهمية يصدّر به أهل القراءات كتبهم ويحرصون عليه؛ ذلك أن مدار أخذ القراءة على المشافهة، والعرض على الشيوخ، والسماع منهم، ولا يخفى أن أهمَّ أركان القراءة الصحيحة صحة السند إلى النبي ρ؛ الأمر الذي جعل الإمام أبا علي رحمه الله حريصا في هذا الفن على ذكره كغيره من القراء؛ فيقول: "فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام، بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه، وأخذنا عنه"[2].

أما الفكرة الثالثة: فقد أشار إلى عمل أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السَّرَّاج (ت316هـ) قبله، إذ سبقه إلى هذا العمل لما شرع في تأليف كتاب يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد، فأتم سورة الفاتحة، وجزءًا من سورة البقرة ثم أمسك، وأما عمل أبي علي فهو الإفادة منه مع الإسناد إليه؛ لأن الإسناد من الدين[3]، والذي يقرأ كتاب الحجة يجد أبا علي يستشهد به كثيرا، وفي كل مرة يذكر: قال أبو بكر بن محمد بن السري. يدل على هذه الفكرة قول أبي علي رحمه الله: "وقد كان أبو بكر بن محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتدأ بإملائه، وارتفع منه تبييض ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم، وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا، وإلى الله أرغب في تيسير ما قصدته، والمعونة عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[4].

---

[1] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

[2] خطبة الحجة.

[3] من قولة عبد الله بن المبارك المشهورة: " الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء". انظر: التعديل والتجريح، سليمان بن خالف، أبو الوليد الباجي، ت: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع –الرياض، ط1، 1406هـ- 1986م، 1/ 291 وتذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر بن القيسراني، ت: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، ط1، الرياض، 1415هـ، 3/ 1054.

[4] انظر: خطبة الحجة للفارسي، 1/ 29.

8- وبعد تلك المقدّمة الموجزة شرع المصنف رحمه الله مباشرة في موضوع الدراسة، والمتمثل في عرض فرش الحروف[1]؛ وذلك في أربعة أجزاء، بدأ فيها بسورة الفاتحة وانتهى إلى سورة الناس.

ففي الجزء الأول بدأ بـ [سورة الفاتحة] إلى [الآية: 246] من أواخر [سورة البقرة].

ومن أول [سورة آل عمران] إلى آخر [سورة يوسف] في الجزء الثاني.

وأما الجزء الثالث فعرض فيه أحرف الخلاف في [سورة الرعد] إلى [الآية: 37] من [سورة الطور].

وختم كتابه في الجزء الرابع من [سورة النجم] إلى آخر [سورة الناس].

9- وبعد الرحلة الطويلة والدراسة العميقة التي خاضها أبو علي في "الحجة"، اكتفى أبو علي بختام كتابه بقوله: "والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيِّه محمد وعلى أهله وسلامه"[2].

المطلب الثالث: أهمية الكتاب ومنزلته

لا تخفى قيمة كتاب "الحجة" بين سلسلة المصنفات العظيمة في علم القراءات عموما، وفي فن توجيه القراءات وتعليلها خصوصا؛ ذلك أن ظهور هذا الكتاب يُعدُّ فتحاً كبيراً في مجال القراءات وفن الاحتجاج لها. فمؤلِّفه شخصية من أبرز الشخصيات في علم القراءات أداءً وتدريساً وأستاذيّةً وتأليفاً، ومؤلَّفه "الحجة" طبقت شهرته الآفاق وانتفع به القرّاء والنحويون والمؤلّفون؛ لما يتميّز به من سلامة في المنهج واستيعاب للأحكام. وتتجلى مظاهرها في:

أولا: كونه من أوائل المصنفات التي شرحت كتاب "السبعة" لابن مجاهد، وذلك من شأنه أن يسبغ عليه ثوب المهابة والتقدير؛ إذ من المعلوم الذي لا يخفى أن ابن مجاهد كان صاحب الفضل والسبق في انتخابه لقراء الأمصار وتسبيع قراءاتهم، فحاز كتاب "الحجة" شرف النسبة.

---

[1] القراء يسمّون ما قلّ دوره في القرآن من حروف القراءات المختلف فيها "فرشاً"؛ لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السور فهي كالمفروش بخلاف الأصول؛ لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع. وسمى بعضهم الفرش فروعاً مقابلة =للأصول. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، عليّ بن عثمان بن الحسن القاصح البغدادي، دار الفكر، بيروت، د.ط.ت، ص184.

[2] الحجة، 4/ 161.

ثانيا: إن الثروة العلمية الزاخرة بألوان المعارف المختلفة، من علوم العربية وعلوم القرآن والقراءات وغيرها في الكتاب لَتدلُّ على قمَّة النضج العلمي لمؤلِّفه وعصره، كما تدل على الشخصية العلمية الموسوعية الفذة التي اتسم بها.

ثالثا: إن أبرز ما يميز كتاب "الحجة" أنه عرض لتوجيه القراءات السبع بالتفصيل، فهو يغوص في الإعراب والتعليل وتوضيح المعنى المترتِّب على القراءة، ولا يدع حرف الخلاف إلا بعد أن يسوق له من الشواهد والأدلة الكثيرة ما يجليه ويرفع اللَّبس عنه، وإن أدَّت كثرة الاستطرادات – أحيانا– إلى إغماضه ومجافاته، فإن الدرر الغزيرة التي يظفر بها من يصبر عليه كثيرة ونفيسة.

رابعاً: كما يتميز الكتاب باستخدام القياس؛ فهو يعج بالكثير من التعليلات والقياسات المنطقية، ولعل أبا علي درس المنطق والتقى ببغداد مُتَّى بن يونس الحكيم[1]؛ فقد كان شيخا كبيرا، يقرأ الناس عليه فن المنطق، وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ويجتمع في حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه[2]. ولا شك أن استخدام القياس والعلل يجعل صاحبه يتمتع بشخصية منطقية متزنة، وتجعل مؤلَّفه في مصافِّ الكتب.

خامساً: إضافة إلى ما سبق، فقد حظي كتاب "الحجة" بإجازة العلماء له؛ فقدَّروه حق قدره، وأثنوا عليه وشُغلوا به يتدارسونه ويختصرونه ولاسيما أهل الأندلس[3]، زيادة على ذلك ما جاء في ذيل تجارب الأمم: "صُنِّف في أيام عصر الدولة المصنفات الرائعة في أجناس العلوم المتفرقة، فمنها كتاب الحجة في القراءات السبع، وهو كتاب ليس له نظير في جلالة قدر واشتهار ذكر"[4]. وذكر الدكتور شلبي أنه قد جاء في صحيفة الأهرام: "ألقى الدكتور بشر فارس في قاعة المجمع العلمي المصري محاضرة ضمنها نصا عربيا قديما في كتاب مخطوط ألفه أبو علي الفارسي من أئمة العربية والمسلمين في القرن الرابع الهجري، خصصه لبحث مسألة التصوير في الإسلام، مصرحا بأنه جائز بإجماع لا يقترح فيه اعتراض الآحاد، والحظر فيه مقصور على تصوير الله عز وجل تصوير الأجسام، فأما غير ذلك من التصاوير للأحياء فليس محظورا، وقد طلب كثير من الأدباء المستمعين طبع هذه

---

[1] تقدمت ترجمته، ص16.

[2] وفيات الأعيان، 5/ 153.

[3] انظر: ص29 من هذا البحث.

[4] ذيل تجارب الأمم، نقلا عن: أبي علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المطبوعات الحديثة، السعودية، ط3، 1989م، ص252.

المحاضرة إذاعة لذلك النص الفريد المفيد، وتعزيزا للنهضة الفنية في الشرق الحديث، فوعدوا بإجابة طلبهم"[1]. وقد علق الدكتور شلبي على هذا النص قائلا: "وقد يكون الباعث على ذلك، توجيه الناس إلى نص من نصوص أبي علي بحسم الخلاف في جواز التصوير"[2].

سادساً: اعتنى ابن الجزريّ رحمه الله بهذا الكتاب فجعله أصلاً من أصول كتابه العظيم "النشر في القراءات العشر"، يعزو إليه من حين لآخر. كما تأثر به ابن جني، وأوحى إليه كتابه "الحجة" بتصنيف "المحتسب"؛ فنقل عنه وروى مما أنشده إياه من شواهد، وما أخذه عنه من أصول.

المطلب الأول: مقارنة كتاب الحجة بكتاب السبعة لابن مجاهد

لا يخفى أن كتابي "السبعة" لابن مجاهد و "الحجة" لأبي علي مختلفان في موضوع الدراسة، ولا تتأتى المقارنة بين كتابين مختلفين في الموضوع. غير أن العلاقة الوطيدة بينهما تفرض –على الأقل– الإشارة إلى الملامح العامة للمصدر الذي استقى منه أبو علي مادته العلمية وشرحه لكتاب "السبعة" لابن مجاهد، وذلك بعد التعريف بالمصنِّف.

الفرع الأول: التعريف بمؤلِّف كتاب السبعة

هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس؛ ابن مجاهد[1] شيخ العصر أبو بكر البغداديّ العطشيّ المقرىء، كان واحد عصره غير مدافَع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن حسَنَ الأدب رقيق الخلق كثير المداعبة ثاقب الفطنة جوادا، آخر من انتهت إليه الرياسة بمدينة السلام في عصره. ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين.

---

[1] المرجع السابق، ص353- 354.

[2] المرجع نفسه، ص254.

[1] انظر ترجمته: غاية النهاية، 1/ 128-130، ومعرفة القراء الكبار، 1/269- 272، وتاريخ بغداد، 144/5 وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى، 57/3 وما بعدها والفهرست، لابن النديم، 47/1.

قرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس وقنبل المكيّ، كما أكبّ على طلب العلوم اللغوية والشرعية منذ نعومة أظفاره، وأقبل على أساتذة النحو الكوفيين يأخذ ما عندهم. وفي كتابه "السبعة" بعض اصطلاحات النحو الكوفي. كما أنه لم يألُ جهدا في طلب الحديث النبوي ومعرفة الآثار، وأكبّ إكباباً منقطع النظير على قراءات القرآن وتفسيره ومعانيه وإعرابه وروايات حروفه وطرقها، وقد سمع القراءات من طائفة كبيرة مذكورين في صدر كتابه، أسعفه في ذلك حافظة واعية لا يرتسم فيها شيء إلا يثبت وكأنما يُحفَر فيها حفراً، كما ساعده ذكاء وقّاد ومعرفة واعية بالرواة والقرّاء على مرّ الأيام من زمن رسول الله ρ إلى زمانه.

وتصدَّر للإقراء وازدحم عليه أهل الأداء ورجل إليه من الأقطار وبعُد صيتُه، وظلَّ قبل وفاته بنحو أربعين عاما وخلائقُ لا تكاد تُحصى تتحلَّق من حوله، وتأخذ عن لفظه كتاب الله.

قرأ عليه: أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم وصالح بن إدريس وأبو عيسى بكَّار بن أحمد وأبو بكر الشذائيّ وأبو الفرج الشنبوذيّ وأبو الحسين عبيد الله وغيرهم كثير.

قال أبو عمرو الدانيّ: "فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسكه تصدر للإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائيّ الصغير"، وقال عبد الواحد بن أبي هشام: "سأل رجل ابن مجاهد لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفا يحمل عنه فقال نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا".

وتوفي رحمه الله في محبسه بدار السلطات يوم الأربعاء لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ودفن في تربة في حريم داره بسوق العطش ثاني يوم موته، بعد أن كان الوزير أبو عليّ بن مقلة ضربه أسواطاً، فدعا عليه بقطع اليد فاتفق أن قطعت يده، وهذا من عجيب الاتفاق.

روى الإمام قراءات كثيرة وله كتب مصنفة، منها: كتاب "القراءات الكبير"، كتاب "القراءات الصغير"، كتاب "الياءات"، كتاب "الهاءات"، كتاب "قراءة أبي عمرو"، كتاب "قراءة ابن كثير"، كتاب "قراءة عاصم"، كتاب "قراءة نافع"، كتاب "قراءة حمزة"، كتاب "قراءة الكسائي"، كتاب "قراءة ابن عامر" وكتاب "قراءة النبي ρ ".

ومن كلامه وفوائده قال: "من قرأ لأبي عمرو وتمذهب للشافعي واتجر في البزّ وروى شعر ابن المعتز فقد كمل ظرفه".

الفرع الثاني: التعريف بكتاب السبعة

كتاب "السبعة في القراءات" للإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، المتوفى سنة أربعة وعشرين وثلاثمائة للهجرة، وبه اشتهر الإمام ابن مجاهد رحمه الله، وهو أول وأصحّ كتاب يُصنَّف في القراءات السبعة.

وقد طُبع كتاب السبعة في كتاب بتحقيق الدكتور: شوقي ضيف في طبعته الثانية –منقحة– عن دار المعارف –كورنيش النيل بالقاهرة– في أول شوال عام 1400هـ، وهي الطبعة الوحيدة التي وقفت عليها واعتمدت عليها في بحثي، وهي تقع في حوالي 759 صفحة.

وقد قسَّم المحقق دراسته إلى قسمين:

أ– قسم دراسي: وتناول فيه دراسة موجزة لحياة المصنف الإمام ابن مجاهد رحمه الله ثم تناول دراسة كتابه السبعة وأهميته ومنهجه فيه.

ب– قسم للتحقيق: اعتمد الباحث فيه على النسخة الأصلية التركية المحفوظة بمكتبة الفاتح، وقف إبراهيم في إستانبول برقم:69. وكان يقابلها بالنسخة التونسية –مصورة عن الأصلية– ، وكذا بالنسخة العتيقة المتضَمَّنة في كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسي؛ معتمدا في ذلك على الجزء الأول المطبوع من كتاب "الحجة"، وعلى مصورة مكتبة جامعة القاهرة حتى سورة الزخرف، وعلى مصورة دار الكتب المصرية المأخوذة عن نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية حتى نهاية الكتاب.

الفرع الثالث: الملامح العامة لمنهج كتاب "السبعة"

تظهر الملامح العامة للمصدر الذي استقى منه أبو علي مادته العلمية وشرحه لكتاب "السبعة" لابن مجاهد ومنهجه فيه في الآتي:

ز– **المقدمة**: لقد قدَّم ابن مجاهد رحمه الله نبذة مختصرة عن اختلاف القراءات، مصدِّراً ذلك بمقدمة يبين فيها موضوع الكتاب وعمله فيه، قائلا: "اختلف الناس في القراءة، كما اختلفوا في الأحكام، ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين، وبعض ذلك قريب من بعض. وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودال على الأئمة منهم، ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام، وشارح مذاهب أهل القراءة ومبين اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله، وإياه أسأل التوفيق بمنِّه"[1].

س– ثم بين صفات القارئ الثقة وما ينبغي أن يتحلى به من يتصدر للإقراء، مشيراً إلى

[1] السبعة في القراءات، ص45.

توقيفية القراءة وعدم توفيقيتها؛ إذ القراءة سنة متبعة لا يسوغ فيها الاجتهاد والابتداع.

ش- من حيث التعريفُ بالأئمّة القراء وذكر الأسانيد والطرق:

كما اهتم ابن مجاهد بذكر أئمة القراء وأنسابهم وأساتذتهم وتلاميذهم؛ فكان قبل ذكر الرواة عن القراء يذكر نسب المقرئ[1]، ويقف مليّاً عند أساتذته وأهم تلامذته، ذاكرا أسانيدهم وطرقهم للرواية، مرتبا إياهم على حسب الأمصار التي أقرؤوا فيها. فكان البدء بقراءة "نافع"؛ تبرُّكا بمدينة رسول الله ρ، حيث صرّح ابن مجاهد بذلك قائلا: "فأوّل من أبتدئ بذكره من أئمة الأمصار من قام بالقراءة بمدينة رسول الله ρ وإنما بدأت بذكر أهل المدينة؛ لأنها مُهاجَر رسول الله ρ ومعدن الأكابر من صحابته، وبها حُفظ عنه الآخر من أمره. فكان –نافع- الإمامَ الذي قام بالقراءة بمدينة رسول الله ρ بعد التابعين"[2].

ص- **من حيث منهجيةُ تقسيم الكتاب إلى أصول وفرش:**

ثم ركز الحديث عن الخلاف بين القراء؛ وذلك في قسمين رئيسين:

- قسم الأصول:

تعرف الأصول بأنها: انسحاب حكم الحرف الواحد على جميع القرآن[3]. أو هي: الحكم الكلي الجاري في كلّ ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم كالمدّ والقصر والإظهار والإدغام والفتح والإمالة ونحو ذلك.

ومعنى ذلك أن القارئ يقرأ الكلمة بطريقة معينة مطّردة في القرآن، نحو كلمة: [يُؤْمِن] وتصريفاتها، مثل: [يُؤْمِنُونَ] و [مُؤْمِنُونَ] فالقارئ يبدل همز هذه الكلمات –إذا كان من مذهبه الإبدال- في القرآن كلّه.

أو: هو القسم الذي يشمل الحروف المختلف فيها بين القراء، والتي تطَّرِد تحت قاعدة معينة، ويمكن إجراء القياس عليها، كالإدغام والإمالة والمد وغير ذلك مما هو معهود عند الأئمة القراء.

---

[1] هناك فرق بين مصطلح (المقرئ) و (القارئ)؛ أما المقرئ: فهو: مَن علِم القراءات أداءً ورواها مشافهة، وأما القارئ: فهو المتلقّي للقراءة، وهو إمّا مبتدئ أو متوسّط أو منته. فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط من أفرد إلى أربع أو خمس، والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تصحيح وتعليق: علي محمد الضّباع، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ط.ت، ص5.

[2] المصدر السابق، ص53.

[3] كنز المعاني، محمد بن أحمد الموصلي المعروف بـ شُعلة، الاتحاد العام لجماعة القراء، القاهرة. د.ط.ت، ص257.

– قسم الفرش:

ويقصد به كما سبق أيضاً: الحكم المنفرد غير المطّرد، وهو ما يذكر في السور من كيفية قراءة كل كلمة قرآنية يُختلف فيها بين القراء، مع عزْو كل قراءة إلى صاحبها، وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول.

فهذا القسم إذن يشمل الحروف التي يقلّ دورها في القرآن الكريم، ولا يمكن إجراء القياس عليها.

وهذه المنهجية قد سار عليها معظم من ألَّف في القراءات منذ عصر الأئمة الأوائل إلى يوم الناس هذا[1].

وقد علق محقق "السبعة" على هذا العمل قائلا: "كأنهم يقسمون مباحث القراءات قسمين: قسما في أصولها الكلية، وقسما في مفرداتها، فقواعد الإدغام، وتسهيل الهمز والإمالة تندرج في الكليات، وبقية الكتاب تندرج بجميع جزئياتها في الفرش ودقائقه القرآنية النيرة، وقراءاته المختلفة التي لقنها أئمة القراء السبعة"[2].

ض– من حيث توجيهُ القراءات:

يلاحظ أنَّ كتاب ابن مجاهد يكاد يخلو –كليّاً– من توجيه القراءات وتعليلها إلا ما ذكره في سورة الفاتحة؛ قصد تقريب الفهم وخشية تثقيل الكتاب، وهذا ما صرّح به قائلا: "قال أبو بكر: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة –يعني **الفاتحة**– وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك"[3].

ولعلَّ هذا الفراغ حفَّزَ أبا علي رحمه الله لأن ينبري لشرح الكتاب وأن يعمل على توجيه ما فيه من قراءات قراء الأمصار الذين ذكرهم ابن مجاهد، ويتأكَّد هذا العمل بعد أن حمَّسه شيخه أبو بكر محمد بن السريّ، لما شرع في تفسيره لكنه أمسك ولم يكمله.

---

[1] انظر مثلا: التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، ت: عبد الفتاح بحيرى إبراهيم، مطبعة الزهراء للإعلام العربي –القاهرة، ط1، 1410هـ– 1990م، 2/ 309، التيسير في القراءات السبع، ص73، النشر في القراءات العشر، 2/ 155.

[2] السبعة في القراءات، ص38.

[3] المصدر نفسه، ص112.

المطلب الثاني: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "الحجة" لابن خالويه

يتناول هذا المطلب أبا عبد الله الحسين بن خالويه أحدَ زملاء ومنافسي أبي عليّ، ومؤلَّفَه "الحجَّة في القراءات السبع" وأوجه المقارنة بينه وبين كتاب "الحجة" لأبي علي موضوعِ البحث. وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول: التعريف بأبي عبد الله ابن خالويه

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي أصله من همذان، ولكنه دخل بغداد، وخَالَوَيْه بفتح الخاء الموحَّدة، وبعد الألف لام مفتوحة، وواو مفتوحة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة.

أدرك جِلَّة العلماء بها، مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرىء وأبي عمر الزاهد[1] وابن دريد، وقرأ على أبي سعيد السيرافي. انتقل إلى الشام واستوطن حلباً وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه، وهو القائل: "دخلت يوما على سيف الدولة بن حمدان، فلما مثلت بين يديه قال لي: اقعد ولم يقل اجلس، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطِّلاعه على أسرار كلام العرب"، وإنما قال ابن خالويه هذا، لأنَّ المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم اقعد وللنَّائم أو السَّاجد اجلس، ولابن خالويه كتاب كبير في الأدب سماه "كتاب ليس"، وهو يدل على اطِّلاع عظيم، فإنَّ مبنى الكتاب من أوَّله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا، وله كتاب لطيف سماه "الآل"، وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسما وما أقصر فيه، وله "كتاب الاشتقاق"، و"كتاب الجمل في النحو"، و"كتاب

---

[1] هو: الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي المطرز الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، ولد سنة 361هـ. سمع من موسى بن سهل الوشاء، وأحمد بن عبيد الله النرسي، ومحمد بن يونس الكديمي وغيرهم، حدث عنه أبو الحسن بن رزقويه، وابن منده، وأبو عبد الله الحاكم، والقاضي أبو القاسم ابن المنذر، والقاضي محمد بن أحمد ابن المحاملي وخلق كثير. استدرك على الفصيح لثعلب كراسا سماه "فائت الفصيح" وله: كتاب الياقوتة، وكتاب الموضح، وكتاب الساعات، وكتاب يوم وليلة،وكتاب المستحسن، وكتاب الشورى، وكتاب البيوع، وكتاب تفسير أسماء الشعراء وغيرها. مات في ذي القعدة سنة: 345هـ. سير أعلام النبلاء، 15/ 508 وما بعدها، وفيات الأعيان، 4/ 329 وما بعدها.

القراءات"، و"كتاب إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز"، و"كتاب المقصور والممدود"، و"كتاب المذكر والمؤنث"، و"كتاب الألفات"، و"كتاب شرح المقصورة لابن دريد"، و"كتاب الأسد"، و"البديع في القرآن الكريم"، و"حواشي البديع في القراءات"، و"شرح شعر أبي نواس" وغير ذلك. ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي[1] مجالس ومباحث عند سيف الدولة[2]، وله شعر حسن. من ذلك:

إذا لم يكن صدر المجالس سيد فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل ما لي رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس

وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلاثمائة بحلب رحمه الله تعالى[3].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب الحجة في القراءات السبع

أولا: وصف كتاب الحجة

كتاب "الحجة في القراءات السبع" للإمام أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني البغدادي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة للهجرة. جاء في الصفحة الأولى منه: "كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين في الرواية للعلامة المحقق إمام النحو واللغة أبي عبد الله الحسين بن خالد[4] بن خالويه رحمه الله، وحباه من الخير ما يتوالى"[5]. من أجلِّ كتب الإمام وأصحِّها عنه، بيْد أنه لم

---

[1] سبقت ترجمته، ص09.

[2] ومن نوادر تلك المجالس أنه مرة كان العلماء يحضرون مجلس سيف الدولة، ويتناظرون كل ليلة فوقع بين المتنبي وابن خالويه ليلة كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح فشجه فخرج ودمه يسيل على وجهه. انظر: شذرات الذهب، 14/2.

[3] وفيات الأعيان، 2/ 178- 179. ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1409هـ، 1/ 106 وشذرات الذهب، 2/ 72- 73.

[4] أغلب التراجم التي وقفت عليها، وكذا أغلب كتبه المطبوعة كالطارقية وإعراب ثلاثين سورة، ومختصر في شواذ القرآن، وكتاب الريح، وكتاب ليس في كلام العرب وغيرها تثبت أنه الحسين بن أحمد وليس ابنَ خالد كما هو ثابت في مخطوطه "الحجة"، ولم ينبه المحققان إلى هذا الأمر، وكنيته أبو عبد الله باتفاق. أنظر مثلا: الأعلام، الزركلي، 131/2، البداية والنهاية، 11/ 297، ذيل مولد العلماء، 1/ 106، شذرات الذهب، 71/2، سير أعلام النبلاء، 16/ 341، العبر في خبر من غبر، 2/ 362، وفيات الأعيان، 2/ 178، غاية النهاية، 1/ 215، أما الأنباري فقد أسماه –وحده- في نزهته بـ عبد الله، فقال: "وأما عبد الله بن خالويه..."، وهو –لاشك- خطأ؛ إما من المصنِّف وغفل المحقق –محمد أبو الفضل إبراهيم- عن التنبيه إليه، أو أنه خطأ من المحقق. انظر: نزهة الألباء، 2/ 170.

[5] مقدمة الحجة، ابن خالويه، ص31.

يشتهر عنه على غرار أخريات الكتب، نحو: "كتاب إعراب ثلاثين سورة"، و"كتاب البديع و"كتاب مختصر شواذ القرآن" وغيرها.

ولعل السبب في ذلك راجع –كما يقول محقق الكتاب– إلى أن الكتاب في القراءات فاستُغنِي بذكره عن كلمة "الحجة" أو أن حجة أبي علي الفارسي غطَّت شهرتها على حجة ابن خالويه، فاحتُفِظ للفارسي بهذه النسبة لإيمانهم بأقيسته وعللها، واكتفوا بذكر القراءات لابن خالويه[1]، إضافة إلى ما ذكرناه عن تسمية الحجة بأنها من عمل المتأخرين[2].

وقد طبع كتاب الحجة في كتاب بتحقيق وشرح الدكتور: عبد العال سالم مكرم في عدة طبعات، وبين يدي الطبعة السادسة منه –منقحة– عن مؤسسة الرسالة –بيروت، في سنة: 1417هـ/ 1996م، وهي الطبعة التي وقفت عليها واعتمدتها في بحثي، وهي تقع في 416 صفحة. كما انبرى لتحقيقه مرة أخرى الدكتور أحمد فريد المزيدي، قدَّم له الدكتور فتحي حجازي بجامعة الأزهر، وصدر عن منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1420هـ-1999م، وتقع هذه الطبعة في 253 صفحة.

تناول فيه المصنِّف توجيه حروف الخلاف بين القراء السبعة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، صدَّره المحقق بمقدمة عامة تحدَّث فيها –باختصار– عن حياة المصنِّف الاجتماعية والعلمية عموما، وعن نسبة الكتاب إليه وتوثيقه، ومنهجه فيه وقيمته في عصرنا الحاضر.

ثانيا: منهج ابن خالويه في الحجة

يمكن تلخيص منهجه في النقاط الآتية:

23- اعتمد في حجته على القراءات المشهورة، دون الروايات الشاذة المتروكة؛ يقول: "... معتمِد فيه على ذكر القراءة المشهورة، ومنكِّب عن الروايات الشاذة المنكورة"[3].

24- الإيجاز والاختصار؛ فالكتاب بعيد عن الاستطراد المملّ والاختصار المخلّ، وذلك واضح من مقدمته في الكتاب: "وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم ... وقاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار"[4].

---

[1] المصدر السابق، ص21.

[2] انظر: ص 39 من هذا البحث.

[3] المصدر السابق، ص62.

[4] الحجة، ص62.

25- يعرض القراءات من غير عزو لها لأصحابها، ولا يعزو إلا في القليل النادر[1]؛ وذلك لأن هدفه الإيجاز وعدم الإكثار.

26- دعاه الحرص على الإيجاز إلى عدم تَكرار تعليل وتوجيه بعض الحروف التي تقدَّم تحرير الخُلف فيها، فيكتفي إحالة القارئ إلى مواطنها الأولى[2]، وما سيأتي لاحقاً ينبه إلى رصده في موضعه[3].

27- ومن منهجه أنه يقدِّم لغة أهل الحجاز وينتصر لها؛ يظهر ذلك في توجيهه لقوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯗ ﯙ ﯚ ﭙ ﭙ □□ ﭼ [الإسراء: ٣٥]، قال: "يُقرَأ بكسر القاف وضمِّها، وهما لغتان فصيحتان والضم أكثر لأنه لغة أهل الحجاز"[4].

28- لا يهتمُّ بالتفسير وأسباب النزول إلا ما جاء منها عرضاً[5].

29- يسوق الشواهد في أغلب الأحيان ويحتجُّ بها، لكنه لا يحفَل بإعرابها إلا في القليل النادر؛ وذلك نحو:

يا ربَّ سارٍ بات لن يُوسَّدا   تحت ذراع العنْسِ أو كفِّ اليدا

في هذا البيت تعرض لإعراب مواضع منه، مفسرا بعض كلماته[6].

30- ابن خالويه يحتجُّ برسم المصحف ويأخذ به[7].

31- لا يفوت الإمام أبا عبد الله أن يستشهد بالأحاديث النبوية في عدَّة مواضع من كتابه[8].

32- يتميز بشخصية متزنة معتدلة، متحرر النزعة، غير متعصب للبصريين ولا للكوفيين، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح[9] -وهو الأغلب- ، أو يرجح بدليل[10]، وقد ينفرد بآراء خاصة[1].

---

[1] المصدر نفسه، مثلا: ص302، 244، 245

[2] المصدر نفسه، مثلا: 294، 369، 318.

[3] المصدر نفسه، مثلا: ص70، 143، 281.

[4] المصدر نفسه، ص217.

[5] المصدر نفسه، مثلا: ص87، 237، 277، 278، 320.

[6] المصدر نفسه، ص204-205.

[7] المصدر نفسه، ص 72، 77، 243.

[8] المصدر السابق، ص53، 57، 64، 118.

[9] المصدر نفسه، ص80، 84، 118، 133، 140، 144، 249، 279، 294.

[10] المصدر نفسه، ص96.

ولعل هذا الملمح المتميز في الإمام جلب انتباه المستشرق برجستراسر، والذي يقول عنه: "في حلب أخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة، ونهج فيها منهجا جديدا، لأنه لم يتبع طريقة الكوفيين، ولا طريقة البصريين، ولكنه اختار من كليهما ما كان أحلى وأحسن"[2].

33- الاستدلال والاستئناس بالقراءات الشاذة، خصوصا قراءتي أبي وعبد الله بن مسعود[3].

الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين الحجتين

من خلال تتبّع كلا الكتابين وتأمُّل محتواهما نلاحظ أنهما اتفقا في كثير من الأمور، واختلفا في جملة منها أيضاً.

أولا: أوجه الاتفاق

من الأوجه التي اتفقا فيها ما يأتي:

ز- من حيث التسمية والموضوع:

يتحد الكتابان في موضوع البحث وهو توجيه القراءات السبع والاحتجاج لها، ويتفقان إلى حدٍّ كبير في تسمية كتابيهما، خصوصا إذا راعينا الخلاف في تسمية حجة أبي علي[4].

س- من حيث وضعُهما للمقدّمات:

نجد أن الإمامين اتفقا في وضع مقدّمات لكتابيهما تضمنت مجمل ما حواه كل كتاب وغرض المؤلف وطريقته فيه.

ش- من حيث استخدام العلة والقياس:

يشترك الكتابان في اللغة المنطقية[5] التي تؤمن بالقياس وتجري وراء العلة؛ وهذا عائد إلى التكوين العلمي للإمامين، فقد كانا -كما أشرنا سابقا[6]- في عصر مناسب

---

[1] المصدر نفسه، ص314- 315، 342.

[2] مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي -القاهرة، د.ط، د.ت، ص7.

[3] المصدر السابق، ص147، 217، 218، 238، 271.

[4] انظر: ص 37 من هذا البحث.

[5] يستخدم الإمامان كثيرا عبارة "فإن قيل... يقال له، أو قلنا"؛ ويُسمَّى أسلوب الفنقلة. تظهر هذه اللغة والتعليل المنطقيين في كتاب أبي علي أكثر، وهذا راجع إلى توسع المصنف وإطالته فيه.

[6] لنظر: ص 52 من هذا البحث.

وبيئة خصبة لدراسة المنطق الأرسطي، واستخدام أساليب الجدل والمحاججة العقلية وأدوات القياس والتعليل.

ص- من حيث الاختيار والترجيح:

لا يكتفي الإمامان بتحرير الخُلف بين القراء والاحتجاج له، بل يعمَدان إلى اختيار بعض الأوجه في حروف الخلاف[1]، وإن اختلفا في الأساس المعتمد لهذا الاختيار والترجيح. .

ض- من حيث عدم إيرادهما للخاتمة:

إن المتصفِّح للكتابين يجد خلوَّهما من خاتمة موجزة.

ثانيا: أوجه الاختلاف

وأما عن أوجه الفرق بين الكتابين فظاهرة في اختلاف المنهجين وتباين الطريقتين، من ذلك:

ذ- من حيث نسبة الكتابين إلى الآخر:

يجدر التنبيه إلى أن كتاب الحجة المنسوب لابن خالويه لا يمثل أحد المختصرات لحجة أبي علي[2]؛ فهناك من يدَّعي أنَّ ابن خالويه لم تُذكر في ترجمته أن له كتابَ الحجة، وما هذا الأخير إلا لمؤلِّف مجهول حاول اختصار حجة أبي علي[3].

ر- من حيث الإيجازُ وعدمُه:

إن أبا علي في حجته –على أهميته- كثير الاستطراد، حتى تجاوز[4] فيه –كما يقول تلميذه- قدر الحاجة إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء[5] والقراء، وهو مع هذا يغوص يغوص إلى الأعماق، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع متابعته والصبر عليه للوصول إلى الهدف المنشود، فكثرة الاستطرادات وزخم التعليلات قد تحول بينه وبين ما يريد، وهذا المنهج الذي سلكه أبو علي يحيل في تقديري –على حدِّ قول

---

[1] يبدو أن الاختيار والترجيح عند الفارسي أكثر استعمالا بمقارنته بابن خالويه.

[2] المتأمل يجد البون شاسعا، إن في منهج الكتابين عموما، أو في منهجهما عن المقدمتين، أو طريقة التحليل واستخدام الألفاظ والأفكار وغير ذلك مما سأشير إليه.

[3] انظر تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق الحجة لابن خالويه، ص52 وما بعدها.

[4] الكتاب يقع في أربعة أجزاء. أما حجة ابن خالويه في جزء واحد لا يتعدى 416 صفحة.

[5] مقدمة المحتسب لابن جني، ص34.

تلميذه عنه- إلى خلوِّ سربه، وسروح فكره، وفروده[1]، وانبتات علائق الهموم عن قلبه[2] وصفاء ذهنه.

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي لا تناله إلا القلة التي تسلحت بأدوات القياس والتعليل المنطقيين؛ ولذلك لم يلق التقدير اللائق للجهد المبذول فيه، حتى قال فيه تلميذه ما قال من إجفائه وتجاوز قدر الحاجة فيه، وأضاف في موضع آخر: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل في كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله، حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية، فضلا عن القراء وأجفاهم عنه"[3].

وأما ابن خالويه فقد نهج في كتابه نهجاً آخر، نهجاً يقوم على الرواية والسماع؛ إذ اللغة ليست في تقديره تؤخذ من المنطق، أو تقوم على الأقيسة[4] كما كان يفعل أبو علي.

ولعل ابن خالويه أحس بذلك الإغماض والتعقيد في كتاب أبي علي، فنحا نحو الاختصار في أسلوب سهل جزل، ينتفع به الناس ويفيدون منه؛ وهذا واضح في مقدِّمته: "قاصداً قصد الإبانة في اختصار من غير إطالة ولا إكثار... جامعاً ذلك بلفظ جزل، ومقال واضح سهل، ليقرب على مريده، وليسهل على مستفيده"[5].

ز- من حيث عزو القراءة إلى أصحابها:

سبق وأن رأينا عدم اهتمام ابن خالويه بنسبة القراءة وعزوها إلى الناقلة إلا في القليل النادر، أما أبو علي فلم يتخلَّف ولو لمرَّة عن مسلكه في عزو القراءة إلى أصحابها، كلما مر على حرف من حروف الخلاف.

س- من حيث تسميةُ بعض السور[6]:

بخصوص أسماء السور فإن بعضها تسمى بأسماء عدّة، وهذا معلوم لدى المطَّلِع على كتب القراءات القدامى المحققين وعلى كتب التفسير وعلوم القرآن.

---

[1] أي تفرُّده وانفراده، فأبو علي لم يكن له أهل ولم ينشغل بالولد.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 1/ 236.

[4] مقدمة الحجة لابن خالويه، ص30.

[5] المصدر السابق، ص62.

[6] وافق أبو علي رحمه الله شيخه ابن مجاهد في الكثير من أسماء السور، مثل سورة سليمان عليه السلام، وسورة الملائكة، وسورة المؤمن وغيرها.

ولقد اتفق الإمامان[1] في تسمية بعض السور واختلفا في بعض؛ ومما اختلفا في تسميتها مثل:

سورة "**النّمل**"، ويسميها أبو علي سورة "**سليمان عليه السلام**"[2]، ويسميها ابن خالويه باسمها[3]، وسورة "**فاطر**" يسميها أبو علي سورة "**الملآئكة**"، وسورة "**غافر**" يسمياها سورة "**المؤمن**"، وسورة "**فصِّلت**" يسمياها أيضا سورة "**السّجدة**"، وسورة "**المعارج**" يسميها ابن خالويه سورة " **السائل**"[4] ويسميها أبو أبو علي "**سأل سائل**"[5]، وسورة "**التكوير**" يسميها أبو علي سورة "**إذا الشمس الشمس كورت**"[6]، وسورة "**الانفطار**" يسميها أبو علي سورة "**إذا السماء انفطرت**"[7] إلى غير ذلك من اختلافهما في أسماء السور.

المطلب الثالث: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "المحتسب" لابن جني

يتناول هذا المطلب أبا الفتح بن جني أحدَ تلامذة أبي عليّ، ومؤلَّفَه "المحتسب" وأوجه المقارنة بينه وبين كتاب "الحجة" لأبي علي موضوعِ البحث. وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول: التعريف بأبي الفتح بن جني

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي الأزدي بالولاء النحوي المشهور، كان أبوه جني مملوكا روميا يونانيا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي وزير شرف الدولة قراوش ملك العرب وصاحب الموصل.

---

[1] اتفقا في تسمية سورة الإسراء بسورة "بني إسرائيل"، وفصلت بسورة "السجدة"، وغافر بسورة "المؤمن"، "والشورى" بـ "عسق"، والنبأ بسورة "عمّ يتساءلون".

[2] الحجة، الفارسي، 3/ 228.

[3] الحجة، ابن خالويه، ص269.

[4] المصدر نفسه، ص352.

[5] الحجة، الفارسي، 4/ 61.

[6] المصدر نفسه، 4/ 61.

[7] المصدر نفسه، 4/ 102.

وجنيٍّ بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء، وليس منسوباً. ومعناه في العربية: فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري ومخلص[1].

كان إماما في علم العربية. قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل ثم ترك حلقته وتبعه ولازمه في السفر والحضر حتى تمهَّر.

كانت ولادة ابن جني قبل 330هـ بالموصل، وفيها نشأ، وإليها يُنسب.

ويبدو أن أبا الفتح كان يعاني مع أسرته من هموم الحياة وتصاريفها. قال في خطبة المحتسب بعد ذكره لما كان عليه شيخُه أبو علي "من خلو سربه، وانبتات علائق الهموم عن قلبه" قال: "ولعل الخطرة الواحدة تخرق بفكري أقصى الحجب المتراخية عني في جميع الشتات من أمري، ودَمْل العوارض الجائحة لأحوالي، وأشكر الله ولا أشكوه، وأسأله توفيقا لما يرضيه"[2].

ولابن جني من التصانيف المفيدة في النحو كتاب: الخصائص، وسر الصناعة، والتلقين في النحو، والتعاقب، والكافي في شرح القوافي للأخفش، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والتمام في شرح شعر الهذليين[3]، والمنهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة، ومختصر في العروض، ومختصر في القوافي، والمسائل الخاطريات، والتذكرة الأصبهانية، ومختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها، والمقتضب في المعتل العين، واللمع، وغير ذلك.

توفي أبو الفتح يوم الجمعة سنة: 392هـ ببغداد رحمه الله تعالى[4].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات

كتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" للإمام أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ، ألفه أبو الفتح وقد علت به السن وأشرف على نهاية العمر، قال الشريف الرضي: "كان شيخنا أبو الفتح النحوي عمل في آخر عمره كتابا يشمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ"[5]. وقال أبو الفتح في مقدمة المحتسب: "وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك

---

[1] يقال: هات جناة من جناك، وهذه شجرة طيبة الجناة. أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (ج ن ي). وجنى النبات إذا كثر والتف، والنخلة مجنونة إذا طالت. لسان العرب، 13/ 100. كما يطلق الجنى على الذهب. لسان العرب، مادة: (جني)، 14/ 153.

[2] المحتسب، ص34.

[3] كتاب التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري تم نشره في بغداد، سنة 1381هـ/ 1962م. أنظر مقدمة المحتسب، 1/ 07.

[4] البداية والنهاية، 11/ 331، سير أعلام النبلاء، 17/ 17 وما بعدها، شذرات الذهب، 2/ 140- 141، وفيات الأعيان، 3/ 246- 248.

[5] حقائق التأويل، 5/ 231.

بنا، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا، فإذا انقضت علائق مددنا، واستُوفي ما في الصحف المحفوظة لديك من عدِّ أنفاسنا، واستؤنفت أحوال الدار الآخرة بنا فاقلبنا إلى كنز جنتك التي لم تُخلق إلا لمن وسع ظلُّ رحمتك"[1].

وهذا كلام قلَّما يقوله إلا امرؤ غلب عليه التفكر في الآخرة، يشعر بدنوّ ساعته ويحب أن يتزوَّد لها. ولعل ذلك ما يفسِّر تسمية كتابه بالمحتسب؛ فاختار أن يدل [2]باسمه على الغرض الذي يريده به، لا على الموضوع الذي يريده عليه.

جاء في كشف الظنون أن كتاب ابن جني هذا عنوانه: المحتسب في إعراب الشواذ[3]، وهو شرح لكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، ولهذا الأخير كتاب المحتسب في شرح الشواذ، وابن جني نفسه ذكره واعتمده كمصدر[4] من مصادر كتابه.

وقد طُبع كتاب المحتسب في كتاب بتحقيق الباحثين: علي النّجدي ناصف، وعبد الحليم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي بجمهورية مصر العربية –القاهرة، عام 1415هـ- 1415م، وهي الطبعة الوحيدة التي وقفت عليها واعتمدت عليها في بحثي، وهي تقع في جزأين يحوي الجزء الأول 392 صفحة والجزء الثاني 544 صفحة.

بعد أن ألف الفارسي كتابه "الحجة" بدا له أن يؤلف كتابا مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة، يقول تلميذه ابن جني في ذلك: "قد كان وقتا حدَّث نفسه بعمله، وهمَّ أن يضع يده فيه ويبدأ به، فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه، وحالت كبواته بينه وبينه".

من أجل ذلك تجرَّد ابن جني لذلك وانبرى للقراءات الشاذة ينوب عن شيخه في الاحتجاج لها، ويؤدِّي حقها عليه، وقد كانت قبل ذلك داعية الاحتجاج للشاذِّ لازمة له؛ إذ على الرُّغم من خروجه –الشاذ- عن القراء السبعة فهو نازع بالثقة إلى قرائه، مساو في قوة الفصاحة للمجتمَع عليه، يقول: "... لكن غرضُنا منه أن نُري وجه قوة ما يسمَّى الآن شاذًّا، وأنه ضارب في صحَّة الرواية بِجِرانه،

---

[1] مقدمة المحتسب، 1/ 31.

[2] المصدر نفسه، 1/ 33.

[3] كشف الظنون، حاجي خليفة، 2/ 1612.

[4] سيأتي الحديث عن مصادره المكتوبة والمسموعة قريبا.

آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مُرئً[1] أن العدول عنه إنما هو غضٌّ منه أو تهمة له"[2].

ويقول في موضع آخر يبين رأيه في الشاذ ومكانه عند الله: "... إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كلَّ جائز رواية ودراية، فإنَّا نعتقد قوَّة هذا المسمَّى شاذًّا، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبُّله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضي من القول لديه"[3].

ومما زاد من حماسة أبي الفتح ورغبته في الاحتجاج له أنَّ أحداً من أصحابه لم يتقدَّم للاحتجاج له على النَّحو الذي يريد. قال: "فإذا كانت هذه حاله عند الله ... وكان من مَضى من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتاباً فيه، ولا أوْلَوه طرفا من القول عليه، وإنما ذكروه مرويا مسلَّما، مجموعا أو متفرِّقاً، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقنِع فيه. فأمَّا أن يفردوا له كتاباً مقصوراً عليه ... فلا نعلمه –حسُن[4]، بل وجب التوجُّه إليه، والتشاغل بعمله، وبسط القول على غامضه ومشكَله"[5].

تناول المصنِّف في محتسبه وجوه شواذ القراءات من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، غير أنه لم يستوعب كافة القراءات الشاذة عن السبعة؛ إذ ليس موضوعا لذلك، وإنما "الغرض منه إبانة ما لطفت صفته، وأُغرِبت طريقتُه... وغُمِض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعوَّل عليه، المولى جهة الاشتغال به"[6].

صدَّره المحققون بمقدمة عامة تحدَّثوا فيها –باختصار– عن حياة المصنِّف الاجتماعية والعلمية عموما، ولمحة موجزة عن الاحتجاج للقراءات، ثم دلفوا إلى تقديم كتاب المحتسب، فأشاروا إلى منهجه ومصادره فيه وختموا بذكر النسختين المعتمدتين في التوثيق والتحقيق.

الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين كتاب الحجة والمحتسب

من خلال تتبّع كلا الكتابين وتأمُّل محتواهما نلاحظ أنهما اتفقا في كثير من الأمور، واختلفا في جملة منها أيضاً.

أولا: أوجه الاتفاق

---

[1] لئلا يمتري ظان أو شاك.

[2] مقدمة المحتسب، 32- 33.

[3] المصدر نفسه، ص33.

[4] جواب الشرط غير الجازم: فإذا كانت هذه حاله عند الله (السابق).

[5] المصدر السابق، ص34.

[6] المصدر نفسه، ص35.

وهي كثيرة؛ فمنهج المحتسب كمنهج الحجة، لا يكاد يخالفه إلا بقدر ما تتطلبه طبيعة الموضوع، ويمكن عدُّ بعضها في الآتي:

ت- من حيث وضعُهما للمقدّمات:

نجد أن الإمامين اتفقا في وضع مقدّمات لكتابيهما تضمنت مجمل ما حواه كل كتاب وغرض المؤلف وطريقته فيه.

ت- من حيث العزو والإسناد:

لم يتخلف أبو الفتح رحمه الله في عزو القراءة وإسنادها إلى أصحابها بعد عرضها، تماماً كما يفعل شيخه أبو علي رحمه الله.

ب- من حيث الاستشهادُ وطريقتهُ فيه:

إذا تأمَّلنا الكتابين وجدنا بينهما توافقاً كبيراً في منهجيَّة الاحتجاج للقراءة؛ فكلاهما يرجع في أمر حرف الخلاف إلى اللغة، ويلتمس لها شاهداً فيرويه، أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردُّها إليها ويؤنسُها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه في قصد وإجمال أو غير ذلك.

ت- من حيث الاختيار والترجيح وإيراد الآراء :

يزخر الكتابان باختيار بعض الوجوه وترجيحها على غيرها، كما حفل الإمامان بتسجيل آرائهما اللغوية والنحوية والدلالية والصوتية[1] ومخالفتهما لغيرهما[2] والتي تدل على غزارة العلم وتمكنه.

ث- من حيث استخدام القياس والاستنباط:

سبقت الإشارة إلى ولع أبي علي بالقياس وإيمانه بالعلة، وهاهو تلميذه أبو الفتح يسير على خطاه ويتبع نهجه، فيستخدم أساليب القياس شأنه في ذلك شأن أستاذه، كما يمتاز ببراعة الاستنباط وصحته؛ وليس هذا بكثير على أبي الفتح، ولا هو مما يتعاظمه، فذلك دأبه في كتبه، ثم هو بعد هذا قد ألف المحتسب في آخر حياته كما سبق، حين استفاضت تجاربه ونضجت معارفه واستحصدت ملكاته[3].

ث- من حيث عدم إيرادهما للخاتمة:

لا يقف المتصفِّح للكتابين على خاتمة موجزة.

---

[1] انظر مثلا: المحتسب، 1/ 68، 71، 80، 81، 83، 265، 270، 290 وَ 2/ 4، 5-6 وغيرها. أما عن آراء الفارسي وبحوثه فستأتي إن شاء الله في حينها.

[2] انظر –على سبيل المثال- مخالفته: لابن مجاهد: المحتسب، 1/ 125، 130، 266، وللفراء: المصدر نفسه،293/1، ولسيبويه: المصدر نفسه، 110/1، 299 وغيرها.

[3] المصدر نفسه، 1/ 69، 80، 267، 268، 270، 302، 304 وغيرها.

ثانيا: أوجه الاختلاف

هناك بعض أوجه الفرق بين الكتابين، من ذلك:

ذ- من حيث الموضوع:

يختلف الكتابان –كما هو واضح- في موضوع البحث، فكتاب الحجة لأبي علي في توجيه القراءات السبعة، وأما كتاب أبي الفتح فهو توجيه القراءات الخارجة عن السبعة الشاذة والإيضاح عنها. والحقيقة أن المؤلّفَين يشكلان تكاملا معرفيا مهمّاً في توجيه القراءات والاحتجاج لها، خصوصا أن أبا علي همَّ بما قام به –بعد ذلك- تلميذه أبو الفتح لولا صروف الدهر وخوالج الأيَّام.

ر- من حيث الإيجازُ وعدمُه:

إن أكثر ما يميز كتاب المحتسب عزوفه عن الإسهاب في الاستشهاد[1] والإمعان في الاستطراد، فنراه في مقدِّمة كتابه يفضل كتاب أبي حاتم السجستاني[2] في الشواذ على كتاب قطرب[3]، "من حيث كان كتاب أبي حاتم[4] مقصوراً على ذكر القراءات، عاريا من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انحطَّ قطرب[5] فيها وتناهى إلى متباعد غاياتها"[6]. بعكس الحال عند أبي علي –كما رأينا- فقد يصدق عليه في حجته – على حدِّ وصف ابن جني- ما يصدق على كتاب قطرب من الاستطراد والتعمُّق.

---

[1] على أن أبا الفتح رحمه الله لم يلتزم الاقتصاد في الاستشهاد في كل مقام، ولاسيما حين تكون القراءة غريبة، يدعو ظاهرها إلى التناكر لها والتعجب منها. فقد استشهد في قراءة "اهدنا صراطا مستقيما" المحتسب، 1/ 41- 43، بعشرة شواهد، واحتج لقراءة "ولا أدرأتكم به" فأطال، ثم ختمه بقوله: "وهذا وإن طالت الصنعة فيه أمثل من أن تُعطى اليد بفساده. 1/ 309- 312.

[2] هو: سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد، إمام البصرة في اللغة والنحو والقراءة والعروض. قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي وغيره وأخذ العربية عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، صنف التصانيف. يقول ابن الجزري: "وأحسبه أول من صنف في القراءات". توفي ستة 255هـ، ويقال سنة: 250هـ. غاية النهاية، ابن الجزري، 1/ 289، ومعرفة القراء الكبار، الذهبي، 1/ 219- 220 والفهرست، ابن النديم، ص87.

[3] هو: أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب، أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، كان يلازم سيبويه ويبكر إليه، فإذا خرج صباحا وجده على بابه. فقال له مرة: ما أنت إلا قطرب ليل وهو دويبة دائبة السعي. وله من التصانف كتاب معاني القرآن، وكتاب الإشتقاق، وكتاب القوافي، وكتاب النوادر، وكتاب الأزمنة، وكتاب الفرق، وكتاب الأصوات، وكتاب الصفات، وكتاب العلل في النحو، وكتاب الأضداد وغيرها. مات سنة 206هـ. بغية الوعاة، 104، وفيات الأعيان، 4/ 312 وما بعدها.

[4] لأبي حاتم تصانيف كثيرة، ولعل الكتاب المقصود هنا كتاب القراءات لأبي حاتم. الفهرست، ابن النديم، 1/ 87.

[5] أعتقد أن كتاب قطرب المقصود هنا، هو كتاب إعراب القرآن. الفهرست، 1/ 78.

[6] مقدمة المحتسب، 1/ 36.

ز- من حيث إيراد الأحاديث النبوية والأمثال العربية

عمِد كلٌّ من أبي علي وأبي الفتح رحمهما الله إلى إيراد الأحاديث الشريفة والأمثال العربية وكلام البلغاء والاستئناس بها، ولكن نسبة إيرادها عند أبي الفتح أقل مقارنة بأبي علي.

س- من حيث ذكرُ مصادر الكتاب وعدمُه:

لعلّ من أهم نقاط الفرق بين المصنَّفين تصريح أبي الفتح رحمه الله في مقدمة "المحتسب" بمصادره فيه، وهي كما يقول نوعان: كتب يأخذ منها، وروايات صحَّ لديه الأخذ بها. فأما الكتب فهي:

كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة، وكتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، وكتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب، وكتاب المعاني للزجاج وكتاب المعاني للفراء[1].

وأما ما صح عنده الأخذ به مما يرويه عن غيره، فيقول عنه: "لا نألو فيه ما نقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحرِّي الصحة في روايته"[2].

وقد نقل عن طائفة من العلماء ورواة اللغة واستشهد بشواهدهم؛ مثل الكسائي، وابن مجاهد، وسيويه، وأبي علي وغيرهم[3].

أما أبو علي وإن تعرض ضمنا لبعض الأئمة وأعلام النحو والقراءة، واستشهد بشواهدهم، واستأنس بأقوالهم وخالف بعضهم فإنه لم يحفل بذكر المصادر[4] التي اعتمدها في "حجته".

---

[1] مقدمة المحتسب، 1/ 35.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 1/ 35- 36.

[4] ذكر أبو علي فقط في مقدمة مصنفه –كما سبق بيانه– عمل محمد بن أبي بكر السري، وأنه لم يتم ما ألزم به نفسه، ولم يذكر غيره إلا ما جاء في ثنايا حجته ضمنا.

المطلب الأول: مظاهر تأثر الفارسي بالأخفش الأوسط وأسبابه

لا يخفى تأثر اللاحق بالسابق وإفادته منه، وأبو علي رحمه الله واحدٌ من هؤلاء الذين تأثّروا بمن سبقه، ومن هؤلاء شيخه الأخفش الأوسط. وهذا ما سأتكلم عنه في الآتي:

الفرع الأول: مظاهر تأثر الفارسي بأبي الحسن الأخفش

يعتبر أبو الحسن الأخفش -الأخفش الأوسط- أحد أئمة النحو الذين أخذ عنهم أبو علي وأعجب بشخصيتهم وتأثر بآرائهم.

ويبدو هذا التأثر واضحاً جليّاً من خلال تصفحنا لكتاب "الحجة"؛ إذ كثُر فيه ذكرُه لأبي الحسن ونقلُه لأقواله وآرائه في كثير من المواضع.

ويمكن إبراز مدى هذا التأثر في الخصائص الآتية:

أولا: الرواية عنه

سبقت الإشارة في ترجمة أبي علي إلى أنه أخذ عن الأخفش الأوسط وروى عنه.

وهذه الخصيصة تكفي في صقل شخصية أبي علي وتكوينها بشكل كبير؛ ذلك أنه من المعلوم أن الرواية تحتاج إلى الصّحبة الدائمة والاختلاف المتواصل إلى الراوي والأخذ من أدبه قبل علمه. من ذلك قوله في معرض توجيه وإعراب ﭽ ﭑ ﭽ [البقرة: ٣]

"... هذا لفظ أحمد بن يحيى[1]، واستثبت أبا الحسن في ذلك فأثبته وصحّحه"[2].

وهذا يدل على لزوم أبي علي لأبي الحسن واختلافه إليه في كل مرة. وأبو علي يروي كتاب الأخفش "معاني القرآن" عن أبي عبد الله اليزيدي[3] عن عمّه عبيد الله اليزيدي[4] عن الأخفش[1]،

---

[1] هو الإمام النحوي ثعلب المشهور، تقدمت ترجمته ص26.

[2] الحجة، 1/ 160.

[3] هو: أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي النحوي، كان إماما في النحو، والقراءات، والأدب، ونقل النوادر وكلام العرب. أخذ عن عمه عُبيد الله وعن أبي العباس ثعلب وأبي الفضل الرياشي. وروى عنه أبو بكر الصولي، وأبو عبيد الله العسكريّ، وعمر بن سيف وغيرهم. له تصانيف منها: كتاب الخيل، وكتاب مناقب بني العباس، وكتاب أخبار اليزيديين وله مختصر في النحو. توفي سنة: 310هـ. أنظر: نزهة الألباء، ص215، الفهرست، 1/ 75، وفيات الأعيان، 4/ 337- 338.

[4] هو: عبيد الله بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك أبو القاسم، ابن اليزيدي العدوي البغدادي شيخ مشهور، روى القراءة عن عمه إبراهيم بن أبي محمد، وعن أخيه أحمد بن محمد. روى القراءة عنه أحمد بن جعفر بن المنادى، وأبو بكر بن مجاهد، وأحمد بن عثمان بن يحيى الآدمي، ومحمد بن يعقوب المعدل وغيرهم. توفي سنة: 284هـ. غاية النهاية، 438/1.

ويروي معاني الزجاج عن ابن مجاهد[2]، بل هو مشارك في التأليف فيه، وكتابه الإغفال في إصلاح ما أغفله أبو إسحاق في كتاب معاني القرآن غير بعيد منه. وكتابنا "الحجة" فيما عرض له من أعاريب وما نبّه عليه من دقائق معاني القرآن يمكن أن يُعَدّ في كتب معاني القرآن وأعاريبه.

كما أن الإجماع منعقد على أن الأخفش هو الطريق إلى كتاب سيبويه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا وعرضه عليَّ. ولم يقرأ الكتاب على سيبويه أحدٌ، ولم يقرأه سيبويه على أحد، ومن ثم قرأه على أبي الحسن بعد موت سيبويه الجرميّ[3] والمازنيّ[4]، ومن طريقهما ذاع الكتاب في الناس[5].

هذا، وقد أسند أبو علي –كما تقدَّم– روايته لمعاني الأخفش إلى أبي عبد الله اليزيدي عن عمِّه أبي جعفر اليزيدي[6] عن الأخفش[7]، وصرَّح باسم كتابه مرتين في "الحجة": مرة وصفه بكتاب أبي الحسن في القرآن[8] ومرة أسماه كتاب أبي الحسن في المعاني[9].

ثانيا: الإفادة الكثيرة من أقواله

---

[1] انظر: الحجة، 1/ 35.

[2] انظر: الإغفال: المسائل المصلحة من كتاب "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزجاج، أبو علي الفارسي، ت: محمود محمد الطنَّاحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1992م، 1/ 38.

[3] هو: أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي –بفتح الجيم– النحوي، كان فقيها عالما بالنحو واللغة، وهو من البصرة. قدم بغداد وأخذ النحو عن الأخفش وغيره، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي وطبقتهم. له في النحو: كتاب جيد يعرف بـ "الفرخ"؛ معناه: فرخ كتاب سيبويه، وناظر ببغداد الفراء، وكان عالما باللغة حافظا لها وله كتب انفرد بها. له كتاب في السير عجيب، وكتاب الأبنية، وكتاب العروض، ومختصر في النحو وكتاب غريب سيبويه. كانت وفاته سنة 225هـ. تاريخ بغداد، 9/ 313، شذرات الذهب، 57/1، وفيات الأعيان، 2/ 485- 486.

[4] هو: أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان وقيل بقية المازني البصري النحوي كان إمام عصره في النحو والأدب أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم وأخذ عنهم عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة وله من التصانيف كتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الألف واللام وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج على خلاف كتاب أبي عبيدة. توفي سنة 249، وقيل: سنة: 248هـ بالبصرة. إنباه الرواة، 1/ 281- 282، وفيات الأعيان، 1/ 283- 286.

[5] انظر: إنباه الرواة، 2/ 39، بغية الوعاة، 1/ 590 ومعجم الأدباء، 3/ 1374.

[6] هو: إبراهيم بن يحيى بن المبارك أبو إسحاق بن أبي محمد اليزيدي البغدادي ويكنى أيضاً بأبي جعفر، ضابط شهير نحوي لغوي، قرأ على أبيه، وروى القراءة عنه ابنا أخيه العباس بن محمد وعبيد الله بن محمد شيخ ابن مجاهد، له مؤلفات كثيرة، منها: "كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه"، و"كتاب مصادر القرآن" مات قبل تكميله. غاية النهاية، 32/1 وتاريخ بغداد، 6/ 209.

[7] الحجة، 1/ 35.

[8] المصدر السابق، 1/ 225.

[9] المصدر نفسه، 1/ 228.

بالرُّغم مما تمتاز به "الحجة" لأبي علي من مادة علمية مهمة، إلا أن كبير الفضل في ذلك يعود لشيخه أبي الحسن؛ ذلك أن المتصفح لكتاب "الحجة" يجد اسم أبي الحسن يتردد فيه بشكل ملفت للانتباه ولا يكاد يغيب، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على توثيق أبي علي له، إذ لا يفتأ يذكر اسمه ويستشهد لمذهبه ويقويه عند كل مسألة يناقشها. ومن ذلك ما يأتي تمثيلا لا حصراً:

ج- في الصفحات الأولى من الكتاب نجد أبا علي في الاحتجاج لقوله تعالى: ملك يقول: "قال أبو علي [الحسن بن أحمد بن عبد الغفار رضي الله عنه] قال أبو الحسن الأخفش فيما روى محمد بن العباس عن عمه عنه: يقال: مِلِك بيِّن المِلك، الميم مضمومة..."[1].

ح- وفي موضع آخر في الاحتجاج لقوله تعالى شواظ من نار. قال أبو علي: "الشِّواظ والشُّواظ لغتان زعموا. قال أبو الحسن: أهل مكة يكسرون الشواظ"[2].

وكثرة إيراده لأقواله توحي في بعض الأحيان أن الإمام أبا علي ينقل عنه فقط ولا يجاوزه إلى غيره[3]، حتى بلغت نقوله عن في معاني القرآن زُهاء مائة وخمسين موضعا؛ وهي نقول ثرّة في العربية والأعاريب واللغات والإنشاد، صرّح بعزو جلّ هذه النقول إليه وسكت عن عزو بعضها[4]. وهذا يدل يدل على إعظام أبي لكتاب الأخفش وإجلاله إياه، ومن لطيف ما يدل على ذلك: قوله لابن جني بحلب سنة 346هـ: "مالي صديق إلا وأشتهي أن يكون كتاب أبي الحسن في معاني القرآن عنده"[5].

وهذا النقل المتكرر يدل على تمكّن أبي علي من معاني القرآن وحفظه له، حتى أنه افتتح كلامه في الحجة بما اختتم به أبو الحسن معانيه، ناقلا كلامه[6] في "ملك" من قوله: ﭽ ﭼ [الناس: ٢]، ومُجريا له على قوله: ﭽ ﭼ [الفاتحة: ٤]، وأنه نقل كلامه في "هدي" من قوله: ﭽ ﭼ [الأعراف: ٤٣]، وأجراه على قوله: ﭽ ﭼ [البقرة: ٢]، وأضاف إليه ما حكاه أبو الحسن في آية البقرة من أنّ من العرب من يؤنثون الهدى[7].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 35.

[2] المصدر نفسه، 4/ 16.

[3] انظر مزيد ذلك مثلا: 1/ 228، 473، 474، 477، 478، 491، 498، 508، وَ 2/ 20، 22، 31، 38، 41، 51، 91 145، 174، 282 و 4/ 15، 16، 21، 43، 51، 52، 67، 112 وغيرها.

[4] قارن مثلا –على التوالي- بين: الحجة، 2/ 232، 254، 3/ 557- 58 وغيرها، و بين معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، ت: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1411هـ- 1990م، 1/ 320، 333، 2/ 422- 423 وغيرها.

[5] بقية الخاطريات، أبو الفتح بن جني، ت: محمد أحمد الدّالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، د.ت، ص44.

[6] معاني القرآن، 2/ 590.

[7] الحجة، 1/ 129- 131، معاني القرآن، الأخفش، 1/ 28، 1/ 325.

ففي كل هذا وغيره ترى أبا عليّ لا يكاد يِندُّ عنه شيء من كتاب أبي الحسن مما يتصل بالمقام الذي هو فيه.

ثالثا: تبني أقواله والدفاع عنها غالبا

لا يكتفي الفارسي بإيراد أقوال الأخفش في المسائل النحوية والتوجيهات اللغوية، بل يتبناها في كثير من الأحيان ولا يعقب عليها إلا في النادر القليل، بل يحمله الأمر في الغالب الأعمِّ إلى الدفاع عنها وتقوية اختياراته والاستشهاد لها. من ذلك:

7- قال أبو علي: "قال أبو الحسن: الأحسن في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل: دار آجرٍّ، وثوبُ خزٍّ. قال: و چ ج چچ [سبأ: ١٦] كثيرة وليست بالجيدة في العربية"[1]اهـ.

نلاحظ أبا علي رحمه الله في هذا الموضع لما ساق اختيار أبي الحسن رحمه الله لم يعقب ولم يزد على كلامه، بل اكتفى به وتبناه؛ إذ لو عنَّ له اعتراض أو بيان لأفصح، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة[2]، والأمثلة على ذلك كثيرة[3].

8- وأبو علي ينافح عن مذهب شيخه ويدافع عنه، قائلاً في توجيه "اللام" من قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ چ [قريش: ١]: "فقال أبو الحسن: چ ۀ ہ ہ چ [الفيل: ٥][4]، واعترض معترض فقال: إنما جُعلوا كعصف مأكول لبُعدهم، ولم يُجعَلوا كذلك لتأتلف قريش، وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه يجوز أن يكون المعنى: أهلكوا لكفرهم، ولما أدى إهلاكهم إلى أن

---

[1] المصدر السابق، 3/ 294.

[2] انظر: المعتمد، أبو الحسن محمد بن علي الطيب البصري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1403هـ، 1/ 257، الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة –بيروت، د.ط، د.ت، 3/ 344 وَ قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، 1/ 199.

[3] انظر على سبيل المثال في الحجة، 2/ 52، 282، 3/ 186، 265، 4/ 125 وغيرها.

[4] قال أبو الحسن: "أي: فَعَلَ ذلِكَ [لإيلاف قُرَيْشٍ] لتألّف، ثم أبدل فقال: [إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ] لأنها من (أَلَفَ)". معاني القرآن، الأخفش، 2/ 585.

تألف قريش، جاز ذلك، كقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃﮄ [القصص: ٨] وهم لم يلتقطوه لذلك"[1].

9- وفي موضع آخر يذكر أبو علي اختلاف النحويين في تخفيف الهمزة في ﭽ ﭾ.

فقال سيبويه[2]: تجعلها إذا خففتها بين بين، فتقول: [يستهزوون]، وهو مذهب الخليل. ويذهب أبو الحسن الأخفش[3] إلى قلب الهمزة قلبا صحيحا[4].

ومضى أبو علي منتصراً لمذهب إمامه، يطيل النفس في بيانه والردّ على من خطَّأه، موضحا: "وقال أبو الحسن في كتابه في القرآن[5]: من زعم أن الهمزة المضمومة لا تتبع الكسرة إذا خُففت دخل عليه أن يقول: هذا قارِوٌ، وهؤلاء قارِؤُون، ويتستهزِؤُون، قال: وليس هذا من كلام من خفف من العرب. قال أبو علي: وجه دخول هذا عليه ولزومه له عنده أن الهمزة إذا كانت مفتوحة وكان ما قبلها مفتوحاً جاز تخفيفها، فكذلك إذا كانت مكسورة وما قبلها مفتوح ..."، وراح أبو علي يفصِّل في المسألة، يفترض ويجيب في ستِّ صفحات كاملة، إلى أن قال: "... وأما ما ذكره محمد بن يزيد في هذه المسألة في كتاب المترجَم بالشرح من قوله: والأخفش لا يقول إلا كما يقول النحويون: هذا عبد بِيلك، ولكن يخالف في يستهزئون؛ فهذا الإطلاق يوهم أنه لا يفصل بين المتَّصل والمنفصل، وقد فصل أبو الحسن... فينبغي إذا كان كذلك ألا تُرسل الحكاية عنه حتى تُقيَّد..."[6].

ولعل دفاع أبي علي المستميت على آراء أبي الحسن حمل ابن جني على وصفه بأنه كاد يعبد أبا الحسن[7]، ومن يعود إلى نقوله عنه في معاني القرآن والقوافي وغيرهما مما عوّل عليها في تراثه يوشك أن يجاري ابن جني في مقالته هذه.

رابعا: مخالفته وردُّ أقواله

---

[1] الحجة، 4/ 148- 149.

[2] كتاب سيبويه، هذا باب الهمز، 3/ 541

[3] معاني القرآن، الأخفش، 1/ 49.

[4] الحجة، 1/ 223

[5] يقصد كتابه معاني القرآن. انظر مذهبه فيه: 1/ 49- 50.

[6] الحجة، 1/ 223- 228

[7] انظر: بقية الخاطريات، ص45.

إذا أردنا أن نستقصي مخالفات أبي عليّ لشيخه أبي الحسن فإننا لا نقف إلا على أمثلة قليلة منحسرة، ومع ذلك فإن أبا عليّ يفرض شخصيَّته ويعبِّر عن آرائه التي انتهى إليها اجتهاده، غير أن الذي يميِّزه هو أسلوبه المتأدِّب ومسلكه المتواضع اللذان غلبا على مناقشته ومخالفته له، فإذا عنَّ له أن يردَّ شيئا من كلام أبي الحسن ردَّه على استحياء دون أن يسمِّيه، من ذلك قوله:

"وليس قول من قال: إن هذه الواو إنما حركت بالضم –يعني تحريك الواو بالضمّ في نحو اشترُوا– لالتقاء الساكنين فيه كحركة الإعراب بمستقيم. ألا ترى أن الياء في اخشيِ القوم يا امرأة، فاعلة في المعنى، واتفقوا على تحريكها في الكسر!"[1].

يشبه أن يكون أبو عليّ يعني الأخفش ويردُّ عليه قوله: "وحركت الواو بالضم؛ لأنك لو قلت "اشترا الضلالة"، فألقيت الواو، لم تعرف أنه جمع. وإنما حركتها بالضم؛ لأن الحرف الذي ذهب من الكلمة مضموم، فصار يقوم مقامه"[2].

بل وربما آثر قوله في مسألة على قول سيبويه وقوَّاه[3].

ومع هذا فإن اقتدار أبي علي واضح لا يُنكر، وشخصيته قوية غير خفية؛ تظهر في كيفية التعامل مع هذه النُّقول الكثيرة وتحليلها والاحتجاج لها والاعتداد بها أو ردِّها، حسب ما يقتضيه المقام.

الفرع الثاني: أسباب تأثر الفارسي بالأخفش

يمكن التماسُ بعض أسباب تأثر أبي علي الاستثنائي بالأخفش في الآتي:

أولا: العقيدة

جاء في عقيدة أبي الحسن أنه معتزلي، يتعاطى الكلام والجدل ويقول بالعدل[4]؛ ويدل على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ [البقرة: ٢٥٧]، حيث قال: "يَحْكُم بأنَّهم كذاك، كما تقول: قَدْ أَخْرَجكم الله من ذا الأمر، ولم تكن فيه قط. وتقول: أَخْرَجَنِي فُلانٌ من الكِتْبَةِ، ولم تكن فيها قط. أي: لَمْ يجعَلْني من أهلها ولا فيها"[5]. ومعلوم أن المعتزلة يقولون بأن أفعال العبد

---

[1] المصدر السابق، 1/ 232.

[2] معاني القرآن، الأخفش، 1/ 50- 51.

[3] أنظر الحجة، 1/ 109، 134، 143 وغيرها. وانظر: معاني القرآن، الأخفش، على التوالي: 1/ 110- 111، 24، 28 وغيرها.

[4] إنباه الرواة، 2/ 39، وبغية الوعاة، 1/ 590.

[5] معاني القرآن، 1/ 196.

منسوبة إليه لا يصح إسنادها إلى الله[1]، وهذا ما يصرح به هذا النص، زد على ذلك أن مصطلح العدل والتوحيد مما يطلقه المعتزلة على أنفسهم[2]. وأبو علي إن لم نجزم باعتزاليته فإنَّ في الكتاب ما يشير إلى ذلك؛ إذ أشاع فيه من وصف الله تعالى بـ "القديم"، والقدم أخصّ وصف ذاته[3] عند المعتزلة.

ثانيا: تفردهما بكتاب سيبويه

فأبو الحسن –كما سبق– أوَّلُ من أقرأ الكتاب، والناس لا يعرفونه إلا من روايته، وقد عُلِّق عنه أشياء وأشعار وهو يُقرئ الكتاب ويتكلَّم عليه. وأبو عليّ في مدارسة الكتاب –على حدِّ وصف أبي حيَّان– أشدُّ تفرُّدا بالكتاب وانكباباً عليه، وله أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها، ولم يأْتلِ، ولكنه قعَد على الكتاب على النظم المعروف[4]، وله عليه تعليقة.

ثالثا: بعد النظر والإمعان في القياس

يمتاز الإمامان ببعد النظر في المسائل وتقديمهما للقياس؛ الأمر الذي جعلهما أحيانا، يفتيان في المسألة الواحدة بقولين مختلفين أو أكثر. فقد حكى أبو علي عن أبي إسحاق الزيادي[5] عنه في قولهم: زيد ذهب عمرو أخوه، وقد سأله –أي أبا الحسن– أبدلٌ هو أم صفة؟ فقال: ما أبالي أيهما قلت... وقال في هذه المسألة في بعض كتبه: "إن جعلتَ قولَك أخوه بدلا لم يجز، وإن جعلته صفة جاز"[6].

وذكر ابن جني أنا أبا الحسن كان ركّاباً لهذا الثَّبج[7] آخذا به، غير محتشِم منه، وأكثرُ كلامه في عامّة كتبه عليه، وروى ابن جني عن أبي عليّ: مذاهب أبي الحسن كثيرة[1].

---

[1] الملل والنحل، 1/ 45.

[2] المصدر السابق، 1/ 43.

[3] المصدر نفسه، 1/ 44.

[4] الإمتاع والمؤانسة، 96/1.

[5] هو: إبراهيم بن سفيان أبو إسحاق الزيادي، من أحفاد زياد بن أبيه، أديب، راوية، كان يُشبه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعانيه. له شعر، وله من الكتب "النقط والشكل"، "الأمثال"، "تنميق الأخبار"، "شرح نكت كتاب سيبويه"، "أسماء السحاب والرياح والأمطار" وغيرها. توفي سنة: 249هـ. الأعلام، 1/ 40، بغية الوعاة، ص08.

[6] الحجة، 1/ 109.

[7] الثبج: بمعنى عُبابَه ووسطه. جاء في المعاجم: يقال: ثبجُ كلِّ شيء؛ أي معظمه، ووسطه وأعلاه. والجمع: أثباج، وثبوج. لسان العرب، 2/ 219– 222، مختار الصحاح، الجوهري، 1/ 35.

وأبو عليّ قرين أبي الحسن في هذا الثبج، وهو يعرف هذا من نفسه؛ فقد روى عنه ابن جني أنه كان يقول في (هيهات): "أنا أفتي مرة بكونها اسماً سُمِّي به الفعل؛ كصه ومهْ، وأُفتي مرة أخرى بكونها ظرفاً، على قدْر ما يحضرني في الحال"[2].

ونحو ذلك من خِلاج الخاطر وتعادي المناظر كثير، حتى قال أبو علي عن نفسه: "أنا أعجب من هذا الخاطر في حضوره تارة ومغيبه أخرى"[3].

رابعا: الغموض

معلوم من أنَّ مسائل النحو في أغلبها عبارة عن قواعد وقوانين لا تحتاج إلى إغماض أو نحوه، إلاَّ أنَّه بالرُّغم من ذلك فإنَّ غموضاً كبيراً يكتنف الدرس النحوي عند أبي عليّ، ولعلَّ السِّرَّ في ذلك يتَّضح في محاورة الجاحظ أبا الحسن، قائلاً: "قلت لأبي الحسن: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلَّها، وما بالنا نفهم بعضها، ولا نفهم أكثرَها، وما بالك تُقدِّم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟ قال: أنا رجل لم أضَعْ كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتُها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلَّتْ حاجتُهم إليَّ فيها، وإنما كانت غايتي المنالةَ، فأنا أضعُ بعضها هذا الوضع المفهومَ لتدعوَهم حلاوةُ ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا"[4].

وأما أبو علي فقد تواترت الأخبار التي تصف أسلوبه بالإغماض والقلاقة، منها ما رواه الأنباري عن بعض أهل الأدب: "كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا، ومنهم من نفهم بعضَ كلامه ومنهم من نفهم جميع كلامه. فأما من لا نفهم شيئا فأبو الحسن الرُّمَّاني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسيّ وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي"[5].

وفي حديث أنس بن مالك أنه سمع حديث النبي ρمع أم حرام، وفيه : (يركبون ثبج هذا البحر) متفق عليه انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، رقم: 2636، 3/ 1027. أي: وسطه ومعظمه.

[1] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، د.ط، د.ت، 1/205-206.

[2] المصدر السابق ، 1/ 206.

[3] المصدر نفسه، 1/ 207.

[4] الحيوان، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلبي –القاهرة، د.ط، 1965م، 1/ 91- 92.

[5] نزهة الألباء، ص276- 277.

وقال ابن جني في بعض توجيهاته: "سألنا يوماً أبا عليّ عن بيت عديّ[1] فأخذ يتطلَّب له وجها ويتعسَّف فيه ... فأطال الطريق وأعْور المذهب"[2].

وقال ابن الشَّجْريّ[3]: "وقد ألغز أبو عليّ في كلامه هذا ... فاعرف ما ذكرتُه في هذا الفصل؛ فإنَّه في كلام أبي عليّ أغمض منه في كلام سيبويه"[4].

المطلب الثاني: مظاهر تأثر الفارسي بابن مجاهد وابن السراج والفراء

الفرع الأول: تأثر الفارسي بالإمام ابن مجاهد

يشكِّل الإمام أبو بكر بن مجاهد ركناً مميزاً بين جملة الأئمة، الذين برَّزوا الإمام أبا علي وصقلوا شخصيته في الساحة العلمية؛ يظهر ذلك في الآتي:

أولا: مورده وروايته عنه

معلوم أن أبا علي لازم ابن مجاهد وأخذ عنه القراءات، وأوحى إليه كتابه "السبعة في القراءات" إلى تأليف "الحجة في القراءات السبع" لشرح سبعة ابن مجاهد وتوجيه حروف الخلاف فيها

---

[1] هو: عدي بن زيد، ابن الخمار بن زيد بن أيوب العبادي التميمي النصراني، يكنى أبا عمرو. جاهلي من فحول الشعراء، وهو أحد الفحول الأربعة الذين هم: هو، وطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة بن عبدة، له أربع قصائد غرر روائع مبرَّزات، وله بعدهن شعر حسن. سير أعلام النبلاء، 5/ 110- 111، طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني –جدة، د.ط، د.ت، 1/ 137- 140.

[2] خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م، 8/ 510 والمحتسب، 1/ 34، 236.

[3] هو: ابن الشجري الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي من أهل الكرخ. كان إماما في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها صنف عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الأمالي وهو أكبر تواليفه وأكثرها إفادة، وجمع أيضا كتابا سماه الحماسة، ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي، وله في النحو عدة تصانيف، منها: ما اتفق لفظه واختلف معناه، وشرح اللمع لابن جني، وشرح التصريف الملوكي، وغيرها. ولد سنة: 450هـ، وتوفي سنة: 542هـ. نزهة الألباء، ص348، وفيات الأعيان، 6/ 45- 50.

[4] أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني العلوي، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1413هـ- 1992م، 2/ 57- 59.

وتعليلها، وإن لم يكن عليه من الفضل إلا هذا لكفاه، زد على ذلك عناية أبي علي في حجته بالرواية عن شيخه؛ إذ لا يفتأ يقول: "حدثنا ابن مجاهد..."[1].

ثانيا: اتباع منهجه

ذكرت –قبْلاً[2]– أن مصنَّفي الإمامين يتقاطعان في كثير من نقاط التوافق، خصوصا ما يتعلق بالمنهج العام، ويكاد ينحصر الفرق بينهما في كون كتاب ابن مجاهد يوشك أن يخلو –كليّاً– من توجيه القراءات وتعليلها إلا ما ذكره في سورة الفاتحة؛ قصد تقريب الفهم وخشية تثقيل الكتاب، وهذا ما صرّح به قائلا: "قال أبو بكر: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة –يعني الفاتحة– وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك"[3]. غير أن الذي نجزم به هو أن أبا علي اطلع على الكتاب؛ إذ هو موضوع الدراسة، فاستوعبه وتجاوزه بعمق الطرح وكثير الدراسة والتحليل والمناقشة.

الفرع الثاني: تأثر الفارسي بالإمام السَّرَّاج

يعتبر أبو بكر محمد بن السرِّي الملقب بالسراج، أحد أئمة الأدب والعربية الشارحين لكتاب سيويه، وأبو علي واحد من المتأثرين بشخصيته. ومن مظاهر ذلك التأثر ما يأتي:

أولا: الرواية عنه

تفيد كتب التراجم أن أبا علي أخذ عن ابن السراج وروى عنه، بل يذكر هو نفسه في "الحجة" أنه سبقه إلى هذا العمل إلا أنه لم يكمله، فلم يكن عمل أبي علي بعد هذا غيرَ وحي استوحاه من شيخه أبي بكر، وله عليه من الفضل ما مكنه أن يحقق ما طمح إليه شيخه قبله، ولا يخفى أثر الجلوس بين يدي الشيخ والسماع منه والرواية عنه من تأثير واضح في نفس الراوي والمتلقي، ودليل ذلك أنا أبا علي قال في "حجته": "وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا"[4].

ثانيا: نقل أقواله والإفادة منها

---

[1] المصدر نفسه. انظر على سبيل المثال: 1/ 205، 2/ 37، 46 وغيرها.

[2] انظر المقارنة بين حجة أبي علي وسبعة ابن مجاهد.

[3] السبعة لابن مجاهد، ص112.

[4] مقدمة الحجة، ص31.

اعتنى أبو علي رحمه الله –كما ذكر في المقدِّمة– بإسناد اجتهادات أبي بكر وأقواله إليه من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية الآية الثانية من سورة البقرة[1]، وأفاد منها كثيراً في توجيهاته واختياراته النحوية؛ من ذلك:

قوله في معرض الاحتجاج لقوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭽ [الفاتحة: ٧]:

"قال أبو بكر في الحجة في الجرِّ: إنهم قالوا ينخفض على ضربين: على البدل من الذين، ويستقيم أن يكون صفة للنكرة... قال: ويجوز عندي النصب أيضا على أعني ... قال: والاختيار الذي لا خفاء به الكسر". يستأنف أبو علي في نقل كلام شيخه جميعا وبيانه: "... قال أبو بكر: والذي عندي أنَّ ﭽ ﭪ ﭽ في هذا الموضع مع ما أضيفت إليه معرفة، وهذا شيء فيه نظر ولبس. فليفهم عني ما أقول: ..." فساق كلاما مفصَّلاً له، إلى قوله: "ومن جعل غير بدلا فقد استغنى عن هذا الاحتجاج؛ لأنَّ النكرة قد تبدل من المعرفة. انتهت الحكاية عن أبي بكر"[2].

ثالثا: التماسه ودفاعه عنه

يمتاز أبو علي رحمه الله بحسن العرض والتأويل، ويدفعه حقُّ المشيخة أن يرفع اللَّبس عن قول أبي بكر السري ويجلي الحقيقة؛ إذ نجده في أكثر من موضع يفعل هذا. فحينما تعرض للاحتجاج لقراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭽ [البقرة: ٢]، قال: "قال أبو بكر –في رواية من روى عن أبي عمرو وغيره أنه كان يشم ويدغم–: هذا محال، لا يمكن الإدغام مع شيء من هذا، وذلك أنه لا فصل بين الحرفين إذا أدغما بحال من الأحوال، لا بقطع ولا حركة ولا ضرب من الضروب، وإنما يصيران كالحرف الواحد للزوم اللسان لموضع واحد... انتهت الحكاية عن أبي بكر"[3]. وبعد عشر صفحات كاملة من العرض والمناقشة يعود أبو علي إلى شيخه مرَّة أخرى ملتمساً لقوله ومبرِّراً له:

"ولعلَّ أبا بكر ظن أن القراء ليس يعنون بالإشمام ما يَعني به النحويون في أنه تهيئة العضو للصوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللفظ. والذي أحسب أنه من أجله ظنَّ ذلك حكايته عن أبي حاتم أنه

---

[1] وهي قوله تعالى: [هدى للمتقين] [البقرة: 02].

[2] الحجة، 1/ 106- 107.

[3] المصدر نفسه، 1/ 126- 127.

أراد أبو عمرو ونافع الإخفاء، فلذلك أشما الضم والكسر، والإشمام يكون عند النحويين في الضم، فأما الكسر فلا إشمام فيه..."[1].

رابعا: مخالفته وانتقاده

لا يعني التماسُ أبي علي والدفاع عن مذهب شيخه الرُّكونَ لكلِّ ما يقوله، ومجاراته فيما يختار، وذوبان شخصيته ووقوعه رهينةَ من ينقل عنهم، بل على العكس فإن أبا علي يتسم بشخصية علمية قوية، وهو أربأُ بنفسه أن يفعل ذلك أو أن يهتك ستر الأمانة العلمية؛ لذلك نجده في معرض الحديث عن قوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ [الفاتحة: ٤]، قال: "قال أبو بكر محمد بن السري: الاختيار عندي: **ﭽمَلِكِ يوم الدين ﭽ**، والحجة في ذلك: أن المِلْك والمُلْك يجمعهما معنى واحد، ويرجعان إلى أصل؛ وهو الربط والشدُّ..."، وبعد ثلاث صفحات من الدراسة والاستشهاد قرّر أبو علي أن "ما حكاه أبو بكر عن بعض من اختار القراءة بمَلِك، من أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله: **ﭽرب العالمينﭽ** فلا فائدة في تكرير ذكر ما قد مضى؛ فإنه لا يرجَّح قراءة **ﭽملِك ﭽ** على **ﭽﭧﭽ** ؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة..."[2].

الفرع الثالث: تأثره بالإمام الفرَّاء

يعدُّ أبو زكريا الفرَّاء[3] أحد أئمة مدرسة الكوفة في اللغة والأدب وأبرعهم فيهما، كما يمثل واحداً من أهم الشخصيات التي أفاد منها أبو علي الفارسي على غرار إفادته من الخليل بن أحمد وسيبويه[4] وثعلب[5]، وكل هؤلاء كثر ذكرهم في "الحجة" واستدل بأقوالهم وبشواهدهم ونافح على آرائهم ومذاهبهم. غير أن الأمر الملفت للانتباه موقف أبي علي مع الفراء في "الحجة" وكيفية تعاطي أقواله وتعامله معها. ولا أَدلَّ على كلِّ ذلك من الآتي:

أولا: العناية بإيراد أقواله

معلوم أن أبا علي رحمه الله لم يلتق أبا زكريا الفراء رحمه الله؛ فلم يظفر منه بحظ الصحبة والرواية، ولكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على تراثه والإفادة منه؛ فقد روى عنه كتاب "معاني القرآن"

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 146.

[2] الحجة، 1/ 37.

[3] سبقت ترجمته، ص11.

[4] تقدمت ترجمته، ص11.

[5] سبقت ترجمته، ص26.

عن طريق أبي بكر بن مجاهد[1]، ومن أمثلة ذلك:

قول أبي علي في معرض الاحتجاج لقوله تعالى: ﭽ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﭼ [إبراهيم: ٢٢] -الياء الثانية محركة إلى الكسر-: "قال أبو علي: قال **الفراء** في كتابه التصريف: هو قراءة الأعمش[2]، ويحيى بن وثاب[3].

قال: وزعم القاسم بن معن[4] أنه صواب، قال: وكان ثقة بصيراً، وزعم قُطرب[5] أنه لغة في بني بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد:

ماض إذا ما همَّ بالمضِيِّ

قال لها هل لكِ يا تافِيِّ

وقد أنشد **الفراء** ذلك أيضاً"[6].

فالشاهد هنا أنه استدلَّ بقوله، بل زاد على ذلك أنه ذكر كتابه التصريف[7]؛ مما يدل على

---

[1] مقدمة تحقيق المحتسب لابن جني، علي النجدي ناصف وغيره، ص36.

[2] هو: سليمان بن مهران الأعمش الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي أصله من أعمال الري، رأى أنسا رضي الله عنه يصلي وروى عن عبد الله بن أبي أوفى، وأبي وائل، وزيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن =جبير وخلق. قرأ القرآن على يحيى بن وثاب وغيره، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي ومجاهد وعاصم بن بهدلة. قرأ عليه حمزة الزيات وغيره وكان مولده سنة 61هـ. قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض. توفي سنة 148هـ. غاية النهاية، 286/1 ومعرفة القراء الكبار، 1/ 94.

[3] هو: يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء الكوفي، إمام أهل الكوفة في القرآن، تابعي ثقة، قليل الحديث، من أكابر القراء. =له خبر طريف من الحجاج: كان يحيى يؤم قومه في الصلاة، وأمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة إلا عربي. فقيل له: اعتزل، فبلغ الحجاج، فقال: ليس عن مثل هذا نهيت، فصلى بهم يوما، ثم قالوا: اطلبوا إماما غيري إني أردت أن لا تستذلوني فإذا صار الأمر إلي فلا أؤمكم. مات سنة: 103هـ. غاية النهاية، 2/ 331 والنجوم الزاهرة، 252/1.

[4] هو: القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي، أبو عبد الله، قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث. عالم بالعربية والأخبار والأنساب والأدب، ومن أروى الناس للحديث والشعر، يقال له: شعبي زمانه، وكان سخيا، وهو من أحفاد الصحابي عبد الله بن مسعود وإليه نسبته. له كتاب "النوادر في اللغة"، و "غريب المصنف" وغيرهما. توفي سنة: 175هـ. إنباه الرواة، 30/3-31، بغية الوعاة، ص381 و الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خانه –كراتشي، د.ط، د.ت، 1/ 412.

[5] تقدمت ترجمته، ص73.

[6] الحجة، 3/ 16.

[7] لم أقف –في حدود اطلاعي في كتب التراجم- على عنوان هذا الكتاب ونسبته لأبي زكريا الفراء، وهذا يدل على أحد أمرين: أولهما أن كتب التراجم لم تذكر هذا الكتاب، ومعلوم أنها لم تحصر جميع المصنفات وعزوها إلى أصحابها، كما رأينا مع مصنفات كثيرة لأبي علي لم تذكرها كتب التراجم، ولعل كتاب التصريف للفراء واحد من تلك. وإما أن أبا علي يعني بكتاب التصريف هذا كتاب الجمع والتثنية، أو كتاب المذكر والمؤنث أو كليهما معا؛ وقد ذكرهما للفراء صاحبُ الفهرست وغيرُه. الفهرست: 1/ 99.

اطلاع أبي علي عليه ونقله عنه.

ثانيا: مخالفة مذهبه ومناقشته

عُني أبو علي بإيراد أقوال أبي زكريا الفراء وآرائه، وكان أشدَّ عناية في -كلِّ موضع يوردها فيه- بمناقشتها والرَّدِّ عليها، بل وبإبطالها ووصفها بعدم الاستقامة، حتى لكأنه يُظَنُّ أنه إنما يأتي بقوله ليخالفه فيه[1].

ولقد لاحظنا ذلك في خمسة مواضع[2] -عدا الموضع الآنف ذكره- يذكر فيها مذهبه فيعمَد إلى نقضه ومخالفته، أكتفي بسوْق نموذج واحد يثبت ذلك، وهو:

قول أبي علي: "وأما ما حكاه أحمد بن يحيى عن الفرَّاء في أن قوله: ﭽ □ □ □ □ □ ﭼ [البقرة: ١٦] إنما حرّكها بالحركة التي كانت تجب للام الفعل من الضمة، فإنه ذهب في ذلك إلى أن الحركة فيها ليست لالتقاء الساكنين، كما يذهب إليه سيبويه[3] وأصحابه. وهذا الذي ذهب إليه الفرَّاء لا يستقيم من غير جهة: منها أن اشترى واصطفى وما أشبه ذلك إنما انقلبت اللام فيه ألفا لتقدير الحركة فيها... ويمتنع ذلك من وجه آخر... ووجه آخر... "[4]، وراح يعدّد أوجه فساد مذهبه إلى أن قال: "فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ولم نجد في هذه الأصول شيئا على ما ادَّعاه ثبت فساد ما ذهب إليه؛ لدفع الأصول له وتعرِّيه من دلالة تدلُّ عليه"[5].

---

[1] ويبدو أنَّ سبب ذلك عائد إلى اختلافهما المذهبي؛ فالفراء من أعلام الكوفة وأبو علي بالرغم من انفراداته واجتهاداته =إلاَّ أنَّه لا يخرج في العموم عن طوق مذهب أهل البصرة.

[2] ذكر أبو علي أبا زكريا الفراء في ستة مواضع من كتابه؛ كلها ينقده فيها ويخالفه، انظر الحجة: 1/232، 363- 364، 445 وَ 2/ 65. عدا موضع واحد فقط، فإنه أشار فيه إلى قول له من كتابه التصريف: 3/ 16.

[3] انظر: كتاب سيبويه، هذا باب يُحرك فيه الحرف الذي يليه المحذوف لأنه لا يلتقي ساكنان، 2/ 263.

[4] الحجة،1/ 232.

[5] المصدر نفسه، 1/ 233.

المطلب الأول: مظاهر تأثير الفارسي في ابن جني

إن أثر أبي علي رحمه الله فيمن بعده لا يُنكر وإفادات غيره منه لا تكاد تُحصر، فكم أخذ الآخر عن الأول. أمّا بخصوص كتابه "الحجة"؛ فإن أثره يبدو جليّاً في نماذج كثيرة ومختلفة أيضا، منهم الإمام ابن جني (392هـ) الذي كان من جملة من تأثروا بالإمام أبي علي وأفادوا منه كثيرا ومن كتبه خصوصا كتابه "الحجة"، ويظهر ذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: الإفادة منه

ومن مظاهر هذه الإفادة ما يأتي:

أولا: حسن الصحبة والرواية

شكّلت الرواية أحد أهمّ روافد وإفادات الإمام ابن جنّي عن شيخه أبي علي؛ ذلك أن جذور العلاقة بين الشيخ والتلميذ –كما ذكر أبو البركات الأنباري– علاقة علمية، سببها مسألة صرفية هي (قلب الواو ألفاً)؛ فقد: "أخذ عن أبي علي الفارسي، وصحبه أربعين سنة. وكان سبب صحبته

إياه، أن أبا علي الفارسي كان قد سافر إلى الموصل، فدخل إلى الجامع فوجد أبا الفتح عثمان بن جني يُقرئ النحو وهو شاب، وكان بين يديه متعلِّم وهو يكلِّمه في قلب الواو ألفا، قام وقال، فاعترض عليه أبو علي فوجده مقصِّراً، فقال له أبو علي: "زبَّبت قبل أن تحصرم"، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جني، وسأل عنه فقيل له: هو أبو علي الفارسي النحوي، فأخذ في طلبه، فوجده ينزل إلى السميرية[1] يقصد بغداد، فنزل معه في الحال، ولزمه وصاحبه من حينئذ إلى أن مات أبو علي وخلفه ابن جني، ودرس النحو ببغداد وأخذ عنه، وكان تبحر ابن جني في علم التصريف؛ لأن السبب في صحبته أبو علي، وتغرُّبه عن وطنه، ومفارقة أهله مسألة تصريفية، فحمله ذلك على التبحُّر والتدقيق فيه"[2].

واضح مما سبق أن سبب نبوغ ابن جني وتمهُّره وبلوغه من أمره ما بلغ إنما كان بسبب شيخه أبي علي، وكأنَّ خطأه أمام أستاذه في مسألة قلب الواو ألفا كان سبباً في عنايته بها وإكثاره من القول فيها.

ولقد طالت العلاقة بين الإمامين عدَّة سنين، فأقاما معاً في بلاط سيف الدولة الحمداني[3] في حلب زمناً، وفي بلاط عضد الدولة البويهي[4] في شيراز زمنا آخر ، وهذه الصحبة الطويلة تدل على أن كلا منهما محتاج للآخر في شؤونه العلمية فضلا عن الشؤون الأخرى، حتى قيل: "إن ابن جني كان في حاجة إلى العيش اللين الذي كان أبو علي يتمتع به في رحاب الملوك والأمراء، وفي حاجة إلى علم شيخه الغزير وعلوِّ قدره، وأبو علي في حاجة إلى خدمة تلميذه لتذليل متاعب الحياة وتوفير وقته الثمين في الدرس والبحث، وإلى الاستئناس برأي ابن جني فيما يعرض له من عويص المسائل؛ فقد كان ابن جني عنده كمخبار يمتحن به تجاربه"[5].

من ذلك ما ذكره ابن جني أنه دخل يوماً على أبي علي خالياً في آخر النهار، "فحين رآني قال لي: أين أنت؟ أنا أطلبك. قلت: وما ذاك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من حَوْريت؟ فخضنا

---

[1] موضع بأرض ببغداد. انظر: تاريخ بغداد، 7/ 228.

[2] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص288.

[3] سبقت ترجمته، ص09.

[4] سبقت ترجمته، ص06.

[5] مقدمة محققي سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: مصطفى السقا، إبراهيم مصطفى وغيرهما، مطبعة البابي الحلبي مصر، ط1، 1374هـ- 1954م، 1/ 33.

معاً فيه، فلم نحل بطائل منه، فقال: هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار[1]، فلا ينكر أن يجيء مخالفا لأمثلتهم"[2].

على أنه لم يسجَّل سوء تفاهم أو عكر صفاء بينهما طيلة هذه السنوات، واعتزاز كل منهما بالآخر وإجلال بعضهما حفلت به الكتب؛ فقد كانا متحابين كما يظهر جليا في كتب ابن جني نفسه، الذي كان يثني على شيخه في موضوعات كثيرة من كتبه، فنراه يصفه بالعلم والنباهة عند ارتضائه قصيدة أبي الطيب المتنبي الميمية، بقوله: "لأن أبا علي مع جلالة قدره في العلم، ونباهة محله، واقتدائه بسنة أهل الفضل لم يكن ليطلق هذا القول عليه إلا وهو مستحق له عنده"[3].

هذا، ولقد أخذ أبو الفتح تصريف المازني[4] قراءة على أبي علي، جاء في المنصف: "قال أبو الفتح عثمان بن جني: أخبرني الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي قراءة مني عليه بحلب، عن أبي بكر بن محمد بن السريّ السرّاج، عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد، عن أبي عثمان بكر بن محمد بن بقيَّة المازنيّ، رحمهم الله أجمعين"[5].

كما قرأ عليه كتبا كثيرة، نحو: كتاب سيبويه، وكتاب الهمز وكتاب النوادر كلاهما[6] لأبي زيد[7]، زيد[7]، والقلب والإبدال ليعقوب وكتاب التصريف للأخفش[8].

---

[1] الصحيح (لغة بني) وبنو نزار: بطن من عدنان، وهم بنو نزار بن معد بن عدنان، كان له من الولد أربعة منهم على عمود النسب: مضر، وخارج عن عمود: النسب أياد وربيعة وأنمار، ولما حضرت نزار الوفاة كنَّى لهم بقسمة كل واحد منهم، وأحالهم على ملك نجران الأفعى الجرهمي ليخبرهم بوصية أبيهم عنده. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، 1/ 139.

[2] الخصائص، 1/ 387، 3/ 207.

[3] الفسر، أو شرح ابن جني لديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: صفاء خلوصي، طبع دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد، ط1، 1988م، 1/ 26.

[4] تقدمت ترجمته، ص78.

[5] المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان ابن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي، ت: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة الحلبي –مصر، ط1، 1373هـ- 1954م، 1/ 6.

[6] المصدر نفسه، 3/ 57.

[7] هو: أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، اللغوي البصري. كان من أئمة الأدب، وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب. له في الآداب مصنفات مفيدة، منها: كتاب القوس، والترس، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب المطر، وكتاب المياه، وكتاب اللغات، وكتاب النوادر، وكتاب الجمع والتثنية، وغير ذلك. توفي سنة 215، وقيل: 216هـ. الطبقات الكبرى، 27/7، الفهرست، 1/ 81، وفيات الأعيان، 2/ 378-380.

[8] انظر: سر صناعة الإعراب، 1/ 72، 2/ 546، تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع، أبو الفتح عثمان بن جني، جني، ت: محمد بهجة الأثري، المطبعة الهاشمية –دمشق، د.ط، 1386هـ- 1966م، ص80.

أما روايته لهذه الكتب فكانت رواية النوادر —وهي أكثر روايته في كتبه منها– عن طريق الرياشي[1]؛ إذ يقول: "وقرأت عليه عن أبي الحسن علي بن سليمان[2] عن أبي العباس عن أبي الفضل الرياشي في نوادر أبي زيد"[3].

وعن أبي سعيد السكري[4] عن الرياشي "أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد السكري السكري عن أبي الفضل الرياشي قال: أنشد أبو زيد"، وعن طريق أبي عثمان المازني "أخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد"[5] وعن أبي سعيد السكري عن أبي زيد: "أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد عن أبي زيد في كتاب النوادر"[6].

أما كتاب الهمز لأبي زيد فقد رواه عن طريق أبي العباس قراءة على أبي علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس عن أبي زيد في كتاب الهمز"[7].

أما كتاب القلب والإبدال ليعقوب فقد قرأه أيضا على أبي علي بقوله: "وكذلك قرأت هذه اللفظة على أبي علي في كتاب القلب والإبدال عن يعقوب"[8].

وأخيرا كتاب التصريف للأخفش فكانت قراءته على أبي علي بقوله: "هذا الذي حكيته لك عن أبي الحسن موجود في نسخ كتابه في التصريف، وهكذا قرأته على أبي علي ووجدته أيضا في نسخة أخرى مقروءة عليه وفي نسخة أخرى كان يستجيدها ويصف صحتها"[9].

---

[1] أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي النحوي اللغوي البصري، كان عالما راوية ثقة عارفا بأيام العرب، كثير الاطلاع روى عن الأصمعي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما، وروى عنه إبراهيم الحربي، وابن أبي الدنيا وغيرهما. قتل بالبصرة أيام العلوي البصري سنة 257هـ. انظر: تاريخ بغداد، 12/ 138، سير أعلام النبلاء، 12/ 372- 373، ووفيات الأعيان، 3/ 27- 28.

[2] هو: الأخفش الصغير، تقدمت ترجمته، ص13.

[3] المنصف، 3/ 17.

[4] هو: شيخ الأدب أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة بن الأمير المهلب الأزدي المهلبي السكري النحوي، صاحب التصانيف. سمع من يحيى بن معين جماعة، وأخذ العربية عن أبي حاتم =السجستاني، والرياشي وعمر بن شيبة، روى عنه محمد بن أحمد الحكيمي، ومحمد بن عبد الملك التاريخي وأبو سهل بن زياد. صنف التصانيف؛ له كتاب الوحوش، وكتاب النبات وكان عجبا في معرفة أشعار العرب. توفي سنة: 275هـ. سير أعلام النبلاء، 13/ 126- 127، الفهرست، 1/ 117، نزهة الألباء، ص187.

[5] الخصائص، 2/ 14.

[6] المنصف، 3/ 10، والمحتسب، 1/ 63.

[7] المنصف، 3/ 11.

[8] سر صناعة الإعراب، 1/ 239.

[9] المصدر نفسه، 2/ 751- 752.

هذا، ولم يدخر أبو الفتح وسعا في توثيق أستاذه؛ فوصفه بالأمانة في روايته "دائم الاستظهار لإيراد ما يرويه"[1]، وذكر "نُبْل قدره ونباوة محلِّه"[2].

ثانيا: نقل علمه والإفادة من أصوله

سبقت الإشارة إلى أن ابن جني من التلامذة الأوفياء لأبي علي؛ إذ عُني بعلمه أيما عناية، فهو لا يفتأ ينقل أقواله وآراءه في المسائل المختلفة، ويثبتها في كتبه وينتصر لها، كما حرص على تلخيص بعض كتبه كالتذكرة[3] وغيرها، وقد رأينا أن سبب تأليفه لكتاب المحتسب هو اهتمام شيخه بالتأليف في القراءات الشواذ؛ فقد حدَّث نفسه بوضع كتاب فيها على شاكلة الحجة، لولا صروف الدهر التي حالت دون ذلك.

ومن ثمة أصبح ابن جني مستودع علم شيخه وموطن ثقته؛ إذ توثقت الصلة بينهما بأوثق الأسباب وأمتن العرى، فالتلميذ يتقبَّل رأي الشيخ[4] وينتفع به ويطري على عمله ويرجع فضل ذلك إلى شيخه ويفتخر بالانتساب إليه في أسباب علمه، ويوثق آراءه في كتبه منسوبة إلى أستاذه حصيلة ملازمة طويلة، بل "لم يجد خيرا من ملازمة هذا الإمام الفذ متنقلا معه في رحلاته، شغوفا بآرائه، مبهورا بفطنته ودقة أقيسته وتعليلاته، ومن يقرأه في كتبه المطبوعة ولاسيما الخصائص يحس أن مادة علمه مستمدة من أستاذه، وكأنه كان قلما في يده يسجل كل خواطره ولفتاته النحوية والصرفية، وهي لفتات وخواطر اندفع ينميها ويضيف إليها من عقله الخصب النادر ما جعله يتقن ظواهر التصريف والنحو علماً وفقهاً وتأويلاً وتحليلاً، بل ما جعله يرث إمامة أستاذه"[5].

وعناية أبي الفتح بعلْم أبي علي ونقله لم يختص بمكان معين، بل في عدة أماكن في الشام، وحلب، وبغداد والموصل، جاء في الخصائص: "قال لي أبو علي –رحمه الله– (بحلب) سنة ست وأربعين..."[6]، "وقال لي أبو علي بالشام..."[7]، " وأنشدنيه –رحمه الله– ونحن في دار الملك[8]..."[1]. الملك[8]..."[1]. وغير هذا التقييد كثير مبثوث في كتب أبي الفتح.

---

[1] المصدر نفسه، 3/ 313.

[2] المصدر نفسه، 1/ 208.

[3] عثمان بن جني لخص كتابه التذكرة لأبي علي الفارسي. انظر: إنباه الرواة، 1/ 308.

[4] يوافق ابن جني رأي أستاذه في أكثر الأحيان وينتصر لمذهبه ويدعمه، ولم أره يخالفه في كتبه –خاصة الخصائص– إلا في القليل النادر. انظر مثلا: الخصائص، 2/ 31، 40 وغيرها و المحتسب،1/73، 76، 80، 95 وغيرها.

[5] مقدمة محققي سر صناعة الإعراب، 1/ 33.

[6] الخصائص، 2/ 88. وفي المحتسب، ت: هنداوي، 1/ 83، 113.

[7] المصدر نفسه، 1/ 121.

[8] يعني: دار السلطان عضد الدولة فناخسرو ببغداد أو شيراز.

كما لا يخفى أن أغلب كتب ابن جني من إملاء أبي علي؛ إذ أن التلميذ يسأل والأستاذ يوجِّه وربما يصحح له التلميذ، فكان أبو علي يعرض عليه قسماً من المسائل، أو يذكر له تعليلاً، أو يسأل عن تعليل وكان يطلبه إذا غاب، وابن جني يوافقه ويدعم رأيه ببرهان أو يخالفه ويرى رأياً آخر، ولم يكن أبو علي يضيق بهذه المخالفة بل كان ينزل على رأيه أحياناً.

بل نجده أحياناً يفيد بعض مسائل ومباحث اللغة من في أستاذه دون غيره، فيقول في باب تلاقي اللغة: "هذا موضع لم أسمع فيه لأحد شيئا إلا لأبي عليّ رحمه الله"[2]، وهو في ذلك اشدّ إعجاباً به؛ يقول: "وسألت مرة أبا عليّ –رحمه الله– عن ردّ سيبويه كثيرا من أحكام التحقير إلى أحكام التكسير وحمله إياها عليها..."، فأجاب الشيخ ودلّل، يضيف ابن جني معلقا: "... هذا معقِدُ معناه، وما أحسنه وما أعلاه!"[3].

وبلغ تأثير أبي علي في شخصية تلميذه العلمية مبلغا كبيراً حمله على أن يعتمد أصول إمامه؛ يقول شوقي ضيف: "ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إن أكثر الأصول التي اعتمدها ابن جني في كتابه الخصائص إنما استمدها من إملاءات أبي علي أستاذه وملاحظاته"[4]. كما حمله على أن يتمذهب بمذهب أهل البصرة مذهبِ إمامه، وكان "يعرض ما يكتبه على أستاذه أبي علي فيقرُّه عليه، ويزداد إعجابه به، ويشجعه على المضي في تمهيد هذه الطريق الوعرة التي تحاماها كثير من الدارسين على ما لهم من بعد الهمة وطول الباع في الدرس اللغوي والنحوي"[5].

الفرع الثاني: ثناؤه عليه وتوثيقه

أولا: ثناؤه عليه

إن عبارات الثناء والإطراء التي يلوكها أبو الفتح كلما ذكر شيخه أبا علي، وترحُّمَه عليه ليدل على رفعة مقام الإمام، وهيبته وعلو شأنه في نفس تلميذه؛ فنجده يسِمه بالشيخ الفاضل والأستاذ المبجَّل بقوله: "فهذه أحكام تصريف هذه اللفظة، ولست أعرف أحدا من أصحابنا خاض فيها إلى

---

[1] المصدر نفسه، 3/ 270.

[2] الخصائص، 1/ 321.

[3] المصدر نفسه، 1/ 354.

[4] المدارس النحوية، ص259.

[5] أعلام في النحو العربي، مهدي المخزومي، الموسوعة الصغيرة (60)، منشورات دار الجاحظ ودار الحرية للطباعة –بغداد، 1980م، ص98.

ههنا، ولا قارب هذا الموضع أيضاً، بل رأيت أبا علي وقد نشَّم[1] فيها شيئا من القول يسيراً لم يستوفِ الحال فيه، ولا طار بهذه الجهة، وإن كان بحمد الله والاعتراف له الشيخ الفاضل والأستاذ المبجَّل، ولو لم يتضمن هذا الكتاب من الكلام على الدقيق أكثر من هذه المسألة لكانت –بحمد الله– جمالاً له ومحسنةً حاله"[2].

ومن كلمات الترضي والترحُّم التي كان أبو الفتح يسكبها على روح أستاذه، قوله: "سألت غير مرة أبا علي –رضي الله عنه– عن ذلك"[3]، و"رأيت أبا علي –رحمه الله– يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي"[4]، و"سألني أبو علي –رحمه الله– عن ألف (يا)"[5]، و"وقلت مرة لأبي علي –رحمه رحمه الله– قد حضرني شيء"[6]، و"وقد كان أبو علي –رحمه الله– كتب إليّ من حلب وأنا بالموصل"[7]، وأحيانا يستخدم الجمع، فيقول: "ونبهنا أبو علي –رحمه الله–"[8]، و"وافقنا أبو علي –رحمه الله– على هذا الموضع"[9] وغير ما ذكر كثير.

كما يشيد ابن جني بعلم شيخه الذي أخذ بجوانبه، وتوصل إليه توصلاً كاد يكون فريد دهره حتى لكأنَّه خلق لهذا العلم؛ فيقول: "ولله هو وعليه رحمته، فما كان أقوى قياسه، وأشدُّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه. فكأنه إنما كان مخلوقاً له، وكيف لا يكون كذلك، وقد أقام على هذه الطريقة مع جِلَّة أصحابها، وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة عللُه، ساقطة عنه كُلَفُه، وجعله همَّه وسدَمَه[10]، لا يعتاقه عنه ولد[11]، ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوم به مطلباً، ولا يخدم به رئيساً إلا

---

[1] نشَّم من النَّشَم. يقال: نشب في الأمر ونشَّم فيه؛ إذا ابتدأ فيه ولم يوغل فيه، ومنه قولهم: نشَّم الناس في عثمانَ؛ أي نالوا منه وطعنوا عليه. وقد عاقبت ههنا الميم الباء، ومنه قالوا: النشم والنشب: للشجر الذي يتخذ منه القسي لأنه من آلات النشوب في الشيء؛ والباء الأصل فيه؛ لأنه أذهب في التصرف. انظر: الفائق، 3/ 430. لسان العرب، 12/574- 576.

[2] سر صناعة الإعراب، ت: حسن هنداوي، 2/ 663- 664.

[3] الخصائص، 1/ 243.

[4] المحتسب، 1/ 52.

[5] المصدر السابق، 1/ 276.

[6] المصدر نفسه، 1/ 365.

[7] المصدر نفسه، 3/ 38.

[8] المصدر نفسه، 2/ 168.

[9] المصدر نفسه، 2/ 266.

[10] السدم: من سدِم –بالكسر– فهو سَدمان؛ بمعنى الهمّ، والحزن، والغيظ والندم. لسان العرب، مادة (س د م)، 12/283.

[11] أي: لا يشغله عن علمه أهل ولا ولد؛ فيتحرر ويتفرغ إليهم، وقد تقدمت الإشارة إلى تفرغ أبي علي وعدم ارتباطه بأهل.

بأَخَرَةٍ[1] وقد حطَّ من أثقاله وألقى عصا تَرحاله"[2]، ويقر باغترافه من علمه وفيضه عليه ويعترف بفضله، قائلاً: "وهو رأي أبي علي –رحمه الله– وعنه أخذته لفظاً ومراجعة وبحثاً"[3]، ويقول في موضع موضع آخر: "وسألت أبا علي –رحمه الله– من أجرى غير اللازم مجرى اللازم فقال: ....، وهو كما ذكر"[4].

وقد عقل الإمام مكانتَه في نفس تلميذه، فبادله هو الآخر بالحب والاعتزاز؛ ويتجلى هذا واضحاً من "استجادته كتبه كلِّها، ومن حرصه على مصاحبته له في قصور الملوك والأمراء في الحل والترحال نحو أربعين سنة، ولم يفترقا بعدها إلا بالموت"[5].

كما نراه يحترم رأي تلميذه ويدوِّن بعضها ويعتزُّ بها، قال ابن جني: "وقلت مرة لأبي علي –رحمه الله–: قد حضرني شيء في علَّة الإتْباع في (نِقيذِ) وإن عرى أن تكون عينه حلقية، وهو قرب القاف من الخاء والغين، فكما جاء عنهم (النخير والرغيف)، كذلك جاء عنهم (النقيذ) فجاز أن تُشبَّه القاف لقربه من حروف الحلق بها، كما شبَّه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الفم، فالنقيذ في الإتباع كالمنْخُل والمنغِل فيمن أخفى النون؛ فرضيَه وتقبَّله. ثم رأيته وقد أثبته فيما بعد بخطِّه في تذكرته"[6].

ثانيا: تقويمه

إن النتاج العلمي مُعرَّض للتقويم بين أهل الصَّنعة وهو سنَّة ظاهرة عندهم؛ وابن جني واحد من الذين استوعبوا تراث شيوخهم وانبروا لتقويمه وتصحيحه؛ إذ نجده في أغلب كتبه ينتصر لرأي أستاذه، ويأخذ به، ويستند إليه في كثير من المسائل اللغوية ولكن أحياناً –وهو قليل– يردُّ عليه وينتصر لغيره، من ذلك:

3- انتصاره لأبي الحسن الأخفش الصغير في معرض حديثه عن موضوع الفاء واللام، حيث يقول: "فقد دخل أبو الحسن معي في أن أعترف بأن الفاء واللام واوان إذ لم يجد بدّاً من

---

[1] يقال باعه بأَجِرَةٍ –بفتح الهمزة وكسر الخاء المعجمة– أي بنسيئة، وعرفه بأَخَرَةٍ –بفتح الخاء– أي أخيراً. انظر: مختار الصحاح، مادة (أخ ر)، 04/1. فهو بهذا المعنى الأخير –وهو المقصود– لا يقدِّم على علمه رئيساً ولا غيره، وإذا كان لا بدّ له من ذلك فعل أخيراً.

[2] المصدر السابق، 1/ 276- 277.

[3] الخصائص، 1/ 120.

[4] المحتسب، 1/ 68.

[5] مقدمة تحقيق سر صناعة الإعراب، ت: هنداوي، ص24.

[6] الخصائص، 1/ 365- 366.

الاعتراف بذلك، كما لم أجده أنا، ثم إنه زاد على ما ذهبنا إليه جميعاً شيئا لا نظير له في حرف من الكلام البتة"[1].

4- وفي موضع آخر يخالف شيخه ويستأثر برأي يراه؛ يقول: "وسألت يوما أبا علي – رحمه الله- عن تِخْفافٍ[2]: أتاؤه للإلحاق بباب قرطاس؟ فقال: نعم، واحتجّ في ذلك بما انضاف إليها من زيادة الألف معها. فعلى هذا يجوز أن يكون ما جاء عنهم من باب أُمْلُودٍ[3] وأظفور ملحقا بباب عُسِلوج[4]، ودملوج[5]، وأن يكون إِطريح[6] وإسليح[7] ملحقا بباب شِنظير[8] وخنزير. ويبعد هذا عندي..."[9].

المطلب الثاني: مظاهر تأثير الفارسي في الجرجاني

يعتبر الإمام الجرجاني أيضا من جملة الأئمة الذين نهلوا من علم الفارسي، وسأبين ذلك في الآتي:

الفرع الأول: التعريف بالإمام الجرجاني

هو: الإمام المشهور أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني[10]، إمام النحو والبلاغة، والمتكلم الأشعري، والفقيه الشافعي، ذو الدين المتين والورع والسكون.

ومن ورعه وقناعته ما رواه السَّلفي من دخول لص عليه وهو في الصلاة، فأخذ جميع ما وجد والإمام ينظر إليه ولم يقطع صلاته.

---

[1] المصدر السابق، 2/ 599.

[2] ما يوضع على الخيل من الحديد وغيره في الحرب؛ ليقيها الجراح. انظر: لسان العرب، مادة: (جفف)، 9/ 30.

[3] يقال: غصن أملود؛ بمعنى ليِّن. المصدر نفسه، مادة: (ملد)، 3/ 410.

[4] هو ما اخضر ولان من القضبان. لسان العرب، مادة: (عسلج)، 2/ 324.

[5] ما يلبسه العضد من الحليّ. المصدر نفسه، مادة: (دملج)، 2/ 276.

[6] يقال: سنام إطريح؛ إذا طال ثم مال في أحد شقيه. المصدر نفسه، مادة: (طرح)، 2/ 529.

[7] شجرة، أو حشيشة ترعاها الإبل فتُسلّحُها –من العذرة- وتغزُر عليها. انظر: المصدر نفسه، مادة: (سلح)، 487/2.

[8] الشنظير: السّيء الخلق والسخيف العقل. المصدر نفسه، مادة: (شنظر)، 4/ 431.

[9] الخصائص، 1/ 231.

[10] انظر: إنباه الرواة، 2/ 188 وما بعدها، والبلغة، ص127 وما بعدها، وبغية الوعاة، ص24 وما بعدها، وشذرات الذهب، 3/ 340 وما بعدها، وطبقات الشافعية، السبكي، 3/ 244 وما بعدها، وطبقات المفسرين، الداودي، 230/1، وكشف الظنون، 1793/2، ومرآة الجنان، 3/ 101، ونزهة الألباء، ص434 وغيرها.

والجرجاني فارسي الأصل، جرجاني[1] المولد، أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي[2]، ابن أخت أبي علي الفارسي، الذي طرأ عليه في جرجان[3] وكان يحكي عنه كثيرا ولم يأخذ عن غيره، لأن عبد القاهر لم يلق شيخا في العربية غيره، ولأنه أيضا لم يخرج عن جرجان. وقد قرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء فتصدر بجرجان، وحثت إليه الرحال، وصار الإمام المشهور المقصود، له تصانيف كثيرة جيدة وجليلة؛ فقد صنف في النحو والأدب كتبا مفيدة. وقد علق عنه السلفي، حتى قيل فيه: "ما مقلت عيني لغويا مثله، وأما في النحو فعبد القاهر"، كما أنه من كبار أئمة العربية واللغة والبيان، وأول من دون علم المعاني، وكلامه فيه وفي البيان يدل على جلالته وتحقيقه ودبانته وتوفيقه.

انتهت إليه رئاسة النحو في زمانه، واتفقت على إمامته الألسنة، وأثنى عليه طيب العناصر وثنيت به عقود الخناصر.

أخذ عنه جملة من التلامذة، منهم: أحمد بن محمد الشجري[4] الذي أخذ عنه كتابه "المقتصد" "المقتصد" في النحو.

له مؤلفات كثيرة في ميادين شتى، منها: العوامل المائة، كتاب الجمل، الإيجاز، المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرح الإيضاح، المقتصد في شرح التكملة، العمدة في التصريف، إعجاز القرآن، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز وغيرها من الكتب.

ولم يزل مقيما بجرجان يفيد الراحلين إليه والوافدين عليه، إلى أن توفي سنة 471، وقيل: 474هـ.

الفرع الثاني: جوانب تأثير الفارسي في الجرجاني

---

[1] يقال إنما سمي جرجان جرجانا لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وفتح جرجان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فتح نهاوند. انظر: تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، ت: محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب –بيروت، ط3، 1401هـ- 1981م، 1/ 44.

[2] لم أقف على ترجمته كاملة، ومن ذكره لم يزد على كونه ابن أخت أبي علي الفاري. سير أعلام النبلاء، 18/ 432، شذرات الذهب، 2/ 340.

[3] إقليم في فارس، يقال إنما سميت بذلك، لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان له أخوان فارس واجفاس؛ واجفاس؛ فارس ويقال جرجيج بن ولاد قال، وفتح جرجان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فتح نهاوند. تاريخ جرجان، 1/ 43.

[4] لم أقف على ترجمته.

يعتبر الجرجاني واحداً من الذين تأثروا بالإمام أبي علي الفارسي، وارتسمت معالم ذلك في تكوينه وشخصيته، ولعلَّ أبرز مظاهر ذلك التأثُّر يتجلَّى في الآتي:

7- تلقِّيه النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي[1]، ابن أخت أبي علي الفارسي بعد أن طرأ عليه، ولم يتلقَّه عن غيره؛ ولعل هذه الصلة أسهمت بشكل أو بآخر في ظهور أثر أبي علي رحمه الله في أبي بكر الجرجاني؛ الأمر الذي دفعه –وفاء لأستاذه وحفاظا على امتداد مدرسته– أن يهتم بتراث أبي علي.

8- ولا أدلَّ على ذلك من عناية أبي بكر بتراث أبي علي شرحاً وتوضيحاً وتلخيصاً؛ فقد شرح كتاب "الإيضاح"[2] في النحو لأبي علي في كتاب أسماه "المغني في شرح الإيضاح"؛ وهو شرح طويل، قيل أنه وضعه في نحو ثلاثين مجلداً[3]، وأشار أبو بكر في كتابه "المقتصد" إلى هذا الكتاب عدة مرات[4] ووصفه في مقدمة المقتصد قائلا: "... وذكرتم أنَّ ما عملت فيه –أي في الإيضاح– من الكتاب الموسوم بالمغني لا يطول باع كل أحد لبلوغ رتبته وتسنَّم ذروته؛ لاشتماله على مسائل جمَّة وفصول ممتدَّة، إذ كان أكثر الغموض فيه أن أحصن ما بذلت له وقتي من وثبة الأيام، وتصرُّف الأحوال، لأنَّ جميع ما يدخل في جملة الإنسان يألف للفناء والزوال ومعرض لحبالة الزَّمان"[5].

9- ثم لخَّصه في مجلد أسماه "المقتصد في شرح الإيضاح"؛ وهو شرح متوسط[6]، صدَّره بقوله: "أحمد الله عزت قدرته على نعمه..."[7]. أمَّا روايته فقد جاء فيها: "قال الشيخ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أخبرنا الشيخ أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث قال: أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن أحمد بن عبد الغفار رحمه الله، فقال: ..."[8].

---

[1] سبقت ترجمته، ص08.

[2] سبقت الإشارة إلى أن أبا علي ألف الإيضاح لعضد الدولة، وتعليم أبناء أخيه.

[3] انظر: طبقات الشافعية، 2/ 252، طبقات المفسرين، 2/ 133، نزهة الألباء، 314. والمغني من الكتب المفقودة.

[4] مقدمة المقتصد، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ت: كاظم بحر مرجان، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، سنة: 1982م، ص67.

[5] المصدر نفسه.

[6] طبع كتاب المقتصد في جزأين بتحقيق: الدكتور: كاظم بحر مرجان، وطبع سنة: 1982م.

[7] المصدر نفسه، ص67.

[8] المصدر نفسه.

10- ثم اختصر الإيضاح في كتاب أسماه "الإيجاز"؛ جاء في أوله: "الحمد لله الذي تظاهرت علينا آلاؤه..."[1]، وهو من الكتب المفقودة.

11- كما التفت إلى كتاب "التكملة" لأبي علي، فلم تقصر همته على شرحه[2] في كتاب أسماه "المقتصد في شرح التكملة"؛ عُني فيه بمعالجة الموضوعات اللغوية والصرفية.

12- لقد كان تأثر أبي بكر بأبي علي إيجابيا؛ بمعنى أنه وقف من آرائه موقف المتلقي المستفيد المؤيد، ولم يقف منها موقف الناقد إلا نادرا، فتضاءلت مواقف نقده أمام الكثرة الغالبة من مواقف التأييد والموافقة.

المطلب الثالث: مظاهر تأثير الفارسي في شراحه ونقاده

شهد القرن السادس الهجري نشاطا علميًّا متميِّزاً؛ فازدهرت حركة التأليف في مختلف العلوم كالنَّحو اللغة والقراءات، وحظيت كتب أبي علي بالدراسة والشرح والتقويم وامتدّ تأثيرها إلى المشارقة والمغاربة؛ وذلك لما لها من صدى كبير على السَّاحة العلمية يومها، وفيما يأتي نماذج تثبت هذا التأثير:

الفرع الأول: تأثير الفارسي في شراحه

لقد انبرى لشرح تراث أبي علي جملة من العلماء، وأعجبوا بشخصيته وبمنهجه. أذكر من هؤلاء تمثيلا لا حصراً:

أولا: الإمام أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي[3]:

وتتلخص بعض مظاهر التأثير في الآتي:

ث- يعتبر أبو الحسن القيسي واحداً من شراح الإيضاح والتكملة لأبي علي، وألَّف في ذلك كتاب أسماه "إيضاح شواهد الإيضاح"[1]؛ فقد حاول الإمام –موفَّقاً- أن يشرح الأبيات التي

---

[1] كشف الظنون، 1/ 212.

[2] المصدر نفسه.

[3] أبو الحسن القيسي: لم أقف على ترجمته، إلا ما جاء في كشف الظنون أن القيسي صنف في شرح الإيضاح للفارسي، يقول: "... أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبقري القيسي الأديب القرطبي، المتوفى سنة 567هـ وسماه الإيضاح أيضا أوله الحمد لله العظيم السلطان القديم الإحسان". 1/ 212. ويبدو أنه –كما قال المحقق- عاش في القرن السادس الهجري، في ظل دولة المرابطين، وقد رجح الدكتور إحسان عباس أن القيسي هو الخراز نزيل تلمسان، نحوي أديب فقيه قارئ، كما غلّب المحقق جعلَه أبا علي الحسن بن عبد الله السعدي، وقد ترجم له صاحب غاية النهاية، 1/ 199. انظر: مقدمة إيضاح شواهد الإيضاح، ص13- 21.

استشهد بها أبو علي، ويتناولها بالدراسة والتحليل، يدلُّ على موطن الشَّاهد، ويأخذ في عرض المسألة النحويَّة، ويذكر آراء النُّحاة فيها ويستفيض في شرح بعض المسائل الخلافيَّة وأخيراً يختم حديثه عن الشَّاهد بإعراب ما أشكل عنه. كما اعتنى بالنَّاحية الصرفيَّة، وهذا لا يحتاج إلى دليل طالما أنَّ كتاب التكملة في الصَّرف.

ج- اعتمد أبو علي القيسي في شرحه هذا جملة من كتب أبي علي الفارسي؛ منها: الإيضاح والتكملة؛ وهما موضوعا البحث، والأمالي[2]، والتذكرة[3]، والبصريات[4]، والحلبيات[5] وغيرها.

ح- ومما يدلُّ أيضا على تأثُّره بالفارسي موافقته في أغلب آرائه وتلقِّيها بالقبول والرِّضى، بل ودفاعه عنها إن اقتضى الأمر. غير أنَّ هذا لم يمنعه من تسجيل بعض الملاحظات[6] على الفارسي ومخالفته[7] في جملة من آرائه.

ثانيا: الإمام أبو محمد عبد الله بن بري[8]: وتتجلى بعض جوانب التأثير في الآتي:

ث- حظي إيضاح الفارسي بمباركة الكثير، فهذا الإمام أبو محمد عبد الله، ابن بري اعتنى به وشرح أبياته هو الآخر في كتاب أسماه "شرح شواهد الإيضاح"[9]؛ أورد ابن بري في شرحه أربعة وعشرين وثلاثمائة شاهدا عن أبي علي، مع احتساب الشاهد المكرَّر شاهداً واحداً، وزاد عليها

---

[1] طبع هذا الكتاب في جزأين، بتحقيق: الباحث محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب اللإسلامي –بيروت، ط1، =1408هـ-1987م.

[2] إيضاح شواهد الإيضاح، 1/ 80 وغيرها.

[3] المصدر نفسه، 1/ 113، 120 وغيرهما.

[4] المصدر نفسه، 1/ 119وغيرها.

[5] المصدر نفسه، 1/ 200 وغيرها.

[6] وذلك نحو استشهاد أبي علي في بعض الأبواب ببيت تكلّف فيه؛ إرضاء لعضد الدولة، وكان الأولى أن يسوق شاهد الكتاب لسيبويه. المصدر نفسه، 1/ 144.

[7] المصدر نفسه: مثلا: 1/ 121، 134، 135، 136 وغيرها.

[8] أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بن عبد الجبار بن بري المقدسي الأصل المصري الإمام، المشهور في علم النحو، واللغة، والرواية والدراية. أخذ علم العربية عن أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني النحوي، وأبي طالب عبد الجبار بن محمد المعافري القرطبي وغيرهما. واطلع على أكثر كلام العرب. له على كتاب الصحاح للجوهري حواش. أخذ عنه أبو موسى الجزولي. كان عارفا بكتاب سيبويه وعلله، وكان إليه التصفح في ديوان الإنشاء لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملك من ملوك النواحي إلا بعد أن يتصفحه، ويصلح ما خفي منه. توفي سنة: 582هـ. إنباه الرواة، 2/ 110- 111، سير أعلام النبلاء، 21/ 136- 137، الكامل في التاريخ، 10/ 42، وفيات الأعيان، 3/108- 109.

[9] طبع الكتاب في مجلد، بتحقيق: عبيد مصطفى درويش، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية –القاهرة، د.ط، سنة: 1405هـ-1985م.

ابن برّي نحو مائة شاهدٍ في أثناء شرحه لها. وجميع الشَّواهد المذكورة في الكتاب من عصر الاحتجاج الذي ينتهي بإبراهيم بن هَرْمة[1]، إلا بيتاً واحداً[2] أورده ابن برّي عن أبي علي، وعدَّه ابن بري مثالا للمسألة النحوية المثارة وليس شاهدا عليها.

ج- كان ابن بري واسع الاطِّلاع فتأثَّر بمصادر عديدة، منها: الإيضاح العضدي، والتكملة، وشرح الإيضاح وثلاثتها لأبي علي الفارسي، وهذه الكتب هي مصادره الأصليَّة في تصنيف كتابه شرح شواهد الإيضاح، وتنتشر آراء أبي علي في كتب ابن بري الأخرى سواء أكانت من هذه الكتب أم من غيرها.

ح- وقد كان تأثُّر ابن بري بأبي علي تأثُّراً إيجابيًّا؛ بمعنى أنه وقف من آرائه موقف المتلقّي المستفيد المؤيِّد، ولم يقف منها موقف النَّاقد إلا نادراً[3]، فتضاءلت مواقف نقده أمام الكثرة الغالبة من مواقف التَّأييد والموافقة.

ثالثا: الإمام ابن الباذش[4]

تأثر ابن الباذش الأندلسي بالإيضاح لأبي عليّ، فكان هو الآخر أحد شرَّاحه، وبلغ تأثُّره وإعجابه به أن قال فيه شعراً؛ يدلك فعلا على عنايته به واهتمامه به، فقال[5]:

أضَعِ الكرى لتحفُّظِ الإيضاحِ وصل الغدو لفهمه برواح
هو بغية المتعلمين ومن بغى حمل الكتاب يلجه بالمفتاح
لأبي علي في الكتاب إمامة شهد الرواة لها بفوز قداح

---

[1] هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري المدني، إبراهيم بن هرمة، شاعر زمانه أحد البلغاء من شعراء الدولتين، وكان منقطعا إلى العلوية، قال الدارقطني هو مقدم في شعراء المحدثين قدمه بعضهم على بشار. توفي سنة: 176هـ. سير أعلام النبلاء، 6/ 207، الفهرست، 1/ 227.

[2] هذا البيت من شعر أبي تمام رقم: 18 من شواهد الكتاب. مقدمة تحقيق شرح شواهد الإيضاح، ابن بري، ص54.

[3] انظر على سبيل المثال مخالفته في المواضع الآتية: ص90، 98، 142 وغيرها. وأحيانا لا يسلّم له؛ وذلك في نحو قول ابن بري: بري: "وهذا الذي منعه أبو علي فيه نظر". ص126 وغيرها. وأحيانا يعترض على استشهاده؛ وذلك في نحو استشهاده ببيت لحبيب في باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر: قال ابن بري: "وليس بحجة، ولكنه مثَّل به الحديث الذي قبله كأنه مسألة" ص112 وغيرها.

[4] هو: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري عرف بابن الباذش الجياني الغرناطي إمام نحوي مسند مقرىء نقاد. قرأ على المقري بغرناطة أبي القاسم نعمة الخلف الأنصاري، وأبي علي الصدفي وغيرهما. حدث عنه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، والقاضي أبو محمد بن عطية، والقاضي أبو خالد عبد الله بن أبي زمنين وغيرهم. ألف في النحو كتبا منها على كتاب سيبويه، وعلى كتاب المقتضب، وعلى الأصول لابن السراج، وشرح كتاب الإيضاح وغيرها. توفي سنة: 528هـ. الديباج المذهب، 1/ 205-206 وغاية النهاية، 79/1.

[5] إنباه الرواة، 2/ 228.

يفضي على أسراره بنوافذ من علمه بهرت قوى الأمداح
فيخاطب المتعلمين بلفظه ويحل مُشكِلُه بومضة واح
مضت العصور وكل نحو ظلمة وأتى فكان النحو ضوء صباح
أوصى ذوي الإعراب أن يتذاكروا بحروفه في الصحف والألواح
فإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا إن النصيحة غبّها لنجاح

الفرع الثاني: تأثيره في مقوِّميه ونقَّاده

شكَّلت مصنفات أبي علي الفارسي أيضا –في مقابل التأثير الإيجابي- موضوعا للنَّظر والتَّقويم من طرف جملة من العلماء والمحقِّقين؛ فاستدرك عليه من استدرك ونقدها من نقد، من هؤلاء:

أولا: الإمام أبو الحسن الباقولي[1]

يعتبر الإمام الباقولي واحداً من الذين تأثَّروا بشخصية أبي علي الفارسي، وأُعجبوا بنباهته ودقة آرائه؛ فأثنى عليه ومدحه، ودرس كتبه وأمعن فيها النظر فشرح ولخَّص وقوَّم وانتقد، ويمكن تسجيل بعض نقاط التأثر في الآتي:

5-ثناء الباقولي على أبي علي:

ارتسمت عبارات الثناء والإجلال لفارس النحو أبي علي الفارسي وسجلها في جملة من كتبه؛ فالرجل متأثر بأبي علي، شديد الاعتداد به، يعشق آثاره، ويكبّ عليها ويحسن فهمها. ومن تلك العبارات:

وصفه بـ: "فارس الصناعة وفارسهم الفارس"[2].

وفي شرح اللمع يقول فيه: "ولولا هو لما فهم كتاب سيبويه ولا مشكلاته"[1].

---

[1] هو: أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ الأصبهانيّ الباقوليّ الحنفيّ الضرير، يلقّب بـ "جامع العلوم" أو الجامع. يُعدُّ من جلَّة أعيان أهل العربية والقراءات والتفسير، شديد الإكباب على كتاب سيبويه عاشقا لآثار أبي علي وابن جني. له آثار طيبة ومن نظر فيها عرف أنه –كما قال البيهقي في الوشاح- "لاحق سبق السابقين"، فقد صنف في علوم العربية والقرآن. منها: الإبانة في تفصيل ماءات القرآن وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة، الاختلاف، الاستدراك على أبي علي، البيان في شواهد القرآن، التتمة، جواهر القرآن ونتائج الصنعة، الخلاف بين النحاة، شرح الأبيات، شرح اللمع، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، وغيرها. توفي جامع العلوم أبو الحسن الباقولي سنة: 543هـ. انظر: إنباه الرواة، 2/ 247- 249، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 4/ 1736- 1737.

[2] انظر: الاستدراك على أبي علي في الحجة، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، ت: محمد أحمد الدالي، لجنة نشر التراث –الكويت، ط1، 1428هـ- 2007م ، 14- 28.، 2/ 18.

وفي الكشف يرفع شأنه قائلا: "ومثله لا يولد من بعدُ"[2].

ويضيف أيضا: "وهو بعيد الغوْر"[3]، "رحمه الله كيف تعمَّق وجاء بالكلام الذي هو أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف..."[4].

6- عنايته بتراثه واهتمامه به:

اهتم الإمام أبو الحسن بتراث أبي علي عموما وأولى كتاب "الحجة" الرعاية الخاصة، وتظهر هذه العناية في الأعمال الآتية:

ت- إشادته بتراثه ومدحه له: لقد أشاد الباقولي بآثار أبي علي رحمه الله وافتخر بها، وتعجَّب لنباهته فيها ودقَّته، فقال في بعض المناسبات: "فافهمه عن أبي عليّ ولم يهتد إليه غيرُه..."[5]. ووصفها في موضع بالدُّرر: "فهذه دُرر أخرجها فارسهم من صُدَف الكتاب ... والفارس فرَّق فيها الكلام في مواضع، وهذا مجموعه"[6]. وقال: فإذا أَشكل عليك شيء من كلام الفارس فإنه لا يفتحه لك إلا هذه الأجزاء التي أمللناها عليك"[7]. وقال أيضا: "وكلُّه مبسوط كلام فارسهم"[8]، " وما حوى كلامنا إلا شرح كلام أبي علي"[9].

ث- **خدمته لتراثه واهتمامه به:** فقد عُني الإمام أبو الحسن الباقولي بالحجة؛ فصنف في شرحها "كشف الحجة"[10]، الذي هذّب فيه –كما يبدو- كتاب الحجة، وكشف عن مغمضاتها وملمة متفرّقها[11].

---

[1] شرح اللمع، أبو الحسن الباقولي الأصبهاني، ت: إبراهيم أبو عباة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، 1411هـ-1990م، ص496.

[2] كشف المشكلات، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، ت: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، 1415هـ- 1995، ص922.

[3] المصدر السابق، 296.

[4] الاستدراك، مسألة 11، ص 565.

[5] كشف المشكلات، ص630.

[6] المصدر نفسه، 629.

[7] المصدر نفسه، ص727.

[8] المصدر نفسه، ص726.

[9] المصدر نفسه، ص416.

[10] لم يذكره من ترجم له، وذكره المؤلف في كشف المشكلات، ص72.

[11] مقدمة الاستدراك، ص25.

وصنف "كشف المشكلات وإيضاح المعضلات"؛ وهو في جملته جمع لما تفرق من كلام أبي علي في الحجة وفي غيره من الكتب[1]، والكشف مطبوع ومحقق في رسالة علمية.

كما صنف في شرح الأبيات التي أنشدها أبو علي فيه[2]، ويسميه أحيانا بكتاب الأشعار[3].

الأشعار[3].

وصنف الاستدراك على أبي علي في الحجة وفي غيره. هذا الكتاب أحيانا يسميه المستدرك[4]، المستدرك[4]، وأحيانا يسميه المسائل المأخوذة على أبي علي[5].

7- نقد تراثه وتقويمه:

لم يفت أبا الحسن الباقولي وهو يقرأ تراث أبي علي ويفيد منه أن يسجِّل ملاحظات على كتابه "الحجة"، بعد أن أوفاه قراءة نقديَّة، قراءة عالم بصير بآثار أبي عليّ، متضلِّعٍ بعلوم العربية والقراءات والتفسير؛ فاستوت تلك القراءة والملاحظات في تصنيف كتاب أسماه "الاستدراك على أبي علي في الحجة"[6].

لو لم يكتف الجامع في "مستدركه" بالوقوف على كلام أبي عليّ في نسخة من الحجة مرضِيَّة عنده، بل راجع الموضع من كلامه في نسخ الحجة التي وقف عليها، ومنها نسخة عليه خطُّ أبي علي، ونسخ بعض تلامذته[7].

نعم لقد أفاد الإمام أبو الحسن الباقولي من تراث أبي علي عموماً ومن كتابه "الحجة" على وجه الخصوص. وعِدَّة المسائل المأخوذة عليه في الدُّفعة الأولى 87 مسألة، وأورد عقبها مسائل غلَط فيها أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن، وفاتت أبا علي في إصلاح غلط أبي إسحاق في "الإغفال" ، وهي المسائل 88- 97 على أن المسألتين 94 و 96 مأخوذتان على أبي علي لا على أبي إسحاق. ثم رجع أبو الحسن الجامع إلى الحجة، فأورد مسائل فاتته في الدفعة الأولى، وهي المسائل 98- 22، ثم أورد مسائل غفل فيها ابن جني في الخصائص والمحتسب، وهي المسائل 123-

---

[1] مقدمة تحقيق كشف المشكلات، ص55.

[2] انظر مقدمة تحقيق الاستدراك، ص15.

[3] نفسه.

[4] ذكره بهذا الاسم في: كشف المشكلات، ص565.

[5] المصدر نفسه، ص1037، 1128 وغيرهما.

[6] استدرك جامع العلوم فيه على أبي علي في الحجة، وعلى الزَّجَّاج مما فات أبا عليّ في الإغفال، وعلى أبي عليّ في غير الحجّة وعلى ابن جنيّ في الخصائص والمحتسب، وطبع الكتاب وحقق في جزء واحد يقع في 815 صفحة.

[7] مقدمة الاستدراك على أبي علي في الحجة.

131، ثم رجع إلى أبي علي فأورد مسألتين مأخوذتين عليه، وهما المسألتان 132 و 133؛ أولاهما مما أخذه عليه في الإغفال، والثانية مسألة خالف فيها أبو علي شيخه أبا إسحاق الزجاج، وفاته ذكرها في الإغفال.

وهذه المسائل التي استدرك فيها الجامع على أبي عليّ في مواضع من الحجة متنوعة، يمكن تصنيفها –بإيجاز– في الآتي:

– مواضع أجاز فيها أبو علي وجوهاً من الإعراب والجامع يراها غير جائزة، أو وجوهاً لم يُجزها أبو علي وهي عند الجامع جائزة، أو وجوهاً اختارها أبو علي والمختار عند الجامع غيرها[1].

– ومواضع اضطرب فيها كلام أبي علي في الحجة وغيره من كتبه، فأجاز فيها ما كان قد منعه في غيرها، أو منع فيها ما كان قد أجازه في غيرها[2].

– ومواضع قصَّر أبو علي في ذكر الوجوه النحويّة الجائزة فيه[3]، أو قصَّر في شرحها[4].

شرحها[4].

– ومواضع استشهد فيها أبو علي ببعض الآي على شيءٍ ذكره، ولا يقوم بها الاستشهاد، والشاهد غير ما ذكر من الآي[5].

– وأحياناً ينسب بعض الآراء إلى سيبويه، وليست مذهباً له[6]، أو ينشد أبياتاً على غير وجهها[7]، أو ينسبها إلى غير أصحابها أو لا ينسبها أصلاً[8].

– وأحياناً أخرى يسهو في بعض كلامه[9]، أو يقع فيه غلط[10] أو يتابع ابن مجاهد في السَّبعة على غلطه[11].

---

[1] انظر بعض هذه المسائل في الاستدراك: م1، 10، 11، 18، 35، 38، 50، 63، 82 وغيرها من الدفعة الأولى و 98، 110، 120 وغيرها من الدفعة الثانية.

[2] انظر مثلا المسائل: 2، 96، 97، 118 وغيرها.

[3] انظر: المسألة 15.

[4] انظر: المسألة 4.

[5] انظر مثلا: م 20، 56، 113 وغيرها.

[6] وذلك في: م 3، 6 و60.

[7] وذلك نحو: م 5، 16، 30، 41، 51 وغيرها.

[8] انظر مثلا: م 13، 22، 42، 61 وغيرها.

[9] نحو: م 7، 6، 42، 74، 108 وغيرها.

[10] نحو: م 21، 25، 26.

[11] وذلك في المسألة: 115.

ويدلُّك على مدى استيعاب تراث أبي علي وحسن فهمه له أنه يستدرك عليه من كلامه هو نفسه، كما قال: "فاعلم أنا أخذنا به عليه، وهكذا رُكِّب هذا الكُتيب"[1]، وفي شرح اللمع: "فبك نأخذ عليك"[2].

8- شدته عليه ومؤاخذته:

رأينا آنفا عبارات الشكر والامتنان والحب التي ساقها الباقولي في شخص أبي علي وعلمه، غير أن ذلك الإجلال والإكبار سرعان ما يغيب نجمه ويحلُّ محِلَّه بعضُ الكلمات الشديدة، لما يخوض أبو الحسن في النقد والاستدراك، حتى ليرتاب المرتاب في مدحه ويظنُّ الظانُّ أنه إنما امتدحه لينتقده، من ذلك:

قوله: "وقد نبهناك غير مرة على أن الفارس يسيء النظر في التلاوة"[3].

وقوله: "وقع لفارسهم هنا أيضا سوء التأمّل في التلاوة على ما هو عادته"[4].

وتغليطه: "واستدلال أبي علي... استدلال فاسد ومغالطة منه"[5].

وتغفيله: "انظر أبا علي ما أغفله عن الفصل بين الصلة والموصول"[6].

واستصغاره: "وليس العجب منه، إنما العجب من الكبار الذين سمعوا عليه هذا الكتاب – يقصد الحجة- ولم يسألوا ما مرادك بهذا"[7]، حتى يبلغ به الحدّ أن يقول: "فلا أدري هل ختم برواية حفص على أحد ختمة أم لا"[8] ويذكر أيضا أن "مثل هذا من أبي علي في كتبه إغراب وتنفير للنَّاس للنَّاس من كلامه، وليس هو من الفصاحة، بل هو من خنزوانة[9] الرجل وادعائه على الناس والتكبُّر عليهم، وليس من العلم في شيء، فكأنه يشبه ألغاز الصبيان في المكاتب"[10].

---

[1] الاستدراك، مسألة: 116، ص546.

[2] شرح اللمع، ص497.

[3] الاستدراك، م 99، ص472.

[4] كشف المشكلات، ص995- 996.

[5] الاستدراك، م 94، ص414.

[6] المصدر نفسه، م 50، ص221.

[7] المصدر نفسه، م 38، ص178.

[8] المصدر نفسه، م 105، ص500.

[9] الخنزوة، والخنزوانة والخنزوانية والخنزوان بمعنى الكبر. لسان العرب، 5/ 347.

[10] الاستدراك، م 8، ص42- 43.

وأعتقد أنَّ الإمام الباقولي وإن وُفِّق في كثير من المسائل[1] التي استدركها على أبي علي، فإن ذلك لا يحمله على الخوض فيما خاض؛ لأن تعاطي مثل هذا الكلام الشديد النابي لا يصلح في مثل هذه المحالّ، ولا يليق بجلال العلماء وبقدرهم، وإن في التماس الأعذار لهم أثناء بيان الحق مندوحةً عن اتهامهم والانتقاص من مكانتهم.

ثانيا: الإمام ابن الطراوة[2]

ويمكن أن نضيف إلى جملة النُّقَّاد الذين لم يحظ أبو علي الفارسي عندهم بالكرامة والرِّضى الإمامُ ابنَ الطراوة، أحدَ معاصري ابن الباذش؛ فقد:

- ألف في ذلك رسالة أسماها بـ "الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح"[3]، وقد ردَّ على هذه الرسالة[4] ابن الصائغ[5].

- كما نلقاه يحمل على كتب أبي علي وتلميذه ابن جني، قائلا: "وغبِنَ رأيَه من عدل عن التواليف المسندة، والقوانين المقيدة، كالجمل والكافي، وكتاب سيويه الشافي، وفرغ للإيضاح، والشيرازيات، والخصائص والحلبيات، ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم، إلا تشدُّقاً بالكتب، وإحالة على الصحف، وإن هذا لهو الخسران المبين"[6].

---

[1] وتجدر الإشارة هنا أنَّ محقق كتاب الاستدراك: الباحث محمد أحمد الدَّالي، تابعه على كثير من ملاحظاته واستدراكاته على الإمام الإمام الفارسي، وأوهنها، وبيَّن غفلته في ذلك وصوَّب آراء أبي علي.

[2] هو: سليمان بن محمد ين عبد الله النحوي المالقي، أبو الحسين بن الطراوة. أخذ النحو عن أبي الحجاج الأعلم، وأبي بكر الشرشائي الأديب وأبي مروان بن سراج. كان أعلم أهل عصره بالأدب والعربية، له مصنفات منها: الإفصاح على الإيضاح والترشيح والمقدمات على كتاب سيبويه. وتلمذ له السهيلي وابن سمحون القرطبي. توفي بمالقة سنة 528هـ. الإنباه، 2/ 228، البلغة، 1/ 108 و نفح الطيب، 4/ 332.

[3] كشف الظنون، 1/ 212.

[4] المصدر نفسه.

[5] هو: علي بن محمد الكناني المعروف بابن الصائغ، توفي سنة 680هـ. كشف الظنون، 1/ 212.

[6] مقدمة إيضاح شواهد الإيضاح للقيسي، ص15.

الباب الأول

الإمام أبو علي الفارسي وكتابه الحجة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حياة الإمام أبي علي الفارسي

الفصل الثاني: التعريف بكتاب الحجة ومقارنته ببعض كتب القراءات والاحتجاج

الفصل الثالث: تأثر الإمام الفارسي بمن قبله وتأثيره فيمن بعده

الفصل الأول

حياة الإمام أبي علي الفارسي

توطئـــــة

سأتناول في هذا الفصل الأول حياة الإمام أبي علي الفارسي بصفة عامة؛ وذلك من خلال الوقوف على اسمه الكامل كما في كتب التراجم، ومولده، ونشأته والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية المحيطة به، مبرزاً كذلك عقيدته ومذهبه في القراءات والنحو والفقه، معرِّجاً على مكانته العلمية ووفاته .

وترتيبا لذلك سيتضمن هذا الفصل مبحثين.

المبحث الأول: اسم الإمام ومولده ونشأته

المبحث الثاني: عقيدة الفارسي ومكانته العلمية ووفاته

المبحث الأول

اسم الإمام ومولده ونشأته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الظروف السياسية والعلمية السائدة

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده
المطلب الثالث: نشأة الإمام

المطلب الأول: الظروف العامة السائدة

يبيِّن هذا المطلب الظروف السياسية والاجتماعية، وكذا العلمية والثقافية السائدة في عصر الإمام أبي علي الفارسي، وذلك في فرعين:

الفرع الأول: الحالة السياسية والاجتماعية

لقد هان شأن خلفاء بني العباس، وضعفت شوكتهم، وأصبح الخلفاء أداة طيّعة بيد قادة الجيوش من الترك والديلم[1]، وكان باستطاعة هؤلاء القادة عزل الخليفة وخلع السلطان عنه، واستبداله بغيره في أي وقت شاءوا، وقد كانوا يتجرؤون على قتل الخليفة والانتقام منه إذا لم يسعد بموافقتهم؛ فقد وقع سنة: 376هـ قتال بين الديلم وكانوا تسعة عشر ألفاً وبين الترك، وكانوا ثلاثة آلاف، فانهزمت الدَّيلم، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف[2].

---

[1] الديلم: هو إقليم بالعراق، والديلم يقع بين الرحاب والجبال والمفازة وخراسان، وأهله جيل سموا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر وليس باسم لأب لهم. وقيل: اسم ماءٍ لبني عبس. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله الحموي، دار الفكر –بيروت، د.ط، د.ت، 293/2. ووصفه المقدسي بقوله: "إقليم القز والصوف به صناع حذاق، وفواكه تحمل إلى الآفاق، وبزُّه معروف بمصر والعراق. كثير الأمطار، مستقيم الأسعار. مصر ظريف، ولهم عمل لطيف. يجلون الشريف، ويرحمون الضعيف. كبراء في الفقه وأجلة في الحديث رجال في القتال...". أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ت: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي –دمشق، د.ط، 1980م، ص92، 240.

[2] الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، ت: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1415هـ- 1995م، 7/ 427 وما بعدها والعبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت –الكويت، ط2 –مصورة، 1948م، 03/3.

وقد مرَّت بغداد بفتنة عظيمة، ظهرت فيها العصبية الزائدة وتحزب الناس، وطغى الفساد وأخذت أموال الناس، وتولَّد بين النَّاس أصنافٌ مختلفة من الطائفية، فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور[1].

وقد صاحب هذا الاضطراب السياسي في بغداد عاصمة الدولة الإسلامية اضطرابات أخرى في شرق الدولة وغربها كانت أكبر وقعاً وأعظم خطراً على الخلافة، حيث أدت إلى تجزئة الدولة الواحدة إلى عدة دويلات متفرقة[2]، فقامت (دولة بني حمدان) في الشام، و (دولة بني بويه) في الشرق و (الدولة الإخشيدية) في مصر.

وفي خضمِّ هذه الظروف كان العزيز صاحب مصر قد أعدَّ العدَّة لغزو الروم فاحترقت مراكبه، فاتهم بها أناساً، ثم بعد ذلك وصلت رسل الرُّوم في البحر إلى ساحل القدس بتقادم للعزيز ودخلوا مصر يطلبون الصلح، فأجابهم العزيز واشترط شروطا شديدة التزموا بها كلَّها، منها: أنهم يحلفون أنه لا يبقى في مملكتهم أسير إلا أطلقوه وأن يخطب للعزيز في جامع قسطنطينية كل جمعة، وأن يحمل إليه من أمتعة الروم كل ما افترضه عليهم، ثم ردهم بعقد الهدنة سبع سنين[3].

وفي صفر من سنة: 377هـ عقد ببغداد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة وجددت البيعة بين الطائع[4] وبين شرف الدولة[5] وكان يوما مشهودا، والذي رفع عن العراق مظالم كثيرة، وردَّ على النَّاس أملاكهم[6] وكان الغلاء ببغداد فوق الوصف واشتدَّ جدًّا على الناس[1].

---

[1] المصدر السابق، 7/ 330.

[2] المصدر نفسه، 7/ 427- 428 وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، د.ت ، 88/2.

[3] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت، 4/ 51.

[4] هو: الخليفة أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي، لقبه نصر الدولة، كان قويا في بدنه، خلف والده المطيع، كانت دولته ثماني عشرة سنة، لكنه عُزل في آخر أيام إمارته، وأشهد عليه بخلع نفسه وأنه سلم الخلافة إلى القادر بالله وشهد الكبراء بذلك، وبقي بعد عزله أعواما إلى أن مات 393هـ. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9: 1413هـ، 118/15 -126.

[5] هو: صاحب العراق شرف الدولة شيرويه بن الملك عضد الدولة بن بويه الديلمي، تملك وظفر بأخيه صمصام الدوله فسجنه، وكان فيه خير وأزال المصادرات، كانت أيامه سنتين وثمانية أشهر. مات 379هـ ولم يبلغ الثلاثين، وتملك بعده أخوه بهاء الدولة، وكان أخوهما الصمصام هو الذي تملك العراق بعد أبيهم عضد الدولة ثلاثة أعوام ثم أقبل شرف الدولة لحربه فذلَّ وسلَّم نفسه إلى أخيه فغدر به وحبسه بشيراز إلى أن مات. المصدر نفسه، 16/ 384- 385.

[6] من ذلك أنه رد على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع أملاكه وكان مغلها في العام ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم. شذرات الذهب، 88/2.

الفرع الثاني: الحالة العلمية والثقافية

بالرُّغم من ذلك الجوِّ المشحون بالأزمات، ومع هذا الوضع غير المستقر قابلتها حركة علمية نشيطة ومزدهرة، فلقد كان أمراء الدويلات الإسلامية يتنافسون فيما بينهم على اجتذاب العلماء والأدباء، وكانت مجالسهم عامرة بالمناقشات العلمية وكانوا يغدقون الأموال الطائلة عليهم، ويجهزونهم بكل ما يحتاجونه من كتب ومكتبات ومدارس علمية متخصصة[2]، وكان لهذا التشجيع كبير الأثر في إنعاش الساحة العلمية والثقافية آنذاك؛ فتعددت حواضر العلم والمعرفة، ونبغ عصرئذ علماء برعوا في شتى الميادين والتخصصات. وفي هذا العصر نشأ أبو علي الفارسي[3]، وتعلَّم، ونبغ، ودرّس وألَّف.

ومما يحكى عن أبي عليٍّ أنه كان يوما في ميدان شيراز[4] يساير عضد الدولة[5]، فقال له: لم انتصب المستثنى في قولنا: قام القوم إلا زيدا؟ فقال الشيخ: بفعل مقدَّر، فقال له: كيف تقديره، فقال: أستثني زيداً، فقال له عضد الدولة: هلاَّ رفعته وقدَّرت الفعل امتنع زيد، فانقطع الشيخ وقال له: هذا الجواب ميداني، ثمَّ إنَّه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه. وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدِّم بتقوية (إلاَّ)[6].

---

[1] البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت، 202/11..

[2] المصدر السابق.

[3] ستأتي ترجمته بعد حين.

[4] شيراز بلد عظيم مشهور، وهو قصبة بلاد فارس. ذهب بعض النحويين إلى أن أصله شراز، وجمعه شراريز وجعل الياء قبل الراء بدلا من حرف التضعيف، وشبهه بديباج، ودينار، وديوان وقيراط؛ فإن أصله عندهم دباج، ودنار، ودوان، وقراط. ومن جمعه على شواريز فإن أصله عندهم شورز وهي مما استجد عمارتها واختطاطها. قيل أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن أبي عقيل، ابن عم الحجاج؛ وهي في وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخا. أنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 3/ 378 وما بعدها.

[5] هو: السلطان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو صاحب العراق وفارس ابن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، تملك بفارس بعد عمه عماد الدولة ثم كثرت بلاده واتسعت ممالكه، قصد العراق والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله وتملك ودانت له الأمم، وكان شجاعا مهيبا نحويا أديبا عالما جبارا عسوفا شديد الوطأة ،وكان يقول الشعر، نقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه)، ومات بعلة الصرع، وكان شيعيا جلدا، أظهر بالنجف قبرا زعم أنه قبر الإمام علي وبني عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء والاعتزال. مات سنة: 372هـ ببغداد. انظر: الأعلام، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، 156/5، سير أعلام النبلاء: 16/ 249- 251 ووفيات الأعيان: 4/ 51-54.

[6] روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الأصبهاني، الدرر الإسلامية –بيروت، ط1، 1411هـ-1991م، 3/ 72- 73.

كما روي أنَّه جرى ذكر الشِّعر بحضرة أبي عليٍّ، فقال: إني لأغبطكم على قول الشِّعر فإنَّ خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من موادِّه، فقال له رجل: فما قلت قطُّ شيئاً منه. قال: ما أعلم أنَّ لي شعراً إلا ثلاثةُ أبيات في الشّيب، وهي قولي:

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيبِ أولى أن يعابا

ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيبا خشيت ولا عتابا

ولكن المشيب بدا ذميماً فصيَّ رت الخضاب له عقابا[1].

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده

يشتمل هذا المطلب على اسم الإمام الكامل ونسبه في الفرع الأول، ثم مولده ونشأته وأسرته في الفرع الثاني، كما يأتي:

الفرع الأول: اسمه ونسبه

أما عن **اسمه** فهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي[2]، أبوه فارسي، وأمه عربية من سدوس شيبان[3].

وأما عن اسم **أبيه وجده** فلقد اختلف المترجمون في نسب أبي علي الفارسي زيادة ونقصا؛ فذكر جميع من ترجم له إلا من شذَّ أن اسم أبيه أحمد، واسم جدِّه عبد الغفار، وهو الذي وجد بخطه: وكتب الحسن بن أحمد.

وفي معجم الأدباء: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان اهـ[4]. ومثله في تاريخ ابن خلكان[5].

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م، 2/ 80- 81.

[2] انظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرّومي، ت: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 811/2 ووفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م، 2/80- 82.

[3] هي قبيلة عربية ترجع أصولها إلى سدوس –بفتح السين- بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، 13/ 84. وهذا مما يثير الشك في الجزم بفارسيته.

[4] معجم الأدباء، 811/2.

[5] وفيات الأعيان، 2/ 80- 82.

وعلى الرغم من أن جدَّه البعيد "أبان" عربي منصرف[1]، فقد ذهب أكثر من ترجم له إلى أن أباه فارسي الأصل. وقد يكون الأمر أن جدَّه هذا عربي الأصل استوطن بلاد فارس أثناء الفتوحات الإسلامية، أو لعله فارسي أسلم آباؤه فسموه باسم عربي، ولقب الفارسي –كما يقول الباحث عبد الفتاح شلبي– لا ينهض دليلا على فارسيته؛ إذ كثيرا ما تَلقَّب بعض المشهورين من العرب بألقاب فارسية[2].

وقال في الكامل: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[3].

وفي تاريخ بغداد: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان[4].

وفي مرآة الجنان: الحسن بن أحمد الفارسي[5].

وفي اليتيمة في ترجمة ابن أخته أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي[6]، قال: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي[7].

وفي ميزان الاعتدال: الحسن بن أحمد[8].

وفي لسان الميزان: اسم جدّه عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان[9].

وفي بغية الوعاة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان[1].

---

[1] انظر: لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1: د.ت، مادة: (أبن)، 134/16.

[2] وذلك مثل: أبي إسحاق الشيرازي، والفيروزآبادي، والترمذي صاحب السنن، والأصبهاني صاحب الأغاني وغيرهم. أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية،وآثارهُ في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة –مصر، د.ط، 1377 هـ، ص46.

[3] الكامل، 7/ 429.

[4] تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت، 7/ 275.

[5] مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد أبو عبد الله اليافعي اليمني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ- 1997م، 2/ 305.

[6] أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي، أحد أفراد الدهر، وأعيان العلم، وأعلام الفضل، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ، وعليه درس، حتى استغرق علمه، واستحق مكانه، وكان أبو علي أوفده على الصاحب فارتضاه، وأكرم مثواه، وقرب مجلسه. انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك أبو منصور الثعالبي النيسابوري، المطبعة الحنفية –دمشق، د.ط، د.ت، 109/2 ومعجم الأدباء، 2523/6.

[7] المصدر نفسه، 2/ 109.

[8] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة –يروت– لبنان، د.ط، د.ت، 1/ 480.

[9] لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدَّة، دار البشائر الإسلامية – بيروت–لبنان، ط1، 1422هـ- 2002م، 3/ 26.

وفي فهرست ابن النديم: الفارسي أبو علي بن أحمد بن عبد الغفار[2].

وفي روضات الجنات: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[3].

وشذَّ صاحب شذرات الذهب فقال: الحسن بن محمد بن عبد الغفار[4] ويمكن أن يكون من سهو النساخ.

وأما عن **كنيته** فأبو علي عند الجميع من غير خلاف وقد اشتهر بكنيته.

وأمه سدوسية من سدوس شيبان من ربيعة الفرس اهـ[5].

وصفه المؤرخون بأنه كان قويَّ البنية، نظيفا في مظهره ولهذا فقد أزرى على المتنبي[6] قبح زيِّه، وما أخذ به نفسه من الكبر[7].

كما وصف بأنه كان صادقا في نفسه، مترفعا عن الكذب، رفيقا بذوي القربى[8].

وقد كان ذا موضوعية في تقرير الحقائق العلمية واللغوية والنحوية، وسوف نرى ذلك واضحاً – إن شاء الله– أثناء الحديث عن آرائه.

الفرع الثاني: مولده ورحلاته

ولد سنة 288هـ بمدينة فسا[9] من أرض فارس، وهي مدينة واسعة الأبنية، فسيحة الشوارع، ذات حصن وخندق وربض.

---

[1] بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، د.ن، ط2، 1399هـ- 1979م، 1/ 496.

[2] الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1398هـ-1978م، 1/ 95.

[3] روضات الجنات، 3/ 72.

[4] شذرات الذهب في تاريخ من ذهب، 2/ 88..

[5] معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب، 2/ 811.

[6] هو: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي. قال في العبر وليس في العالم أشعر منه أبدا وأما مثله فقليل، اشتغل في فنون الأدب ومهر فيها وتضلع من علم، اعتنى العلماء بديوانه فشرحوه أكثر من أربعين شرحا، وسمي المتنبي لأنه ادعى النبوة، قتل سنة 354هـ. له ديوان شعر مطبوع ومشروح شروحا وافية،. وقد جمع الصاحب ابن عباد لفخر الدولة نخبة من أمثال المتنبي وحكمه، وتبارى الكتاب قديما وحديثا في الكتابة عنه. انظر: الأعلام، 1/ 115، شذرات الذهب، 2/ 13- 15 ووفيات الأعيان، 1/ 120- 123.

[7] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي، ت: مصطفى السقا وغيره، دار المعارف، ط3، د.ن، د.ت، ص92.

[8] معجم الأدباء، 6/ 2536.

[9] فسا بالفتح والقصر كلمة عجمية، وعندهم بسا بالباء؛ كذا يتلفظون بها، وأصلها في كلامهم: الشمال من الرياح، وهي مدينة بفارس أنزه مدينة بها، وهي مدينة مفترشة البناء واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز، وهي أصح هواء من شيراز وأوسع أبنية، وهي مدينة يجتمع فيها ما يكون في الصرود، والجروم من البلح والرطب والجوز والأترج وغير ذلك، وباقي مدن دارابجرد متقاربة،

وأما عن **رحلاته**؛ فقد رحل إلى بغداد سنة 307هـ[1] لطلب العلم فيها، كما رحل إلى غيرها من مدن العراق، وفيها ذاعت شهرته، وتنقل في شعابه، يحاضر ويؤلف ويسأل، فكانت له مؤلفات سميت بأسماء المدن العراقية، كالبصريات والبغداديات وغيرها.

وانتقل الإمام إلى الموصل، وفيها التقى بتلميذه ابن جني حيث بقي زمنا ثم سافر إلى الشام، فزار حلب والتحق ببلاط الأمير سيف الدولة الحمداني[2] فأكرم وفادته، وتنقل في بلاد الشام، فمضى إلى طرابلس ومعرة النعمان[3]، واتصل برجالها وأهل العلم فيها، وأقام بحلب فظفرت منه بالمسائل الحلبية، وقد امتحن فيها بخصومة ابن خالويه[4]، وكان من خلصاء سيف الدولة وآثرهم عنده. ولذا لم تطب الإقامة لأبي علي هناك.

وورد شيراز سنة 348هـ، فلبث فيها عشرين عاما منقطعا إلى عضد الدولة بن بويه. ثم عاد إلى بغداد بعدما استولى عليها عضد الدولة واستقر له الأمر فيها، فصنف له كتابي الإيضاح والتكملة، وعلمه النحو حتى قال فيه عضد الدولة: "أنا غلام أبي علي في النحو"[5].

واستقر أبو علي بفداء ببغداد إلى أن أدركته منيته في ربيع الآخر وقيل في ربيع الأول سنة 377هـ، فدفن هناك بالجانب الغربي منها[1].

وإليها ينسب أبو علي الفارسي الفسوي وأبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي الفارسي. معجم البلدان، 4/ 260- 261.

[1] طبقات الزبيدي، 131.

[2] هو: سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب مقصد الوفود، وكعبة الجود وحامل لواء الجهاد. كان أديبا مليح النظم فيه تشيع، ويقال ما اجتمع بباب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه، وكان يقول عطاء الشعراء من فرائض =الأمراء، ولده في سنة 331هـ، وله غزو ما اتفق لملك غيره، وكان يضرب بشجاعته المثل. مات في صفر سنة 356هـ، كانت دولته نيفا وعشرين سنة وبقي بعده ابنه سعد الدولة في ولاية حلب خمسا وعشرين سنة. سير أعلام النبلاء، 16/187- 189، وفيات الأعيان، 3/ 401- 406.

[3] معرة بفتح أوله وثانيه وتشديد الراء. قال ابن الأعرابي: المعرة الشدة، والمعرة كوكب في السماء دون المجرة، والمعرة الدية، والمعرة قتال الجيش دون إذن الأمير وقيل غير ذلك. وأما النعمان فقيل: نسبة إلى النعمان بن بشير صحابي اجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه فسميت به، وقيل أنها مسماة بالنعمان نسبة إلى الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله؛ وهي –النعمان– مدينة كبيرة قديمة، ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، ومنها كان أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري. ومعرة النعمان هي قرية من قرى الشام. أنظر: معجم البلدان، 5/ 155 وما بعدها.

[4] ستأتي ترجمته، ص14.

[5] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ت: أحمد أمين و أحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، د.ت، 131/1، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت، 4/ 15.

ولا نعلم شيئا عن دراسته الأولى، والمراحل التي اجتازها في هذه الفترة، إلا أن تردَّده على حلقات الشيوخ المشهورين في بغداد بعدما استقر فيها يوحي بأنه قد تردد على شيوخ بلاده قبل مجيئه إلى بغداد، وأخذ عنهم شتى علوم المعرفة وخاصة علوم العربية.

وقد اطَّلع على كتب المتقدِّمين فقرأ كتاب سيبويه[2] على أبي بكر بن السرَّاج[3]، وسمع معاني القرآن للفراء[4] من أبي بكر بن مجاهد[5] وسمع معاني القرآن للزجاج[6] منه[1].

---

[1] إنباه الرواة على أنباء النحاة، علي بن يوسف القفطي، ت: محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت، ط1، 1406هـ- 1986م، 308/1. تاريخ بغداد: 275/7. وفيات الأعيان، 2/ 80.

[2] هو: عمرو بن عثمان أبو بشر بن قنبر الملقب بسيبويه، مولى بني الحارث بن كعب وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه، أخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره، اختلف في سنة وفاته فقيل: توفي سنة 180. قال الذهبي في السير: "وهو أصحها"، وقيل سنة 177، وقيل سنة 161هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، 8/ 351- 352، وفيات الأعيان، 463- 464.

[3] ستأتي ترجمته بعد حين.

[4] هو: أبو زكريا الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها. أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وأخذ عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السُّمَّري وغيرهما. ولد الفراء بالكوفة وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها، وله من التصانيف: الحدود، والمعاني، وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر، وكتاب البهي؛ وهو صغير الحجم، وله كتاب اللغات، وكتاب المصادر في القرآن، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء وغيرها. توفي ستة 207هـ. إنباه الرواة على أنباء النحاة، 4/ 08 وما بعدها، سير أعلام النبلاء، 10/ 118- 121، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن أحمد، ابن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1410هـ، 2/ 460، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، د.ط، 1418هـ- 1998م، ص90، وفيات الأعيان، 6/ 176- 179.54.

[5] انظر: مقدمة تحقيق: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: علي النجدي ناصف وغيره، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –القاهرة، د.ط، 1415هـ- 1994م، ص 36. وستأتي ترجمة الإمام ابن مجاهد في الفصل الثاني من هذا الباب.

[6] ستأتي ترجمته بعد حين.

المطلب الثالث: نشأة الإمام

وتتمثل نشأته العلمية في احتكاكه بالشيوخ وتلقيه عنهم، ومزاملته لبعض الشخصيات العلمية، وثقافته وكذا إنتاجه وتخريجه لجملة من التلاميذ الذين أخذوا عن الإمام واهتموا بآثاره فيما بعد.

الفرع الأول: شيوخه

كان لأبي علي احتكاك كثير مع شيوخ في العراق؛ فأخذ عن جملة من الشيوخ والأئمة:

19- فروى عن أبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السرَّاج[2]، كان أحد الأئمة المشاهير المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرِّد[3]، أخذ عنه جماعة من الأعيان منهم أبو سعيد السيرافي[4] وعلي بن عيسى الرماني[5] وغيرهما، ونقل عنه الجوهري في كتاب الصحاح في مواضع عديدة، وله التصانيف المشهورة في النحو منها: "كتاب الأصول" وهو من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه، و"كتاب جمل الأصول"، و"كتاب الموجز"، و"كتاب الاشتقاق"، و"شرح كتاب سيبويه"، و"كتاب احتجاج القراء"[6]، و"كتاب الشعر والشعراء"، و"كتاب المواصلات" وغيرها. كان يلثغ في الراء فيجعلها غينا، فأملى يوما كلاما فيه لفظة بالراء فكتبوها عنه بالغين، فقال: لا بالغاء لا بالعاء؛ يريد بالراء وجعل يكررها على هذه الصورة، توفي سنة ستة عشرة وثلاثمائة، رحمه الله تعالى[7].

20- وروى عن أبي إسحاق الزجاج؛ إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين وصنف كتابا في معاني القرآن، له كتاب

---

[1] المحتسب، 36/1.

[2] مقدمة الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، 29/1.

[3] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد عبد الله الأزدي البصري، المعروف بالمبرد النحوي نزل بغداد وكان إماما في النحو واللغة وله التواليف النافعة في الأدب، منها: كتاب الكامل، وكتاب الروضة، والمقتضب وغير ذلك. أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وفي تسميته بالمبرِّد حكاية. توفي سنة: 286، وقيل: 285هـ ببغداد. وفيات الأعيان، 4/ 313- 319.

[4] ستأتي ترجمته، ص14.

[5] ستأتي ترجمته، ص16.

[6] لعل كتاب "احتجاج القراء"هذا، هو الكتاب الذي شرع فيه وارتفع منه تبييض في سورة البقرة –كما يقول الفارسي- ولم يكمله.

[7] انظر: نزهة الألباء، ص220، وشذرات الذهب، 1/ 259 ووفيات الأعيان، 4/ 339- 340.

الأمالي وكتاب ما فسر من جامع المنطق، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه. روى أبو سليمان الخطابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي قال: كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول: إن كان فيكم أبو إسحاق الزجاج وإلا انصرفوا، توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة[1].

21- وروى عن أبي بكر بن دريد[2]؛ محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي البصري نزيل بغداد، صاحب التصانيف المفيدة في اللغة كالجمهرة والأمالي وغير ذلك. كان رأسا في اللغة وأشعار العرب وله قصيدة طنانة يمدح بها الشافعي رضي الله عنه أنشدها الحاكم أبو عبد الله في مناقب الشافعي. قال الدارقطني: تكلموا فيه، مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتوفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة[3].

22- وعن أبي الحسن –وقيل أبي المحاسن- الأخفش؛ أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، المعروف بالأخفش[4] الصغير النحوي. كان عالما، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما، وروى عنه المرزباني وأبو الفرج المعافى الجريري وغيرهما وكان ثقة، حدث عنه البخاري وغيره.

---

[1] انظر: الكامل، 7/ 16، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي –الكويت، ط1، 1407هـ، 1/ 186،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي –بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، 4/ 448 والنجوم الزاهرة، 3/ 308 و نزهة الألباء، ص225 وما بعدها.

[2] المسائل البصريات، أبو علي الفارسي، ت: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني –القاهرة، ط1، 1405هـ-1985م، 1/ 51

[3] انظر: طبقات الشافعية، 2/ 116، الفهرست، 1/ 91، نزهة الألباء، ص225- 226.

[4] على أن هناك أخفشين آخرين، هما: أبو الحسن، سعيد بن مسعدة المجاشعيّ بالولاء، النحويّ البلخيّ، المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نحاة البصرة. أخذ النحو عن سيبويه وعمن أخذ عنه سيبويه، وكان أعلم من أخذ عنه وكان أكبر منه. وهو الطريق إلى سيبويه، فإنه لما توفي قُرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازنيّ. وزاد في العروض "بحر الخَبَب"، وله كتاب "معاني القرآن"، و"الأوسط في النحو"، وكتاب "الاشتقاق"، وكتاب "العروض"، وكتاب "المسائل الكبير"، و "المسائل الصغير"، و "معاني الشعر"، و "المقاييس" و "التصريف" وغيرها مما عدت عليها العوادي وطوته فيما طوت من كنوز. توفي سنة 225 وقيل 221هـ. شذرات الذهب، 1/ 36، نزهة الألباء، ص120، الفهرست: 1/ 77، وفيات الأعيان: 2/ 380.

=أما الأكبر أو الكبير: فهو شيخ العربية أبو الخطاب البصري يقال اسمه عبد الحميد بن عبد المجيد، من أهل هجر من مواليهم، كان في دولة الرشيد. تخرج به سيبويه وحمل عنه النحو لولا سيبويه لما اشتهر. أخذ عنه أيضا عيسى بن عمر النحوي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما، وله أشياء غريبة ينفرد بنقلها عن العرب، وهو مجهول الوفاة. النجوم الزاهرة، 3/ 219، سير أعلام النبلاء، 14/ 480 و شذرات الذهب: 1/ 36.

كان يضجر كثيرا إذا سئل عن شيء من النحو وكان حافظا للأخبار، له من الكتب كتاب الأنواء كتاب التثنية والجمع وكتاب الجراد. توفي سنة خمسة عشرة وثلاث مئة[1].

23- وروى عن الشيخ ابن معدان؛ أبي الحسن علي بن الحسين بن معدان الفارسي الفسوي، حدث عن إسحاق بن راهويه وأبي عمار الحسين بن حريث، روى عنه شيخ النحو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي وأبو بكر محمد بن أحمد الأصبهاني. توفي في شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وثلاث مئة [2].

24- كما روى عن أبي بكر بن مجاهد[3]؛ هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرىء، كان واحد عصره غير مدافَع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن، روى الإمام قراءات كثيرة وله كتب مصنفة، منها: كتاب "القراءات الكبير"، كتاب "القراءات الصغير"، كتاب "الياءات"، كتاب "الهاءات"، كتاب "قراءة أبي عمرو"، كتاب "قراءة ابن كثير"، كتاب "قراءة عاصم"، كتاب "قراءة نافع"، كتاب "قراءة حمزة"، كتاب "قراءة الكسائي"، كتاب "قراءة ابن عامر" وكتاب "قراءة النبي ρ "، وتوفي رحمه الله في محبسه لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[4].

وغير هؤلاء من الشيوخ كثير؛ الأمر الذي بوَّأ أبا عليّ أحد أئمة العربية وأغزرهم علما وأوسعهم اطلاعا، وأن تكون كتبه أجل الكتب وأجدرها قراءة وتدريسا.

الفرع الثاني: زملاؤه

---

[1] النجوم الزاهرة، 3/ 219، نزهة الألباء، ص219، الفهرست، 1/ 123 ووفيات الأعيان، 3/ 301.

[2] تاريخ بغداد، 7/ 275 وسير أعلام النبلاء، 14/ 520.

[3] بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت: سهيل زكار، دار الفكر –بيروت، ط1، 1988م، 5/ 2265.

[4] انظر ترجمته: تاريخ بغداد: 144/5 وما بعدها.، طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر السبكي، ت: عبد الفتاح محمد الحلو و هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط2، 1992م، 57/3 وما بعدها، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: بشار عواد معروف وغيره، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1404هـ، 269/1-272 ، الفهرست، لابن النديم، 47/1.

كان لأبي علي زملاء أخذوا معه عن شيوخه، منهم:

10- الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي، كان إماما في النحو والفقه والشعر والقرآن والفرائض والحديث، ولي قضاء بغداد، قرأ النحو على ابن السراج وعلى أبي بكر مبرمان، واللغة على أبي بكر بن مجاهد وابن دريد[1]، وله تآليف منها شرح كتاب سيبويه وأحسن فيه مات سنة 368هـ[2].

11- الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي الهمذاني الحلبي، روى عن ابن الأنباري وأبي بكر بن مجاهد وابن دريد ونفطويه، له تصانيف كثيرة منها شرح المقصورة الدريدية والبديع في القرآن الكريم وحواشي البديع في القراءات وشرح شعر أبي نواس مات بحلب سنة 370هـ[3].

وكانت المنافسة بين أبي علي وابن خالويه على أشدِّها؛ فقد كتب أبو علي كتابه"الإغفال"، عقب فيه عما أغفله شيخه أبو إسحاق الزجاج في "معاني القرآن" ونقده، غير أن ذلك لم يرض ابن خالويه فتعقَّبه فيما كتب، ورد أبو علي على تعقيبه له في "نقض الهاذور[4]" وبسط الكلام فيه كل البسط. وقد أورد البغدادي في "خزانته" طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين أبي علي وابن خالويه، أذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه: "إن الواو إذا كانت في أوائل القصائد نحو: وقاتم الأعماق... فإنها تدل على رب فقط، ولا تكون للعطف، لأنه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو.

وقال الفارسي في "نقض الهاذور": "هذا شيء لم نعلم أحدا ممَّن حكينا قوله ذهب إليه، ولا قال به"[5].

وقال ابن الأنباري في (نزهة الألباء): إنه اجتمع هو وأبو علي الفارسي فجرى بينهما كلام، فقال لأبي علي: نتكلم في كلام سيبويه، فقال له أبو علي: بل نتكلم في الفصيح.

---

[1] تقدمت ترجمته آنفاً، ص14 . انظر المزيد: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة، ت: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1407هـ، 2/ 116، الفهرست، 1/ 91. وفيات الأعيان، 4/ 323 وما بعدها.

[2] البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، 86/1. بغية الطلب في تاريخ حلب، 5/ 2444.

[3] البلغة، 1/ 90. بغية الطلب، 2/ 2265.

[4] الهاذور من الهذر، ومعناه الهذيان، وكذا سقط الكلام الذي لا يعبأ به. انظر: لسان العرب، مادة (هـ ذ ر)، 259/5، مختار الصحاح، مادة (هـ ذ ر)، 1/ 289. واسم الكتاب يدلُّ بما لا يخفى على السجال العلمي الشديد بين الإمامين.

[5] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م، 1/ 80.

ويروى أنه قال لأبي علي: كم للسيف اسما؟ قال: اسم واحد، فقال له ابن خالويه: بل أسماء كثيرة، وأخذ يعدِّدها نحو: الحُسام، المخذم والقضيب ... فقال أبو علي: هذه كلها صفات[1].

ولم تكن منافسة ابن خالويه لأبي علي إلا صدًى لمنافسة أستاذه أبي سعيد السيرافي لأبي علي، فقد كان رحمه الله –كما يقول أبو حيان التوحيدي– "متقداً بالغيظ على أبي سعيد وبالحسد له، كيف تمَّ له تفسير كتاب سيبويه من أوَّله إلى آخره، بغريبه، وأمثاله، وشواهده وأبياته، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لأن هذا شيء ما تمَّ للمبرد، ولا للزجاج، ولا لابن السَّرَّاج ولا لابن دَرَستَويه [2]، مع سعة علمهم وفيض كلامهم"[3].

ولمنزلة أبي سعيد السيرافي في نفس تلميذه ابن خالويه أرسل إلى سيف الدولة ليُعلِمه تطاول الفارسي على السيرافي، وهو تطاول غير محمود، فمكانة السيرافي خصوصا بعد هزيمة (متّى)[4] المنطقي جديرة بأن تكسو ثوب المهابة والإجلال، ولا يسوغ لأبي علي أو غيره أن ينتقص من هذه الشخصية العلمية الفذة.

ولما علم الفارسي بالخبر أرسل إلى سيف الدولة رسالة ينفي فيها عن نفسه التهمة، ومما قال فيها: "من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل –يعني ابن خالويه– هو قوله: لو يبقى عمر نوح ما صلح –أبو علي– أن يقرأ على السيرافي مع علمه بأن السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان؟ هذا مما لا خفاء فيه، كيف وقد خلط فيما حكاه عني؟ وأني قلت: إن السيرافي قد قرأ عليَّ. ولم أقل هذا، إنما قلت: تعلَّم مني، أو أخذ مني هو أو غيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا. وليس قول القائل: تعلَّم منِّي مثل قرأ عليَّ، لأنه يقرأ

---

[1] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص271 والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، 1/ 318.

[2] هو: عبد الله بن جعفر أبو محمد بن دَرَستَويه الفارسي النحوي، أحد النحاة والأدباء المشهورين، أخذ عن المبرد وابن قتيبة، كان فسويا، وأقام ببغداد إلى حين وفاته. ألف كتبا منها: كتاب الإرشاد، وشرح كتاب الجرمي، وكتابه في الهجاء وهو أحسنها. أخذ عنه عبيد الله المرزباني وغيره. ولد سنة: 258هـ، وتوفي سنة 347 في خلافة المطيع. أنظر: نزهة الألباء، ص247- 248، وفيات الأعيان، 3/ 44.

[3] الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ص131.

[4] هو: متّى بن يونس الحكيم، كان يعلم المنطق، وكان حسن العبارة في تآليفه لطيف الإشارة، ويحكى أن الآلة المسماة القانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب، وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن.أجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذي اقتصر عليها لقناعته، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في سنة 339هـ. شذرات الذهب، 1/ 352، وفيات الأعيان، 5/ 153.

عليه من لا يتعلَّم منه، وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه. وتعلُّم ابن بهراذ السيرافي منِّي في أيام محمد بن السري وبعدَه لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الورَّاق، ومحمد بن أحمد بن يونس، ومن كان يطلب هذا الشأن من بني الأزرق الكتّاب وغيرهم. وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في (صف شونيز[1]) كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، لأنه كان جاري بيْتَ بيتَ قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني"[2].

12- علي بن عيسى أبو الحسن الرماني النحوي، إمام في اللغة والنحو والمنطق. أخذ عن ابن السراج وابن دريد، صنف كتبا كثيرة منها شرح كتاب سيبويه في سبعين مجلدا، وكتاب الحدود، وكتاب معاني الحروف، وشرح الموجز لابن السراج وشرح أصول ابن السرَّاج. قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرُّمَّاني فليس معه منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء. توفي سنة 384هـ[3].

الفرع الثالث: ثقافته وتلامذته

أولا: ثقافته

---

[1] لم أقف على ترجمته.

[2] معجم الأدباء، 2/ 820.

[3] البلغة، 154/1.

تثقف أبو علي بعلوم عصره، فكان موسوعة ثقافية عديدة الجوانب، فقد درس كتاب سيبويه (180هـ)[1]، وروى كتب أبي عبيدة (210هـ)[2]، وأبي زيد (215هـ)[3] والأصمعي (216هـ)[4] وابن الأعرابي (231هـ)[5] واطلع على شوارد اللغة وشواذها، وخير دليل على ثقافته اللغوية مؤلفاته التي بين أيدينا، فهي مستودع فاخر تتجلى فيه سعة اطلاع أبي علي، وعمق ثقافته.

ومما يزيد ذلك وضوحا اعتماد المتأخرين عليها، سواء كانوا من أصحاب المعجمات، أم كانوا من أصحاب المؤلفات الأخرى التي احتوت أطرافا من اللغة.

هذا، دون أن نغض الطرف عن مسائله وآرائه المنثورة في بطون كتب المتأخرين كابن سيده، وابن الأنباري، وابن هشام والبغدادي.

أما ثقافته في علوم القرآن والقراءات والحديث، فتبدو واضحة العيان في كتابيه: الحجة، والإغفال، وفي استشهاداته واعتماده على القرآن في تفسير القرآن بالقرآن، والظواهر النحوية، واللغوية، والصرفية، والفقهية والمنطقية، حتى إن المرء يحس وهو يقرأ مصنفات أبي علي كأنه أمام سيل منحدر من الآيات المترادفة التي يصرفها كيفما يشاء، فهو يؤيد القرآن بالقرآن، ويعلل القرآن بالقرآن، ويحتج للقرآن بالقرآن، ويؤول القرآن بالقرآن في كثير من الأحيان.

أما عن القراءات؛ فقد روى عن ابن مجاهد[6]، وألف فيها كتاباً ضخما سماه: (الحجة في القراءات السبع) اعتمد عليه الكثيرون من المفسرين، وأصحاب القراءات كالزمخشري في الكشاف،

---

[1] ستأتي ترجمته في حينه.

[2] ستأتي ترجمته في حينه.

[3] ستأتي ترجمته في حينه، ص95.

[4] هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع المعروف بالأصمعي الباهلي، كان صاحب لغة ونحو وإماما في الأخبار، والنوادر، والملح والغرائب. سمع شعبة بن الحجاج، والحمادين، ومسعر بن كدام وغيرهم. وروى عنه عبدالرحمن ابن أخيه عبد الله، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي وغيرهم، وهو من أهل البصرة. وللأصمعي من التصانيف كتاب خلق الإنسان، وكتاب الأجناس، وكتاب الأنواء، وكتاب الهمز، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الفرق، وكتاب الصفات، وكتاب النوادر، وكتاب أصول الكلام، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب الاشتقاق وغيرها. توفي سنة 216هـ. وفيات الأعيان، 3/ 170- 177.

[5] هو: أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي، صاحب اللغة وهو من موالي بني هاشم فإنه مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله، ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، وناقش العلماء واستدرك عليهم، وخطأ كثيرا من نقلة اللغة، وكان رأسا في كلام العرب. ومن تصانيفه كتاب النوادر، وكتاب الأنواء، وكتاب تاريخ القبائل، وكتاب معاني الشعر، وكتاب تفسيرالأمثال، وكتاب الألفاظ وغير ذلك. وأخباره ونوادره وأماليه كثيرة. توفي إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل سنة ثلاثين ومائتين والأول. وفيات الأعيان، 4/ 306- 308.

[6] ستأتي ترجمته في حينه، ص55.

والطبرسي في معجم البيان وغيرهما. وفي الحديث كان أبو علي من السابقين إلى استعمال الحديث في مجال اللغة والنحو، واستشهد بنصوص كثيرة من الحديث.

أما ثقافته العروضية فتتجلى في الظواهر التي دوّنها عن العروض، لاسيما في مسائله الشيرازيات، وفي حدّة ذكائه الذي نزع إلى معرفة العروض من خلال علوم اللغة الأخرى، من ذلك إجابته حينما سئل عن خرم (متفاعلن)، روى ذلك الحصري قائلا: "ومما يشهد بصفاء ذهنه، وخلوص فهمه أنه سئل قبل أن ينظر في العروض عن خرم (متفاعلن)، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو فقال: لا يجوز؛ لأن متفاعلن ينقل إلى (متفعلن) إذا أضمر، فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن..."[1].

ثانيا: تلامذته

التفَّ حول أبي علي عدد غير قليل من التلاميذ أصبحوا أئمة في العربية، أشهرهم:

13- أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ[2].

14- أبو طالب أحمد بن بكر العبدي المتوفى سنة 406هـ[3]، أخذ عن أبي علي، وشرح كتاب (الإيضاح)[4].

15- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 398هـ[5] صاحب الصحاح.

16- أبو الحسن علي بن عيسى الربعي المتوفى سنة 420هـ[6].

---

[1] معجم الأدباء، 7/ 235- 236.

[2] ستأتي ترجمته في حينه، ص21.

[3] معجم الأدباء، 2/ 236- 239.

[4] إنباه الرواة، 2/ 387.

[5] انظر: إنباه الرواة، 1/ 229 وما بعدها.

[6] انظر: نزهة الألباء، ص295.

المطلب الأول: عقيدة الفارسي ومذهبه

يتناول هذا المطلب عقيدة الإمام أبي عليّ ومذهبه الفقهي ومكانته العلمية وأهمّ أقوال العلماء فيه ثم أهم آثاره المعروفة عنه ووفاته رحمه الله، وذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: عقيدته

لعل أول خبر يمكن الركون إليه في تحديد اتجاه خاص لعقيدة الفارسي هو ما ذكره الخطيب البغدادي أنه كان متَّهما بالاعتزال[1]. وواضح من هذا الخبر عدم الجزم باعتزاليته؛ إذ هناك فرق بين التَّصريح باعتزاليته وبين اتهامه بها. والدليل على ذلك أن صاحب الكامل في التاريخ أوهن هذه التهمة، ولم يذكر في عقيدة أبي علي أكثر من قوله: قيل كان معتزليًّا[2].

قد يكون هذان النصَّان أوثق ما ورد في تحديد عقيدة أبي علي وبيان نحلته، لقدم مصدريهما، وقوة ما عرف عن هذين المصدرين من التحرّي والدقة.

هذا، إذا استثنينا صاحب المزهر الذي صرَّح باعتزاليته، في قوله: "وقال ابنُ جني في الخصائص وكان هو وشيخه أبو عليّ الفارسي مُعْتَزِلِيَّيْن: باب القول على أصل اللغة، إلهام هي أم اصطلاح"[3].

وقد توارث المترجمون المتأخِّرون لحياة أبي علي اتهامه بالاعتزال[4] في وصف متردِّد بين التَّشكيك التَّشكيك والتَّرجيح[5].

كما ورد ذكر لمصنفات أبي علي الفارسي في كتاب: الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد بن محسن الرازي، ولكن مصنف هذا الكتاب من متأخري الشيعة، على أنه لم يرد ذكر لأبي علي ولا

---

[1] تاريخ بغداد، 275/7.

[2] الكامل في التاريخ، 429/7.

[3] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي،1/ 14.

[4] انظر: وفيات الأعيان، 82/2، وإنباه الرواة للقفطي، 1/ 309 وبغية الوعاة، 216.

[5] ومما يقوي اتهام أبي علي بالاعتزال إشاعته في "الحجة" من وصف الله تعالى بالقديم؛ والقدم أخصُّ وصف للذات الإلهية عند المعتزلة. أنظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1404هـ، 1/ 44. كما أورد مصطلحي التحسين والتقبيح العقليين في غير الحجة؛ ومعلوم أن هذين المصطلحين –كما يقول الشهرستاني تجب معرفتهما بالعقل، وهم –المعتزلة– يدعون إلى النظر والتفكير والاستدلال على الحسن والقبح بإعمال العقل. انظر: كتاب التكملة، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، ت: كاظم بحر المرجان، مطبعة دار الكتب –الموصل– العراق، د.ط، 1980م، ص227، 293، 294، 298. كما أشاع في كتابه أيضاً من ذكر أصلي التوحيد والعدل، ومعلوم أن المعتزلة يسمون بأصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية. الملل والنحل، 1/ 43. وقد جزم بعض النحاة كابن سيده وغيره باعتزاليته؛ فبعد أن نقل توجيهاً له في سورة آل عمران، قال: "انتهت تخريجات أبي علي، وهو معتزلي، فلذلك يشتمل كلامه على لفظ المعتزلة من التوحيد والعدل". إعراب القرآن من البحر المحيط لأبي حيان، ابن سيده النحوي، مكتبة المشكاة الإسلامية، د.ط، د.ت، 3/ 25.

لكتبه في كتاب "معالم العلماء" لرشيد الدين أبي جعفر محمد السروي المتوفى سنة: 588هـ، وكتابه هذا فهرست لكتب وأسماء المصنفين من الشيعة قديما وحديثا، ولا في غيره من كتب الفهرست عندهم.

وما ورد من نسبته إلى الاعتزال أو التشيع إن أظهر أبو علي من ذلك شيئا، فلعله يعود إلى مجاملة الأمير عضد الدولة بقصد التقرب إليه[1]؛ فقد سبق في ترجمة هذا الأخير أنه كان شيعيا جلدا، أقام شعار الرفض والاعتزال. وأبو علي رحمه الله لم يظهر في كتبه خصوصا "الحجة" ما يدل على كل ذلك، ولو كان كذلك أو أبدى من ذلك شيئا لاشتهر أمره، وفضحه أعداؤه ومنافسوه في وقت كانت تعدُّ فيه الهفوات، بل على العكس من ذلك تماما فإن المتأمِّل لكتاب الحجة يجد فيه ذكر الصحابة وترضيه عنهم عموما، وأبي بكر وعائشة وعمر خصوصا رضي الله عنهم أجمعين؛ فقد ذكر أبا بكر في كتابه ثلاث مرات، استأنس بروايته ونعته في الأولى والثانية بلقبه الصديق، فقال: "كنحو ما روي عن أبي بكر الصديق أنه قال..." [2]. وأما في الثالثة فقد ترضى عنه[3]. وأما عمر رضي الله عنه فقد ذكره هو الآخر في ثلاثة مواضع؛ في الموضع الأول استدل برواية عنه[4]، وفي الثاني ترحَّم عليه[5] وذكر موافقته للقرآن[6] في اتخاذ مقام إبراهيم عليه السلام مصلى وفي الثالث ترحَّم عليه مرة

---

[1] شأنه في ذلك شأن من يحب أن ينال قربا عند السلطان. فابن خالويه أحد معاصريه –على سبيل المثال– يقول فيه ابن حجر: "كان صاحب سنة في الظاهر فقط ليتقرب إلى سيف الدولة الحمداني". انظر: مقدمة كتاب إعراب ثلاثين سورة، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، دار مكتبة الهلال –بيروت– لبنان، د.ط، 1985م.

[2] الحجة، الفارسي، 1/ 357، 361.

[3] المصدر نفسه، 1/ 458.

[4] المصدر نفسه، 1/ 358.

[5] المصدر نفسه، 1/ 380.

[6] روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال عمر: وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله: "لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى" فنزلت: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، وآية الحجاب، قلت يا رسول الله: لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهنَّ البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ρفي الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية. صحيح البخاري، ، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير–اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ– 1987م، (كتاب أبواب القبلة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى القبلة، برقم: 393)، 1/ 157، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ط، (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم: 2399)، 1865/4.

أخرى واستدل بقولته تدعم توجيهه لبعض أحرف الخلاف[1]. وذكر السيدة عائشة أمَّ المؤمنين رضي الله عنها في موضع واحد[2]، مستدلا بروايتها والتي تدعم أيضا مذهبه.

وأما مذهبه في علي رضي الله عنه فمعتدل؛ فقد ذكره هو الآخر في ثلاثة مواضع، استدل بروايته في الأولى، فقال: "ويروى أن عليّاً عليه السلام، لما قال له..."[3]، ووصفه مرة بأمير المؤمنين وسلم عليه، فقال: "كما يروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن[4]: إن أباك لا يبالي أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه"[5]، وترضَّى عنه مرَّة أخرى شأنه في ذلك شأن غيره من الصحابة، قائلا: "وزعموا أن هذه القراءة رويت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[6].

هذا، ويمكن الاستئناس بقرينة قد تدفع عنه التشيُّع والقول به؛ مفادها ما جاء عنه في توجيهه لقراءة ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ من قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [المائدة: ٦]:

"وقراءة النصب هي قراءة نافع، وابن عامر، والكسائي ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ نصباً وحفص عن عاصم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو وحمزة ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ خفضاً"[7].

---

[1] الحجة، 1/ 445.

[2] المصدر نفسه، 1/ 368.

[3] المصدر نفسه، 1/ 172.

[4] هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي سبط رسول الله وريحانته أمير المؤمنين أبو محمد. روى عن النبي أحاديث حفظها عنه منها في السنن الأربعة. قال الواقدي مات سنة 49هـ، وقال المدائني مات سنة 50، وقيل سنة 51 وقال ابن منده مات سنة 49هـ. ويقال إنه مات مسموماً. انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1: 1412هـ- 1992م، 73/2 والأعلام، 2/ 199- 200.

[5] الحجة، 3/ 251.

[6] المصدر نفسه، 3/ 72.

[7] السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد، ت: شوقي ضيف، عن دار المعارف –القاهرة، ط2، 1400هـ، ص224، وانظر أيضا: الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط6، 1417هـ- 1996م، ص129، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م، 406- 407، والتيسير في القراءات السبع، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح: ارتويرتزل، دار الكتاب العربي –بيروت، د.ط، د.ت، ص74 والنشر في القراءات العشر، محمد بن محمد أبو الخير الدمشقي، ابن الجزري، قدم له: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان، ط2، 1423هـ- 2002م، 2/ 254.

قال أبو علي بعدها: "وجه من نصب فقال: أنه حمل ذلك على الغَسل دون المسح؛ لأن العمل من فقهاء الأمصار فيما علمت على الغسل دون المسح، وروي أن النبي ρ رأى قوماً، وقد توضؤوا، وأعقابهم تلوح، فقال عليه السلام: (ويل للعراقيب من النار)، وهذا أجدر أن يكون في المسح منه في الغسل؛ لأن إفاضة الماء لا يكاد يكون غير عام للعضو"[1].

يلاحظ في هذا التوجيه أن الإمام أبا عليّ يركن إلى الرأي الفقهي القائل بوجوب غسل الرجلين في الوضوء ويقدِّمه على المسح –مع أن هذا التوجيه في قراءة الجر يخالف رأيه في الحمل على العامل الأقرب[2]– وهذا الذي تعلمه من فقهاء الأمصار، ولا يخفى أن هذا الرأي يخالف ما عليه الشيعة الذين يرون أن الواجب في الأرجل المسح وليس الغسل؛ فقد جاء في الموسوعة الشيعية: "اعلم أن فرض الرجلين عندنا في الوضوء هو المسح دون الغسل، ومن غسل فلم يؤدِّ الفرض، وقد وافقنا على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس"[3].

وعلى كلٍّ –وبعد هذا العرض– لا يمكن أن نجزم بأي اتجاه عقدي لأبي علي طالما أن المصادر لم تنقل إلينا ذلك صراحة.

---

[1] الحجة، 2/ 113.

[2] سأورد في فصل آراء الفارسي واختياراته نماذج من ذلك إن شاء الله.

[3] راجع موقع الموسوعة الشيعية. منتدى الحوار: http/ www. Shialinks.net

الفرع الثاني: مذهبه

أولا: مذهبه في القراءات

روى أبو عليّ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، وروى القراءة عنه عرضاً عبد الملك بن بكران النهرواني[1] وأخذ النحو عن أبي إسحاق الزجاج ثم عن أبي بكر بن السري وأخذ عنه كتاب سيبويه وانتهت إليه رياسة علم النحو[2].

أما عن مذهبه في القراءات فالأقرب أنه كان يقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، ويؤيد ذلك أنه كان يحتج في مواطن مختلفة لقراءته ويرجحها، ففي كتاب الإغفال يرجِّح لقراءة أبي عمرو (**يومنون**) بالتخفيف، ويراه أحق بالإيثار من التحقيق[3]. فضلا على أنه لم يقم في الحجاز المشهورة بقراءتي الحرميين؛ نافع وابن كثير، وبعيد أن يقرأ بقراءة ابن عامر، حيث لم يقم طويلا في الشام، وكونه بصريا يجعل قراءات الكوفيين؛ عاصم وحمزة والكسائي بعيدة أن يقرأ بها، فلم تبق إلا قراءة أبي عمرو.

ثانيا: مذهبه في النحو

كان أبو علي من نحاة البصرة؛ فيذكر أبو علي لابن جني أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين، وكنت قد كتبت ذلك كلَّه بخطي، وقرأته على أصحابنا[4].

ثم إنَّ الأصول التي كان يأخذ بها في درس النحو تشهد ببصريته؛ فهو لا يعتدُّ بقليل[5]، ولا يقيس على شاذ[6]، ولا يقبل ما ليس بالمتسع في الاستعمال ولا المتَّجه في القياس[7].

---

[1] هو: عبد الملك بن بكران، أبو الفرج النهرواني المقرىء القطان، من جلة شيوخ المقارىء، قرأ على زيد بن علي الكوفي وأبي بكر النقاش وهبة الله بن جعفر وابن مقسم وغيرهم. وله مصنف في القراءات قرأ عليه الحسن بن محمد المالكي والحسن بن علي بن عبد الله العطار ونصر بن عبد العزيز الفارسي وأبو علي غلام الهراس وآخرون. وثقة الخطيب وقال توفي في رمضان سنة 404هـ. سير أعلام النبلاء، 1/ 209، غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، عناية: ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط1، 1427هـ–2006م، 417/1.

[2] غاية النهاية ، 1/ 189.

[3] الإغفال، ص 60، مخطوط برقم 875 تفسير.

[4] معجم الأدباء، 2/ 819.

[5] انظر على سبيل المثال في الحجة، 93/1. وسيأتي مزيد ذلك في معايير أبي علي في التوجيه والاختيار.

[6] المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، أبو علي الفارسي النحوي، ت: صلاح الدين عبد الله السيكاوي، مطبعة العاني –بغداد، د.ط، د.ت، 1/ 83.

[7] انظر على سبيل المثال في الحجة، 1/ 104. وسيأتي مزيد ذلك في معايير أبي علي في التوجيه والاختيار.

وبصريَّة أبي علي لم تدفعه إلى التحيُّز والتعصُّب، بل كان مستوعباً لآراء المدرسة الكوفية، ينظر في المسائل ويناقش بمنهجيَّة علمية، ولم يكن يلوك كلام الأئمَّة، ويتقبَّل آراءهم على علاتها، متابعة لهم أو عصبيَّة، ولكنَّه كان يناقش المسائل، وينظر في أدلَّتها حتى يتبيَّن له وجه الرَّأي، فيأخذ به أيًّا كان موقعه.

والدَّليل على ذلك مخالفته لغيره من البصريِّين؛ فقد خالف الخليل[1] في مسألة اشتقاق الحركات من الحروف[2] وغيرها[3]، وغلّط سيبويه في غير مسألة[4] وخالف في الإغفال آراء الزجاج والمبرد[5].

ووافق الكوفيين في بعض آرائهم، فدعم رأي أستاذه ابن السراج في تخطئة سيبويه في (فنعلول) وهو اسم[6]، ويصف رواية ثعلب[7] بأنها جيدة[8]، إضافة إلى كونه متوسعاً في القياس إلى أقصى الحدود الحدود ورحب الأفق في النظر والاستدلال.

وإذا اختلف نحاة البصرة رأيته يعرض حججهم ويفند آراءهم، ثم يرجح ما يراه أولى بالترجيح؛ فعندما عارض أبو عثمان سيبويه[9] في صرف (أفْعل) من قولك: هذا رجل أَفعل، وغلط سيبويه، إذ

---

[1] هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي، كان إماما في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه وله معرفة بالإيقاع والنغم، كان من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء، حدث عن أيوب السختياني، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب وغالب القطان. أخذ عنه سيبويه كثيرا، والنضر بن شُمَيْل، وأبو فَيْد مؤرّج الَّدوسيّ وغيرهم. من أشهر تصانيفه كتاب العيْن. وما يُحكى عليه من العلم والزهد أشهر من أن يُنشر، وأظهر من أن يذكر. توفي سنة: 160هـ. سير أعلام النبلاء، 7/ 429- 431، غاية النهاية: 1/ 275، نزهة الألباء، ص49- 51 ووفيات الأعيان، 2/ 244 وما بعدها.

[2] انظر: كتاب سيبويه، 4/ 101 مقدمة تحقيق التعليقة، ص37.

[3] التعليقة، انظر مثلا: 205/1.

[4] انظر: مقدمة تحقيق التعليقة، ص41.

[5] انظر مثلا: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة –القاهرة، ط1، 1327هـ، 1/ 75.

[6] الكتاب، 4/ 230.

[7] هو: أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني النحوي المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو اللغة في زمانه. أخذ عن محمد بن زياد الأعرابي، وعلي بن المغيرة الأثرم، وسلمة بن عاصم وغيرهم. وأخذ عنه أبو الحسن الأخفش الصغير، وابن عرفة المعروف بنفطويه، وابن الأنباري وغيرهم. له كتاب الفصيح وغيره من التصانيف، كان مولده سنة 200هـ وتوفي سنة 291هـ. نزهة الألباء، ص 202- 205، سير أعلام النبلاء، 14/ 05- 07 ووفيات الأعيان، 102/1 وما بعدها.

[8] مقدمة تحقيق التعليقة، ص39.

[9] ستأتي ترجمته في حينه في الفصل الثالث من هذا الباب.

يرى صرفه[1]، وقال أبو العباس المبرد: لم يصنع أبو عثمان شيئا، فسَّر أبو علي مراد أبي العباس، ووضح قول سيبويه، وختم الحِجاج بقوله: "فقول سيبويه إذاً صحيح"[2].

ثالثا: مذهبه في الفقه

لم أقف –فيما اطَّلعت عليه من كتب التُّراجم– على ذكر المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها أبو علي، كما أن كتاب الحجة جاء خِلواً عن ذلك، ولم يأت فيه ما يدل على مذهبه الفقهي، ولعل السبب في ذلك أن موضوع الكتاب لا يتَّصل بالفقه، وليس هناك ما يدعو إلى معرفة ذلك.

غير أن المتتبع لتضاعيف أجزاء الكتاب والمتأمِّل عباراته يقف على إشارات وقرائن تسعف –في تقديري– إلى حدٍّ ما تصنيف فقه أبي علي وإلحاقه بمدرسة أبي حنيفة النعمان[3]. والذي يدلُّ على ذلك ما يأتي:

ز– تكرُّر ذكر الإمام في الكتاب كله أربع مرات، وفي كلٍّ يسوق فيها أبو علي رحمه الله قول إمام المذهب، من ذلك:

- ما جاء في معرض حديثه عن الاتساع في كلمة (القول) واستعمالها في غير اللفظ، حيث يقول: "وقد أجري القول مُجرى الاعتقاد والمذهب في نحو: هذا قول أهل العدل، وهذا قول أبي حنيفة، يعنون بذلك رأيهم واعتقاداتهم، ليس اللفظ"[4].
- وفي موضع آخر تحدَّث عن بعض مشتقَّات مادة (أخذ)، منها (مؤخذ)، يقول: "وقال أبو حنيفة في الرجل المؤخَّذ[5] عن امرأته: يؤجَّل كما يؤجّل العنّين[6]"[7].

---

[1] الكتاب، 3/ 202.

[2] مقدمة التعليقة، 40.

[3] هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ولد سنة: 60هـ، وأجمعوا على أنه مات سنة: 150هـ. صاحب المذهب الحنفي، أحد المذاهب الأربعة المشهورة. قال أبو يوسف: ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة. أنظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء، منشورات مير محمد كتب خانه، كراشي، د.ط، د.ت، 1/ 26 وما بعدها.

[4] الحجة للقراء السبعة، الفارسي، 1/ 217.

[5] المؤخَّذ بمعنى المسحور، والتأْخِيذُ أَن تحتالَ المرأَةُ بحيَل في منعِ زوجِها من جِماع غيرها وذلك نوع من السحر يقال لفلانة أُخْذَةٌ تُؤْخِّذُ بها الرجال عن النساء وقد أَخَّذَتْه الساحرة تأْخيذاً. لسان العرب، (مادة: أخذ)، 3/ 470.

[6] يَعِنُّ ويَعُنُّ والتَّعْنِين الحبْس وهما لغتان، والعِنِّينُ الذي لا يأْتي النساء ولا يريدهن بَيِّنُ العَنانة والعِنِّينة والعِنِّينيَّة وعُنِّنَ عن امرأَته إذا حكم القاضي عليه بذلك أَو مُنعَ عنها بالسحر والاسم منه العُنَّة وهو مما تقدم كأَنه اعترضه ما يَحْبِسُه عن النساء. لسان العرب، (مادة: عنن)، 13/ 290.

[7] الحجة للقراء السبعة، 1/ 297.

- أما الموضعان الآخران اللذان جاء فيهما ذكر أبي حنيفة؛ فالأول تحدث فيه عن كفارة اليمين[1]، والثاني نقل فيه قول الإمام في حظر الالتذاذ بالنظر إلى الخمر والميسر[2].

س- ومن القرائن أيضا ذكر أبي يوسف[3] صاحب أبي حنيفة مرة واحدة في الكتاب، حيث ساق قوله في معرض شرح حديث النبي ρ: (لا يُقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده)[4]، فقال: "قال أبو يوسف: ولو كان المعنى: لا يقتل مؤمن به، كان: ولا ذي عهد في عهده"[5].

ش- ولم يُثبت أبو علي اسم أحد من الفقهاء وأصحاب المذاهب في جميع أجزاء وثنايا الكتاب ولو لمرة واحدة؛ مما يدل على عدم اهتمامه بغير فقه أبي حنيفة النعمان.

ص- ثم إن هناك مشابهة واضحة بين نحو أبي علي وفقه أبي حنيفة، كلاهما يشيع فيه القياس.

ض- كما يروون عن كتب أبي علي أنها احترقت[6]، ولم يبق منها إلا نصف كتاب الطلاق الطلاق عن محمد بن الحسن[7].

وبعد إيراد هذه القرائن والشواهد يمكننا القول بأن أبا علي رحمه الله –إن صحَّ أن له مذهبا– فإن مذهب أبي حنيفة له مذهب.

---

[1] الحجة، 1/ 334.

[2] المصدر نفسه، 3/ 430.

[3] هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب أبي حنيفة وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، ولد سنة: 113هـ ومات ببغداد سنة: 282هـ، وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي وأخذ الفقه عن محمد بن عبد الرحمن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة، ولي القضاء أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته ببغداد وهو على القضاء، أول من دعي بقاضي القضاة. من كتبه "الخراج"، "النوادر" وغيرهما. أنظر: الجواهر المضية، ابن أبي الوفاء، 1/ 220. الأعلام، 8/ 193، النجوم الزاهرة، 2/ 107.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه دون قوله: (ولا ذو عهد في عهده)، كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير، رقم: 2888، 1110/3. وصحَّح النيسابوري هذه الزيادة في مستدركه: كتاب قسم الفيء، رقم: 2623، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه". المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411هـ- 1990م، 153/2.

[5] الحجة، 1/ 46.

[6] معجم الأدباء، 2/ 819.

[7] هو: محمد بن الحسن بن فرقد بن أبو عبد الله الشيباني، الإمام صاحب الإمام، صحب أبا حنيفة وأخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف وصنف الكتب ونشر علم أبي حنيفة ويروي الحديث عن مالك ودون الموطأ وحدث به عن مالك، روى عنه الإمام الشافعي ولازمه وانتفع به. توفي سنة: 126هـ، وقيل: 122هـ. طبقات الحنفية، 1/ 172 وما بعدها ووفيات الأعيان، 184/4 وما بعدها.

المطلب الثاني: مكانة الفارسي العلمية

لقي تبوأ أبو علي مكانة سامية في مختلف العلوم العربية، فقد كان موسوعة علمية في عصره، فذاع صيته واشتهر ذكره في الآفاق، وتتجلى مكانته العلمية في عدة نواحي:

الفرع الأول : توثيق العلماء له وثناؤهم عليه

ومما أكسب أبا علي شهرته وعلوَّ شأنه تزكيةُ العلماء له وثناؤُهم عليه، من ذلك:

ما ذكره أبو القاسم التنوخي[1] في (نشوار المحاضرة) حيث قال: سمعت أبي يقول: سمعت عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو[2].

ووصف الخطيب البغدادي كتبه بأنها عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، وتكلم كثيرا عن فضله وشهرته في الآفاق[3]. وقال عنه السيوطي: "النحو ما يقوله الفارسي"[4].

وقال عنه أبو البركات الأنباري في نزهة الألباء: فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرّد، وقال أبو طالب العبدي: لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه، أحد أبصر بالنحو من أبي علي[5].

وامتدحه أبو العلاء المعري بقوله: "إنه رجل يمت بكتابه في (القرآن) المعروف بكتاب الحجة"[6].

الحجة"[6].

كما قدَّره العلماء حق قدره؛ فأثنوا عليه وشُغلوا به يتدارسونه ويختصرونه ولاسيما أهل الأندلس، ومن أقوالهم فيه:

- ما جاء في طبقات النحاة والغويين: "كتاب الحجة في تخريج القراءات السبعة من أحسن الكتب وأعظمها"[1].

---

[1] هو: أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي الأنطاكي، كان عالما بأصول المعتزلة والنجوم قال الثعالبي في حقه: هو من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم. عارض أبا بكر ابن دريد في مقصورته وذكر منها أبياتا ومدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة، وتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وسمع الحديث، وكان معتزليا. توفي بالبصرة سنة 342هـ. وفيات الأعيان، 3/366-368.

[2] أنظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي التنوخي، ت: عبود الشالجي، دار صادر –بيروت، د.ط، 1972م، 4/ 43-44.

[3] تاريخ بغداد، 7/ 275.

[4] أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، ت: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية –بيروت، بيروت، د.ط، 1978م، 3/ 47.

[5] أنظر: نزهة الألباء، 1/ 274، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 2/ 812.

[6] رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، ت: بنت الشاطي (عائشة عبد الرحمن)، دار المعارف، ط5، مصر، 1969م، ص154.

- وجاء في طبقات القرَّاء: "وألّف كتاب التَّذكرة وكتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد فأجاد وأفاد والإيضاح والتكملة وغير ذلك"[2].

- وفي وفيات الأعيان قوله: "وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله... والفارسي لا حاجة لضبطه لشهرته"[3].

وقد اختصره مكي بن أبي طالب حمُّوش[4] المتوفى سنة 437هـ في كتاب سماه (منتخب الحجة في القراءات) وجعله في ثلاثين جزءاً[5]. واختصره كذلك أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي المتوفى سنة 455هـ[6] ومحمد بن شريح الرعيني[7] المتوفى سنة 476هـ[8].

الفرع الثاني: مؤلفاته

لقد ترك أبو علي جملة من الكتب نالت إعجاب واستحسان الكثير من العلماء، تعد من نفائس التراث، ولكن يد الدهر قد عبثت ببعضها، فلا نجد لها أثرا في خزائن الكتب، فعدت من الكتب المفقودة.

وبقيت بعض كتبه متناثرة في مكتبات العالم، وقد انبرى لتحقيق بعضها جماعة من الأساتذة. ويمكن أن نصنف هذه المؤلفات إلى صنفين:

---

[1] طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة، ت: محسن غياض، مطبعة النعمان –النجف، د.ط، 1974، ص295.

[2] غاية النهاية في طبقات القراء، 1/ 189.

[3] وفيات الأعيان، 1/ 82.

[4] مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي، القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، إمام القراء والمجوّدين، قرأ عليه جماعة كثيرة، كان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهورا بإجابة الدعاء، فممن قرأ عليه محمد بن أحمد بن مطرف الكناني القرطبي (355-437هـ). وله تواليف مشهورة، منها الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزءا، ومنتخب الحجة لأبي علي الفارسي، وكتاب التبصرة في القراءات، والموجز في القراءات، وكتاب الإبانة وغيرها. أنظر ترجمته: غاية النهاية: 309/2، معرفة القراء، 394/1، سير أعلام النبلاء، 591/17 ووفيات الأعيان، 274/5- 275.

[5] بغية الوعاة، ص297 و كشف الظنون، 2/ 1448.

[6] هو: إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، أبو الطاهر الأنصاري الأندلسي ثم المصري المقرىء، مصنف العنوان في القراءات، أخذ القراءات عن عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي وتصدر للإقراء زمانا ولتعليم العربية، وكان رأسا في ذلك. اختصر كتاب الحجة لأبي علي الفارسي. أخذ عنه جماهر بن عبد الرحمن الفقيه، وأبو الحسين الخشاب، وولده جعفر بن إسماعيل وغيرهم. توفي سنة: 455هـ. كشف الظنون، 2/ 1448 ومعرفة القراء الكبار، 423/1- 424.

[7] محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الرعيني أبو عبد الله الإشبيلي المقرىء الأستاذ مصنف كتاب الكافي وكتاب التذكير، من جلة قراء الأندلس، توفي سنة 476هـ. أنظر: معرفة القراء الكبار، 1/ 434، كشف الظنون، 2/ 1379 ونفح الطيب، 2/ 611.

[8] الصلة، ابن بشكوال، ص215.

أولا: المؤلفات التي وصلت إلينا

25- الإغفال[1] فيما أغفله الزجاج من المعاني في تفسير القرآن الكريم، حققه محمد حسن إسماعيل، رسالة ماجستير في كلية الآداب، عين شمس.

26- الإيضاح النحوي (العضدي) ألفه لعضد الدولة البويهي، حققه الدكتور حسن شاذلي فرهود، وطبع سنة 1969م في القاهرة.

27- التعليقة على كتاب سيبويه، حققه الدكتور عوض بن حمد القوري، وطبع بمطبعة الأمانة –القاهرة،الطبعة الأولى، سنة 1410هـ- 1990م.

28- التكملة: حققه الدكتور كاظم بحر المرجان (رسالة ماجستير) وهو مطبوع على الآلة الكاتبة، جامعة القاهرة 1972م، وأعيد طبعه ثانية بدار عالم الكتب –بيوت، سنة 1419هـ- 1999م.

29- الحجة في علل القراءات السبع: طبع الجزء الأول من هذا الكتاب سنة 1965م، بتحقيق الدكتور علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي. ولم أقف على تحقيق وطبع بقية الأجزاء. كما طُبعت جميع أجزائه وحُقِّقت من طرف الدكتور: كامل مصطفى الهنداوي في أربعة أجزاء، سنة 1421هـ- 2001م، بدار الكتب العلمية –بيروت. وهي الطبعة التي اعتمدتها غالباً في هذا البحث.

30- المسائل البصريات: ذكر محقق كتاب المسائل البغداديات[2] أنه توجد نسخة من هذا هذا الكتاب في مكتبة شهيد علي الملحقة بالمكتبة السليمانية باسطنبول، تحت رقم/ 2/2516.

31- المسائل البغداديات: وهو كتاب المسائل المشكَلة نفسُه، حققه الأستاذ صلاح الدين عبد الله السيكاوي، مطبعة العاني –بغداد.

32- المسائل الحلبيات في اللغة والنحو[3].

33- المسائل الشيرازيات في اللغة والنحو: حققه الدكتور علي جابر المنصوري سنة 1976م (رسالة دكتوراه) وهو مطبوع على الآلة الكاتبة.

34- المسائل المنثورة[4].

---

[1] ويسمى بالمسائل المصلحة من كتاب ابن السراج. معجم الأدباء، 2/ 814 و الفهرست: 1/ 95.

[2] المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ص24، ص26.

[3] معجم الأدباء، 2/ 814.

[4] نشر بتحقيق مصطفى الحدري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة 1986م.

35- المسائل العسكريات في النحو العربي[1]: درسه وحققه الدكتور علي جابر المنصور سنة 2002م.

36- شرح أبيات الإيضاح[2].

ثانيا: المؤلفات التي لم تصل إلينا

33- أبيات الإعراب[3].

34- أبيات المعاني[4].

35- الإيضاح الشعري[5].

36- كتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي[6] في التفسير[7].

37- التذكرة: يقول صاحب وفيات الأعيان في وصفه: "ومن تصانيفه كتاب التذكرة وهو كبير"[8]، وذكر بعضهم أنها تقع في عشرين مجلدا، وتعالج اللغة العربية[9].

38- الترجمة، ولم يصفه أحد بشيء[10].

39- شرح أبيات الإعراب[11].

40- كتاب تفسير[12] قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [المائدة: ٦].

---

[1] معجم الأدباء، 2/ 814. وقد ذكر محقق البغداديات أن الكتاب نسبة إلى عسكر مُكرم، وتوجد منه نسخة في مكتبة شهيد علي الملحقة بالمكتبة السليمانية باسطنبول، تحت رقم: 2516/ 4. مقدمة تحقيق المسائل البغدادية، ص27 و مقدمة تحقيق الحجة، ت: عبد الفتاح شلبي وغيره، ص27.

[2] الفهرست، ص95.

[3] الفهرست، 1/ 95. وقد ذكر محقق الحجة، أنه طُبع جزء من هذا الكتاب سنة 1869م، وفي مكتبة جامعة القاهرة نسخة منه برقم 675. مقدمة الحجة، ت: عبد الفتاح شلبي وغيره، ص25.

[4] معجم الأدباء، 2/ 814.

[5] المصدر نفسه.

[6] هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام، أبوعلي الجبائي البصري شيخ المعتزلة. كان رأسا في الفلسفة والكلام. أخذ عن يعقوب الشحام البصري، وله مقالات مشهورة وتصانيف وتفسير. أخذ عنه أبو أبو هاشم والشيخ أبو الحسن الأشعري ثم أعرض الأشعري عن طريق الاعتزال وتاب منه. مات الجبائي في سنة 303هـ. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة –القاهرة، ط1، 1396هـ، 1/ 102.

[7] المصدر السابق.

[8] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[9] الفهرست، 95، معجم الأدباء، 2/ 814.

[10] المصدر نفسه.

[11] وهي المعروفة بشرح أبيات الإيضاح. الفهرست، 1/ 95.

[12] المصدر نفسه.

41- مختصر عوامل الإعراب[1].

42- المسائل الدمشقية، ولم نعرف عنها شيئا[2].

43- المسائل الكرمانية[3].

44- المسائل المجلسيات[4].

45- المسائل القصريات أو القصرية[5].

46- المقصور والممدود[6].

47- نقض الهاذور[7]؛ وهو في الرد على ابن خالويه فيما اتهمه من الوهم.

48- العوامل المائة[8].

المطلب الثالث: وفاة الإمام الفارسي

---

[1] معجم الأدباء، 2/ 814 و الفهرست، 1/ 95.

[2] معجم الأدباء،2/ 814.

[3] إنباه الرواة القفطي، 1/ 309. معجم الأدباء، 2/ 814.

[4] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[5] أملاها على تلميذه أبي الطيب محمد بن طوس القصري، فسميت به ومات شابا. وقيل: إنها ألفت في قصر ابن هبيرة. انظر: كشف الظنون، 2/ 1670 ومعجم الأدباء، 6/2542-2543.

[6] معجم الأدباء، 2/814، وفيات الأعيان، 2/ 81.

[7] المصدر السابق.

[8] وفيات الأعيان، 2/ 81.

لم يتفق المؤرخون في تحديد سنة وفاة أبي علي؛ فيذكر ابن النديم أنه توفي قبل سنة 370هـ[1]، وابن الأثير وأبو الفداء يذهبان إلى أنه توفي سنة 376هـ[2]، ويذكر آخرون على أنه توفي سنة 377هـ[3]. والرأي الأول بعيد؛ لأن التنوخي كان يروي الحديث عن أبي علي سنة 375هـ[4]، وكان أبو أبو علي وكيل عضد الدولة في عقد زواج الخليفة الطائع لله على ابنة عضد الدولة سنة 396هـ[5]، وصحب ابن جني أبا علي أربعين سنة، وكان مولده سنة 321 أو سنة 322هـ، فإذا كانت وفاة أبي علي قبل سنة 370هـ كان معنى ذلك أن صحبة ابن جني لشيخه قد بدأت وهو صبي دون العاشرة، وهي إنما بدأت سنة 337هـ، أي وابن جني في الخامسة عشرة من سنه[6].

وأما اتفاق ابن الأثير وأبي الفداء على أنه توفي سنة 376هـ أقرب، ولا خلاف على أن الوفاة كانت يوم الأحد لسبع عشرة خلت من ربيع، فالخطيب وابن الأنباري يذكران أنه ربيع الأول، وابن خلكان يذكر أنه ربيع الآخر، والفرق بين هذا وذاك أهون.

المطلب الأول: اسم الكتاب وتوثيقه وتاريخه

---

[1] الفهرست، ص95.

[2] الكامل، ابن الأثير، 7/ 429. والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء ، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت، 11/ 306.

[3] تاريخ بغداد، 7/ 275، بلغة الطلب، 5/ 2274..

[4] بغية الطلب في تاريخ حلب، 5/ 2269.

[5] النجوم الزاهرة، 4/ 135.

[6] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 10.

يتناول هذا المطلب اسم الكتاب محلّ هذه الدراسة ونصوص المصادر في إثبات، وتوثيق اسمه، وكذا مدى نسبة هذا الكتاب إلى مؤلّفه أبي علي رحمه الله.

الفرع الأول: اسم الكتاب

ذكر المترجمون لأبي علي الفارسي كتاب الحجة بعبارات مختلفة، وإن كانت مشتركة في كلمة (الحجة) محور التسمية؛ كل ذلك بداعي الاختصار والاجتزاء بالبعض المفهم عن الكل.

فاكتفى كل من ابن النديم في الفهرست[1] وياقوت في معجم الأدباء[2] وابن الجزري في الطبقات[3] والذهبي في معرفة القراء الكبار[4] بتسميته (الحجة). في حين سماه الخطيب البغدادي (الحجة في علل القراءات)[5]، وابن خلكان في الوفيات[6] وصاحب الشذرات[7] وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة[8] أطلقوا عليه (الحجة في القراءات)، وزاد ابن الأنباري في نزهة الألبّاء[9] كلمة (السبع) على علل القراءات، وجاء في طبقات النحاة واللغويين تسميته بـ (الحجة في تخريج القراءات السبعة)[10].

ولعل ذلك يعود إلى اختلاف العناوين المثبتة على نسختي (الحجة)؛ فالنسخة الأولى كتبت سنة 390هـ، وهي في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم 3570ع، وتتألف هذه النسخة من سبعة أجزاء ينقصها الجزء الخامس، كتب في آخر الجزء السابع: "نُجز كتاب **الحجة للقراء**، وبُلغ الفراغ منه في يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسعين وثلاثمائة". وقد جعل المحققون هذه النسخة الأصل[11].

واضح من هذا النص تسميته بكتاب الحجة للقراء، ويبدو أن التسمية إنما هي على سبيل الاختصار والاجتزاء، والدليل على ذلك ما ثبت في أول النسخة الثانية.

---

[1] الفهرست، ابن النديم، 1/ 95.

[2] معجم الأدباء، 2/ 814.

[3] غاية النهاية في طبقات القراء، 1/ 189.

[4] معرفة القراء الكبار، 1/ 424.

[5] تاريخ بغداد، 7/ 275.

[6] وفيات الأعيان، 2/ 81.

[7] شذرات الذهب، 2/ 89.

[8] النجوم الزاهرة، 4/ 151.

[9] نزهة الألبّاء، ابن الأنباري، ص274.

[10] طبقات النحاة واللغويين، ص295.

[11] الحجة في علل القراءات السبع، ص33- 35.

وأما النسخة الثانية فبخط طاهر بن غلبون المتوفى سنة 399هـ[1]، وتقع في أربعة أجزاء، كتبت الثلاثة الأولى منها سنة 427، والرابع سنة 428هـ، وهي في مكتبة مراد مُلاَّ باستانبول، وعلى الصفحة الأولى من الجزء الأول من هذه النسخة: هذا الكتاب وهو **الحجة** لأبي علي الفارسي أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون المصري النحوي.

وعلى الجانب الأيمن من هذه الأسطر الثلاثة كتب رأسيا في ثلاثة أسطر:

هذا خط علي بن جعفر بن الحسين بن البويني النحوي[2] رحمه الله.

ويلي ثلاثة الأسطر الأفقية السابقة عنوان الكتاب في ستة أسطر هكذا:

الجزء الأول من كتاب الحجة.

للقرأة السبعة قراء الأمصار.

بالحجاز والعراق والشام الذين.

ذكرهم أبو بكر بن مجاهد.

تصنيف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي رحمه الله ورضي عنه[3].

وفي هذا النص الأخير جاء التصريح بعنوان الكتاب كاملا، وهو: كتاب الحجة للقرأة السبعة قراء الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد، وما عداه إنما هو اجتزاء أو اختصار.

على أن التحقيق الأول للحجة لأبي علي سنة 1385هـ- 1965م من طرف كل من: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي –محققي – أثبتوا تسميته بـ: (الحجة في علل القراءات السبع)، دون أن يبرروا وجه هذه التسمية.

في حين رجح الباحث: كامل مصطفى الهنداوي –المعلق على الكتاب– تسميته بـ: (الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد)؛ وعزا ذلك إلى ما ثبت على غلاف الأجزاء الثلاثة الأخيرة من نسخة مراد ملا المنسوخة بخط طاهر بن غلبون[4].

---

[1] هو أبو الحسن، طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك، المقرئ الحلبي، ثم المصري، يقول الأمام الدّانيّ فيه: "لم يُرَ يُرَ في وقته مثله في فهمه وعلمه، مع فضله وصدق لهجته، كتبنا عنه كثيراً"، توفي سنة 399هـ. معرفة القراء الكبار، الذهبي: 369/1، طبقات الشافعية الكبرى، 388/3، غاية النهاية، ابن الجزري، 307/1 والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 62/1.

[2] لم أقف على ترجمته.

[3] الحجة في علل القراءات السبع، ص35- 36.

[4] مقدمة الحجة للقراء السبعة، كامل مصطفى الهنداوي، ص21.

وعلى كلٍّ ليس هناك كبير فرق بين ما هو ثابت على غلاف النسخة الثانية وبين ما اختاره الباحث مصطفى كامل الهنداوي؛ مما يجعل الركون إلى التسمية الثانية أقرب لثبوتها، ويبدو أنها الأنسب للكتاب، ولا مبرر للعدول عنها إلى غيرها. مع الأخذ بعين الاعتبار احتمال كون التسمية بالحجة من عمل المتأخرين؛ فلعلها جاءت متأخرة عن تأليف الكتاب، يدل على ذلك أن أبا علي رحمه الله لم يقدم كتابه لعضد الدولة باسم الحجة، وإنما قدمه بهذه العبارة: "فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد"[1].

وابن خالويه رحمه الله لم يصرح في مقدمة كتابه إلى تسمية "الحجة"، وإن أشار إلى أن كتابه في الاحتجاج. يقول: "فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع... إلى أن قال: وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم"[2].

الفرع الثاني: توثيقه

بلغ "كتاب الحجة للقراء السبعة" حدّ الإجماع، بحيث لا يعتري نسبته للإمام أبي علي الفارسي رحمه الله أدنى شكّ، فكلّ من ترجم لكتب القراءات أو اللغة وتحدث عنها صنَّف هذا الكتاب في فن القراءات ونسبه إلى الإمام أبي الحسن.

هذا النقل المتواتر لنسبة الكتاب جعل اسم الكتاب ومؤلفه مرتبطين ببعضهما البعض، فإذا ذكر اسم الإمام أبي علي الفارسي رحمه الله ذكر معه اسم كتاب الحجة ، وإذا ذكر اسم كتاب الحجة ذكر معه اسم الإمام أبي علي رحمه الله.

ومن أمثلة ذلك:

10- قول الإمام ابن الجزري في النشر: "قال الأستاذ أبو علي الفارسي في كتاب الحجة في قول ابن مجاهد: هذا إن كان يريد بالمدِّ ألف تفاعل وإسقاط العين واللام فهذا الحذف غير مستقيم"[3].

وبالمقارنة مع النصِّ الذي معنا نجد الكلام نفسه[1] في توجيه قول الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ [الشعراء: ٦١].

---

[1] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

[2] الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط6، 1417هـ- 1996م، 61- 62.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1/ 370.

11- وقال في البرهان: "قال الفارسي في الحجة: وأما قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[ص: ٨٤] فالحق والحق أقول": فالأول قسم بمنزلة (والحق)، وجوابه (لأملأن) وقوله: (والحق أقول) توكيد للقسم..."[2].

ويتطابق هذا تماما مع النص الذي معنا في (كتاب الحجة)[3].

12- وقال الآلوسي في تفسيره: "وقرأ نافع وابن عامر وابن ذكوان والأعرج وشيبة وأبو جعفر (هِيتَ) بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة وتاء مفتوحة، وحكى الحلواني عن هشام أنه قرأ كذلك إلا أنَّه همز، وتعقب ذلك الدَّاني تبعاً لأبي علي الفارسي في الحجة"[4].

والحديث نفسه نجده في (الحجَّة)؛ إذ يقول في خلف (هئت): "وأما ما رواه الحلواني عن هشام (هئتَ) مهموزا بفتح التاء، فهو يشبه أن يكون وهما من الراوي..."[5].

الفرع الثالث: تاريخه

هذا المصنَّف واحد من المصنَّفات التي قدَّمها أبو علي لعضد الدولة الذي كان يعتبر نفسه غلاما في النحو لأبي علي الفسوي[6]، ونص مقدمة الكتاب التي صدرها بالإجلال والدعاء تدل على ذلك؛ إذ يقول: " صدَّر فيها كلمة الإجلال والدعاء لعضد الدولة؛ لأن هذا المصنَّف –كما تقدم– واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له[7]؛ إذ يقول: "أما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك السيد الأجل المنصور، ولي النعمة، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العزة والبسطة والسلطان، وأيّدَه بالتوفيق والتَّسديد، وعضَده بالنَّصر والتَّمكين"[8].

---

[1] الحجة للقراء السبعة، 3/ 222.

[2] البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1391هـ، 3/ 45.

[3] الحجة للقراء السبعة، 3/ 336- 337.

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي –بيروت، د.ط.ت، 12/ 212.

[5] الحجة للقراء السبعة، 2/ 444.

[6] معجم الأدباء، 2/ 812 ووفيات الأعيان، 2/ 80.

[7] ومن المصنفات التي صنفها أبو علي لعضد الدولة كتابي الإيضاح والتكملة. انظر: سير أعلام النبلاء، 16/ 249 ووفيات الأعيان، 4/ 51.

[8] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

وواضح من هذا النصِّ أن أبا علي إنما ألف هذا الكتاب بعد سنة 367هـ[1]؛ وهي السنة التي لُقب فيها عضد الدولة بتاج الملة وقبل سنة 372هـ[2]؛ وهي السنة التي توفي فيها عضد الدولة.

وقد كان شائعا في عصر أبي علي تخصيص العلماء بتآليف للملوك والحكام، وكانت أكرم هدية يقدمها هؤلاء العلماء ما ينتجونه من عصارة قرائحهم وأفكارهم، وكان كتاب الحجَّة أيضا مما أهداه أبو علي للصاحب بن عباد[3] وأجاز له أن يرويه عنه؛ إذ جاء في معجم الأدباء ما نصه: "قرأت بخط سلامة بن عياض النحوي ما صورته: وقفت على نسخة من كتاب الحجة لأبي علي في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالرّيّ في دار كتبها التي وقفها الصاحب بن عباد رحمه الله، وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته هذه: أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل، أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه. كتاب في قراء الأمصار الذين بيّنت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة، فما تضمن من أثر وقراءة ولغة، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل –أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه– حكاية شيء منه عنهم أو عني لهذه المكاتبة فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطِّه"[4].

والاحتجاج للقراءات القرآنية –كما سيأتي قريبا– دراسة قرآنية جليلة الشأن، يراد بها توثيق القراءات، ونفي الشبه عنها ودفع الشك في سلامتها.

وكتاب الحجة إلى جانب كونه مصدرا جليلا من مصادر تراثنا الثر في اللغة، والنحو، والصرف، ومسائل الخلاف، والشواهد، والأصوات ومسائل الخلاف –إلى جانب ذلك– يعد في موضوعه طورا زكيا من أطوار الاحتجاج لقراءات الأئمة السبعة.

---

[1] الكامل، ابن الأثير، 8/ 452.

[2] تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة –مصر، ط1، 1371هـ- 1371هـ- 1952م، 1/ 409.

[3] هو: أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس، كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه. أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي. قال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه: ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوِّ محله في العلم والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، وتوفي سنة 385هـ بالري ثم نقل إلى أصبهان. انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 3/ 225، والنجوم الزاهرة، 4/ 169.

[4] معجم الأدباء، 2/ 813.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب ومضامينه

يتضمَّن هذا المطلب حديثاً عن موضوع الكتاب وأفكاره الأساسية المتضمنة فيه، وذلك في فرعين.

الفرع الأول: موضوع الكتاب

يعتبر كتاب "الحجة للقراء السبعة" أجلّ آثار الإمام أبي عليّ، بل هي أجلّ الكتب المؤلفة في باب الاحتجاج للقراءات، وهي في بابها ككتاب سيبويه في بابه؛ من حيث اشتمالُهما على أصول علْمِهما وجُلِّ مادته، وغزارةُ النَّقل عنهما في كتب من بعدهما، واعتدادُ الناس بمذاهب صاحبهما، وحركةُ التصنيف التي قامت على كلٍّ منهما، حتى قيل: الحجة كتاب ليس له نظير في جلال قدرٍ واشتهارِ ذكرٍ[1].

يتناول الإمام موضوع الاحتجاج للقراءات السبعة وتوجيهها، ولا يخفى أن شرف العلم بشرف موضوعه، وعلم القراءات من أجلِّ العلوم وأشرفِها؛ إذ يُعنى موضوعُ علم القراءات بكلمات القرآن من حيث كيفيةُ أدائها، ومدى اتفاقها واختلافها معزوّة لقائليها، فحاز بنسبته إلى القرآن الكريم أسمى الشرف وأعظم المنزلة. كما أن علم التوجيه –كما سيأتي– يعتبر فنًّا جليلاً به تُعرف جلالة الألفاظ وجزالتها"[2]، وهو أيضا أداة مهمة، وعدة أساسية للمفسر والمتصدِّر للإقراء؛ فالمفسِّر يحتاج إليه في استنباط الأحكام، وترجيح بعض الوجوه على بعض[3]، والقارئ يحتاج إليه لمعرفة وجوه الوقف والابتداء الجائزة منها والممتنعة وغير ذلك.

وكتاب الحجة للفارسي –كما هو واضح من عنوانه – يذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله (السبعة في القراءات)، فموضوعه إذن تعليل قراءات القراء السبعة وتوجيهها؛ فقد عمد أبو علي إلى حشد قراءات السبعة الذين اجتباهم ابن مجاهد، واحتجَّ لها، ووثّقها، واستشهد لحروفها، وأثبت وجاهتها وصحتها، ووجَّهها وفق عيار العربية إن على المستوى اللغوي المعجمي أو الصرفي أو الصوتي أو

---

[1] ذيل تجارب الأمم،، أبو شجاع، مطبعة شركة التمدُّن الصّناعيَّة، د.ط، 1334هـ، ص183.

[2] البرهان في علوم القرآن، 339/1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة، بيروت، د.ط، 1951م، 109/1.

[3] الإتقان في علوم القرآن، 226/1-227.

الدلالي البلاغي –كما سيتضح في حينه إن شاء الله–، والتمس لها الأدلة، وعلّلها عللا خفية بعيدة الغوْر، واجتلب لها النظائر، حتى جاءت بحراً تزّاحم فيه العلوم: القراءات، والاحتجاجُ لها، واللغةُ، والتفسيرُ، وإعراب القرآن، والنَّحو، والعروض، والبلاغة، والأصوات، وفقه اللغة، ومعاني الشعر، والفقه وغيرها. وفي غضون ذلك تتوالى مسائل العربية التي أفاض أبو عليّ القول فيها، وأسلمته من موضوع إلى آخر.

ومعلوم أن ابن مجاهد رحمه الله هو أول من سبع القراءات[1] وأقنع الوزير ابن مقلة[2] على تثبيت قراءات السبعة ومنع ما عداها؛ تيمُّنا بقول النبي ρ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[3]. فأوحى كتابه هذا إلى العلماء –قبل أبي علي وبعده– بدراسات شتى تدور عليه أو تتصل به.

غ– فشرع أبو بكر محمد بن السرّي المتوفى سنة 316هـ في تأليف كتاب يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد، فأتم سورة الفاتحة، وجزءًا من سورة البقرة ثم أمسك[4].

ف– وألف أبو طاهر عبد الواحد البزّار المتوفى سنة 349هـ أكتاب الانتصار لحمزة[5].

ق– وألف محمد بن الحسن الأنصاري المتوفى سنة 351هـ كتاب السبعة بعللها الكبير[6].

---

[1] إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة المقدسي، ت: إبراهيم عَطوة عوض، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، د.ط، د.ت، ص05، كشف الظنون، 2/ 1448.

[2] هو: علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور، كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس، وتنقلت أحواله إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله وخلع عليه، ثم استوزره الإمام القاهر بالله وخلع عليه، ولما ولي الراضي استوزره أيضا. ابتلي بالحبس وقطع يمناه، وكان ينوح على يده ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، ولما قدم بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين إلى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضا. كانت ولادته سنة 272هـ ببغداد، وتوفي سنة 326هـ رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان، 5/ 113- 117.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم: 4706، 4/ 1909. ومسلم في صحيحه، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم: 818، 560/1.

[4] انظر: خطبة الحجة للفارسي، 1/ 29.

[5] الفهرست، ص48.

[6] المصدر نفسه، ص50.

ك- وألف أبو بكر محمد بن الحسن بن مِقسم العطار المتوفى سنة 362هـ: كتاب احتجاج القراءات، كتاب السبعة بعللها الكبير، كتاب السبعة الأوسط وكتاب السبعة الأصغر[1].

ل- ويجيء بعد أبي علي الفارسي تلميذه ابن جني المتوفى سنة 392هـ، فيوحي إليه كتاب الحجة بالاحتجاج للقراءات الشاذة.

م- ثم توالت بعد ذلك التأليفات فيجيء الإمام مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ، ليؤلف كتابه الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها.

غير أن الذي يتميَّز به كتاب الحجة للفارسي في خضم حلقة هذه التآليف الكثيرة في كون الإمام يغوص فيه إلى الأعماق، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع أن يتابعه، ولا يستطيع أن يصل إلى الجوهر المنشود؛ فكثرة الاستطرادات وضخامة التعليلات قد تحول – أحيانا- بينه وبين ما يريد.

ومن هنا كان كتاب الحجة كتاباً لا يفهمه إلا القلة، ولا تهضمه إلا فئة خاصة تسلحت بما تسلح به أبو علي من عقلية منطقية، تؤمن بالقياس وتجري وراء العلة.

ويكفينا في هذا المقام شهادة تلميذه ابن جني؛ وهي شهادة على النفس، وأبو علي من ابن جني بمثابة الروح من الجسد.

يقول ابن جني في كتاب (المحتسب) ما نصه: "فإن أبا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء"[2].

وفي موضع آخر يقول: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة، فأغمضه وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدَّعي العربية، فضلاً عن القرَّاء، وأجفاهم عنه"[3].

وهؤلاء القراء السبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد وعمل أبو عليّ على الاحتجاج لقراءاتهم هم:

---

[1] المصدر السابق، ص49.

[2] انظر: مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

[3] المرجع نفسه.

ش- قراءة نافع المدني[1] في رواية إسماعيل بن جعفر[2]، والمسيبي[3]، وقالون[4] وورش[5] وخارجة بن مصعب[6].

ص- قراءة ابن كثير[7] في رواية قنبل[8] والبزّي[9].

---

[1] هو: أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، وكنيته أبو رُويم. أحد القراء الأعلام. أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة. وروى عنه القراءة إسماعيل بن جعفر وقالون وورش، وخلق كثير. أقرأ الناس دهراً طويلا يزيد عن سبعين سنة وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة. توفي سنة: 169هـ. غاية النهاية، 2/ 288- 289.

[2] هو: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولاهم، قرأ على شيبة بن نصاح ثم على نافع وعيسى بن وردان، روى عنه القراءة عرضا وسماعا الكسائيّ، والقاسم بن سلاّم، والدوري وغيرهم. توفي سنة: 180هـ. غاية النهاية: 1/ 163. معرفة القراء: 1/ 107.

[3] هو: إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد المسيَّبي المخزومي المدنيّ. إمام قيم في قراءة نافع، ضابط محقق فقيه. لأخذ القراءة عنه ولده محمد وخلف بن هشام ومحمد بن سعدان وغيرهم. توفي سنة: 206هـ. غاية النهاية: 1/ 157- 158. معرفة القراء، 1/ 143.

[4] هو: عيسى بن مينا الزرقي مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونحويها. يقال إنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه "قالون" وتعني في الرومية "جيِّداً" لجودته في القراءة. أخذ عنه القراءة عرضاً. وعرض على عيسى بن وردان. روى القراءة عنه مصعب بن إبراهيم وغيره. توفي سنة: 220. غاية النهاية، 1/ 542. معرفة القراء، 1/ 155.

[5] هو: أبو سعيد عثمان بن سعيد ورش المصري المقرئ، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو القاسم. ولد سنة: 110هـ. قرأ القرآن وجوّده على نافع عدَّة ختمات في حدود سنة 155هـ. لقّبه نافع بورش؛ لشدَّة بياضه، والورش: شيء يصنع من اللبن، ويقال لقّبه بالورشان: الطائر المعروف، وكان يعجبه ذلك. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالدّيار المصريّة في زمانه، وإليه تنسب رواية ورش. قرأ عليه أحمد بن صالح الحافظ، وداود بن أبي طيبة، وأبو يعقوب الأزرق، وغيرهم. وسمع منه عبد الله بن وهب وإسحاق بن حجَّاج وغيرهما. توفي سنة: 197هـ بمصر. انظر: معرفة القرَّاء الكبار: 1/ 153- 155. سير أعلام النبلاء: 9/ 295- 296. غاية النهاية: 1/ 446- 447.

[6] هو: خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبعي السرخسي، أخذ القراءة عن نافع و أبي عمرو وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه وروى أيضاً عن حمزة حروفاً، روى القراءة عنه العباس بن الفضل وأبو معاذ النحوي ومغيث بن بديل، توفي سنة 168هـ. غاية النهاية، 1/ 243، شذرات الذهب، 1/ 265.

[7] هو: عبد الله بن كثير أبو معبد الداري العطار الفارسي الأصل، إمام أهل مكة في القراءة وأحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا عرضا عن عبد الله بن السائب وعرض على مجاهد بن جبير. روى القراءة عنه إسماعيل القسط والخليل بن أحمد وغيرهما. كان فصيحا بليغا. توفي سنة: 120هـ. غاية النهاية، 1/ 398. معرفة القراء، 1/ 86.

[8] هو: محمد بن عبد الرحمن المخزومي بالولاء، أبو عمر المكّي الملقّب بقنبل، شيخ القراء بالحجاز. أخذ القراءة عرضا عن أحمد بن بن محمد النبال وخلفه بالقيام بها بمكة. وروى القراءة عن البزّي. روى القراءة عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وجماعة. توفي سنة: 291هـ. غاية النهاية، 2/ 146- 147. معرفة القراء، 1/ 230.

[9] هو: أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البزي الفارسي الأصل، مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام. قرأ على أبيه وعلى عبد الله الله بن زياد وعكرمة بن سليمان وغيرهم. روى عنه القراءة قنبل. وقرأ عليه جماعة. توفي سنة: 250هـ. غاية النهاية، 1/109- 110. معرفة القراء، 1/ 173.

ض- وابن عامر[1] في رواية ابن ذكوان[2] وهشام[3].

ط-وعاصم[4] في رواية المفضل الضبي[5]، وحفص[6]، وأبي بكر[7] من طريق الأعشى[8] ويحيى بن آدم[9] آدم[9] عنه.

---

[1] هو: عبد الله بن عامر اليحصبي، إليه انتهت مشيخة الإقراء بالشام وأحد القراء السبعة. قرأ -في أصح الأقوال- على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي. روى عنه القراءة عرضا أخوه عبد الرحمن بن عامر، و يحيى بن الحارث الزماري وغيرهما. تولى إمامة الجامع بدمشق وائتم به الخليفة عمر بن عبد العزيز.توفي سنة: 118هـ. غاية النهاية، 1/ 380 ومعرفة القراء، 1/ 82.

[2] هو: أبو عمر عبد الله بن أحمد الفهري الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم، وقرأ وقرأ على الكسائي، ورى الحروف سماعا عن إسحاق بن المسيبي عن نافع. أخذ القراءة عنه هارون الأخفش وغيره. توفي سنة: 245هـ. غاية النهاية: 1/ 404 ومعرفة القراء، 1/ 365.

[3] هو: هشام بن عمّار أبو الوليد السُّلمي الدمشقي. أخذ القراءة عرضا عن أيوب بن تميم، وعراك بن خالد وغيرهما. روى القراءة عنه أبو عيد القاسم، وأحمد بن يزيد الحلواني وغيرهم. ارتحل الناس إليه في القراءات والحديث. توفي سنة: 245هـ. غاية النهاية، 2/ 308- 309 ومعرفة القراء، 1/ 195.

[4] هو: أبو بكر عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الحناط الكوفي مولى بني أسد، أحد القراء السبعة، شيخ الإقراء بالكوفة. أحسن الناس صوتا بالقرآن. أخذ القراءة عن زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهما. روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وحفص بن سليمان، وشعبة بن عياش، والمفضل الضبي وغيرهم. روى عنه أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد وحمزة الزيات. توفي سنة: 129هـ. غاية النهاية، 1/ 315- 316 ومعرفة القراء، 1/ 88.

[5] هو: المفضل بن محمد أبو محمد الضبي الكوفي إمام مقرئ نحوي. أخذ القراءة عن عاصم والأعمش. روى القراءة عنه علي بن حمزة الكسائيّ وجبلة بن مالك. توفي سنة: 168هـ. معرفة القراء، 1/ 131.

[6] هو: حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزار. أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم وكان ربيبه وابن زوجته، زار بغداد بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها. روى القراءة عنه عرضا وسماعا عمرو بن الصباح، عبيد بن الصباح وغيرهما. توفي سنة: 180هـ. غاية النهاية، 1/ 229- 230 ومعرفة القراء، 1/ 140.

[7] هو: شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الكوفي الإمام المعلم راوي عاصم. عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات. عرض عليه أبو أبو يوسف يعقوب الأعشى ويحيى بن آدم وغيرهما. توفي سنة: 193هـ. غاية النهاية، 1/ 259- 260 ومعرفة القراء، 1/134- 135.

[8] هو: يعقوب بن محمد بن خليفة أبو يوسف الأعشى التميمي الكوفي. أخذ القراءة عرضا عن أبي بكر بن عياش. روى القراءة عنه عرضا وسماعا محمد بن حبيب الشموني وغيره. توفي سنة: 200هـ. غاية النهاية، 2/ 390 ومعرفة القراء، 1/ 159.

[9] هو: يحيى بن آدم بن زكريا الصلحي. روى القراءة عن أبي بكر بن عياش سماعا روى القراءة عنه الإمام أحمد بن حنبل، وخلف بن هشام البزار وغيرهما. توفي سنة: 203هـ. غاية النهاية، 2/ 239 ومعرفة القراء، 1/ 166.

هـ- أبو عمرو[1] في رواية عبد الوارث التنوري[2] وأبي شعيب السوسيّ[3] عن اليزيدي[4] عنه.

و- حمزة[5] في رواية خلف[6] وأبي هشام[7] عن سليم[8].

---

[1] هو: زبّان بن العلاء أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة، وأحد أئمة اللغة والأدب. ليس في القراء السبعة أكثر شيوخا منه، سمع أنسا بن مالك، وقرأ على الحسن البصري وحميد الأعرج، ومجاهد وعاصم وابن كثير وغيرهم. روى القراءة عنه عرضا وسماعا يحيى بن المبارك اليزيدي، وينس بن حبيب وسيبويه وغيرهم. توفي سنة: 155هـ. غاية النهاية، 1/ 262- 263 ومعرفة القراء، 1/ 100.

[2] هو: عبد الوارث بن سعيد أبو عبيدة العنبري مولاهم التنوري البصري، مقرئ وحافظ ومحدث البصرة بعد حماد بن زيد، ولد سنة سنة اثنتين ومائة. قال الواقدي وابن المثنى والمدائني توفي في المحرم بالبصرة سنة: 180هـ. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1410هـ، 1/ 407. شذرات الذهب، 1/ 293. العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1948م، 1/ 276.

[3] هو: صالح بن زياد أبو شعيب الرقّي مقرئ ضابط. أخذ القراءة عرضا وسماعا على اليزيدي. روى القراءة عنه أبو الحارث محمد بن أحمد الرقي وغيره. توفي سنة: 261هـ. غاية النهاية، 1/ 302 ومعرفة القراء، 1/ 193.

[4] هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد العدوي البصري، نحوي مقرئ. أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو بن العلاء وخلفه بالقيام بالقيام بها، وأخذ عن حمزة. روى القراءة عنه أولاده: محمد وعبد الله وإبراهيم وغيرهم، والسوسي والدوري وغيرهما. توفي سنة: 202هـ بمرو. غاية النهاية، 2/ 375 ومعرفة القراء، 1/ 151.

[5] هو: حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن سليمان الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن أبي ليلى وغيرهم. انتهت إليه الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش في الكوفة. قرأ عليه الكسائي وسليم بن عيس وجماعة. توفي سنة: 156هـ. غاية النهاية، 1/ 236 ومعرفة القراء، 1/ 111.

[6] سقت ترجمته، ص 17.

[7] هو: محمد بن يزيد بن رفاعة العجلي أبو هشام الرفاعي الكوفي القاضي أحد العلماء المشهورين، قرأ على سليم وسمع الحروف من من حسين الجعفي ويحيى بن آدم وأبي يوسف الأعشى والكسائي وضبط حروفا عن أبي بكر بن عياش، قال أبو عمرو الداني وله عن هؤلاء شذوذ كثير فارق فيه سائر أصحابه وله كتاب جامع في القراءات روى عنه القراءة موسى بن إسحاق القاضي وعلي بن الحسن القطيعي وأحمد بن سعيد المروزي، كما روى عن أبي بكر بن عياش وحفص بن غياث والمطلب بن زياد وابن فضيل وطائفة. قال البخاري رأيتهم مجمعين على ضعفه. مات في آخر يوم من شعبان ببغداد وكان قاضيا عليها سنة 248هـ. معرفة القراء الكبار، 1/ 224 وما بعدها، سير أعلام النبلاء، 12/ 153.

[8] سليم بن عيسى بن سليم ابن عامر بن غالب أبو عيسى ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرىء صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته به وأحذقهم بالقراءة وأقومهم بالحرف وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة، قرأ عليه خلف بن هشام البزار وخلاد بن خالد الصيرفي وأبو عمر الدوري ومحمد بن يزيد والطيب بن إسماعيل وعلي بن كيسة المصري وطائفة، ولد سنة 130هـ. سمع الحديث من حمزة وسفيان الثوري، سمع منه أحمد بن حميد وضرار بن

ز- الكسائي[1] في رواية أبي عُمر الدُّوري[2]، وأبي الحارث[3]، ونصير[4] وقتيبة[5].

الفرع الثاني: مضامينه

يمكن القول أن "كتاب الحجة للقراء السبعة" للإمام أبي علي الفارسي رحمه الله قد اشتمل على مقدمة عقبتها الدراسة، ثم خاتمة.

10- أما المقدّمة فقد تضمنت -بعد الحمدلة والصلاة- ثلاثة أفكار:

الأولى: صدَّر فيها كلمة الإجلال والدعاء للسلطان عضد الدولة؛ لأن هذا المصنَّف -كما تقدم-واحد من المصنفات التي قدمها أبو علي له[6]؛ إذ يقول: "أما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك

صرد وقال يحيى بن سليمان الجعفي حدثنا يحيى بن المبارك قال كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب فإذا جاء سليم قال لنا حمزة تحفظوا وتثبتوا قد جاء سليم. قال وتوفي سنة 188 وقيل سنة 189هـ. معرفة القراء الكبار، 1/ 138 وما بعدها.

[1] هو: علي بن حمزة الأسدي، أحد القراء السبعة والذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة، أخذ القراءة عن حمزة وعليه اعتماده وعن أبي بكر بن عياش وعن إسماعيل بن جعفر وعن المفضل الضبي. أخذ القراءة عنه حفص الدوريّ وقتيبة وخلف بن هشام وغيرهم. توفي سنة: 189هـ. غاية النهاية: 1/ 474 وما بعدها ومعرفة القراء، 1/ 120.

[2] هو: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان، أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي، قرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً. قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع، وقرأ أيضاً عليه، وعلى أخيه يعقوب بن جعفر عن ابن جماز عن أبي جعفر، وسليمان عن حمزة، ومحمد بن سعدان عن حمزة وعلى الكسائي لنفسه. روى القراءة عنه أحمد بن حرب شيخ المطوعي، وأحمد بن فرج. توفي في شوال سنة 246هـ. غاية النهاية، 1/ 230- 232.

[3] هو: الليث بن خالد البغدادي. عرض القراءة على الكسائي، وهو من جلة أصحابه. وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، وعن اليزيدي. روى عنه القراءة عرضا وسماعا سلمة بن عاصم صاحب الفراء وغيرهم. غاية النهاية، 2/ 33 ومعرفة القراء: 1/ 211.

[4] هو: نصير بن يوسف أبو المنذر الرازي ثم البغدادي النحوي. أخذ القراءة عرضا عن الكسائي وهو من جلة أصحابه وله عنه نسخة وأبي محمد اليزيدي. روى عنه القراءة محمد بن عيسى الأصبهاني وعلي بن أبي نصر النحوي وغيرهما. مات في حدود 240هـ. غاية النهاية، 2/ 297 ومعرفة القراء، 1/ 213.

[5] هو: قتيبة بن مهران أبو عبد الرحمن الأزاذاني قرية من أصبهان. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن الكسائي وإسماعيل بن جعفر. روى القراءة عنه عرضا وسماعا أبو بشر يونس بن حبيب وغيره. توفي بعد 200هـ. غاية النهاية، 2/ 24- 25. معرفة القراء، 212/1.

[6] ومن المصنفات التي صنفها أبو علي لعضد الدولة كتابي الإيضاح والتكملة. انظر: سير أعلام النبلاء، 16/ 249. وفيات الأعيان، 4/ 51.

السيد الأجل المنصور، ولي النعمة، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العزة والبسطة والسلطان، وأيّدَه بالتوفيق والتَّسديد، وعضَده بالنَّصر والتَّمكين "[1].

والفكرة الثانية: فقد أوضح فيها المصنِّف موضوع كتابه، والمتمثل في ذكر أوجه الاحتجاج وتعليل القراءات المختلفة للقراء السبعة في مختلف الأمصار الذين أثبتهم أبو بكر بن مجاهد في "سبعته"، كل ذلك على الصحيح الذي ثبتت روايته عنه، وهذا الأمر في غاية الأهمية يصدّر به أهل القراءات كتبهم ويحرصون عليه؛ ذلك أن مدار أخذ القراءة على المشافهة، والعرض على الشيوخ، والسماع منهم، ولا يخفى أن أهمَّ أركان القراءة الصحيحة صحة السند إلى النبي ρ؛ الأمر الذي جعل الإمام أبا علي رحمه الله حريصا في هذا الفن على ذكره كغيره من القراء؛ فيقول: "فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد رحمه الله المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام، بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه، وأخذنا عنه"[2].

أما الفكرة الثالثة: فقد أشار إلى عمل أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السَّرَّاج (ت316هـ) قبله، إذ سبقه إلى هذا العمل لما شرع في تأليف كتاب يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد، فأتم سورة الفاتحة، وجزءًا من سورة البقرة ثم أمسك، وأما عمل أبي علي فهو الإفادة منه مع الإسناد إليه؛ لأن الإسناد من الدين[3]، والذي يقرأ كتاب الحجة يجد أبا علي يستشهد به كثيرا، وفي كل مرة يذكر: قال أبو بكر بن محمد بن السري. يدل على هذه الفكرة قول أبي علي رحمه الله: "وقد كان أبو بكر بن محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتدأ بإملائه، وارتفع منه تبييض ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم، وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا، وإلى الله أرغب في تيسير ما قصدته، والمعونة عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[4].

---

[1] الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، ت: علي النجدي ناصف وغيره، 1/ 13.

[2] خطبة الحجة.

[3] من قولة عبد الله بن المبارك المشهورة: " الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء". انظر: التعديل والتجريح، سليمان بن خالف، أبو الوليد الباجي، ت: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع –الرياض، ط1، 1406هـ- 1986م، 1/ 291 وتذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر بن القيسراني، ت: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، ط1، الرياض، 1415هـ، 3/ 1054.

[4] انظر: خطبة الحجة للفارسي، 1/ 29.

11- وبعد تلك المقدّمة الموجزة شرع المصنف رحمه الله مباشرة في موضوع الدراسة، والمتمثل في عرض فرش الحروف[1]؛ وذلك في أربعة أجزاء، بدأ فيها بسورة الفاتحة وانتهى إلى سورة الناس.

ففي الجزء الأول بدأ بـ [سورة الفاتحة] إلى [الآية: 246] من أواخر [سورة البقرة].

ومن أول [سورة آل عمران] إلى آخر [سورة يوسف] في الجزء الثاني.

وأما الجزء الثالث فعرض فيه أحرف الخلاف في [سورة الرعد] إلى [الآية: 37] من [سورة الطور].

وختم كتابه في الجزء الرابع من [سورة النجم] إلى آخر [سورة الناس].

12- وبعد الرحلة الطويلة والدراسة العميقة التي خاضها أبو علي في "الحجة"، اكتفى أبو علي بختام كتابه بقوله: "والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيِّه محمد وعلى أهله وسلامه"[2].

المطلب الثالث: أهمية الكتاب ومنزلته

لا تخفى قيمة كتاب "الحجة" بين سلسلة المصنفات العظيمة في علم القراءات عموما، وفي فن توجيه القراءات وتعليلها خصوصا؛ ذلك أن ظهور هذا الكتاب يُعدُّ فتحاً كبيراً في مجال القراءات وفن الاحتجاج لها. فمؤلِّفه شخصية من أبرز الشخصيات في علم القراءات أداءً وتدريساً وأستاذيّةً وتأليفاً، ومؤلَّفه "الحجة" طبقت شهرته الآفاق وانتفع به القرّاء والنحويون والمؤلّفون؛ لما يتميّز به من سلامة في المنهج واستيعاب للأحكام. وتتجلى مظاهرها في:

أولا: كونه من أوائل المصنفات التي شرحت كتاب "السبعة" لابن مجاهد، وذلك من شأنه أن يسبغ عليه ثوب المهابة والتقدير؛ إذ من المعلوم الذي لا يخفى أن ابن مجاهد كان صاحب الفضل والسبق في انتخابه لقراء الأمصار وتسبيع قراءاتهم، فحاز كتاب "الحجة" شرف النسبة.

---

[1] القراء يسمّون ما قلّ دوره في القرآن من حروف القراءات المختلف فيها "فرشاً"؛ لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السور فهي كالمفروش بخلاف الأصول؛ لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع. وسمى بعضهم الفرش فروعاً مقابلة =للأصول. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، عليّ بن عثمان بن الحسن القاصح البغدادي، دار الفكر، بيروت، د.ط.ت، ص184.

[2] الحجة، 4/ 161.

ثانيا: إن الثروة العلمية الزاخرة بألوان المعارف المختلفة، من علوم العربية وعلوم القرآن والقراءات وغيرها في الكتاب لَتدلُّ على قمَّة النضج العلمي لمؤلِّفه وعصره، كما تدل على الشخصية العلمية الموسوعية الفذة التي اتسم بها.

ثالثا: إن أبرز ما يميز كتاب "الحجة" أنه عرض لتوجيه القراءات السبع بالتفصيل، فهو يغوص في الإعراب والتعليل وتوضيح المعنى المترتِّب على القراءة، ولا يدع حرف الخلاف إلا بعد أن يسوق له من الشواهد والأدلة الكثيرة ما يجليه ويرفع اللَّبس عنه، وإن أدَّت كثرة الاستطرادات – أحيانا– إلى إغماضه ومجافاته، فإن الدرر الغزيرة التي يظفر بها من يصبر عليه كثيرة ونفيسة.

رابعاً: كما يتميز الكتاب باستخدام القياس؛ فهو يعج بالكثير من التعليلات والقياسات المنطقية، ولعل أبا علي درس المنطق والتقى ببغداد مُتَّى بن يونس الحكيم[1]؛ فقد كان شيخا كبيرا، يقرأ الناس عليه فن المنطق، وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ويجتمع في حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه[2]. ولا شك أن استخدام القياس والعلل يجعل صاحبه يتمتع بشخصية منطقية متزنة، وتجعل مؤلَّفه في مصافِّ الكتب.

خامساً: إضافة إلى ما سبق، فقد حظي كتاب "الحجة" بإجازة العلماء له؛ فقدَّروه حق قدره، وأثنوا عليه وشُغلوا به يتدارسونه ويختصرونه ولاسيما أهل الأندلس[3]، زيادة على ذلك ما جاء في ذيل تجارب الأمم: "صُنِّف في أيام عصر الدولة المصنفات الرائعة في أجناس العلوم المتفرقة، فمنها كتاب الحجة في القراءات السبع، وهو كتاب ليس له نظير في جلالة قدر واشتهار ذكر"[4]. وذكر الدكتور شلبي أنه قد جاء في صحيفة الأهرام: "ألقى الدكتور بشر فارس في قاعة المجمع العلمي المصري محاضرة ضمنها نصا عربيا قديما في كتاب مخطوط ألفه أبو علي الفارسي من أئمة العربية والمسلمين في القرن الرابع الهجري، خصصه لبحث مسألة التصوير في الإسلام، مصرحا بأنه جائز بإجماع لا يقترح فيه اعتراض الآحاد، والحظر فيه مقصور على تصوير الله عز وجل تصوير الأجسام، فأما غير ذلك من التصاوير للأحياء فليس محظورا، وقد طلب كثير من الأدباء المستمعين طبع هذه

---

[1] تقدمت ترجمته، ص16.

[2] وفيات الأعيان، 5/ 153.

[3] انظر: ص29 من هذا البحث.

[4] ذيل تجارب الأمم، نقلا عن: أبي علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المطبوعات الحديثة، السعودية، ط3، 1989م، ص252.

المحاضرة إذاعة لذلك النص الفريد المفيد، وتعزيزا للنهضة الفنية في الشرق الحديث، فوعدوا بإجابة طلبهم"[1]. وقد علق الدكتور شلبي على هذا النص قائلا: "وقد يكون الباعث على ذلك، توجيه الناس إلى نص من نصوص أبي علي بحسم الخلاف في جواز التصوير"[2].

سادساً: اعتنى ابن الجزريّ رحمه الله بهذا الكتاب فجعله أصلاً من أصول كتابه العظيم "النشر في القراءات العشر"، يعزو إليه من حين لآخر. كما تأثر به ابن جني، وأوحى إليه كتابه "الحجة" بتصنيف "المحتسب"؛ فنقل عنه وروى مما أنشده إياه من شواهد، وما أخذه عنه من أصول.

المطلب الأول: مقارنة كتاب الحجة بكتاب السبعة لابن مجاهد

لا يخفى أن كتابي "السبعة" لابن مجاهد و "الحجة" لأبي علي مختلفان في موضوع الدراسة، ولا تتأتى المقارنة بين كتابين مختلفين في الموضوع. غير أن العلاقة الوطيدة بينهما تفرض –على الأقل– الإشارة إلى الملامح العامة للمصدر الذي استقى منه أبو علي مادته العلمية وشرحه لكتاب "السبعة" لابن مجاهد، وذلك بعد التعريف بالمصنِّف.

الفرع الأول: التعريف بمؤلِّف كتاب السبعة

هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس؛ ابن مجاهد[1] شيخ العصر أبو بكر البغداديّ العطشيّ المقرىء، كان واحد عصره غير مدافَع، وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن حسَنَ الأدب رقيق الخلق كثير المداعبة ثاقب الفطنة جوادا، آخر من انتهت إليه الرياسة بمدينة السلام في عصره. ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين.

---

[1] المرجع السابق، ص353- 354.

[2] المرجع نفسه، ص254.

[1] انظر ترجمته: غاية النهاية، 1/ 128-130، ومعرفة القراء الكبار، 1/269- 272، وتاريخ بغداد، 144/5 وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى، 57/3 وما بعدها والفهرست، لابن النديم، 47/1.

قرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس وقنبل المكيّ، كما أكبّ على طلب العلوم اللغوية والشرعية منذ نعومة أظفاره، وأقبل على أساتذة النحو الكوفيين يأخذ ما عندهم. وفي كتابه "السبعة" بعض اصطلاحات النحو الكوفي. كما أنه لم يألُ جهدا في طلب الحديث النبوي ومعرفة الآثار، وأكبّ إكباباً منقطع النظير على قراءات القرآن وتفسيره ومعانيه وإعرابه وروايات حروفه وطرقها، وقد سمع القراءات من طائفة كبيرة مذكورين في صدر كتابه، أسعفه في ذلك حافظة واعية لا يرتسم فيها شيء إلا يثبت وكأنما يُحفَر فيها حفراً، كما ساعده ذكاء وقّاد ومعرفة واعية بالرواة والقرّاء على مرّ الأيام من زمن رسول الله ρ إلى زمانه.

وتصدَّر للإقراء وازدحم عليه أهل الأداء ورجل إليه من الأقطار وبعُد صيتُه، وظلَّ قبل وفاته بنحو أربعين عاما وخلائقُ لا تكاد تُحصى تتحلَّق من حوله، وتأخذ عن لفظه كتاب الله.

قرأ عليه: أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم وصالح بن إدريس وأبو عيسى بكَّار بن أحمد وأبو بكر الشذائيّ وأبو الفرج الشنبوذيّ وأبو الحسين عبيد الله وغيرهم كثير.

قال أبو عمرو الدانيّ: "فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسكه تصدر للإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائيّ الصغير"، وقال عبد الواحد بن أبي هشام: "سأل رجل ابن مجاهد لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفا يحمل عنه فقال نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا".

وتوفي رحمه الله في محبسه بدار السلطات يوم الأربعاء لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ودفن في تربة في حريم داره بسوق العطش ثاني يوم موته، بعد أن كان الوزير أبو عليّ بن مقلة ضربه أسواطاً، فدعا عليه بقطع اليد فاتفق أن قطعت يده، وهذا من عجيب الاتفاق.

روى الإمام قراءات كثيرة وله كتب مصنفة، منها: كتاب "القراءات الكبير"، كتاب "القراءات الصغير"، كتاب "الياءات"، كتاب "الهاءات"، كتاب "قراءة أبي عمرو"، كتاب "قراءة ابن كثير"، كتاب "قراءة عاصم"، كتاب "قراءة نافع"، كتاب "قراءة حمزة"، كتاب "قراءة الكسائي"، كتاب "قراءة ابن عامر" وكتاب "قراءة النبي ρ ".

ومن كلامه وفوائده قال: "من قرأ لأبي عمرو وتمذهب للشافعي واتجر في البزّ وروى شعر ابن المعتز فقد كمل ظرفه".

الفرع الثاني: التعريف بكتاب السبعة

كتاب "السبعة في القراءات" للإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، المتوفى سنة أربعة وعشرين وثلاثمائة للهجرة، وبه اشتهر الإمام ابن مجاهد رحمه الله، وهو أول وأصحّ كتاب يُصنَّف في القراءات السبعة.

وقد طُبع كتاب السبعة في كتاب بتحقيق الدكتور: شوقي ضيف في طبعته الثانية –منقحة– عن دار المعارف –كورنيش النيل بالقاهرة– في أول شوال عام 1400هـ، وهي الطبعة الوحيدة التي وقفت عليها واعتمدت عليها في بحثي، وهي تقع في حوالي 759 صفحة.

وقد قسَّم المحقق دراسته إلى قسمين:

أ– قسم دراسي: وتناول فيه دراسة موجزة لحياة المصنف الإمام ابن مجاهد رحمه الله ثم تناول دراسة كتابه السبعة وأهميته ومنهجه فيه.

ب– قسم للتحقيق: اعتمد الباحث فيه على النسخة الأصلية التركية المحفوظة بمكتبة الفاتح، وقف إبراهيم في إستانبول برقم:69. وكان يقابلها بالنسخة التونسية –مصورة عن الأصلية– ، وكذا بالنسخة العتيقة المتضَمَّنة في كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسي؛ معتمدا في ذلك على الجزء الأول المطبوع من كتاب "الحجة"، وعلى مصورة مكتبة جامعة القاهرة حتى سورة الزخرف، وعلى مصورة دار الكتب المصرية المأخوذة عن نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية حتى نهاية الكتاب.

الفرع الثالث: الملامح العامة لمنهج كتاب "السبعة"

تظهر الملامح العامة للمصدر الذي استقى منه أبو علي مادته العلمية وشرحه لكتاب "السبعة" لابن مجاهد ومنهجه فيه في الآتي:

ط– **المقدمة**: لقد قدَّم ابن مجاهد رحمه الله نبذة مختصرة عن اختلاف القراءات، مصدِّراً ذلك بمقدمة يبين فيها موضوع الكتاب وعمله فيه، قائلا: "اختلف الناس في القراءة، كما اختلفوا في الأحكام، ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين، وبعض ذلك قريب من بعض. وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودال على الأئمة منهم، ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام، وشارح مذاهب أهل القراءة ومبين اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله، وإياه أسأل التوفيق بمنِّه"[1].

ظ– ثم بين صفات القارئ الثقة وما ينبغي أن يتحلى به من يتصدر للإقراء، مشيراً إلى

[1] السبعة في القراءات، ص45.

توقيفية القراءة وعدم توفيقيتها؛ إذ القراءة سنة متبعة لا يسوغ فيها الاجتهاد والابتداع.

ع- **من حيث التعريفُ بالأئمّة القراء وذكر الأسانيد والطرق:**

كما اهتم ابن مجاهد بذكر أئمة القراء وأنسابهم وأساتذتهم وتلاميذهم؛ فكان قبل ذكر الرواة عن القراء يذكر نسب المقرئ[1]، ويقف مليّاً عند أساتذته وأهم تلامذته، ذاكرا أسانيدهم وطرقهم للرواية، مرتبا إياهم على حسب الأمصار التي أقرؤوا فيها. فكان البدء بقراءة "نافع"؛ تبرُّكا بمدينة رسول الله ρ، حيث صرّح ابن مجاهد بذلك قائلا: "فأوّل من أبتدئ بذكره من أئمة الأمصار من قام بالقراءة بمدينة رسول الله ρ وإنما بدأت بذكر أهل المدينة؛ لأنها مُهاجَر رسول الله ρ ومعدن الأكابر من صحابته، وبها حُفظ عنه الآخر من أمره. فكان –نافع- الإمامَ الذي قام بالقراءة بمدينة رسول الله ρ بعد التابعين"[2].

غ- **من حيث منهجيةُ تقسيم الكتاب إلى أصول وفرش:**

ثم ركز الحديث عن الخلاف بين القراء؛ وذلك في قسمين رئيسين:

- قسم الأصول:

تعرف الأصول بأنها: انسحاب حكم الحرف الواحد على جميع القرآن[3]. أو هي: الحكم الكلي الجاري في كلّ ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم كالمدّ والقصر والإظهار والإدغام والفتح والإمالة ونحو ذلك.

ومعنى ذلك أن القارئ يقرأ الكلمة بطريقة معينة مطّردة في القرآن، نحو كلمة: [يُؤْمِن] وتصريفاتها، مثل: [يُؤْمِنُونَ] و [مُؤْمِنُونَ] فالقارئ يبدل همز هذه الكلمات –إذا كان من مذهبه الإبدال- في القرآن كلّه.

أو: هو القسم الذي يشمل الحروف المختلف فيها بين القراء، والتي تطَّرِد تحت قاعدة معينة، ويمكن إجراء القياس عليها، كالإدغام والإمالة والمد وغير ذلك مما هو معهود عند الأئمة القراء.

---

[1] هناك فرق بين مصطلح (المقرئ) و (القارئ)؛ أما المقرئ: فهو: مَن علِم القراءات أداءً ورواها مشافهة، وأما القارئ: فهو المتلقّي للقراءة، وهو إمّا مبتدئ أو متوسّط أو منته. فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط من أفرد إلى أربع أو خمس، والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تصحيح وتعليق: علي محمد الضّباع، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ط.ت، ص5.

[2] المصدر السابق، ص53.

[3] كنز المعاني، محمد بن أحمد الموصلي المعروف بـ شُعلة، الاتحاد العام لجماعة القراء، القاهرة. د.ط.ت، ص257.

– قسم الفرش:

ويقصد به كما سبق أيضاً: الحكم المنفرد غير المطّرد، وهو ما يذكر في السور من كيفية قراءة كل كلمة قرآنية يُختلف فيها بين القراء، مع عزْو كل قراءة إلى صاحبها، وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول.

فهذا القسم إذن يشمل الحروف التي يقلّ دورها في القرآن الكريم، ولا يمكن إجراء القياس عليها.

وهذه المنهجية قد سار عليها معظم من ألَّف في القراءات منذ عصر الأئمة الأوائل إلى يوم الناس هذا[1].

وقد علق محقق "السبعة" على هذا العمل قائلا: "كأنهم يقسمون مباحث القراءات قسمين: قسما في أصولها الكلية، وقسما في مفرداتها، فقواعد الإدغام، وتسهيل الهمز والإمالة تندرج في الكليات، وبقية الكتاب تندرج بجميع جزئياتها في الفرش ودقائقه القرآنية النيرة، وقراءاته المختلفة التي لقنها أئمة القراء السبعة"[2].

ف– من حيث توجيهُ القراءات:

يلاحظ أنَّ كتاب ابن مجاهد يكاد يخلو –كليّاً– من توجيه القراءات وتعليلها إلا ما ذكره في سورة الفاتحة؛ قصد تقريب الفهم وخشية تثقيل الكتاب، وهذا ما صرّح به قائلا: "قال أبو بكر: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة –يعني **الفاتحة**– وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك"[3].

ولعلَّ هذا الفراغ حفَّزَ أبا علي رحمه الله لأن ينبري لشرح الكتاب وأن يعمل على توجيه ما فيه من قراءات قراء الأمصار الذين ذكرهم ابن مجاهد، ويتأكَّد هذا العمل بعد أن حمَّسه شيخه أبو بكر محمد بن السريّ، لما شرع في تفسيره لكنه أمسك ولم يكمله.

---

[1] انظر مثلا: التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، ت: عبد الفتاح بحيرى إبراهيم، مطبعة الزهراء للإعلام العربي –القاهرة، ط1، 1410هـ– 1990م، 2/ 309، التيسير في القراءات السبع، ص73، النشر في القراءات العشر، 2/ 155.

[2] السبعة في القراءات، ص38.

[3] المصدر نفسه، ص112.

المطلب الثاني: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "الحجة" لابن خالويه

يتناول هذا المطلب أبا عبد الله الحسين بن خالويه أحدَ زملاء ومنافسي أبي عليّ، ومؤلَّفَه "الحجَّة في القراءات السبع" وأوجه المقارنة بينه وبين كتاب "الحجة" لأبي علي موضوعِ البحث. وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول: التعريف بأبي عبد الله ابن خالويه

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي أصله من همذان، ولكنه دخل بغداد، وخَالَوَيْه بفتح الخاء الموحَّدة، وبعد الألف لام مفتوحة، وواو مفتوحة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة.

أدرك جِلَّة العلماء بها، مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرىء وأبي عمر الزاهد[1] وابن دريد، وقرأ على أبي سعيد السيرافي. انتقل إلى الشام واستوطن حلباً وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه، وهو القائل: "دخلت يوما على سيف الدولة بن حمدان، فلما مثلت بين يديه قال لي: اقعد ولم يقل اجلس، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطِّلاعه على أسرار كلام العرب"، وإنما قال ابن خالويه هذا، لأنَّ المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم اقعد وللنَّائم أو السَّاجد اجلس، ولابن خالويه كتاب كبير في الأدب سماه "كتاب ليس"، وهو يدل على اطِّلاع عظيم، فإنَّ مبنى الكتاب من أوَّله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا، وله كتاب لطيف سماه "الآل"، وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسما وما أقصر فيه، وله "كتاب الاشتقاق"، و"كتاب الجمل في النحو"، و"كتاب

---

[1] هو: الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي المطرز الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، ولد سنة 361هـ. سمع من موسى بن سهل الوشاء، وأحمد بن عبيد الله النرسي، ومحمد بن يونس الكديمي وغيرهم، حدث عنه أبو الحسن بن رزقويه، وابن منده، وأبو عبد الله الحاكم، والقاضي أبو القاسم ابن المنذر، والقاضي محمد بن أحمد ابن المحاملي وخلق كثير. استدرك على الفصيح لثعلب كراسا سماه "فائت الفصيح" وله: كتاب الياقوتة، وكتاب الموضح، وكتاب الساعات، وكتاب يوم وليلة،وكتاب المستحسن، وكتاب الشورى، وكتاب البيوع، وكتاب تفسير أسماء الشعراء وغيرها. مات في ذي القعدة سنة: 345هـ. سير أعلام النبلاء، 15/ 508 وما بعدها، وفيات الأعيان، 4/ 329 وما بعدها.

القراءات"، و"كتاب إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز"، و"كتاب المقصور والممدود"، و"كتاب المذكر والمؤنث"، و"كتاب الألفات"، و"كتاب شرح المقصورة لابن دريد"، و"كتاب الأسد"، و"البديع في القرآن الكريم"، و"حواشي البديع في القراءات"، و"شرح شعر أبي نواس" وغير ذلك. ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي[1] مجالس ومباحث عند سيف الدولة[2]، وله شعر حسن. من ذلك:

إذا لم يكن صدر المجالس سيد فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل ما لي رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس

وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلاثمائة بحلب رحمه الله تعالى[3].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب الحجة في القراءات السبع

أولا: وصف كتاب الحجة

كتاب "الحجة في القراءات السبع" للإمام أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني البغدادي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة للهجرة. جاء في الصفحة الأولى منه: "كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين في الرواية للعلامة المحقق إمام النحو واللغة أبي عبد الله الحسين بن خالد[4] بن خالويه رحمه الله، وحباه من الخير ما يتوالى"[5]. من أجلِّ كتب الإمام وأصحِّها عنه، بيْد أنه لم

---

[1] سبقت ترجمته، ص09.

[2] ومن نوادر تلك المجالس أنه مرة كان العلماء يحضرون مجلس سيف الدولة، ويتناظرون كل ليلة فوقع بين المتنبي وابن خالويه ليلة كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح فشجه فخرج ودمه يسيل على وجهه. انظر: شذرات الذهب، 14/2.

[3] وفيات الأعيان، 2/ 178- 179. ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1409هـ، 1/ 106 وشذرات الذهب، 2/ 72- 73.

[4] أغلب التراجم التي وقفت عليها، وكذا أغلب كتبه المطبوعة كالطارقية وإعراب ثلاثين سورة، ومختصر في شواذ القرآن، وكتاب الريح، وكتاب ليس في كلام العرب وغيرها تثبت أنه الحسين بن أحمد وليس ابنَ خالد كما هو ثابت في مخطوطه "الحجة"، ولم ينبه المحققان إلى هذا الأمر، وكنيته أبو عبد الله باتفاق. أنظر مثلا: الأعلام، الزركلي، 131/2، البداية والنهاية، 11/ 297، ذيل مولد العلماء، 1/ 106، شذرات الذهب، 71/2، سير أعلام النبلاء، 16/ 341، العبر في خبر من غبر، 2/ 362، وفيات الأعيان، 2/ 178، غاية النهاية، 1/ 215، أما الأنباري فقد أسماه –وحده- في نزهته بـ عبد الله، فقال: "وأما عبد الله بن خالويه..."، وهو –لاشك- خطأ؛ إما من المصنِّف وغفل المحقق –محمد أبو الفضل إبراهيم- عن التنبيه إليه، أو أنه خطأ من المحقق. انظر: نزهة الألباء، 2/ 170.

[5] مقدمة الحجة، ابن خالويه، ص31.

يشتهر عنه على غرار أخريات الكتب، نحو: "كتاب إعراب ثلاثين سورة"، و"كتاب البديع و"كتاب مختصر شواذ القرآن" وغيرها.

ولعل السبب في ذلك راجع –كما يقول محقق الكتاب– إلى أن الكتاب في القراءات فاستُغنِي بذكره عن كلمة "الحجة" أو أن حجة أبي علي الفارسي غطَّت شهرتها على حجة ابن خالويه، فاحتُفِظ للفارسي بهذه النسبة لإيمانهم بأقيسته وعللها، واكتفوا بذكر القراءات لابن خالويه[1]، إضافة إلى ما ذكرناه عن تسمية الحجة بأنها من عمل المتأخرين[2].

وقد طبع كتاب الحجة في كتاب بتحقيق وشرح الدكتور: عبد العال سالم مكرم في عدة طبعات، وبين يدي الطبعة السادسة منه –منقحة– عن مؤسسة الرسالة –بيروت، في سنة: 1417هـ/ 1996م، وهي الطبعة التي وقفت عليها واعتمدتها في بحثي، وهي تقع في 416 صفحة. كما انبرى لتحقيقه مرة أخرى الدكتور أحمد فريد المزيدي، قدَّم له الدكتور فتحي حجازي بجامعة الأزهر، وصدر عن منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1420هـ-1999م، وتقع هذه الطبعة في 253 صفحة.

تناول فيه المصنِّف توجيه حروف الخلاف بين القراء السبعة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، صدَّره المحقق بمقدمة عامة تحدَّث فيها –باختصار– عن حياة المصنِّف الاجتماعية والعلمية عموما، وعن نسبة الكتاب إليه وتوثيقه، ومنهجه فيه وقيمته في عصرنا الحاضر.

ثانيا: منهج ابن خالويه في الحجة

يمكن تلخيص منهجه في النقاط الآتية:

34- اعتمد في حجته على القراءات المشهورة، دون الروايات الشاذة المتروكة؛ يقول: "... معتمِد فيه على ذكر القراءة المشهورة، ومنكِّب عن الروايات الشاذة المنكورة"[3].

35- الإيجاز والاختصار؛ فالكتاب بعيد عن الاستطراد المملّ والاختصار المخلّ، وذلك واضح من مقدمته في الكتاب: "وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم ... وقاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار"[4].

---

[1] المصدر السابق، ص21.

[2] انظر: ص 39 من هذا البحث.

[3] المصدر السابق، ص62.

[4] الحجة، ص62.

36- يعرض القراءات من غير عزو لها لأصحابها، ولا يعزو إلا في القليل النادر[1]؛ وذلك لأن هدفه الإيجاز وعدم الإكثار.

37- دعاه الحرص على الإيجاز إلى عدم تَكرار تعليل وتوجيه بعض الحروف التي تقدَّم تحرير الخُلف فيها، فيكتفي إحالة القارئ إلى مواطنها الأولى[2]، وما سيأتي لاحقاً ينبه إلى رصده في موضعه[3].

38- ومن منهجه أنه يقدِّم لغة أهل الحجاز وينتصر لها؛ يظهر ذلك في توجيهه لقوله تعالى: ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [الإسراء: ٣٥]، قال: "يُقرَأ بكسر القاف وضمِّها، وهما لغتان فصيحتان والضم أكثر لأنه لغة أهل الحجاز"[4].

39- لا يهتمُّ بالتفسير وأسباب النزول إلا ما جاء منها عرضاً[5].

40- يسوق الشواهد في أغلب الأحيان ويحتجُّ بها، لكنه لا يحفَل بإعرابها إلا في القليل النادر؛ وذلك نحو:

يا ربَّ سارٍ بات لن يُوسَّدا تحت ذراع العنْسِ أو كفِّ اليدا

في هذا البيت تعرض لإعراب مواضع منه، مفسرا بعض كلماته[6].

41- ابن خالويه يحتجُّ برسم المصحف ويأخذ به[7].

42- لا يفوت الإمام أبا عبد الله أن يستشهد بالأحاديث النبوية في عدَّة مواضع من كتابه[8].

43- يتميز بشخصية متزنة معتدلة، متحرر النزعة، غير متعصب للبصريين ولا للكوفيين، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح[9] -وهو الأغلب- ، أو يرجح بدليل[10]، وقد ينفرد بآراء خاصة[1].

---

[1] المصدر نفسه، مثلا: ص302، 244، 245

[2] المصدر نفسه، مثلا: 294، 369، 318.

[3] المصدر نفسه، مثلا: ص70، 143، 281.

[4] المصدر نفسه، ص217.

[5] المصدر نفسه، مثلا: ص87، 237، 277، 278، 320.

[6] المصدر نفسه، ص204-205.

[7] المصدر نفسه، ص 72، 77، 243.

[8] المصدر السابق، ص53، 57، 64، 118.

[9] المصدر نفسه، ص80، 84، 118، 133، 140، 144، 249، 279، 294.

[10] المصدر نفسه، ص96.

ولعل هذا الملمح المتميز في الإمام جلب انتباه المستشرق برجستراسر، والذي يقول عنه: "في حلب أخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة، ونهج فيها منهجا جديدا، لأنه لم يتبع طريقة الكوفيين، ولا طريقة البصريين، ولكنه اختار من كليهما ما كان أحلى وأحسن"[2].

44- الاستدلال والاستئناس بالقراءات الشاذة، خصوصا قراءتي أبي وعبد الله بن مسعود[3].

الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين الحجتين

من خلال تتبّع كلا الكتابين وتأمُّل محتواهما نلاحظ أنهما اتفقا في كثير من الأمور، واختلفا في جملة منها أيضاً.

أولا: أوجه الاتفاق

من الأوجه التي اتفقا فيها ما يأتي:

ط- من حيث التسمية والموضوع:

يتحد الكتابان في موضوع البحث وهو توجيه القراءات السبع والاحتجاج لها، ويتفقان إلى حدٍّ كبير في تسمية كتابيهما، خصوصا إذا راعينا الخلاف في تسمية حجة أبي علي[4].

ظ- من حيث وضعُهما للمقدّمات:

نجد أن الإمامين اتفقا في وضع مقدّمات لكتابيهما تضمنت مجمل ما حواه كل كتاب وغرض المؤلف وطريقته فيه.

ع- من حيث استخدام العلة والقياس:

يشترك الكتابان في اللغة المنطقية[5] التي تؤمن بالقياس وتجري وراء العلة؛ وهذا عائد إلى التكوين العلمي للإمامين، فقد كانا -كما أشرنا سابقا[6]- في عصر مناسب

---

[1] المصدر نفسه، ص314- 315، 342.

[2] مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي -القاهرة، د.ط، د.ت، ص7.

[3] المصدر السابق، ص147، 217، 218، 238، 271.

[4] انظر: ص 37 من هذا البحث.

[5] يستخدم الإمامان كثيرا عبارة "فإن قيل... يقال له، أو قلنا"؛ ويُسمَّى أسلوب الفنقلة. تظهر هذه اللغة والتعليل المنطقيين في كتاب أبي علي أكثر، وهذا راجع إلى توسع المصنف وإطالته فيه.

[6] لنظر: ص 52 من هذا البحث.

وبيئة خصبة لدراسة المنطق الأرسطي، واستخدام أساليب الجدل والمحاججة العقلية وأدوات القياس والتعليل.

غ- من حيث الاختيار والترجيح:

لا يكتفي الإمامان بتحرير الخُلف بين القراء والاحتجاج له، بل يعمَدان إلى اختيار بعض الأوجه في حروف الخلاف[1]، وإن اختلفا في الأساس المعتمد لهذا الاختيار والترجيح. .

ف- من حيث عدم إيرادهما للخاتمة:

إن المتصفِّح للكتابين يجد خلوَّهما من خاتمة موجزة.

ثانيا: أوجه الاختلاف

وأما عن أوجه الفرق بين الكتابين فظاهرة في اختلاف المنهجين وتباين الطريقتين، من ذلك:

ش- من حيث نسبة الكتابين إلى الآخر:

يجدر التنبيه إلى أن كتاب الحجة المنسوب لابن خالويه لا يمثل أحد المختصرات لحجة أبي علي[2]؛ فهناك من يدَّعي أنَّ ابن خالويه لم تُذكر في ترجمته أن له كتابَ الحجة، وما هذا الأخير إلا لمؤلِّف مجهول حاول اختصار حجة أبي علي[3].

ص- من حيث الإيجازُ وعدمُه:

إن أبا علي في حجته –على أهميته- كثير الاستطراد، حتى تجاوز[4] فيه –كما يقول تلميذه- قدر الحاجة إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء[5] والقراء، وهو مع هذا يغوص يغوص إلى الأعماق، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع متابعته والصبر عليه للوصول إلى الهدف المنشود، فكثرة الاستطرادات وزخم التعليلات قد تحول بينه وبين ما يريد، وهذا المنهج الذي سلكه أبو علي يحيل في تقديري –على حدِّ قول

---

[1] يبدو أن الاختيار والترجيح عند الفارسي أكثر استعمالا بمقارنته بابن خالويه.

[2] المتأمل يجد البون شاسعا، إن في منهج الكتابين عموما، أو في منهجهما عن المقدمتين، أو طريقة التحليل واستخدام الألفاظ والأفكار وغير ذلك مما سأشير إليه.

[3] انظر تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق الحجة لابن خالويه، ص52 وما بعدها.

[4] الكتاب يقع في أربعة أجزاء. أما حجة ابن خالويه في جزء واحد لا يتعدى 416 صفحة.

[5] مقدمة المحتسب لابن جني، ص34.

تلميذه عنه- إلى خلوِّ سربه، وسروح فكره، وفروده[1]، وانبتات علائق الهموم عن قلبه[2] وصفاء ذهنه.

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي لا تناله إلا القلة التي تسلحت بأدوات القياس والتعليل المنطقيين؛ ولذلك لم يلق التقدير اللائق للجهد المبذول فيه، حتى قال فيه تلميذه ما قال من إجفائه وتجاوز قدر الحاجة فيه، وأضاف في موضع آخر: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل في كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله، حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية، فضلا عن القراء وأجفاهم عنه"[3].

وأما ابن خالويه فقد نهج في كتابه نهجاً آخر، نهجاً يقوم على الرواية والسماع؛ إذ اللغة ليست في تقديره تؤخذ من المنطق، أو تقوم على الأقيسة[4] كما كان يفعل أبو علي.

ولعل ابن خالويه أحس بذلك الإغماض والتعقيد في كتاب أبي علي، فنحا نحو الاختصار في أسلوب سهل جزل، ينتفع به الناس ويفيدون منه؛ وهذا واضح في مقدِّمته: "قاصداً قصد الإبانة في اختصار من غير إطالة ولا إكثار... جامعاً ذلك بلفظ جزل، ومقال واضح سهل، ليقرب على مريده، وليسهل على مستفيده"[5].

ض- من حيث عزو القراءة إلى أصحابها:

سبق وأن رأينا عدم اهتمام ابن خالويه بنسبة القراءة وعزوها إلى الناقلة إلا في القليل النادر، أما أبو علي فلم يتخلَّف ولو لمرَّة عن مسلكه في عزو القراءة إلى أصحابها، كلما مر على حرف من حروف الخلاف.

ط- من حيث تسميةُ بعض السور[6]:

بخصوص أسماء السور فإن بعضها تسمى بأسماء عدّة، وهذا معلوم لدى المطَّلِع على كتب القراءات القدامى المحققين وعلى كتب التفسير وعلوم القرآن.

---

[1] أي تفرُّده وانفراده، فأبو علي لم يكن له أهل ولم ينشغل بالولد.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 1/ 236.

[4] مقدمة الحجة لابن خالويه، ص30.

[5] المصدر السابق، ص62.

[6] وافق أبو علي رحمه الله شيخه ابن مجاهد في الكثير من أسماء السور، مثل سورة سليمان عليه السلام، وسورة الملائكة، وسورة المؤمن وغيرها.

ولقد اتفق الإمامان[1] في تسمية بعض السور واختلفا في بعض؛ ومما اختلفا في تسميتها مثل:

سورة "**النّمل**"، ويسميها أبو علي سورة "**سليمان عليه السلام**"[2]، ويسميها ابن خالويه باسمها[3]، وسورة "**فاطر**" يسميها أبو علي سورة "**الملآئكة**"، وسورة "**غافر**" يسمياها سورة "**المؤمن**"، وسورة "**فصِّلت**" يسمياها أيضا سورة "**السّجدة**"، وسورة "**المعارج**" يسميها ابن خالويه سورة " **السائل**"[4] ويسميها أبو أبو علي "**سأل سائل**"[5]، وسورة "**التكوير**" يسميها أبو علي سورة "**إذا الشمس الشمس كورت**"[6]، وسورة "**الانفطار**" يسميها أبو علي سورة "**إذا السماء انفطرت**"[7] إلى غير ذلك من اختلافهما في أسماء السور.

المطلب الثالث: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "المحتسب" لابن جني

يتناول هذا المطلب أبا الفتح بن جني أحدَ تلامذة أبي عليّ، ومؤلَّفَه "المحتسب" وأوجه المقارنة بينه وبين كتاب "الحجة" لأبي علي موضوعِ البحث. وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول: التعريف بأبي الفتح بن جني

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي الأزدي بالولاء النحوي المشهور، كان أبوه جني مملوكا روميا يونانيا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي وزير شرف الدولة قراوش ملك العرب وصاحب الموصل.

---

[1] اتفقا في تسمية سورة الإسراء بسورة "بني إسرائيل"، وفصلت بسورة "السجدة"، وغافر بسورة "المؤمن"، "والشورى" بـ "عسق"، والنبأ بسورة "عمّ يتساءلون".

[2] الحجة، الفارسي، 3/ 228.

[3] الحجة، ابن خالويه، ص269.

[4] المصدر نفسه، ص352.

[5] الحجة، الفارسي، 4/ 61.

[6] المصدر نفسه، 4/ 61.

[7] المصدر نفسه، 4/ 102.

وجنيٍّ بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء، وليس منسوباً. ومعناه في العربية: فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري ومخلص[1].

كان إماما في علم العربية. قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل ثم ترك حلقته وتبعه ولازمه في السفر والحضر حتى تمهَّر.

كانت ولادة ابن جني قبل 330هـ بالموصل، وفيها نشأ، وإليها يُنسب.

ويبدو أن أبا الفتح كان يعاني مع أسرته من هموم الحياة وتصاريفها. قال في خطبة المحتسب بعد ذكره لما كان عليه شيخُه أبو علي "من خلو سربه، وانبتات علائق الهموم عن قلبه" قال: "ولعل الخطرة الواحدة تخرق بفكري أقصى الحجب المتراخية عني في جميع الشتات من أمري، ودَمْل العوارض الجائحة لأحوالي، وأشكر الله ولا أشكوه، وأسأله توفيقا لما يرضيه"[2].

ولابن جني من التصانيف المفيدة في النحو كتاب: الخصائص، وسر الصناعة، والتلقين في النحو، والتعاقب، والكافي في شرح القوافي للأخفش، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والتمام في شرح شعر الهذليين[3]، والمنهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة، ومختصر في العروض، ومختصر في القوافي، والمسائل الخاطريات، والتذكرة الأصبهانية، ومختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها، والمقتضب في المعتل العين، واللمع، وغير ذلك.

توفي أبو الفتح يوم الجمعة سنة: 392هـ ببغداد رحمه الله تعالى[4].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات

كتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" للإمام أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ، ألفه أبو الفتح وقد علت به السن وأشرف على نهاية العمر، قال الشريف الرضي: "كان شيخنا أبو الفتح النحوي عمل في آخر عمره كتابا يشمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ"[5]. وقال أبو الفتح في مقدمة المحتسب: "وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك

---

[1] يقال: هات جناة من جناك، وهذه شجرة طيبة الجناة. أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (ج ن ي). وجنى النبات إذا كثر والتف، والنخلة مجنونة إذا طالت. لسان العرب، 13/ 100. كما يطلق الجنى على الذهب. لسان العرب، مادة: (جني)، 14/ 153.

[2] المحتسب، ص34.

[3] كتاب التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري تم نشره في بغداد، سنة 1381هـ/ 1962م. أنظر مقدمة المحتسب، 1/ 07.

[4] البداية والنهاية، 11/ 331، سير أعلام النبلاء، 17/ 17 وما بعدها، شذرات الذهب، 2/ 140- 141، وفيات الأعيان، 3/ 246- 248.

[5] حقائق التأويل، 5/ 231.

بنا، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا، فإذا انقضت علائق مددنا، واستُوفي ما في الصحف المحفوظة لديك من عدِّ أنفاسنا، واستؤنفت أحوال الدار الآخرة بنا فاقلبنا إلى كنز جنتك التي لم تُخلق إلا لمن وسع ظلُّ رحمتك"[1].

وهذا كلام قلَّما يقوله إلا امرؤ غلب عليه التفكر في الآخرة، يشعر بدنوّ ساعته ويحب أن يتزوَّد لها. ولعل ذلك ما يفسِّر تسمية كتابه بالمحتسب؛ فاختار أن يدل [2]باسمه على الغرض الذي يريده به، لا على الموضوع الذي يريده عليه.

جاء في كشف الظنون أن كتاب ابن جني هذا عنوانه: المحتسب في إعراب الشواذ[3]، وهو شرح لكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، ولهذا الأخير كتاب المحتسب في شرح الشواذ، وابن جني نفسه ذكره واعتمده كمصدر[4] من مصادر كتابه.

وقد طُبع كتاب المحتسب في كتاب بتحقيق الباحثين: علي النّجدي ناصف، وعبد الحليم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي بجمهورية مصر العربية –القاهرة، عام 1415هـ- 1415م، وهي الطبعة الوحيدة التي وقفت عليها واعتمدت عليها في بحثي، وهي تقع في جزأين يحوي الجزء الأول 392 صفحة والجزء الثاني 544 صفحة.

بعد أن ألف الفارسي كتابه "الحجة" بدا له أن يؤلف كتابا مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة، يقول تلميذه ابن جني في ذلك: "قد كان وقتا حدَّث نفسه بعمله، وهمَّ أن يضع يده فيه ويبدأ به، فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه، وحالت كبواته بينه وبينه".

من أجل ذلك تجرَّد ابن جني لذلك وانبرى للقراءات الشاذة ينوب عن شيخه في الاحتجاج لها، ويؤدِّي حقها عليه، وقد كانت قبل ذلك داعية الاحتجاج للشاذِّ لازمة له؛ إذ على الرُّغم من خروجه –الشاذ- عن القراء السبعة فهو نازع بالثقة إلى قرائه، مساو في قوة الفصاحة للمجتمَع عليه، يقول: "... لكن غرضُنا منه أن نُري وجه قوة ما يسمَّى الآن شاذًّا، وأنه ضارب في صحَّة الرواية بِجِرانه،

---

[1] مقدمة المحتسب، 1/ 31.

[2] المصدر نفسه، 1/ 33.

[3] كشف الظنون، حاجي خليفة، 2/ 1612.

[4] سيأتي الحديث عن مصادره المكتوبة والمسموعة قريبا.

آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مُرئً[1] أن العدول عنه إنما هو غضٌّ منه أو تهمة له"[2].

ويقول في موضع آخر يبين رأيه في الشاذ ومكانه عند الله: "... إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كلَّ جائز رواية ودراية، فإنَّا نعتقد قوَّة هذا المسمَّى شاذًّا، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبُّله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضي من القول لديه"[3].

ومما زاد من حماسة أبي الفتح ورغبته في الاحتجاج له أنَّ أحداً من أصحابه لم يتقدَّم للاحتجاج له على النَّحو الذي يريد. قال: "فإذا كانت هذه حاله عند الله ... وكان من مَضى من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتاباً فيه، ولا أوْلَوه طرفا من القول عليه، وإنما ذكروه مرويا مسلَّما، مجموعا أو متفرِّقاً، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقنِع فيه. فأمَّا أن يفردوا له كتاباً مقصوراً عليه ... فلا نعلمه –حسُن[4]، بل وجب التوجُّه إليه، والتشاغل بعمله، وبسط القول على غامضه ومشكَله"[5].

تناول المصنِّف في محتسبه وجوه شواذ القراءات من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، غير أنه لم يستوعب كافة القراءات الشاذة عن السبعة؛ إذ ليس موضوعا لذلك، وإنما "الغرض منه إبانة ما لطفت صفته، وأُغرِبت طريقتُه... وغُمِض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعوَّل عليه، المولى جهة الاشتغال به"[6].

صدَّره المحققون بمقدمة عامة تحدَّثوا فيها –باختصار– عن حياة المصنِّف الاجتماعية والعلمية عموما، ولمحة موجزة عن الاحتجاج للقراءات، ثم دلفوا إلى تقديم كتاب المحتسب، فأشاروا إلى منهجه ومصادره فيه وختموا بذكر النسختين المعتمدتين في التوثيق والتحقيق.

الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين كتاب الحجة والمحتسب

من خلال تتبّع كلا الكتابين وتأمُّل محتواهما نلاحظ أنهما اتفقا في كثير من الأمور، واختلفا في جملة منها أيضاً.

أولا: أوجه الاتفاق

---

[1] لئلا يمتري ظان أو شاك.

[2] مقدمة المحتسب، 32- 33.

[3] المصدر نفسه، ص33.

[4] جواب الشرط غير الجازم: فإذا كانت هذه حاله عند الله (السابق).

[5] المصدر السابق، ص34.

[6] المصدر نفسه، ص35.

وهي كثيرة؛ فمنهج المحتسب كمنهج الحجة، لا يكاد يخالفه إلا بقدر ما تتطلبه طبيعة الموضوع، ويمكن عدُّ بعضها في الآتي:

ث- من حيث وضعُهما للمقدّمات:

نجد أن الإمامين اتفقا في وضع مقدّمات لكتابيهما تضمنت مجمل ما حواه كل كتاب وغرض المؤلف وطريقته فيه.

ث- من حيث العزو والإسناد:

لم يتخلف أبو الفتح رحمه الله في عزو القراءة وإسنادها إلى أصحابها بعد عرضها، تماماً كما يفعل شيخه أبو علي رحمه الله.

ب- من حيث الاستشهادُ وطريقتهُ فيه:

إذا تأمَّلنا الكتابين وجدنا بينهما توافقاً كبيراً في منهجيَّة الاحتجاج للقراءة؛ فكلاهما يرجع في أمر حرف الخلاف إلى اللغة، ويلتمس لها شاهداً فيرويه، أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردُّها إليها ويؤنسُها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه في قصد وإجمال أو غير ذلك.

ت- من حيث الاختيار والترجيح وإيراد الآراء :

يزخر الكتابان باختيار بعض الوجوه وترجيحها على غيرها، كما حفل الإمامان بتسجيل آرائهما اللغوية والنحوية والدلالية والصوتية[1] ومخالفتهما لغيرهما[2] والتي تدل على غزارة العلم وتمكنه.

ث- من حيث استخدام القياس والاستنباط:

سبقت الإشارة إلى ولع أبي علي بالقياس وإيمانه بالعلة، وهاهو تلميذه أبو الفتح يسير على خطاه ويتبع نهجه، فيستخدم أساليب القياس شأنه في ذلك شأن أستاذه، كما يمتاز ببراعة الاستنباط وصحته؛ وليس هذا بكثير على أبي الفتح، ولا هو مما يتعاظمه، فذلك دأبه في كتبه، ثم هو بعد هذا قد ألف المحتسب في آخر حياته كما سبق، حين استفاضت تجاربه ونضجت معارفه واستحصدت ملكاته[3].

ث- من حيث عدم إيرادهما للخاتمة:

لا يقف المتصفِّح للكتابين على خاتمة موجزة.

---

[1] انظر مثلا: المحتسب، 1/ 68، 71، 80، 81، 83، 265، 270، 290 وَ 2/ 4، 5-6 وغيرها. أما عن آراء الفارسي وبحوثه فستأتي إن شاء الله في حينها.

[2] انظر –على سبيل المثال- مخالفته: لابن مجاهد: المحتسب، 1/ 125، 130، 266، وللفراء: المصدر نفسه،293/1، ولسيبويه: المصدر نفسه، 110/1، 299 وغيرها.

[3] المصدر نفسه، 1/ 69، 80، 267، 268، 270، 302، 304 وغيرها.

ثانيا: أوجه الاختلاف

هناك بعض أوجه الفرق بين الكتابين، من ذلك:

ش- من حيث الموضوع:

يختلف الكتابان –كما هو واضح- في موضوع البحث، فكتاب الحجة لأبي علي في توجيه القراءات السبعة، وأما كتاب أبي الفتح فهو توجيه القراءات الخارجة عن السبعة الشاذة والإيضاح عنها. والحقيقة أن المؤلّفَين يشكلان تكاملا معرفيا مهمّاً في توجيه القراءات والاحتجاج لها، خصوصا أن أبا علي همَّ بما قام به –بعد ذلك- تلميذه أبو الفتح لولا صروف الدهر وخوالج الأيَّام.

ص- **من حيث الإيجازُ وعدمُه:**

إن أكثر ما يميز كتاب المحتسب عزوفه عن الإسهاب في الاستشهاد[1] والإمعان في الاستطراد، فنراه في مقدِّمة كتابه يفضل كتاب أبي حاتم السجستاني[2] في الشواذ على كتاب قطرب[3]، "من حيث كان كتاب أبي حاتم[4] مقصوراً على ذكر القراءات، عاريا من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انحطَّ قطرب[5] فيها وتناهى إلى متباعد غاياتها"[6]. بعكس الحال عند أبي علي –كما رأينا- فقد يصدق عليه في حجته – على حدِّ وصف ابن جني- ما يصدق على كتاب قطرب من الاستطراد والتعمُّق.

---

[1] على أن أبا الفتح رحمه الله لم يلتزم الاقتصاد في الاستشهاد في كل مقام، ولاسيما حين تكون القراءة غريبة، يدعو ظاهرها إلى التناكر لها والتعجب منها. فقد استشهد في قراءة "اهدنا صراطا مستقيما" المحتسب، 1/ 41- 43، بعشرة شواهد، واحتج لقراءة "ولا أدرأتكم به" فأطال، ثم ختمه بقوله: "وهذا وإن طالت الصنعة فيه أمثل من أن تُعطى اليد بفساده. 1/ 309- 312.

[2] هو: سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد، إمام البصرة في اللغة والنحو والقراءة والعروض. قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي وغيره وأخذ العربية عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، صنف التصانيف. يقول ابن الجزري: "وأحسبه أول من صنف في القراءات". توفي ستة 255هـ، ويقال سنة: 250هـ. غاية النهاية، ابن الجزري، 1/ 289، ومعرفة القراء الكبار، الذهبي، 1/ 219- 220 والفهرست، ابن النديم، ص87.

[3] هو: أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب، أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، كان يلازم سيبويه ويبكر إليه، فإذا خرج صباحا وجده على بابه. فقال له مرة: ما أنت إلا قطرب ليل وهو دويبة دائبة السعي. وله من التصانف كتاب معاني القرآن، وكتاب الإشتقاق، وكتاب القوافي، وكتاب النوادر، وكتاب الأزمنة، وكتاب الفرق، وكتاب الأصوات، وكتاب الصفات، وكتاب العلل في النحو، وكتاب الأضداد وغيرها. مات سنة 206هـ. بغية الوعاة، 104، وفيات الأعيان، 4/ 312 وما بعدها.

[4] لأبي حاتم تصانيف كثيرة، ولعل الكتاب المقصود هنا كتاب القراءات لأبي حاتم. الفهرست، ابن النديم، 1/ 87.

[5] أعتقد أن كتاب قطرب المقصود هنا، هو كتاب إعراب القرآن. الفهرست، 1/ 78.

[6] مقدمة المحتسب، 1/ 36.

ض- من حيث إيراد الأحاديث النبوية والأمثال العربية

عمِد كلٌّ من أبي علي وأبي الفتح رحمهما الله إلى إيراد الأحاديث الشريفة والأمثال العربية وكلام البلغاء والاستئناس بها، ولكن نسبة إيرادها عند أبي الفتح أقل مقارنة بأبي علي.

ط- من حيث ذكرُ مصادر الكتاب وعدمُه:

لعلّ من أهم نقاط الفرق بين المصنَّفين تصريح أبي الفتح رحمه الله في مقدمة "المحتسب" بمصادره فيه، وهي كما يقول نوعان: كتب يأخذ منها، وروايات صحَّ لديه الأخذ بها. فأما الكتب فهي:

كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة، وكتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، وكتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب، وكتاب المعاني للزجاج وكتاب المعاني للفراء[1].

وأما ما صح عنده الأخذ به مما يرويه عن غيره، فيقول عنه: "لا نألو فيه ما نقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحرِّي الصحة في روايته"[2].

وقد نقل عن طائفة من العلماء ورواة اللغة واستشهد بشواهدهم؛ مثل الكسائي، وابن مجاهد، وسيويه، وأبي علي وغيرهم[3].

أما أبو علي وإن تعرض ضمنا لبعض الأئمة وأعلام النحو والقراءة، واستشهد بشواهدهم، واستأنس بأقوالهم وخالف بعضهم فإنه لم يحفل بذكر المصادر[4] التي اعتمدها في "حجته".

---

[1] مقدمة المحتسب، 1/ 35.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 1/ 35- 36.

[4] ذكر أبو علي فقط في مقدمة مصنفه –كما سبق بيانه– عمل محمد بن أبي بكر السري، وأنه لم يتم ما ألزم به نفسه، ولم يذكر غيره إلا ما جاء في ثنايا حجته ضمنا.

المطلب الأول: مظاهر تأثر الفارسي بالأخفش الأوسط وأسبابه

لا يخفى تأثر اللاحق بالسابق وإفادته منه، وأبو علي رحمه الله واحدٌ من هؤلاء الذين تأثّروا بمن سبقه، ومن هؤلاء شيخه الأخفش الأوسط. وهذا ما سأتكلم عنه في الآتي:

الفرع الأول: مظاهر تأثر الفارسي بأبي الحسن الأخفش

يعتبر أبو الحسن الأخفش -الأخفش الأوسط- أحد أئمة النحو الذين أخذ عنهم أبو علي وأعجب بشخصيتهم وتأثر بآرائهم.

ويبدو هذا التأثر واضحاً جليّاً من خلال تصفحنا لكتاب "الحجة"؛ إذ كثُر فيه ذكرُه لأبي الحسن ونقلُه لأقواله وآرائه في كثير من المواضع.

ويمكن إبراز مدى هذا التأثر في الخصائص الآتية:

أولا: الرواية عنه

سبقت الإشارة في ترجمة أبي علي إلى أنه أخذ عن الأخفش الأوسط وروى عنه.

وهذه الخصيصة تكفي في صقل شخصية أبي علي وتكوينها بشكل كبير؛ ذلك أنه من المعلوم أن الرواية تحتاج إلى الصّحبة الدائمة والاختلاف المتواصل إلى الراوي والأخذ من أدبه قبل علمه. من ذلك قوله في معرض توجيه وإعراب ﭽ ﭑ ﭽ [البقرة: ٣]

"... هذا لفظ أحمد بن يحيى[1]، واستثبت أبا الحسن في ذلك فأثبته وصحّحه"[2].

وهذا يدل على لزوم أبي علي لأبي الحسن واختلافه إليه في كل مرة. وأبو علي يروي كتاب الأخفش "معاني القرآن" عن أبي عبد الله اليزيدي[3] عن عمّه عبيد الله اليزيدي[4] عن الأخفش[1]،

---

[1] هو الإمام النحوي ثعلب المشهور، تقدمت ترجمته ص26.

[2] الحجة، 1/ 160.

[3] هو: أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي النحوي، كان إماما في النحو، والقراءات، والأدب، ونقل النوادر وكلام العرب. أخذ عن عمه عُبيد الله وعن أبي العباس ثعلب وأبي الفضل الرياشي. وروى عنه أبو بكر الصولي، وأبو عبيد الله العسكريّ، وعمر بن سيف وغيرهم. له تصانيف منها: كتاب الخيل، وكتاب مناقب بني العباس، وكتاب أخبار اليزيديين وله مختصر في النحو. توفي سنة: 310هـ. أنظر: نزهة الألباء، ص215، الفهرست، 1/ 75، وفيات الأعيان، 4/ 337- 338.

[4] هو: عبيد الله بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك أبو القاسم، ابن اليزيدي العدوي البغدادي شيخ مشهور، روى القراءة عن عمه إبراهيم بن أبي محمد، وعن أخيه أحمد بن محمد. روى القراءة عنه أحمد بن جعفر بن المنادى، وأبو بكر بن مجاهد، وأحمد بن عثمان بن يحيى الآدمي، ومحمد بن يعقوب المعدل وغيرهم. توفي سنة: 284هـ. غاية النهاية، 438/1.

ويروي معاني الزجاج عن ابن مجاهد[2]، بل هو مشارك في التأليف فيه، وكتابه الإغفال في إصلاح ما أغفله أبو إسحاق في كتاب معاني القرآن غير بعيد منه. وكتابنا "الحجة" فيما عرض له من أعاريب وما نبّه عليه من دقائق معاني القرآن يمكن أن يُعَدّ في كتب معاني القرآن وأعاريبه.

كما أن الإجماع منعقد على أن الأخفش هو الطريق إلى كتاب سيبويه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا وعرضه عليَّ. ولم يقرأ الكتاب على سيبويه أحدٌ، ولم يقرأه سيبويه على أحد، ومن ثم قرأه على أبي الحسن بعد موت سيبويه الجرميّ[3] والمازنيّ[4]، ومن طريقهما ذاع الكتاب في الناس[5].

هذا، وقد أسند أبو علي –كما تقدَّم– روايته لمعاني الأخفش إلى أبي عبد الله اليزيدي عن عمِّه أبي جعفر اليزيدي[6] عن الأخفش[7]، وصرَّح باسم كتابه مرتين في "الحجة": مرة وصفه بكتاب أبي الحسن في القرآن[8] ومرة أسماه كتاب أبي الحسن في المعاني[9].

ثانيا: الإفادة الكثيرة من أقواله

---

[1] انظر: الحجة، 1/ 35.

[2] انظر: الإغفال: المسائل المصلحة من كتاب "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزجاج، أبو علي الفارسي، ت: محمود محمد الطنَّاحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1992م، 1/ 38.

[3] هو: أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي –بفتح الجيم– النحوي، كان فقيها عالما بالنحو واللغة، وهو من البصرة. قدم بغداد وأخذ النحو عن الأخفش وغيره، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي وطبقتهم. له في النحو: كتاب جيد يعرف بـ "الفرخ"؛ معناه: فرخ كتاب سيبويه، وناظر ببغداد الفراء، وكان عالما باللغة حافظا لها وله كتب انفرد بها. له كتاب في السير عجيب، وكتاب الأبنية، وكتاب العروض، ومختصر في النحو وكتاب غريب سيبويه. كانت وفاته سنة 225هـ. تاريخ بغداد، 9/ 313، شذرات الذهب، 57/1، وفيات الأعيان، 2/ 485- 486.

[4] هو: أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان وقيل بقية المازني البصري النحوي كان إمام عصره في النحو والأدب أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم وأخذ عنهم عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة وله من التصانيف كتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الألف واللام وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج على خلاف كتاب أبي عبيدة. توفي سنة 249، وقيل: سنة: 248هـ بالبصرة. إنباه الرواة، 1/ 281- 282، وفيات الأعيان، 1/ 283- 286.

[5] انظر: إنباه الرواة، 2/ 39، بغية الوعاة، 1/ 590 ومعجم الأدباء، 3/ 1374.

[6] هو: إبراهيم بن يحيى بن المبارك أبو إسحاق بن أبي محمد اليزيدي البغدادي ويكنى أيضاً بأبي جعفر، ضابط شهير نحوي لغوي، قرأ على أبيه، وروى القراءة عنه ابنا أخيه العباس بن محمد وعبيد الله بن محمد شيخ ابن مجاهد، له مؤلفات كثيرة، منها: "كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه"، و"كتاب مصادر القرآن" مات قبل تكميله. غاية النهاية، 32/1 وتاريخ بغداد، 6/ 209.

[7] الحجة، 1/ 35.

[8] المصدر السابق، 1/ 225.

[9] المصدر نفسه، 1/ 228.

بالرُّغم مما تمتاز به "الحجة" لأبي علي من مادة علمية مهمة، إلا أن كبير الفضل في ذلك يعود لشيخه أبي الحسن؛ ذلك أن المتصفح لكتاب "الحجة" يجد اسم أبي الحسن يتردد فيه بشكل ملفت للانتباه ولا يكاد يغيب، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على توثيق أبي علي له، إذ لا يفتأ يذكر اسمه ويستشهد لمذهبه ويقويه عند كل مسألة يناقشها. ومن ذلك ما يأتي تمثيلا لا حصراً:

خ- في الصفحات الأولى من الكتاب نجد أبا علي في الاحتجاج لقوله تعالى: ملك يقول: "قال أبو علي [الحسن بن أحمد بن عبد الغفار رضي الله عنه] قال أبو الحسن الأخفش فيما روى محمد بن العباس عن عمه عنه: يقال: مِلِك بيِّن المِلك، الميم مضمومة..."[1].

د- وفي موضع آخر في الاحتجاج لقوله تعالى شواظ من نار. قال أبو علي: "الشِّواظ والشُّواظ لغتان زعموا. قال أبو الحسن: أهل مكة يكسرون الشواظ"[2].

وكثرة إيراده لأقواله توحي في بعض الأحيان أن الإمام أبا علي ينقل عنه فقط ولا يجاوزه إلى غيره[3]، حتى بلغت نقوله عن في معاني القرآن زُهاء مائة وخمسين موضعا؛ وهي نقول ثرّة في العربية والأعاريب واللغات والإنشاد، صرّح بعزو جلّ هذه النقول إليه وسكت عن عزو بعضها[4]. وهذا يدل يدل على إعظام أبي لكتاب الأخفش وإجلاله إياه، ومن لطيف ما يدل على ذلك: قوله لابن جني بحلب سنة 346هـ: "مالي صديق إلا وأشتهي أن يكون كتاب أبي الحسن في معاني القرآن عنده"[5].

وهذا النقل المتكرر يدل على تمكّن أبي علي من معاني القرآن وحفظه له، حتى أنه افتتح كلامه في الحجة بما اختتم به أبو الحسن معانيه، ناقلا كلامه[6] في "ملك" من قوله: ﭽ ﭼ [الناس: ٢]، ومُجريا له على قوله: ﭽ ﭼ [الفاتحة: ٤]، وأنه نقل كلامه في "هدي" من قوله: ﭽ ﭼ [الأعراف: ٤٣]، وأجراه على قوله: ﭽ ﭼ [البقرة: ٢]، وأضاف إليه ما حكاه أبو الحسن في آية البقرة من أنّ من العرب من يؤنثون الهدى[7].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 35.

[2] المصدر نفسه، 4/ 16.

[3] انظر مزيد ذلك مثلا: 1/ 228، 473، 474، 477، 478، 491، 498، 508، وَ 2/ 20، 22، 31، 38، 41، 51، 91 145، 174، 282 و 4/ 15، 16، 21، 43، 51، 52، 67، 112 وغيرها.

[4] قارن مثلا –على التوالي- بين: الحجة، 2/ 232، 254، 3/ 557- 58 وغيرها، و بين معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، ت: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1411هـ- 1990م، 1/ 320، 333، 2/ 422- 423 وغيرها.

[5] بقية الخاطريات، أبو الفتح بن جني، ت: محمد أحمد الدّالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، د.ت، ص44.

[6] معاني القرآن، 2/ 590.

[7] الحجة، 1/ 129- 131، معاني القرآن، الأخفش، 1/ 28، 1/ 325.

ففي كل هذا وغيره ترى أبا عليّ لا يكاد يِندُّ عنه شيء من كتاب أبي الحسن مما يتصل بالمقام الذي هو فيه.

ثالثا: تبني أقواله والدفاع عنها غالبا

لا يكتفي الفارسي بإيراد أقوال الأخفش في المسائل النحوية والتوجيهات اللغوية، بل يتبناها في كثير من الأحيان ولا يعقب عليها إلا في النادر القليل، بل يحمله الأمر في الغالب الأعمِّ إلى الدفاع عنها وتقوية اختياراته والاستشهاد لها. من ذلك:

10- قال أبو علي: "قال أبو الحسن: الأحسن في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل: دار آجرٍّ، وثوبُ خزٍّ. قال: و چ چ چچ [سبأ: ١٦] كثيرة وليست بالجيدة في العربية"[1]اهـ.

نلاحظ أبا علي رحمه الله في هذا الموضع لما ساق اختيار أبي الحسن رحمه الله لم يعقب ولم يزد على كلامه، بل اكتفى به وتبناه؛ إذ لو عنَّ له اعتراض أو بيان لأفصح، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة[2]، والأمثلة على ذلك كثيرة[3].

11- وأبو علي ينافح عن مذهب شيخه ويدافع عنه، قائلاً في توجيه "اللام" من قوله تعالى: چ ٱ ٻ چ [قريش: ١]: "فقال أبو الحسن: چ ۀ ہ ہ چ [الفيل: ٥][4]، واعترض معترض فقال: إنما جُعلوا كعصف مأكول لبُعدهم، ولم يُجعَلوا كذلك لتأتلف قريش، وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه يجوز أن يكون المعنى: أهلكوا

---

[1] المصدر السابق، 3/ 294.

[2] انظر: المعتمد، أبو الحسن محمد بن علي الطيب البصري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1403هـ، 1/ 257، الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة –بيروت، د.ط، د.ت، 3/ 344 وَ قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، 1/ 199.

[3] انظر على سبيل المثال في الحجة، 2/ 52، 282، 3/ 186، 265، 4/ 125 وغيرها.

[4] قال أبو الحسن: "أي: فَعَلَ ذلِكَ [لإيلاف قُرَيْشٍ] لتألّف، ثم أبدل فقال: [إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ] لأنها من (أَلَفَ)". معاني القرآن، الأخفش، 2/ 585.

لكفرهم، ولما أدى إهلاكهم إلى أن تألف قريش، جاز ذلك، كقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ [القصص: ٨] وهم لم يلتقطوه لذلك"[1].

12- وفي موضع آخر يذكر أبو علي اختلاف النحويين في تخفيف الهمزة في ﭽ ﭾ.

فقال سيبويه[2]: تجعلها إذا خففتها بين بين، فتقول: [يستهزوون]، وهو مذهب الخليل. ويذهب أبو الحسن الأخفش[3] إلى قلب الهمزة قلبا صحيحا[4].

ومضى أبو علي منتصراً لمذهب إمامه، يطيل النفس في بيانه والردّ على من خطَّأه، موضحا: "وقال أبو الحسن في كتابه في القرآن[5]: من زعم أن الهمزة المضمومة لا تتبع الكسرة إذا خُففت دخل عليه أن يقول: هذا قارِوٌ، وهؤلاء قارِوُون، ويتستهزِوُون، قال: وليس هذا من كلام من خفف من العرب. قال أبو علي: وجه دخول هذا عليه ولزومه له عنده أن الهمزة إذا كانت مفتوحة وكان ما قبلها مفتوحاً جاز تخفيفها، فكذلك إذا كانت مكسورة وما قبلها مفتوح ..."، وراح أبو علي يفصِّل في المسألة، يفترض ويجيب في ستِّ صفحات كاملة، إلى أن قال: "... وأما ما ذكره محمد بن يزيد في هذه المسألة في كتاب المترجَم بالشرح من قوله: والأخفش لا يقول إلا كما يقول النحويون: هذا عبد بِيلك، ولكن يخالف في يستهزئون؛ فهذا الإطلاق يوهم أنه لا يفصل بين المتَّصل والمنفصل، وقد فصل أبو الحسن... فينبغي إذا كان كذلك ألا تُرسل الحكاية عنه حتى تُقيَّد..."[6].

ولعل دفاع أبي علي المستميت على آراء أبي الحسن حمل ابن جني على وصفه بأنه كاد يعبد أبا الحسن[7]، ومن يعود إلى نقوله عنه في معاني القرآن والقوافي وغيرهما مما عوّل عليها في تراثه يوشك أن يجاري ابن جني في مقالته هذه.

رابعا: مخالفته وردُّ أقواله

---

[1] الحجة، 4/ 148- 149.

[2] كتاب سيبويه، هذا باب الهمز، 3/ 541

[3] معاني القرآن، الأخفش، 1/ 49.

[4] الحجة، 1/ 223

[5] يقصد كتابه معاني القرآن. انظر مذهبه فيه: 1/ 49- 50.

[6] الحجة، 1/ 223- 228

[7] انظر: بقية الخاطريات، ص45.

إذا أردنا أن نستقصي مخالفات أبي عليّ لشيخه أبي الحسن فإننا لا نقف إلا على أمثلة قليلة منحسرة، ومع ذلك فإن أبا عليّ يفرض شخصيَّته ويعبِّر عن آرائه التي انتهى إليها اجتهاده، غير أن الذي يميِّزه هو أسلوبه المتأدِّب ومسلكه المتواضع اللذان غلبا على مناقشته ومخالفته له، فإذا عنَّ له أن يردَّ شيئا من كلام أبي الحسن ردَّه على استحياء دون أن يسمِّيه، من ذلك قوله:

"وليس قول من قال: إن هذه الواو إنما حركت بالضم –يعني تحريك الواو بالضمّ في نحو اشترُوا– لالتقاء الساكنين فيه كحركة الإعراب بمستقيم. ألا ترى أن الياء في اخشيِ القوم يا امرأة، فاعلة في المعنى، واتفقوا على تحريكها في الكسر!"[1].

يشبه أن يكون أبو عليّ يعني الأخفش ويردُّ عليه قوله: "وحركت الواو بالضم؛ لأنك لو قلت "اشترا الضلالة"، فألقيت الواو، لم تعرف أنه جمع. وإنما حركتها بالضم؛ لأن الحرف الذي ذهب من الكلمة مضموم، فصار يقوم مقامه"[2].

بل وربما آثر قوله في مسألة على قول سيبويه وقوَّاه[3].

ومع هذا فإن اقتدار أبي علي واضح لا يُنكر، وشخصيته قوية غير خفية؛ تظهر في كيفية التعامل مع هذه النُّقول الكثيرة وتحليلها والاحتجاج لها والاعتداد بها أو ردِّها، حسب ما يقتضيه المقام.

الفرع الثاني: أسباب تأثر الفارسي بالأخفش

يمكن التماسُ بعض أسباب تأثر أبي علي الاستثنائي بالأخفش في الآتي:

أولا: العقيدة

جاء في عقيدة أبي الحسن أنه معتزلي، يتعاطى الكلام والجدل ويقول بالعدل[4]؛ ويدل على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ [البقرة: ٢٥٧]، حيث قال: "يَحْكُم بأنَّهم كذاك، كما تقول: قَدْ أَخْرَجكم الله من ذا الأمر، ولم تكن فيه قط. وتقول: أَخْرَجَنِي فُلانٌ من الكِتْبَةِ، ولم تكن فيها قط. أي: لَمْ يجعَلْني من أهلها ولا فيها"[5]. ومعلوم أن المعتزلة يقولون بأن أفعال العبد

---

[1] المصدر السابق، 1/ 232.

[2] معاني القرآن، الأخفش، 1/ 50- 51.

[3] أنظر الحجة، 1/ 109، 134، 143 وغيرها. وانظر: معاني القرآن، الأخفش، على التوالي: 1/ 110- 111، 24، 28 وغيرها.

[4] إنباه الرواة، 2/ 39، وبغية الوعاة، 1/ 590.

[5] معاني القرآن، 1/ 196.

منسوبة إليه لا يصح إسنادها إلى الله[1]، وهذا ما يصرح به هذا النص، زد على ذلك أن مصطلح العدل والتوحيد مما يطلقه المعتزلة على أنفسهم[2]. وأبو علي إن لم نجزم باعتزاليته فإنَّ في الكتاب ما يشير إلى ذلك؛ إذ أشاع فيه من وصف الله تعالى بـ "القديم"، والقدم أخصّ وصف ذاته[3] عند المعتزلة.

ثانيا: تفردهما بكتاب سيبويه

فأبو الحسن –كما سبق– أوَّلُ من أقرأ الكتاب، والناس لا يعرفونه إلا من روايته، وقد عُلِّق عنه أشياء وأشعار وهو يُقرئ الكتاب ويتكلَّم عليه. وأبو عليّ في مدارسة الكتاب –على حدِّ وصف أبي حيَّان– أشدُّ تفرُّدا بالكتاب وانكباباً عليه، وله أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها، ولم يأْتلِ، ولكنه قعَد على الكتاب على النظم المعروف[4]، وله عليه تعليقة.

ثالثا: بعد النظر والإمعان في القياس

يمتاز الإمامان ببعد النظر في المسائل وتقديمهما للقياس؛ الأمر الذي جعلهما أحيانا، يفتيان في المسألة الواحدة بقولين مختلفين أو أكثر. فقد حكى أبو علي عن أبي إسحاق الزيادي[5] عنه في قولهم: زيد ذهب عمرو أخوه، وقد سأله –أي أبا الحسن– أبدلٌ هو أم صفة؟ فقال: ما أبالي أيهما قلت... وقال في هذه المسألة في بعض كتبه: "إن جعلتَ قولَك أخوه بدلا لم يجز، وإن جعلته صفة جاز"[6].

وذكر ابن جني أنا أبا الحسن كان ركّاباً لهذا الثَّبج[7] آخذا به، غير محتشِم منه، وأكثرُ كلامه في عامّة كتبه عليه، وروى ابن جني عن أبي عليّ: مذاهب أبي الحسن كثيرة[1].

---

[1] الملل والنحل، 1/ 45.

[2] المصدر السابق، 1/ 43.

[3] المصدر نفسه، 1/ 44.

[4] الإمتاع والمؤانسة، 96/1.

[5] هو: إبراهيم بن سفيان أبو إسحاق الزيادي، من أحفاد زياد بن أبيه، أديب، راوية، كان يُشبه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعانيه. له شعر، وله من الكتب "النقط والشكل"، "الأمثال"، "تنميق الأخبار"، "شرح نكت كتاب سيبويه"، "أسماء السحاب والرياح والأمطار" وغيرها. توفي سنة: 249هـ. الأعلام، 1/ 40، بغية الوعاة، ص08.

[6] الحجة، 1/ 109.

[7] الثبج: بمعنى عُبابَه ووسطه. جاء في المعاجم: يقال: ثبجُ كلِّ شيء؛ أي معظمه، ووسطه وأعلاه. والجمع: أثباج، وثبوج. لسان العرب، 2/ 219– 222، مختار الصحاح، الجوهري، 1/ 35.

وأبو عليّ قرين أبي الحسن في هذا الثبج، وهو يعرف هذا من نفسه؛ فقد روى عنه ابن جني أنه كان يقول في (هيهات): "أنا أفتي مرة بكونها اسماً سُمِّي به الفعل؛ كصه ومهْ، وأُفتي مرة أخرى بكونها ظرفاً، على قدْر ما يحضرني في الحال"[2].

ونحو ذلك من خِلاج الخاطر وتعادي المناظر كثير، حتى قال أبو علي عن نفسه: "أنا أعجب من هذا الخاطر في حضوره تارة ومغيبه أخرى"[3].

رابعا: الغموض

معلوم من أنَّ مسائل النحو في أغلبها عبارة عن قواعد وقوانين لا تحتاج إلى إغماض أو نحوه، إلاَّ أنَّه بالرُّغم من ذلك فإنَّ غموضاً كبيراً يكتنف الدرس النحوي عند أبي عليّ، ولعلَّ السِّرَّ في ذلك يتَّضح في محاورة الجاحظ أبا الحسن، قائلاً: "قلت لأبي الحسن: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلَّها، وما بالنا نفهم بعضها، ولا نفهم أكثرَها، وما بالك تُقدِّم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟ قال: أنا رجل لم أضَعْ كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتُها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلَّتْ حاجتُهم إليَّ فيها، وإنما كانت غايتي المنالةَ، فأنا أضعُ بعضها هذا الوضع المفهومَ لتدعوَهم حلاوةُ ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا"[4].

وأما أبو علي فقد تواترت الأخبار التي تصف أسلوبه بالإغماض والقلاقة، منها ما رواه الأنباري عن بعض أهل الأدب: "كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا، ومنهم من نفهم بعضَ كلامه ومنهم من نفهم جميع كلامه. فأما من لا نفهم شيئا فأبو الحسن الرُّمَّاني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسيّ وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي"[5].

وفي حديث أنس بن مالك أنه سمع حديث النبي ρمع أم حرام، وفيه : (يركبون ثبج هذا البحر) متفق عليه انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، رقم: 2636، 3/ 1027. أي: وسطه ومعظمه.

[1] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، د.ط، د.ت، 1/205-206.

[2] المصدر السابق ، 1/ 206.

[3] المصدر نفسه، 1/ 207.

[4] الحيوان، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلبي –القاهرة، د.ط، 1965م، 1/ 91- 92.

[5] نزهة الألباء، ص276- 277.

وقال ابن جني في بعض توجيهاته: "سألنا يوماً أبا عليّ عن بيت عديّ[1] فأخذ يتطلَّب له وجها ويتعسَّف فيه ... فأطال الطريق وأعْور المذهب"[2].

وقال ابن الشَّجْريّ[3]: "وقد ألغز أبو عليّ في كلامه هذا ... فاعرف ما ذكرتُه في هذا الفصل؛ فإنَّه في كلام أبي عليّ أغمض منه في كلام سيبويه"[4].

المطلب الثاني: مظاهر تأثر الفارسي بابن مجاهد وابن السراج والفراء

الفرع الأول: تأثر الفارسي بالإمام ابن مجاهد

يشكِّل الإمام أبو بكر بن مجاهد ركناً مميزاً بين جملة الأئمة، الذين برَّزوا الإمام أبا علي وصقلوا شخصيته في الساحة العلمية؛ يظهر ذلك في الآتي:

أولا: مورده وروايته عنه

معلوم أن أبا علي لازم ابن مجاهد وأخذ عنه القراءات، وأوحى إليه كتابه "السبعة في القراءات" إلى تأليف "الحجة في القراءات السبع" لشرح سبعة ابن مجاهد وتوجيه حروف الخلاف فيها

---

[1] هو: عدي بن زيد، ابن الخمار بن زيد بن أيوب العبادي التميمي النصراني، يكنى أبا عمرو. جاهلي من فحول الشعراء، وهو أحد الفحول الأربعة الذين هم: هو، وطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة بن عبدة، له أربع قصائد غرر روائع مبرَّزات، وله بعدهن شعر حسن. سير أعلام النبلاء، 5/ 110- 111، طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني –جدة، د.ط، د.ت، 1/ 137- 140.

[2] خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م، 8/ 510 والمحتسب، 1/ 34، 236.

[3] هو: ابن الشجري الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي من أهل الكرخ. كان إماما في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها صنف عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الأمالي وهو أكبر تواليفه وأكثرها إفادة، وجمع أيضا كتابا سماه الحماسة، ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي، وله في النحو عدة تصانيف، منها: ما اتفق لفظه واختلف معناه، وشرح اللمع لابن جني، وشرح التصريف الملوكي، وغيرها. ولد سنة: 450هـ، وتوفي سنة: 542هـ. نزهة الألباء، ص348، وفيات الأعيان، 6/ 45- 50.

[4] أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني العلوي، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1413هـ- 1992م، 2/ 57- 59.

وتعليلها، وإن لم يكن عليه من الفضل إلا هذا لكفاه، زد على ذلك عناية أبي علي في حجته بالرواية عن شيخه؛ إذ لا يفتأ يقول: "حدثنا ابن مجاهد..."[1].

ثانيا: اتباع منهجه

ذكرت –قبْلاً[2]– أن مصنَّفي الإمامين يتقاطعان في كثير من نقاط التوافق، خصوصا ما يتعلق بالمنهج العام، ويكاد ينحصر الفرق بينهما في كون كتاب ابن مجاهد يوشك أن يخلو –كليّاً– من توجيه القراءات وتعليلها إلا ما ذكره في سورة الفاتحة؛ قصد تقريب الفهم وخشية تثقيل الكتاب، وهذا ما صرّح به قائلا: "قال أبو بكر: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة –يعني الفاتحة– وكرهت أن يثقل الكتاب، فأمسكت عن ذلك"[3]. غير أن الذي نجزم به هو أن أبا علي اطلع على الكتاب؛ إذ هو موضوع الدراسة، فاستوعبه وتجاوزه بعمق الطرح وكثير الدراسة والتحليل والمناقشة.

الفرع الثاني: تأثر الفارسي بالإمام السَّرَّاج

يعتبر أبو بكر محمد بن السرِّي الملقب بالسراج، أحد أئمة الأدب والعربية الشارحين لكتاب سيويه، وأبو علي واحد من المتأثرين بشخصيته. ومن مظاهر ذلك التأثر ما يأتي:

أولا: الرواية عنه

تفيد كتب التراجم أن أبا علي أخذ عن ابن السراج وروى عنه، بل يذكر هو نفسه في "الحجة" أنه سبقه إلى هذا العمل إلا أنه لم يكمله، فلم يكن عمل أبي علي بعد هذا غيرَ وحي استوحاه من شيخه أبي بكر، وله عليه من الفضل ما مكنه أن يحقق ما طمح إليه شيخه قبله، ولا يخفى أثر الجلوس بين يدي الشيخ والسماع منه والرواية عنه من تأثير واضح في نفس الراوي والمتلقي، ودليل ذلك أنا أبا علي قال في "حجته": "وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا"[4].

ثانيا: نقل أقواله والإفادة منها

---

[1] المصدر نفسه. انظر على سبيل المثال: 1/ 205، 2/ 37، 46 وغيرها.

[2] انظر المقارنة بين حجة أبي علي وسبعة ابن مجاهد.

[3] السبعة لابن مجاهد، ص112.

[4] مقدمة الحجة، ص31.

اعتنى أبو علي رحمه الله –كما ذكر في المقدِّمة– بإسناد اجتهادات أبي بكر وأقواله إليه من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية الآية الثانية من سورة البقرة[1]، وأفاد منها كثيراً في توجيهاته واختياراته النحوية؛ من ذلك:

قوله في معرض الاحتجاج لقوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭽ [الفاتحة: ٧]:

"قال أبو بكر في الحجة في الجرِّ: إنهم قالوا ينخفض على ضربين: على البدل من الذين، ويستقيم أن يكون صفة للنكرة... قال: ويجوز عندي النصب أيضا على أعني ... قال: والاختيار الذي لا خفاء به الكسر". يستأنف أبو علي في نقل كلام شيخه جميعا وبيانه: "... قال أبو بكر: والذي عندي أنَّ ﭽ ﭪ ﭽ في هذا الموضع مع ما أضيفت إليه معرفة، وهذا شيء فيه نظر ولبس. فليفهم عني ما أقول: ..." فساق كلاما مفصَّلاً له، إلى قوله: "ومن جعل غير بدلا فقد استغنى عن هذا الاحتجاج؛ لأنَّ النكرة قد تبدل من المعرفة. انتهت الحكاية عن أبي بكر"[2].

ثالثا: التماسه ودفاعه عنه

يمتاز أبو علي رحمه الله بحسن العرض والتأويل، ويدفعه حقُّ المشيخة أن يرفع اللَّبس عن قول أبي بكر السري ويجلي الحقيقة؛ إذ نجده في أكثر من موضع يفعل هذا. فحينما تعرض للاحتجاج لقراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭽ [البقرة: ٢]، قال: "قال أبو بكر –في رواية من روى عن أبي عمرو وغيره أنه كان يشم ويدغم–: هذا محال، لا يمكن الإدغام مع شيء من هذا، وذلك أنه لا فصل بين الحرفين إذا أدغما بحال من الأحوال، لا بقطع ولا حركة ولا ضرب من الضروب، وإنما يصيران كالحرف الواحد للزوم اللسان لموضع واحد... انتهت الحكاية عن أبي بكر"[3]. وبعد عشر صفحات كاملة من العرض والمناقشة يعود أبو علي إلى شيخه مرَّة أخرى ملتمساً لقوله ومبرِّراً له:

"ولعلَّ أبا بكر ظن أن القراء ليس يعنون بالإشمام ما يَعني به النحويون في أنه تهيئة العضو للصوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللفظ. والذي أحسب أنه من أجله ظنَّ ذلك حكايته عن أبي حاتم أنه

---

[1] وهي قوله تعالى: [هدى للمتقين] [البقرة: 02].

[2] الحجة، 1/ 106- 107.

[3] المصدر نفسه، 1/ 126- 127.

أراد أبو عمرو ونافع الإخفاء، فلذلك أشما الضم والكسر، والإشمام يكون عند النحويين في الضم، فأما الكسر فلا إشمام فيه..."[1].

رابعا: مخالفته وانتقاده

لا يعني التماسُ أبي علي والدفاع عن مذهب شيخه الرُّكونَ لكلِّ ما يقوله، ومجاراته فيما يختار، وذوبان شخصيته ووقوعه رهينةَ من ينقل عنهم، بل على العكس فإن أبا علي يتسم بشخصية علمية قوية، وهو أربأُ بنفسه أن يفعل ذلك أو أن يهتك ستر الأمانة العلمية؛ لذلك نجده في معرض الحديث عن قوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ [الفاتحة: ٤]، قال: "قال أبو بكر محمد بن السري: الاختيار عندي: **ﭽمَلِكِ يوم الدين ﭽ**، والحجة في ذلك: أن المِلْك والمُلْك يجمعهما معنى واحد، ويرجعان إلى أصل؛ وهو الربط والشدُّ..."، وبعد ثلاث صفحات من الدراسة والاستشهاد قرّر أبو علي أن "ما حكاه أبو بكر عن بعض من اختار القراءة بمَلِك، من أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله: **ﭽرب العالمينﭽ** فلا فائدة في تكرير ذكر ما قد مضى؛ فإنه لا يرجَّح قراءة **ﭽملِك ﭽ** على **ﭽﭧﭽ** ؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة..."[2].

الفرع الثالث: تأثره بالإمام الفرَّاء

يعدُّ أبو زكريا الفرَّاء[3] أحد أئمة مدرسة الكوفة في اللغة والأدب وأبرعهم فيهما، كما يمثل واحداً من أهم الشخصيات التي أفاد منها أبو علي الفارسي على غرار إفادته من الخليل بن أحمد وسيبويه[4] وثعلب[5]، وكل هؤلاء كثر ذكرهم في "الحجة" واستدل بأقوالهم وبشواهدهم ونافح على آرائهم ومذاهبهم. غير أن الأمر الملفت للانتباه موقف أبي علي مع الفراء في "الحجة" وكيفية تعاطي أقواله وتعامله معها. ولا أَدلَّ على كلِّ ذلك من الآتي:

أولا: العناية بإيراد أقواله

معلوم أن أبا علي رحمه الله لم يلتق أبا زكريا الفراء رحمه الله؛ فلم يظفر منه بحظ الصحبة والرواية، ولكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على تراثه والإفادة منه؛ فقد روى عنه كتاب "معاني القرآن"

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 146.

[2] الحجة، 1/ 37.

[3] سبقت ترجمته، ص11.

[4] تقدمت ترجمته، ص11.

[5] سبقت ترجمته، ص26.

عن طريق أبي بكر بن مجاهد[1]، ومن أمثلة ذلك:

قول أبي علي في معرض الاحتجاج لقوله تعالى: ﭽ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﭼ [إبراهيم: ٢٢] -الياء الثانية محركة إلى الكسر-: "قال أبو علي: قال **الفراء** في كتابه التصريف: هو قراءة الأعمش[2]، ويحيى بن وثاب[3].

قال: وزعم القاسم بن معن[4] أنه صواب، قال: وكان ثقة بصيراً، وزعم قُطرب[5] أنه لغة في بني بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد:

ماض إذا ما همَّ بالمضِيِّ

قال لها هل لكِ يا تافِيِّ

وقد أنشد **الفراء** ذلك أيضاً"[6].

فالشاهد هنا أنه استدلَّ بقوله، بل زاد على ذلك أنه ذكر كتابه التصريف[7]؛ مما يدل على

---

[1] مقدمة تحقيق المحتسب لابن جني، علي النجدي ناصف وغيره، ص36.

[2] هو: سليمان بن مهران الأعمش الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي أصله من أعمال الري، رأى أنسا رضي الله عنه يصلي وروى عن عبد الله بن أبي أوفى، وأبي وائل، وزيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن =جبير وخلق. قرأ القرآن على يحيى بن وثاب وغيره، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي ومجاهد وعاصم بن بهدلة. قرأ عليه حمزة الزيات وغيره وكان مولده سنة 61هـ. قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض. توفي سنة 148هـ. غاية النهاية، 286/1 ومعرفة القراء الكبار، 1/ 94.

[3] هو: يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء الكوفي، إمام أهل الكوفة في القرآن، تابعي ثقة، قليل الحديث، من أكابر القراء. =له خبر طريف من الحجاج: كان يحيى يؤم قومه في الصلاة، وأمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة إلا عربي. فقيل له: اعتزل، فبلغ الحجاج، فقال: ليس عن مثل هذا نهيت، فصلى بهم يوما، ثم قالوا: اطلبوا إماما غيري إني أردت أن لا تستذلوني فإذا صار الأمر إلي فلا أؤمكم. مات سنة: 103هـ. غاية النهاية، 2/ 331 والنجوم الزاهرة، 252/1.

[4] هو: القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي، أبو عبد الله، قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث. عالم بالعربية والأخبار والأنساب والأدب، ومن أروى الناس للحديث والشعر، يقال له: شعبي زمانه، وكان سخيا، وهو من أحفاد الصحابي عبد الله بن مسعود وإليه نسبته. له كتاب "النوادر في اللغة"، و "غريب المصنف" وغيرهما. توفي سنة: 175هـ. إنباه الرواة، 30/3-31، بغية الوعاة، ص381 و الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خانه –كراتشي، د.ط، د.ت، 1/ 412.

[5] تقدمت ترجمته، ص73.

[6] الحجة، 3/ 16.

[7] لم أقف –في حدود اطلاعي في كتب التراجم- على عنوان هذا الكتاب ونسبته لأبي زكريا الفراء، وهذا يدل على أحد أمرين: أولهما أن كتب التراجم لم تذكر هذا الكتاب، ومعلوم أنها لم تحصر جميع المصنفات وعزوها إلى أصحابها، كما رأينا مع مصنفات كثيرة لأبي علي لم تذكرها كتب التراجم، ولعل كتاب التصريف للفراء واحد من تلك. وإما أن أبا علي يعني بكتاب التصريف هذا كتاب الجمع والتثنية، أو كتاب المذكر والمؤنث أو كليهما معا؛ وقد ذكرهما للفراء صاحبُ الفهرست وغيرُه. الفهرست: 1/ 99.

اطلاع أبي علي عليه ونقله عنه.

ثانيا: مخالفة مذهبه ومناقشته

عُني أبو علي بإيراد أقوال أبي زكريا الفراء وآرائه، وكان أشدَّ عناية في -كلِّ موضع يوردها فيه- بمناقشتها والرَّدِّ عليها، بل وبإبطالها ووصفها بعدم الاستقامة، حتى لكأنه يُظَنُّ أنه إنما يأتي بقوله ليخالفه فيه[1].

ولقد لاحظنا ذلك في خمسة مواضع[2] -عدا الموضع الآنف ذكره- يذكر فيها مذهبه فيعمَد إلى نقضه ومخالفته، أكتفي بسوْق نموذج واحد يثبت ذلك، وهو:

قول أبي علي: "وأما ما حكاه أحمد بن يحيى عن الفرَّاء في أن قوله: ﭽ □ □ □ □ □ ﭼ [البقرة: ١٦] إنما حرّكها بالحركة التي كانت تجب للام الفعل من الضمة، فإنه ذهب في ذلك إلى أن الحركة فيها ليست لالتقاء الساكنين، كما يذهب إليه سيبويه[3] وأصحابه. وهذا الذي ذهب إليه الفرَّاء لا يستقيم من غير جهة: منها أن اشترى واصطفى وما أشبه ذلك إنما انقلبت اللام فيه ألفا لتقدير الحركة فيها... ويمتنع ذلك من وجه آخر... ووجه آخر... "[4]، وراح يعدّد أوجه فساد مذهبه إلى أن قال: "فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ولم نجد في هذه الأصول شيئا على ما ادَّعاه ثبت فساد ما ذهب إليه؛ لدفع الأصول له وتعرِّيه من دلالة تدلُّ عليه"[5].

---

[1] ويبدو أنَّ سبب ذلك عائد إلى اختلافهما المذهبي؛ فالفراء من أعلام الكوفة وأبو علي بالرغم من انفراداته واجتهاداته =إلاَّ أنَّه لا يخرج في العموم عن طوق مذهب أهل البصرة.

[2] ذكر أبو علي أبا زكريا الفراء في ستة مواضع من كتابه؛ كلها ينقده فيها ويخالفه، انظر الحجة: 1/232، 363- 364، 445 وَ 2/ 65. عدا موضع واحد فقط، فإنه أشار فيه إلى قول له من كتابه التصريف: 3/ 16.

[3] انظر: كتاب سيبويه، هذا باب يُحرك فيه الحرف الذي يليه المحذوف لأنه لا يلتقي ساكنان، 2/ 263.

[4] الحجة،1/ 232.

[5] المصدر نفسه، 1/ 233.

المطلب الأول: مظاهر تأثير الفارسي في ابن جني

إن أثر أبي علي رحمه الله فيمن بعده لا يُنكر وإفادات غيره منه لا تكاد تُحصر، فكم أخذ الآخر عن الأول. أمّا بخصوص كتابه "الحجة"؛ فإن أثره يبدو جليّاً في نماذج كثيرة ومختلفة أيضا، منهم الإمام ابن جني (392هـ) الذي كان من جملة من تأثروا بالإمام أبي علي وأفادوا منه كثيرا ومن كتبه خصوصا كتابه "الحجة"، ويظهر ذلك فيما يأتي:

الفرع الأول: الإفادة منه

ومن مظاهر هذه الإفادة ما يأتي:

أولا: حسن الصحبة والرواية

شكّلت الرواية أحد أهمّ روافد وإفادات الإمام ابن جنّي عن شيخه أبي علي؛ ذلك أن جذور العلاقة بين الشيخ والتلميذ –كما ذكر أبو البركات الأنباري– علاقة علمية، سببها مسألة صرفية هي (قلب الواو ألفاً)؛ فقد: "أخذ عن أبي علي الفارسي، وصحبه أربعين سنة. وكان سبب صحبته

إياه، أن أبا علي الفارسي كان قد سافر إلى الموصل، فدخل إلى الجامع فوجد أبا الفتح عثمان بن جني يُقرئ النحو وهو شاب، وكان بين يديه متعلِّم وهو يكلِّمه في قلب الواو ألفا، قام وقال، فاعترض عليه أبو علي فوجده مقصِّراً، فقال له أبو علي: "زبَّبت قبل أن تحصرم"، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جني، وسأل عنه فقيل له: هو أبو علي الفارسي النحوي، فأخذ في طلبه، فوجده ينزل إلى السميرية[1] يقصد بغداد، فنزل معه في الحال، ولزمه وصاحبه من حينئذ إلى أن مات أبو علي وخلفه ابن جني، ودرس النحو ببغداد وأخذ عنه، وكان تبحر ابن جني في علم التصريف؛ لأن السبب في صحبته أبو علي، وتغرُّبه عن وطنه، ومفارقة أهله مسألة تصريفية، فحمله ذلك على التبحُّر والتدقيق فيه"[2].

واضح مما سبق أن سبب نبوغ ابن جني وتمهُّره وبلوغه من أمره ما بلغ إنما كان بسبب شيخه أبي علي، وكأنَّ خطأه أمام أستاذه في مسألة قلب الواو ألفا كان سبباً في عنايته بها وإكثاره من القول فيها.

ولقد طالت العلاقة بين الإمامين عدَّة سنين، فأقاما معاً في بلاط سيف الدولة الحمداني[3] في حلب زمناً، وفي بلاط عضد الدولة البويهي[4] في شيراز زمنا آخر ، وهذه الصحبة الطويلة تدل على أن كلا منهما محتاج للآخر في شؤونه العلمية فضلا عن الشؤون الأخرى، حتى قيل: "إن ابن جني كان في حاجة إلى العيش اللين الذي كان أبو علي يتمتع به في رحاب الملوك والأمراء، وفي حاجة إلى علم شيخه الغزير وعلوِّ قدره، وأبو علي في حاجة إلى خدمة تلميذه لتذليل متاعب الحياة وتوفير وقته الثمين في الدرس والبحث، وإلى الاستئناس برأي ابن جني فيما يعرض له من عويص المسائل؛ فقد كان ابن جني عنده كمخبار يمتحن به تجاربه"[5].

من ذلك ما ذكره ابن جني أنه دخل يوماً على أبي علي خالياً في آخر النهار، "فحين رآني قال لي: أين أنت؟ أنا أطلبك. قلت: وما ذاك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من حَوْريت؟ فخضنا

---

[1] موضع بأرض ببغداد. انظر: تاريخ بغداد، 7/ 228.

[2] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص288.

[3] سبقت ترجمته، ص09.

[4] سبقت ترجمته، ص06.

[5] مقدمة محققي سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: مصطفى السقا، إبراهيم مصطفى وغيرهما، مطبعة البابي الحلبي مصر، ط1، 1374هـ- 1954م، 1/ 33.

معاً فيه، فلم نحل بطائل منه، فقال: هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار[1]، فلا ينكر أن يجيء مخالفا لأمثلتهم"[2].

على أنه لم يسجَّل سوء تفاهم أو عكر صفاء بينهما طيلة هذه السنوات، واعتزاز كل منهما بالآخر وإجلال بعضهما حفلت به الكتب؛ فقد كانا متحابين كما يظهر جليا في كتب ابن جني نفسه، الذي كان يثني على شيخه في موضوعات كثيرة من كتبه، فنراه يصفه بالعلم والنباهة عند ارتضائه قصيدة أبي الطيب المتنبي الميمية، بقوله: "لأن أبا علي مع جلالة قدره في العلم، ونباهة محله، واقتدائه بسنة أهل الفضل لم يكن ليطلق هذا القول عليه إلا وهو مستحق له عنده"[3].

هذا، ولقد أخذ أبو الفتح تصريف المازني[4] قراءة على أبي علي، جاء في المنصف: "قال أبو الفتح عثمان بن جني: أخبرني الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي قراءة مني عليه بحلب، عن أبي بكر بن محمد بن السريّ السرّاج، عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد، عن أبي عثمان بكر بن محمد بن بقيَّة المازنيّ، رحمهم الله أجمعين"[5].

كما قرأ عليه كتبا كثيرة، نحو: كتاب سيبويه، وكتاب الهمز وكتاب النوادر كلاهما[6] لأبي زيد[7]، زيد[7]، والقلب والإبدال ليعقوب وكتاب التصريف للأخفش[8].

---

[1] الصحيح (لغة بني) وبنو نزار: بطن من عدنان، وهم بنو نزار بن معد بن عدنان، كان له من الولد أربعة منهم على عمود النسب: مضر، وخارج عن عمود: النسب أياد وربيعة وأنمار، ولما حضرت نزار الوفاة كنَّى لهم بقسمة كل واحد منهم، وأحالهم على ملك نجران الأفعى الجرهمي ليخبرهم بوصية أبيهم عنده. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، 1/ 139.

[2] الخصائص، 1/ 387، 3/ 207.

[3] الفسر، أو شرح ابن جني لديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: صفاء خلوصي، طبع دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد، ط1، 1988م، 1/ 26.

[4] تقدمت ترجمته، ص78.

[5] المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان ابن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي، ت: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة الحلبي –مصر، ط1، 1373هـ- 1954م، 1/ 6.

[6] المصدر نفسه، 3/ 57.

[7] هو: أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، اللغوي البصري. كان من أئمة الأدب، وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب. له في الآداب مصنفات مفيدة، منها: كتاب القوس، والترس، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب المطر، وكتاب المياه، وكتاب اللغات، وكتاب النوادر، وكتاب الجمع والتثنية، وغير ذلك. توفي سنة 215، وقيل: 216هـ. الطبقات الكبرى، 27/7، الفهرست، 1/ 81، وفيات الأعيان، 2/ 378-380.

[8] انظر: سر صناعة الإعراب، 1/ 72، 2/ 546، تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع، أبو الفتح عثمان بن جني، جني، ت: محمد بهجة الأثري، المطبعة الهاشمية –دمشق، د.ط، 1386هـ- 1966م، ص80.

أما روايته لهذه الكتب فكانت رواية النوادر —وهي أكثر روايته في كتبه منها– عن طريق الرياشي[1]؛ إذ يقول: "وقرأت عليه عن أبي الحسن علي بن سليمان[2] عن أبي العباس عن أبي الفضل الرياشي في نوادر أبي زيد"[3].

وعن أبي سعيد السكري[4] عن الرياشي "أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد السكري السكري عن أبي الفضل الرياشي قال: أنشد أبو زيد"، وعن طريق أبي عثمان المازني "أخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد"[5] وعن أبي سعيد السكري عن أبي زيد: "أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد عن أبي زيد في كتاب النوادر"[6].

أما كتاب الهمز لأبي زيد فقد رواه عن طريق أبي العباس قراءة على أبي علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس عن أبي زيد في كتاب الهمز"[7].

أما كتاب القلب والإبدال ليعقوب فقد قرأه أيضا على أبي علي بقوله: "وكذلك قرأت هذه اللفظة على أبي علي في كتاب القلب والإبدال عن يعقوب"[8].

وأخيرا كتاب التصريف للأخفش فكانت قراءته على أبي علي بقوله: "هذا الذي حكيته لك عن أبي الحسن موجود في نسخ كتابه في التصريف، وهكذا قرأته على أبي علي ووجدته أيضا في نسخة أخرى مقروءة عليه وفي نسخة أخرى كان يستجيدها ويصف صحتها"[9].

---

[1] أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي النحوي اللغوي البصري، كان عالما راوية ثقة عارفا بأيام العرب، كثير الاطلاع روى عن الأصمعي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما، وروى عنه إبراهيم الحربي، وابن أبي الدنيا وغيرهما. قتل بالبصرة أيام العلوي البصري سنة 257هـ. انظر: تاريخ بغداد، 12/ 138، سير أعلام النبلاء، 12/ 372- 373، ووفيات الأعيان، 3/ 27- 28.

[2] هو: الأخفش الصغير، تقدمت ترجمته، ص13.

[3] المنصف، 3/ 17.

[4] هو: شيخ الأدب أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة بن الأمير المهلب الأزدي المهلبي السكري النحوي، صاحب التصانيف. سمع من يحيى بن معين جماعة، وأخذ العربية عن أبي حاتم =السجستاني، والرياشي وعمر بن شيبة، روى عنه محمد بن أحمد الحكيمي، ومحمد بن عبد الملك التاريخي وأبو سهل بن زياد. صنف التصانيف؛ له كتاب الوحوش، وكتاب النبات وكان عجبا في معرفة أشعار العرب. توفي سنة: 275هـ. سير أعلام النبلاء، 13/ 126- 127، الفهرست، 1/ 117، نزهة الألباء، ص187.

[5] الخصائص، 2/ 14.

[6] المنصف، 3/ 10، والمحتسب، 1/ 63.

[7] المنصف، 3/ 11.

[8] سر صناعة الإعراب، 1/ 239.

[9] المصدر نفسه، 2/ 751- 752.

هذا، ولم يدخر أبو الفتح وسعا في توثيق أستاذه؛ فوصفه بالأمانة في روايته "دائم الاستظهار لإيراد ما يرويه"[1]، وذكر "نُبْل قدره ونباوة محلِّه"[2].

ثانيا: نقل علمه والإفادة من أصوله

سبقت الإشارة إلى أن ابن جني من التلامذة الأوفياء لأبي علي؛ إذ عُني بعلمه أيما عناية، فهو لا يفتأ ينقل أقواله وآراءه في المسائل المختلفة، ويثبتها في كتبه وينتصر لها، كما حرص على تلخيص بعض كتبه كالتذكرة[3] وغيرها، وقد رأينا أن سبب تأليفه لكتاب المحتسب هو اهتمام شيخه بالتأليف في القراءات الشواذ؛ فقد حدَّث نفسه بوضع كتاب فيها على شاكلة الحجة، لولا صروف الدهر التي حالت دون ذلك.

ومن ثمة أصبح ابن جني مستودع علم شيخه وموطن ثقته؛ إذ توثقت الصلة بينهما بأوثق الأسباب وأمتن العرى، فالتلميذ يتقبَّل رأي الشيخ[4] وينتفع به ويطري على عمله ويرجع فضل ذلك إلى شيخه ويفتخر بالانتساب إليه في أسباب علمه، ويوثق آراءه في كتبه منسوبة إلى أستاذه حصيلة ملازمة طويلة، بل "لم يجد خيرا من ملازمة هذا الإمام الفذ متنقلا معه في رحلاته، شغوفا بآرائه، مبهورا بفطنته ودقة أقيسته وتعليلاته، ومن يقرأه في كتبه المطبوعة ولاسيما الخصائص يحس أن مادة علمه مستمدة من أستاذه، وكأنه كان قلما في يده يسجل كل خواطره ولفتاته النحوية والصرفية، وهي لفتات وخواطر اندفع ينميها ويضيف إليها من عقله الخصب النادر ما جعله يتقن ظواهر التصريف والنحو علماً وفقهاً وتأويلاً وتحليلاً، بل ما جعله يرث إمامة أستاذه"[5].

وعناية أبي الفتح بعلْم أبي علي ونقله لم يختص بمكان معين، بل في عدة أماكن في الشام، وحلب، وبغداد والموصل، جاء في الخصائص: "قال لي أبو علي –رحمه الله– (بحلب) سنة ست وأربعين..."[6]، "وقال لي أبو علي بالشام..."[7]، " وأنشدنيه –رحمه الله– ونحن في دار الملك[8]..."[1]. الملك[8]..."[1]. وغير هذا التقييد كثير مبثوث في كتب أبي الفتح.

---

[1] المصدر نفسه، 3/ 313.

[2] المصدر نفسه، 1/ 208.

[3] عثمان بن جني لخص كتابه التذكرة لأبي علي الفارسي. انظر: إنباه الرواة، 1/ 308.

[4] يوافق ابن جني رأي أستاذه في أكثر الأحيان وينتصر لمذهبه ويدعمه، ولم أره يخالفه في كتبه –خاصة الخصائص– إلا في القليل النادر. انظر مثلا: الخصائص، 2/ 31، 40 وغيرها و المحتسب،1/73، 76، 80، 95 وغيرها.

[5] مقدمة محققي سر صناعة الإعراب، 1/ 33.

[6] الخصائص، 2/ 88. وفي المحتسب، ت: هنداوي، 1/ 83، 113.

[7] المصدر نفسه، 1/ 121.

[8] يعني: دار السلطان عضد الدولة فناخسرو ببغداد أو شيراز.

كما لا يخفى أن أغلب كتب ابن جني من إملاء أبي علي؛ إذ أن التلميذ يسأل والأستاذ يوجِّه وربما يصحح له التلميذ، فكان أبو علي يعرض عليه قسماً من المسائل، أو يذكر له تعليلاً، أو يسأل عن تعليل وكان يطلبه إذا غاب، وابن جني يوافقه ويدعم رأيه ببرهان أو يخالفه ويرى رأياً آخر، ولم يكن أبو علي يضيق بهذه المخالفة بل كان ينزل على رأيه أحياناً.

بل نجده أحياناً يفيد بعض مسائل ومباحث اللغة من في أستاذه دون غيره، فيقول في باب تلاقي اللغة: "هذا موضع لم أسمع فيه لأحد شيئا إلا لأبي عليّ رحمه الله"[2]، وهو في ذلك اشدّ إعجاباً به؛ يقول: "وسألت مرة أبا عليّ –رحمه الله– عن ردّ سيبويه كثيرا من أحكام التحقير إلى أحكام التكسير وحمله إياها عليها..."، فأجاب الشيخ ودلّل، يضيف ابن جني معلقا: "... هذا معقِدُ معناه، وما أحسنه وما أعلاه!"[3].

وبلغ تأثير أبي علي في شخصية تلميذه العلمية مبلغا كبيراً حمله على أن يعتمد أصول إمامه؛ يقول شوقي ضيف: "ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إن أكثر الأصول التي اعتمدها ابن جني في كتابه الخصائص إنما استمدها من إملاءات أبي علي أستاذه وملاحظاته"[4]. كما حمله على أن يتمذهب بمذهب أهل البصرة مذهبِ إمامه، وكان "يعرض ما يكتبه على أستاذه أبي علي فيقرُّه عليه، ويزداد إعجابه به، ويشجعه على المضي في تمهيد هذه الطريق الوعرة التي تحاماها كثير من الدارسين على ما لهم من بعد الهمة وطول الباع في الدرس اللغوي والنحوي"[5].

الفرع الثاني: ثناؤه عليه وتوثيقه

أولا: ثناؤه عليه

إن عبارات الثناء والإطراء التي يلوكها أبو الفتح كلما ذكر شيخه أبا علي، وترحُّمَه عليه ليدل على رفعة مقام الإمام، وهيبته وعلو شأنه في نفس تلميذه؛ فنجده يسِمه بالشيخ الفاضل والأستاذ المبجَّل بقوله: "فهذه أحكام تصريف هذه اللفظة، ولست أعرف أحدا من أصحابنا خاض فيها إلى

---

[1] المصدر نفسه، 3/ 270.

[2] الخصائص، 1/ 321.

[3] المصدر نفسه، 1/ 354.

[4] المدارس النحوية، ص259.

[5] أعلام في النحو العربي، مهدي المخزومي، الموسوعة الصغيرة (60)، منشورات دار الجاحظ ودار الحرية للطباعة –بغداد، 1980م، ص98.

ههنا، ولا قارب هذا الموضع أيضاً، بل رأيت أبا علي وقد نشَّم[1] فيها شيئا من القول يسيراً لم يستوفِ الحال فيه، ولا طار بهذه الجهة، وإن كان بحمد الله والاعتراف له الشيخ الفاضل والأستاذ المبجَّل، ولو لم يتضمن هذا الكتاب من الكلام على الدقيق أكثر من هذه المسألة لكانت –بحمد الله– جمالاً له ومحسنةً حاله"[2].

ومن كلمات الترضي والترحُّم التي كان أبو الفتح يسكبها على روح أستاذه، قوله: "سألت غير مرة أبا علي –رضي الله عنه– عن ذلك"[3]، و"رأيت أبا علي –رحمه الله– يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي"[4]، و"سألني أبو علي –رحمه الله– عن ألف (يا)"[5]، و"وقلت مرة لأبي علي –رحمه رحمه الله– قد حضرني شيء"[6]، و"وقد كان أبو علي –رحمه الله– كتب إليّ من حلب وأنا بالموصل"[7]، وأحيانا يستخدم الجمع، فيقول: "ونبهنا أبو علي –رحمه الله–"[8]، و"وافقنا أبو علي –رحمه الله– على هذا الموضع"[9] وغير ما ذكر كثير.

كما يشيد ابن جني بعلم شيخه الذي أخذ بجوانبه، وتوصل إليه توصلاً كاد يكون فريد دهره حتى لكأنَّه خلق لهذا العلم؛ فيقول: "ولله هو وعليه رحمته، فما كان أقوى قياسه، وأشدُّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه. فكأنه إنما كان مخلوقاً له، وكيف لا يكون كذلك، وقد أقام على هذه الطريقة مع جِلَّة أصحابها، وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة عللُه، ساقطة عنه كُلَفُه، وجعله همَّه وسدَمَه[10]، لا يعتاقه عنه ولد[11]، ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوم به مطلباً، ولا يخدم به رئيساً إلا

---

[1] نشَّم من النَّشَم. يقال: نشب في الأمر ونشَّم فيه؛ إذا ابتدأ فيه ولم يوغل فيه، ومنه قولهم: نشَّم الناس في عثمانَ؛ أي نالوا منه وطعنوا عليه. وقد عاقبت ههنا الميم الباء، ومنه قالوا: النشم والنشب: للشجر الذي يتخذ منه القسي لأنه من آلات النشوب في الشيء؛ والباء الأصل فيه؛ لأنه أذهب في التصرف. انظر: الفائق، 3/ 430. لسان العرب، 12/574- 576.

[2] سر صناعة الإعراب، ت: حسن هنداوي، 2/ 663- 664.

[3] الخصائص، 1/ 243.

[4] المحتسب، 1/ 52.

[5] المصدر السابق، 1/ 276.

[6] المصدر نفسه، 1/ 365.

[7] المصدر نفسه، 3/ 38.

[8] المصدر نفسه، 2/ 168.

[9] المصدر نفسه، 2/ 266.

[10] السدم: من سدِم –بالكسر– فهو سَدمان؛ بمعنى الهمّ، والحزن، والغيظ والندم. لسان العرب، مادة (س د م)، 12/283.

[11] أي: لا يشغله عن علمه أهل ولا ولد؛ فيتحرر ويتفرغ إليهم، وقد تقدمت الإشارة إلى تفرغ أبي علي وعدم ارتباطه بأهل.

بأَخَرَةٍ[1] وقد حطَّ من أثقاله وألقى عصا تَرحاله"[2]، ويقر باغترافه من علمه وفيضه عليه ويعترف بفضله، قائلاً: "وهو رأي أبي علي –رحمه الله– وعنه أخذته لفظاً ومراجعة وبحثاً"[3]، ويقول في موضع موضع آخر: "وسألت أبا علي –رحمه الله– من أجرى غير اللازم مجرى اللازم فقال: ....، وهو كما ذكر"[4].

وقد عقل الإمام مكانتَه في نفس تلميذه، فبادله هو الآخر بالحب والاعتزاز؛ ويتجلى هذا واضحاً من "استجادته كتبه كلِّها، ومن حرصه على مصاحبته له في قصور الملوك والأمراء في الحل والترحال نحو أربعين سنة، ولم يفترقا بعدها إلا بالموت"[5].

كما نراه يحترم رأي تلميذه ويدوِّن بعضها ويعتزُّ بها، قال ابن جني: "وقلت مرة لأبي علي –رحمه الله–: قد حضرني شيء في علَّة الإتْباع في (نِقيذِ) وإن عرى أن تكون عينه حلقية، وهو قرب القاف من الخاء والغين، فكما جاء عنهم (النخير والرغيف)، كذلك جاء عنهم (النقيذ) فجاز أن تُشبَّه القاف لقربه من حروف الحلق بها، كما شبَّه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الفم، فالنقيذ في الإتباع كالمنْخُل والمنغِل فيمن أخفى النون؛ فرضيَه وتقبَّله. ثم رأيته وقد أثبته فيما بعد بخطِّه في تذكرته"[6].

ثانيا: تقويمه

إن النتاج العلمي مُعرَّض للتقويم بين أهل الصَّنعة وهو سنَّة ظاهرة عندهم؛ وابن جني واحد من الذين استوعبوا تراث شيوخهم وانبروا لتقويمه وتصحيحه؛ إذ نجده في أغلب كتبه ينتصر لرأي أستاذه، ويأخذ به، ويستند إليه في كثير من المسائل اللغوية ولكن أحياناً –وهو قليل– يردُّ عليه وينتصر لغيره، من ذلك:

5- انتصاره لأبي الحسن الأخفش الصغير في معرض حديثه عن موضوع الفاء واللام، حيث يقول: "فقد دخل أبو الحسن معي في أن أعترف بأن الفاء واللام واوان إذ لم يجد بدّاً من

---

[1] يقال باعه بأَجِرَةٍ –بفتح الهمزة وكسر الخاء المعجمة– أي بنسيئة، وعرفه بأَخَرَةٍ –بفتح الخاء– أي أخيراً. انظر: مختار الصحاح، مادة (أخ ر)، 04/1. فهو بهذا المعنى الأخير –وهو المقصود– لا يقدِّم على علمه رئيساً ولا غيره، وإذا كان لا بدّ له من ذلك فعل أخيراً.

[2] المصدر السابق، 1/ 276- 277.

[3] الخصائص، 1/ 120.

[4] المحتسب، 1/ 68.

[5] مقدمة تحقيق سر صناعة الإعراب، ت: هنداوي، ص24.

[6] الخصائص، 1/ 365- 366.

الاعتراف بذلك، كما لم أجده أنا، ثم إنه زاد على ما ذهبنا إليه جميعاً شيئا لا نظير له في حرف من الكلام البتة"[1].

6- وفي موضع آخر يخالف شيخه ويستأثر برأي يراه؛ يقول: "وسألت يوما أبا علي – رحمه الله- عن تِخْفافٍ[2]: أتاؤه للإلحاق بباب قرطاس؟ فقال: نعم، واحتجّ في ذلك بما انضاف إليها من زيادة الألف معها. فعلى هذا يجوز أن يكون ما جاء عنهم من باب أُمْلُودٍ[3] وأظفور ملحقا بباب عُسِلوج[4]، ودملوج[5]، وأن يكون إِطريح[6] وإسليح[7] ملحقا بباب شِنظير[8] وخنزير. ويبعد هذا عندي..."[9].

المطلب الثاني: مظاهر تأثير الفارسي في الجرجاني

يعتبر الإمام الجرجاني أيضا من جملة الأئمة الذين نهلوا من علم الفارسي، وسأبين ذلك في الآتي:

الفرع الأول: التعريف بالإمام الجرجاني

هو: الإمام المشهور أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني[10]، إمام النحو والبلاغة، والمتكلم الأشعري، والفقيه الشافعي، ذو الدين المتين والورع والسكون.

ومن ورعه وقناعته ما رواه السَّلفي من دخول لص عليه وهو في الصلاة، فأخذ جميع ما وجد والإمام ينظر إليه ولم يقطع صلاته.

---

[1] المصدر السابق، 2/ 599.

[2] ما يوضع على الخيل من الحديد وغيره في الحرب؛ ليقيها الجراح. انظر: لسان العرب، مادة: (جفف)، 9/ 30.

[3] يقال: غصن أملود؛ بمعنى ليِّن. المصدر نفسه، مادة: (ملد)، 3/ 410.

[4] هو ما اخضر ولان من القضبان. لسان العرب، مادة: (عسلج)، 2/ 324.

[5] ما يلبسه العضد من الحليّ. المصدر نفسه، مادة: (دملج)، 2/ 276.

[6] يقال: سنام إطريح؛ إذا طال ثم مال في أحد شقيه. المصدر نفسه، مادة: (طرح)، 2/ 529.

[7] شجرة، أو حشيشة ترعاها الإبل فتُسلّحُها –من العذرة- وتغزُر عليها. انظر: المصدر نفسه، مادة: (سلح)، 487/2.

[8] الشنظير: السّيء الخلق والسخيف العقل. المصدر نفسه، مادة: (شنظر)، 4/ 431.

[9] الخصائص، 1/ 231.

[10] انظر: إنباه الرواة، 2/ 188 وما بعدها، والبلغة، ص127 وما بعدها، وبغية الوعاة، ص24 وما بعدها، وشذرات الذهب، 3/ 340 وما بعدها، وطبقات الشافعية، السبكي، 3/ 244 وما بعدها، وطبقات المفسرين، الداودي، 230/1، وكشف الظنون، 1793/2، ومرآة الجنان، 3/ 101، ونزهة الألباء، ص434 وغيرها.

والجرجاني فارسي الأصل، جرجاني[1] المولد، أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي[2]، ابن أخت أبي علي الفارسي، الذي طرأ عليه في جرجان[3] وكان يحكي عنه كثيرا ولم يأخذ عن غيره، لأن عبد القاهر لم يلق شيخا في العربية غيره، ولأنه أيضا لم يخرج عن جرجان. وقد قرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء فتصدر بجرجان، وحثت إليه الرحال، وصار الإمام المشهور المقصود، له تصانيف كثيرة جيدة وجليلة؛ فقد صنف في النحو والأدب كتبا مفيدة. وقد علق عنه السلفي، حتى قيل فيه: "ما مقلت عيني لغويا مثله، وأما في النحو فعبد القاهر"، كما أنه من كبار أئمة العربية واللغة والبيان، وأول من دون علم المعاني، وكلامه فيه وفي البيان يدل على جلالته وتحقيقه ودبانته وتوفيقه.

انتهت إليه رئاسة النحو في زمانه، واتفقت على إمامته الألسنة، وأثنى عليه طيب العناصر وثنيت به عقود الخناصر.

أخذ عنه جملة من التلامذة، منهم: أحمد بن محمد الشجري[4] الذي أخذ عنه كتابه "المقتصد" "المقتصد" في النحو.

له مؤلفات كثيرة في ميادين شتى، منها: العوامل المائة، كتاب الجمل، الإيجاز، المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرح الإيضاح، المقتصد في شرح التكملة، العمدة في التصريف، إعجاز القرآن، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز وغيرها من الكتب.

ولم يزل مقيما بجرجان يفيد الراحلين إليه والوافدين عليه، إلى أن توفي سنة 471، وقيل: 474هـ.

الفرع الثاني: جوانب تأثير الفارسي في الجرجاني

---

[1] يقال إنما سمي جرجان جرجانا لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وفتح جرجان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فتح نهاوند. انظر: تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، ت: محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب –بيروت، ط3، 1401هـ- 1981م، 1/ 44.

[2] لم أقف على ترجمته كاملة، ومن ذكره لم يزد على كونه ابن أخت أبي علي الفاري. سير أعلام النبلاء، 18/ 432، شذرات الذهب، 2/ 340.

[3] إقليم في فارس، يقال إنما سميت بذلك، لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان له أخوان فارس واجفاس؛ واجفاس؛ فارس ويقال جرجيج بن ولاد قال، وفتح جرجان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فتح نهاوند. تاريخ جرجان، 1/ 43.

[4] لم أقف على ترجمته.

يعتبر الجرجاني واحداً من الذين تأثروا بالإمام أبي علي الفارسي، وارتسمت معالم ذلك في تكوينه وشخصيته، ولعلَّ أبرز مظاهر ذلك التأثُّر يتجلَّى في الآتي:

13- تلقِّيه النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي[1]، ابن أخت أبي علي الفارسي بعد أن طرأ عليه، ولم يتلقَّه عن غيره؛ ولعل هذه الصلة أسهمت بشكل أو بآخر في ظهور أثر أبي علي رحمه الله في أبي بكر الجرجاني؛ الأمر الذي دفعه –وفاء لأستاذه وحفاظا على امتداد مدرسته– أن يهتم بتراث أبي علي.

14- ولا أدلَّ على ذلك من عناية أبي بكر بتراث أبي علي شرحاً وتوضيحاً وتلخيصاً؛ فقد شرح كتاب "الإيضاح"[2] في النحو لأبي علي في كتاب أسماه "المغني في شرح الإيضاح"؛ وهو شرح طويل، قيل أنه وضعه في نحو ثلاثين مجلداً[3]، وأشار أبو بكر في كتابه "المقتصد" إلى هذا الكتاب عدة مرات[4] ووصفه في مقدمة المقتصد قائلا: "... وذكرتم أنَّ ما عملت فيه –أي في الإيضاح– من الكتاب الموسوم بالمغني لا يطول باع كل أحد لبلوغ رتبته وتسنَّم ذروته؛ لاشتماله على مسائل جمَّة وفصول ممتدَّة، إذ كان أكثر الغموض فيه أن أحصن ما بذلت له وقتي من وثبة الأيام، وتصرُّف الأحوال، لأنَّ جميع ما يدخل في جملة الإنسان يألف للفناء والزوال ومعرض لحبالة الزَّمان"[5].

15- ثم لخَّصه في مجلد أسماه "المقتصد في شرح الإيضاح"؛ وهو شرح متوسط[6]، صدَّره بقوله: "أحمد الله عزت قدرته على نعمه..."[7]. أمَّا روايته فقد جاء فيها: "قال الشيخ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أخبرنا الشيخ أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث قال: أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن أحمد بن عبد الغفار رحمه الله، فقال: ..."[8].

---

[1] سبقت ترجمته، ص08.

[2] سبقت الإشارة إلى أن أبا علي ألف الإيضاح لعضد الدولة، وتعليم أبناء أخيه.

[3] انظر: طبقات الشافعية، 2/ 252، طبقات المفسرين، 2/ 133، نزهة الألباء، 314. والمغني من الكتب المفقودة.

[4] مقدمة المقتصد، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ت: كاظم بحر مرجان، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، سنة: 1982م، ص67.

[5] المصدر نفسه.

[6] طبع كتاب المقتصد في جزأين بتحقيق: الدكتور: كاظم بحر مرجان، وطبع سنة: 1982م.

[7] المصدر نفسه، ص67.

[8] المصدر نفسه.

16- ثم اختصر الإيضاح في كتاب أسماه "الإيجاز"؛ جاء في أوله: "الحمد لله الذي تظاهرت علينا آلاؤه..."[1]، وهو من الكتب المفقودة.

17- كما التفت إلى كتاب "التكملة" لأبي علي، فلم تقصر همته على شرحه[2] في كتاب أسماه "المقتصد في شرح التكملة"؛ عُني فيه بمعالجة الموضوعات اللغوية والصرفية.

18- لقد كان تأثر أبي بكر بأبي علي إيجابيا؛ بمعنى أنه وقف من آرائه موقف المتلقي المستفيد المؤيد، ولم يقف منها موقف الناقد إلا نادرا، فتضاءلت مواقف نقده أمام الكثرة الغالبة من مواقف التأييد والموافقة.

المطلب الثالث: مظاهر تأثير الفارسي في شراحه ونقاده

شهد القرن السادس الهجري نشاطا علميًّا متميِّزاً؛ فازدهرت حركة التأليف في مختلف العلوم كالنَّحو اللغة والقراءات، وحظيت كتب أبي علي بالدراسة والشرح والتقويم وامتدّ تأثيرها إلى المشارقة والمغاربة؛ وذلك لما لها من صدى كبير على السَّاحة العلمية يومها، وفيما يأتي نماذج تثبت هذا التأثير:

الفرع الأول: تأثير الفارسي في شراحه

لقد انبرى لشرح تراث أبي علي جملة من العلماء، وأعجبوا بشخصيته وبمنهجه. أذكر من هؤلاء تمثيلا لا حصراً:

أولا: الإمام أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي[3]:

وتتلخص بعض مظاهر التأثير في الآتي:

خ- يعتبر أبو الحسن القيسي واحداً من شراح الإيضاح والتكملة لأبي علي، وألَّف في ذلك كتاب أسماه "إيضاح شواهد الإيضاح"[1]؛ فقد حاول الإمام –موفَّقاً- أن يشرح الأبيات التي

---

[1] كشف الظنون، 1/ 212.

[2] المصدر نفسه.

[3] أبو الحسن القيسي: لم أقف على ترجمته، إلا ما جاء في كشف الظنون أن القيسي صنف في شرح الإيضاح للفارسي، يقول: "... أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبقري القيسي الأديب القرطبي، المتوفى سنة 567هـ وسماه الإيضاح أيضا أوله الحمد لله العظيم السلطان القديم الإحسان". 1/ 212. ويبدو أنه –كما قال المحقق- عاش في القرن السادس الهجري، في ظل دولة المرابطين، وقد رجح الدكتور إحسان عباس أن القيسي هو الخراز نزيل تلمسان، نحوي أديب فقيه قارئ، كما غلّب المحقق جعلَه أبا علي الحسن بن عبد الله السعدي، وقد ترجم له صاحب غاية النهاية، 1/ 199. انظر: مقدمة إيضاح شواهد الإيضاح، ص13- 21.

استشهد بها أبو علي، ويتناولها بالدراسة والتحليل، يدلُّ على موطن الشَّاهد، ويأخذ في عرض المسألة النحويَّة، ويذكر آراء النُّحاة فيها ويستفيض في شرح بعض المسائل الخلافيَّة وأخيراً يختم حديثه عن الشَّاهد بإعراب ما أشكل عنه. كما اعتنى بالنَّاحية الصرفيَّة، وهذا لا يحتاج إلى دليل طالما أنَّ كتاب التكملة في الصَّرف.

د- اعتمد أبو علي القيسي في شرحه هذا جملة من كتب أبي علي الفارسي؛ منها: الإيضاح والتكملة؛ وهما موضوعا البحث، والأمالي[2]، والتذكرة[3]، والبصريات[4]، والحلبيات[5] وغيرها.

ذ- ومما يدلُّ أيضا على تأثُّره بالفارسي موافقته في أغلب آرائه وتلقِّيها بالقبول والرِّضى، بل ودفاعه عنها إن اقتضى الأمر. غير أنَّ هذا لم يمنعه من تسجيل بعض الملاحظات[6] على الفارسي ومخالفته[7] في جملة من آرائه.

ثانيا: الإمام أبو محمد عبد الله بن بري[8]: وتتجلى بعض جوانب التأثير في الآتي:

خ- حظي إيضاح الفارسي بمباركة الكثير، فهذا الإمام أبو محمد عبد الله، ابن بري اعتنى به وشرح أبياته هو الآخر في كتاب أسماه "شرح شواهد الإيضاح"[9]؛ أورد ابن بري في شرحه أربعة وعشرين وثلاثمائة شاهدا عن أبي علي، مع احتساب الشاهد المكرَّر شاهداً واحداً، وزاد عليها

---

[1] طبع هذا الكتاب في جزأين، بتحقيق: الباحث محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب اللإسلامي –بيروت، ط1، =1408هـ-1987م.

[2] إيضاح شواهد الإيضاح، 1/ 80 وغيرها.

[3] المصدر نفسه، 1/ 113، 120 وغيرهما.

[4] المصدر نفسه، 1/ 119وغيرها.

[5] المصدر نفسه، 1/ 200 وغيرها.

[6] وذلك نحو استشهاد أبي علي في بعض الأبواب ببيت تكلّف فيه؛ إرضاء لعضد الدولة، وكان الأولى أن يسوق شاهد الكتاب لسيبويه. المصدر نفسه، 1/ 144.

[7] المصدر نفسه: مثلا: 1/ 121، 134، 135، 136 وغيرها.

[8] أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بن عبد الجبار بن بري المقدسي الأصل المصري الإمام، المشهور في علم النحو، واللغة، والرواية والدراية. أخذ علم العربية عن أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني النحوي، وأبي طالب عبد الجبار بن محمد المعافري القرطبي وغيرهما. واطلع على أكثر كلام العرب. له على كتاب الصحاح للجوهري حواش. أخذ عنه أبو موسى الجزولي. كان عارفا بكتاب سيبويه وعلله، وكان إليه التصفح في ديوان الإنشاء لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملك من ملوك النواحي إلا بعد أن يتصفحه، ويصلح ما خفي منه. توفي سنة: 582هـ. إنباه الرواة، 2/ 110- 111، سير أعلام النبلاء، 21/ 136- 137، الكامل في التاريخ، 10/ 42، وفيات الأعيان، 3/108- 109.

[9] طبع الكتاب في مجلد، بتحقيق: عبيد مصطفى درويش، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية –القاهرة، د.ط، سنة: 1405هـ-1985م.

ابن برّي نحو مائة شاهدٍ في أثناء شرحه لها. وجميع الشَّواهد المذكورة في الكتاب من عصر الاحتجاج الذي ينتهي بإبراهيم بن هَرْمة[1]، إلا بيتاً واحداً[2] أورده ابن برّي عن أبي علي، وعدَّه ابن بري مثالا للمسألة النحوية المثارة وليس شاهدا عليها.

د- كان ابن بري واسع الاطِّلاع فتأثَّر بمصادر عديدة، منها: الإيضاح العضدي، والتكملة، وشرح الإيضاح وثلاثتها لأبي علي الفارسي، وهذه الكتب هي مصادره الأصليَّة في تصنيف كتابه شرح شواهد الإيضاح، وتنتشر آراء أبي علي في كتب ابن بري الأخرى سواء أكانت من هذه الكتب أم من غيرها.

ذ- وقد كان تأثُّر ابن بري بأبي علي تأثُّراً إيجابيًّا؛ بمعنى أنه وقف من آرائه موقف المتلقّي المستفيد المؤيِّد، ولم يقف منها موقف النَّاقد إلا نادراً[3]، فتضاءلت مواقف نقده أمام الكثرة الغالبة من مواقف التَّأييد والموافقة.

ثالثا: الإمام ابن الباذش[4]

تأثر ابن الباذش الأندلسي بالإيضاح لأبي عليّ، فكان هو الآخر أحد شرَّاحه، وبلغ تأثُّره وإعجابه به أن قال فيه شعراً؛ يدلك فعلا على عنايته به واهتمامه به، فقال[5]:

أضَعِ الكرى لتحفُّظِ الإيضاحِ وصل الغدو لفهمه برواح
هو بغية المتعلمين ومن بغى حمل الكتاب يلجه بالمفتاح
لأبي علي في الكتاب إمامة شهد الرواة لها بفوز قداح

---

[1] هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري المدني، إبراهيم بن هرمة، شاعر زمانه أحد البلغاء من شعراء الدولتين، وكان منقطعا إلى العلوية، قال الدارقطني هو مقدم في شعراء المحدثين قدمه بعضهم على بشار. توفي سنة: 176هـ. سير أعلام النبلاء، 6/ 207، الفهرست، 1/ 227.

[2] هذا البيت من شعر أبي تمام رقم: 18 من شواهد الكتاب. مقدمة تحقيق شرح شواهد الإيضاح، ابن بري، ص54.

[3] انظر على سبيل المثال مخالفته في المواضع الآتية: ص90، 98، 142 وغيرها. وأحيانا لا يسلّم له؛ وذلك في نحو قول ابن بري: بري: "وهذا الذي منعه أبو علي فيه نظر". ص126 وغيرها. وأحيانا يعترض على استشهاده؛ وذلك في نحو استشهاده ببيت لحبيب في باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر: قال ابن بري: "وليس بحجة، ولكنه مثَّل به الحديث الذي قبله كأنه مسألة" ص112 وغيرها.

[4] هو: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري عرف بابن الباذش الجياني الغرناطي إمام نحوي مسند مقرىء نقاد. قرأ على المقري بغرناطة أبي القاسم نعمة الخلف الأنصاري، وأبي علي الصدفي وغيرهما. حدث عنه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، والقاضي أبو محمد بن عطية، والقاضي أبو خالد عبد الله بن أبي زمنين وغيرهم. ألف في النحو كتبا منها على كتاب سيبويه، وعلى كتاب المقتضب، وعلى الأصول لابن السراج، وشرح كتاب الإيضاح وغيرها. توفي سنة: 528هـ. الديباج المذهب، 1/ 205-206 وغاية النهاية، 79/1.

[5] إنباه الرواة، 2/ 228.

يفضي على أسراره بنوافذ من علمه بهرت قوى الأمداح
فيخاطب المتعلمين بلفظه ويحل مُشكِلُه بومضة واح
مضت العصور وكل نحو ظلمة وأتى فكان النحو ضوء صباح
أوصى ذوي الإعراب أن يتذاكروا بحروفه في الصحف والألواح
فإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا إن النصيحة غبّها لنجاح

الفرع الثاني: تأثيره في مقوِّميه ونقَّاده

شكَّلت مصنفات أبي علي الفارسي أيضا –في مقابل التأثير الإيجابي- موضوعا للنَّظر والتَّقويم من طرف جملة من العلماء والمحقِّقين؛ فاستدرك عليه من استدرك ونقدها من نقد، من هؤلاء:

أولا: الإمام أبو الحسن الباقولي[1]

يعتبر الإمام الباقولي واحداً من الذين تأثَّروا بشخصية أبي علي الفارسي، وأُعجبوا بنباهته ودقة آرائه؛ فأثنى عليه ومدحه، ودرس كتبه وأمعن فيها النظر فشرح ولخَّص وقوَّم وانتقد، ويمكن تسجيل بعض نقاط التأثر في الآتي:

9-ثناء الباقولي على أبي علي:

ارتسمت عبارات الثناء والإجلال لفارس النحو أبي علي الفارسي وسجلها في جملة من كتبه؛ فالرجل متأثر بأبي علي، شديد الاعتداد به، يعشق آثاره، ويكبّ عليها ويحسن فهمها. ومن تلك العبارات:

وصفه بـ: "فارس الصناعة وفارسهم الفارس"[2].

وفي شرح اللمع يقول فيه: "ولولا هو لما فهم كتاب سيبويه ولا مشكلاته"[1].

---

[1] هو: أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ الأصبهانيّ الباقوليّ الحنفيّ الضرير، يلقّب بـ "جامع العلوم" أو الجامع. يُعدُّ من جلَّة أعيان أهل العربية والقراءات والتفسير، شديد الإكباب على كتاب سيبويه عاشقا لآثار أبي علي وابن جني. له آثار طيبة ومن نظر فيها عرف أنه –كما قال البيهقي في الوشاح- "لاحق سبق السابقين"، فقد صنف في علوم العربية والقرآن. منها: الإبانة في تفصيل ماءات القرآن وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة، الاختلاف، الاستدراك على أبي علي، البيان في شواهد القرآن، التتمة، جواهر القرآن ونتائج الصنعة، الخلاف بين النحاة، شرح الأبيات، شرح اللمع، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، وغيرها. توفي جامع العلوم أبو الحسن الباقولي سنة: 543هـ. انظر: إنباه الرواة، 2/ 247- 249، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 4/ 1736- 1737.

[2] انظر: الاستدراك على أبي علي في الحجة، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، ت: محمد أحمد الدالي، لجنة نشر التراث –الكويت، ط1، 1428هـ- 2007م ، 14- 28.، 2/ 18.

وفي الكشف يرفع شأنه قائلا: "ومثله لا يولد من بعدُ"[2].

ويضيف أيضا: "وهو بعيد الغوْر"[3]، "رحمه الله كيف تعمَّق وجاء بالكلام الذي هو أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف..."[4].

10- عنايته بتراثه واهتمامه به:

اهتم الإمام أبو الحسن بتراث أبي علي عموما وأولى كتاب "الحجة" الرعاية الخاصة، وتظهر هذه العناية في الأعمال الآتية:

ج- إشادته بتراثه ومدحه له: لقد أشاد الباقولي بآثار أبي علي رحمه الله وافتخر بها، وتعجَّب لنباهته فيها ودقَّته، فقال في بعض المناسبات: "فافهمه عن أبي عليّ ولم يهتد إليه غيرُه..."[5]. ووصفها في موضع بالدُّرر: "فهذه دُرر أخرجها فارسهم من صُدَف الكتاب ... والفارس فرَّق فيها الكلام في مواضع، وهذا مجموعه"[6]. وقال: فإذا أَشكل عليك شيء من كلام الفارس فإنه لا يفتحه لك إلا هذه الأجزاء التي أمللناها عليك"[7]. وقال أيضا: "وكلُّه مبسوط كلام فارسهم"[8]، " وما حوى كلامنا إلا شرح كلام أبي علي"[9].

ح- **خدمته لتراثه واهتمامه به:** فقد عُني الإمام أبو الحسن الباقولي بالحجة؛ فصنف في شرحها "كشف الحجة"[10]، الذي هذّب فيه –كما يبدو- كتاب الحجة، وكشف عن مغمضاتها وملمة متفرّقها[11].

---

[1] شرح اللمع، أبو الحسن الباقولي الأصبهاني، ت: إبراهيم أبو عباة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، 1411هـ-1990م، ص496.

[2] كشف المشكلات، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، ت: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، 1415هـ- 1995، ص922.

[3] المصدر السابق، 296.

[4] الاستدراك، مسألة 11، ص 565.

[5] كشف المشكلات، ص630.

[6] المصدر نفسه، 629.

[7] المصدر نفسه، ص727.

[8] المصدر نفسه، ص726.

[9] المصدر نفسه، ص416.

[10] لم يذكره من ترجم له، وذكره المؤلف في كشف المشكلات، ص72.

[11] مقدمة الاستدراك، ص25.

وصنف "كشف المشكلات وإيضاح المعضلات"؛ وهو في جملته جمع لما تفرق من كلام أبي علي في الحجة وفي غيره من الكتب[1]، والكشف مطبوع ومحقق في رسالة علمية.

كما صنف في شرح الأبيات التي أنشدها أبو علي فيه[2]، ويسميه أحيانا بكتاب الأشعار[3].

الأشعار[3].

وصنف الاستدراك على أبي علي في الحجة وفي غيره. هذا الكتاب أحيانا يسميه المستدرك[4]، المستدرك[4]، وأحيانا يسميه المسائل المأخوذة على أبي علي[5].

11- نقد تراثه وتقويمه:

لم يفت أبا الحسن الباقولي وهو يقرأ تراث أبي علي ويفيد منه أن يسجِّل ملاحظات على كتابه "الحجة"، بعد أن أوفاه قراءة نقديَّة، قراءة عالم بصير بآثار أبي عليّ، متضلِّعٍ بعلوم العربية والقراءات والتفسير؛ فاستوت تلك القراءة والملاحظات في تصنيف كتاب أسماه "الاستدراك على أبي علي في الحجة"[6].

لو لم يكتف الجامع في "مستدركه" بالوقوف على كلام أبي عليّ في نسخة من الحجة مرضِيَّة عنده، بل راجع الموضع من كلامه في نسخ الحجة التي وقف عليها، ومنها نسخة عليه خطُّ أبي علي، ونسخ بعض تلامذته[7].

نعم لقد أفاد الإمام أبو الحسن الباقولي من تراث أبي علي عموماً ومن كتابه "الحجة" على وجه الخصوص. وعِدَّة المسائل المأخوذة عليه في الدُّفعة الأولى 87 مسألة، وأورد عقبها مسائل غلَط فيها أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن، وفاتت أبا علي في إصلاح غلط أبي إسحاق في "الإغفال" ، وهي المسائل 88- 97 على أن المسألتين 94 و 96 مأخوذتان على أبي علي لا على أبي إسحاق. ثم رجع أبو الحسن الجامع إلى الحجة، فأورد مسائل فاتته في الدفعة الأولى، وهي المسائل 98- 22، ثم أورد مسائل غفل فيها ابن جني في الخصائص والمحتسب، وهي المسائل 123-

---

[1] مقدمة تحقيق كشف المشكلات، ص55.

[2] انظر مقدمة تحقيق الاستدراك، ص15.

[3] نفسه.

[4] ذكره بهذا الاسم في: كشف المشكلات، ص565.

[5] المصدر نفسه، ص1037، 1128 وغيرهما.

[6] استدرك جامع العلوم فيه على أبي علي في الحجة، وعلى الزَّجَّاج مما فات أبا عليّ في الإغفال، وعلى أبي عليّ في غير الحجّة وعلى ابن جنيّ في الخصائص والمحتسب، وطبع الكتاب وحقق في جزء واحد يقع في 815 صفحة.

[7] مقدمة الاستدراك على أبي علي في الحجة.

131، ثم رجع إلى أبي علي فأورد مسألتين مأخوذتين عليه، وهما المسألتان 132 و 133؛ أولاهما مما أخذه عليه في الإغفال، والثانية مسألة خالف فيها أبو علي شيخه أبا إسحاق الزجاج، وفاته ذكرها في الإغفال.

وهذه المسائل التي استدرك فيها الجامع على أبي عليّ في مواضع من الحجة متنوعة، يمكن تصنيفها –بإيجاز– في الآتي:

– مواضع أجاز فيها أبو علي وجوهاً من الإعراب والجامع يراها غير جائزة، أو وجوهاً لم يُجزها أبو علي وهي عند الجامع جائزة، أو وجوهاً اختارها أبو علي والمختار عند الجامع غيرها[1].

– ومواضع اضطرب فيها كلام أبي علي في الحجة وغيره من كتبه، فأجاز فيها ما كان قد منعه في غيرها، أو منع فيها ما كان قد أجازه في غيرها[2].

– ومواضع قصَّر أبو علي في ذكر الوجوه النحويّة الجائزة فيه[3]، أو قصَّر في شرحها[4].

شرحها[4].

– ومواضع استشهد فيها أبو علي ببعض الآي على شيءٍ ذكره، ولا يقوم بها الاستشهاد، والشاهد غير ما ذكر من الآي[5].

– وأحياناً ينسب بعض الآراء إلى سيبويه، وليست مذهباً له[6]، أو ينشد أبياتاً على غير وجهها[7]، أو ينسبها إلى غير أصحابها أو لا ينسبها أصلاً[8].

– وأحياناً أخرى يسهو في بعض كلامه[9]، أو يقع فيه غلط[10] أو يتابع ابن مجاهد في السَّبعة على غلطه[11].

---

[1] انظر بعض هذه المسائل في الاستدراك: م1، 10، 11، 18، 35، 38، 50، 63، 82 وغيرها من الدفعة الأولى و 98، 110، 120 وغيرها من الدفعة الثانية.

[2] انظر مثلا المسائل: 2، 96، 97، 118 وغيرها.

[3] انظر: المسألة 15.

[4] انظر: المسألة 4.

[5] انظر مثلا: م 20، 56، 113 وغيرها.

[6] وذلك في: م 3، 6 و60.

[7] وذلك نحو: م 5، 16، 30، 41، 51 وغيرها.

[8] انظر مثلا: م 13، 22، 42، 61 وغيرها.

[9] نحو: م 7، 6، 42، 74، 108 وغيرها.

[10] نحو: م 21، 25، 26.

[11] وذلك في المسألة: 115.

ويدلُّك على مدى استيعاب تراث أبي علي وحسن فهمه له أنه يستدرك عليه من كلامه هو نفسه، كما قال: "فاعلم أنا أخذنا به عليه، وهكذا رُكِّب هذا الكُتيب"[1]، وفي شرح اللمع: "فبك نأخذ عليك"[2].

12- شدته عليه ومؤاخذته:

رأينا آنفا عبارات الشكر والامتنان والحب التي ساقها الباقولي في شخص أبي علي وعلمه، غير أن ذلك الإجلال والإكبار سرعان ما يغيب نجمه ويحلُّ محِلَّه بعضُ الكلمات الشديدة، لما يخوض أبو الحسن في النقد والاستدراك، حتى ليرتاب المرتاب في مدحه ويظنُّ الظانُّ أنه إنما امتدحه لينتقده، من ذلك:

قوله: "وقد نبهناك غير مرة على أن الفارس يسيء النظر في التلاوة"[3].

وقوله: "وقع لفارسهم هنا أيضا سوء التأمّل في التلاوة على ما هو عادته"[4].

وتغليطه: "واستدلال أبي علي... استدلال فاسد ومغالطة منه"[5].

وتغفيله: "انظر أبا علي ما أغفله عن الفصل بين الصلة والموصول"[6].

واستصغاره: "وليس العجب منه، إنما العجب من الكبار الذين سمعوا عليه هذا الكتاب – يقصد الحجة– ولم يسألوا ما مرادك بهذا"[7]، حتى يبلغ به الحدّ أن يقول: "فلا أدري هل ختم برواية حفص على أحد ختمة أم لا"[8] ويذكر أيضا أن "مثل هذا من أبي علي في كتبه إغراب وتنفير للنَّاس للنَّاس من كلامه، وليس هو من الفصاحة، بل هو من خنزوانة[9] الرجل وادعائه على الناس والتكبُّر عليهم، وليس من العلم في شيء، فكأنه يشبه ألغاز الصبيان في المكاتب"[10].

---

[1] الاستدراك، مسألة: 116، ص546.

[2] شرح اللمع، ص497.

[3] الاستدراك، م 99، ص472.

[4] كشف المشكلات، ص995- 996.

[5] الاستدراك، م 94، ص414.

[6] المصدر نفسه، م 50، ص221.

[7] المصدر نفسه، م 38، ص178.

[8] المصدر نفسه، م 105، ص500.

[9] الخنزوة، والخنزوانة والخنزوانية والخنزوان بمعنى الكبر. لسان العرب، 5/ 347.

[10] الاستدراك، م 8، ص42- 43.

وأعتقد أنَّ الإمام الباقولي وإن وُفِّق في كثير من المسائل[1] التي استدركها على أبي علي، فإن ذلك لا يحمله على الخوض فيما خاض؛ لأن تعاطي مثل هذا الكلام الشديد النابي لا يصلح في مثل هذه المحالّ، ولا يليق بجلال العلماء وبقدرهم، وإن في التماس الأعذار لهم أثناء بيان الحق مندوحةً عن اتهامهم والانتقاص من مكانتهم.

ثانيا: الإمام ابن الطراوة[2]

ويمكن أن نضيف إلى جملة النُّقَّاد الذين لم يحظ أبو علي الفارسي عندهم بالكرامة والرِّضى الإمامُ ابنَ الطراوة، أحدَ معاصري ابن الباذش؛ فقد:

- ألف في ذلك رسالة أسماها بـ "الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح"[3]، وقد ردَّ على هذه الرسالة[4] ابن الصائغ[5].

- كما نلقاه يحمل على كتب أبي علي وتلميذه ابن جني، قائلا: "وغبِنَ رأيَه من عدل عن التواليف المسندة، والقوانين المقيدة، كالجمل والكافي، وكتاب سيويه الشافي، وفرغ للإيضاح، والشيرازيات، والخصائص والحلبيات، ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم، إلا تشدُّقاً بالكتب، وإحالة على الصحف، وإن هذا لهو الخسران المبين"[6].

---

[1] وتجدر الإشارة هنا أنَّ محقق كتاب الاستدراك: الباحث محمد أحمد الدَّالي، تابعه على كثير من ملاحظاته واستدراكاته على الإمام الإمام الفارسي، وأوهنها، وبيَّن غفلته في ذلك وصوَّب آراء أبي علي.

[2] هو: سليمان بن محمد ين عبد الله النحوي المالقي، أبو الحسين بن الطراوة. أخذ النحو عن أبي الحجاج الأعلم، وأبي بكر الشرشائي الأديب وأبي مروان بن سراج. كان أعلم أهل عصره بالأدب والعربية، له مصنفات منها: الإفصاح على الإيضاح والترشيح والمقدمات على كتاب سيبويه. وتلمذ له السهيلي وابن سمحون القرطبي. توفي بمالقة سنة 528هـ. الإنباه، 2/ 228، البلغة، 1/ 108 و نفح الطيب، 4/ 332.

[3] كشف الظنون، 1/ 212.

[4] المصدر نفسه.

[5] هو: علي بن محمد الكناني المعروف بابن الصائغ، توفي سنة 680هـ. كشف الظنون، 1/ 212.

[6] مقدمة إيضاح شواهد الإيضاح للقيسي، ص15.

المطلب الأول: مسلك الفارسي في إيراد مصطلحات التجويد والقراءات

عُني الإمام أبو عليّ رحمه الله في كتابه "الحجة" بذكر القراءات وكان أشدَّ عنايةً بتوجيه أحرف الخلاف، وهذا لم يمنعه أن يدلف إلى مصطلحات علم التجويد والقراءات، وكذا الوقف والابتداء ليورد منها جملةً من المصطلحات الشَّائعة عند أهل الأداء عموماً، وجملة أخرى غير متداولة كثيراً؛ وذلك كما يأتي:

الفرع الأول: أهم مصطلحات علمي التجويد والقراءات المتداولة

وأعني بها تلك المصطلحات المتداولة والمشتهرة بين أهل الفنِّ والأداء التي استخدمها في كتابه، وممّا ذكر:

1- مصطلحات مخارج الحروف وصفاتها وما تعلّق بها[1]:

الحلق – الخياشيم – اللسان – الفم – الإطباق – الاستطالة – الاستعلاء – التفخيم – الهمس– الجهر – اللين– التفشي – الصفير – الرخاوة – التكرير والتكرر.

2- مصطلحات النون الساكنة والتنوين[2]:

التنوين – النون الساكنة – الإظهار والبيان– الإخفاء – الإدغام – الغنة.

3- مصطلحات المدّ:

المدّ – الإشباع – البدل – اللين – القصر.

4- مصطلحات الوقف وتوابعه[3]:

السكت – الوصل – الوقف – الوقيفة – الإشمام – الرَّوْم – القطع – الوقف بالنقل – الوقف بالبدل – الإشارة – الصلة – الإسكان – الإدراج والدَّرج – الابتداء.

5- مصطلحات الحركة[4]

اختلاس الحركة – تخفيف الحركة – التثقيل – الشدّ – إشمام الحركة – إشباع الحركة – حذف الحركة – الضم – الرّفعة – الكسر – الإسكان – الفتح – الكسر – الضم – إشمام الفتح – إشمام الضمة – الحركة المشبعة الممطلة.

6- مصطلحات الهمزة وما يلحقها[5]:

الهمز – التحقيق – الإلقاء – نبر الهمزة – نقل حركة الهمزة – إسقاط الهمز – حذف الهمزة – قلب الهمزة – انقلاب الحركة – الإبدال – ذوق الهمز– بين الهمزة والألف.

7- مصطلحات الفتح والإمالة[6]:

الفتح – الإمالة – بين الفتح والإمالة – بين الكسر والفتح – إمالة غير إفراط – إشباع إمالة – إضجاع– إجناح – بطح– انتحاء.

8- مصطلحات طرق التلاوة والتجويد[1]:

---

[1] هذه المصطلحات مبثوثة في تضاعيف الكتاب. انظر من ذلك: 1/ 145، 246، 298، 2/ 99، 3/ 07، 3/ 313، 4/ 104 وغيرها.

[2] انظر من ذلك: 1/ 145، 2/ 433، 3/ 304، 313 وغيرها.

[3] انظر من ذلك: 1/ 186، 2/ 432، 433، 3/ 73، 304، 4/ 79، 104 وغيرها.

[4] من ذلك: 1/ 145، 299، 302، 2/ 364، 433، 3/ 73، 306 وغيرها.

[5] المصدر السابق، 1/ 186، 2/ 85، 160، 3/ 308 وغيرها.

[6] المصدر نفسه، 1/ 246، 3/ 304، 4/ 104 وغيرها.

التلاوة – الإدراج – الدرج – التحقيق.

الفرع الثاني: أهم مصطلحات علمي التجويد والقراءات قليلة التداول

وأعني بذلك بعض مصطلحات التجويد والقراءات التي يقلّ تداولها بين المصنّفين؛ أي أنها ليست في درجة الاستعمال والتَّداول نفسِها إذا ما قارنَّاها بالمصطلحات الأولى، أوقد يكون تسمية بعضها خاصّاً ببعض المصنِّفين دون سواهم، ومن ذلك ما ذكره أبو علي في كتابه:

أولا: مصطلح الوقيفة

استخدم الإمام أبو علي رحمه الله مصطلح "الوقيفة" في مواضع قليلة من كتابه، من ذلك قوله في معرض شرح قول ابن مجاهد في ترجمة سكت حمزة على الساكن قبل الهمزة:

"كان حمزة يسكت على الياء من شيْء قبل الهمزة سكتة خفيفة، ثم يهمز فيقول: شيء قدير، وكذلك يسكت على اللام من ﭽ ﭿ ﭾ ﭽ [البقرة: ٩٤] و ﭽ ﮁ ﮂ ﭽ [البقرة: ٢٢] و ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﭽ [البقرة: ٣١] وما أشبه ذلك وغيره من هؤلاء الفرَّاء يصل الياء من شيء بالهمز واللام من الأرض وأخواتها بالهمز بلا سكتة"[2]. فعلَّق على كلام ابن مجاهد موضِّحاً:

"قال أبو علي: الحجة لحمزة في ذلك أنه أراد بهذه الوُقَيْفة التي وقفها تحقيق الهمزة وتبيينها، فجعل الهمزة بهذه الوقيفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز فيها معها إلا التحقيق، لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة معارضة للمبتدأ بها، والمبتدأُ بها لا يجوز تخفيفها، ألا ترى أن أهل التخفيف لا يخفِّفونها مبتدأة، فكذلك هذه الوقيفة آذنت بتخفيفها لموافقتها بها صورة ما لا يخفَّف من الهمزات"[3].

يلاحَظُ كيف عدل الإمام عن مصطلح "السكتة" وهو المشهور، واختار لنفسه مصطلح "الوقيفة" والتزم به في جميع المواضع التي ورد فيها الكلام عن السكت. بل نجده في بعض المواضع يترجم للسكت بقوله: "يقف ثم يبتدئ"؛ من ذلك تحريره الخلف في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭽ [القيامة: ٢٧]: "حفص وقنبل: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭽ يقف على (من) ويبتدئ: ﭽ ﭓ ﭔ ﭽ ولم يقطعها غيره، وكأنه في ذلك يصل"[4].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 186، 2/ 160، 432، 3/ 99.

[2] المصدر نفسه، 1/ 241- 242. السبعة، ابن مجاهد، ص148.

[3] المصدر السابق، 1/ 242.

[4] المصدر نفسه، 4/ 79 وانظر مثله: 4/ 104.

ومصطلح "الوقيفة" ونحوُه[1] مشهور عند علماء القراءات؛ من ذلك ما نجده عند الإمام أبي عبد الله ابن شريح الرعيني الأندلسي—صاحب الكافي في القراءات السبع- لما عبَّر بقوله: "كان حمزة يقف على ياء ﭽ ﭾ ﭽ [البقرة: ٢٠ وغيرها] وعلى لام التعريف إذا كانت بعدها همزة، نحو: ﭽ ﮥ ﭽ [البقرة: ٢٢ وغيرها] و ﭽ ﭑ ﭽ [البقرة: ٩٤ وغيرها] **وقيفة** ثم يصل"[2].

والمراد بباب وقف حمزة على الساكن الذي بعده همزة: السَّكت على الساكن الذي بعده همزة، وهذه الوقفة اليسيرة أو الخفيفة لم يشتهر استعمالها بين علماء الفنِّ، وإنما شاع بينهم استعمال مصطلح "السكت". وهذا ما نجده-مثلا-:

عند ابن الباذش في "باب سكت حمزة"؛ يقول —مبيِّنا-: "كان حمزة **يسكت** على ما ينقل ورش فيه الحركة، وذلك كل ساكن بعده همزة من كلمة أخرى، وليس بحرف مد، **سكتة خفيفة** من غير قطْع لنَفَسه...وكذلك لام التعريف نحو (الأَرْض، والآخرة) لأن ذلك في حكم ما كان من كلمتين..."[3].

وهو المراد بكلٍّ من: "وقفة خفيفة، وقفة يسيرة، وقيفة..."، وهذا التَّعبير مستعملٌ عند عدد من العلماء ك: ابن غلبون وابن بلّيمة وغيرهما.

وأولى منه التعبير بالسكت لوضوحه، وعدم اللَّبس فيه، وهو ما عليه عامَّة أهل الفنِّ[4].

ثانيا: مصطلح ذوق الهمز

مصطلح "ذوق الهمز" من المصطلحات التي يقلُّ تداولها عند المصنفين في علم القراءات، ولم أقف —في حدود اطِّلاعي- على غير ابن مجاهد الذي استخدمه، ونقله عنه أبو عليّ في معرض تحرير الخلف في أرأيتكم، قائلا: "وقرأ نافع (أَرَايْتُمْ)، و(أَرَايْتَكُمْ) و (أَرَايْتَ) بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز"[5].

---

[1] مثل: الوقفة اليسيرة، الوقفة الخفيفة، يقف ثم يبتدئ، سكتة خفيفة وغيرها من التعبيرات التي يستخدمها أهل الأداء.

[2] الكافي في القراءات السبع، أبو عبد الله محمد بن شريح، الرعيني الإشبيلي الأندلسي، تحقيق: سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني، أم القرى، 1419، سنة: 1419هـ، 287/1.

[3] الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري، ابن الباذش، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، القاهرة، د.ت.ط، ص237.

[4] وهو ما عليه أيضا: الداني في التيسير، ص62، وابن الجزري في كل من: النشر، 325/1، وتقريب النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، ت: إبراهيم عَطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 1425هـ- 2004م، ص115. غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار، ت: أشرف محمد فؤاد طلعت، جدة، ط1، سنة: 1414هـ، 264/1.

[5] السبعة في القراءات، ص257 والحجة، 2/ 160.

وبعد أن أورده عنه أبو عليّ راح يشرحه بأسلوبه، قائلاً:

"قرأ نافع بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بيْن بين، وقياسها إذا خُفِّفت أن تُجعل بيْن بين، أي بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق"[1].

وذوق الهمزة كما هو واضح يعني بها تسهيلها بيْن بين.

ويعبر أبو علي أحيانا عن هذا التخفيف أو التسهيل باللين وبيْن وبين، وكلها تفيد ذات المعنى؛ فيقول في معرض الاحتجاج لبعض الحروف:

"قال أبو علي: أبو عمرو يريد **چأَينَّكُمْ چ**[2] ثم يلين الهمزة الأخيرة فتصير بيْن بين"[3].

على أن القدامى من النحاة وحتى القراء[4] يستخدمون عادة مصطلح التخفيف بدل التسهيل أو ذوق الهمز. يقول سيبويه: "اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل. فالتحقيق قولك: قرأْت، ورأْسٌ، وسأَل، ولؤُمَ، وبئْس وأشباه ذلك. وأما التخفيف فتصير الهمزةُ فيه بين بيْن وتُبدَل وتحذف"[5].

يقول السِّيرافي في شرحه لقول سيبويه: "ومعنى قولنا بين بيْن في هذا الموضع وفي كلِّ موضعٍ يرد بعده من الهمز أن تجعلها من مخرج الهمزة ومخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة. فإذا كانت مفتوحة جعلناها متوسِّطةً في إخراجها بين الهمزة والألف؛ لأنَّ الفتحة من الألف، وذلك قولك (سال) إذا خففنا (سأل)، وقرا يا فتى إذا خففنا (قرأ). وإذا كانت مضمومة فجعلناها بين بيْن أخرجناها متوسطة بين الهمزة والواو، كقولنا: (لوم) تخفيف (لؤم). وإذا كانت مكسورة جعلناها بين الياء والهمزة"[6].

ويقول سيبويه في موضع آخر: "ومنهم –أي من العرب– من يحقق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك: (**فَقَدْ جَآءَ اشْرَاطُهَا**)، و(**يَا زَكَرِيَّآءُ اِنَّا**)"[7].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] سورة النمل، الآية: 55.

[3] المصدر السابق، 3/ 242.

[4] انظر مثلا: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، 1/ 77.

[5] كتاب سيبويه، 3/ 541.

[6] كتاب سيبويه، 3/ 541، تهميش رقم: 03.

[7] المصدر نفسه، 3/ 549.

المطلب الثاني: مسلك الفارسي في التعريف بالمصطلحات

لم يول الإمام أبو عليّ رحمه الله عناية بتعريف المصطلحات الخاصَّة بعلمي التجويد والقراءات، بالرُّغم من طول نفسه في الكتاب وسبره الأغوار، ويبدو أنَّ الإمام منشغل بما هو فيه من الإغراق والتَّفصيل في تتبُّع المسائل اللُّغوية التي تتَّجه عليها القراءات القرآنية المختلفة والمعاني التي تترتَّب عليها، فجاء كتابه كما ترى خِلواً عن هذه التعريفات إلا ما جاء عرضاً.

وفيما يأتي بيان وتفصيل للقسمين:

أولا: المصطلحات التي ذكر تعريفها

لم يخلُ كتابُ "الحجة في القراءات السبع" من تعريفٍ لجملة من مصطلحات التجويد

والقراءات، غير أن ميزتها الاختصار وعدم الإطناب.

ثم إنَّ أغلب هذه التَّعريفات لم تكن مقصودة ومباشرة، وإنما عرَّج عنها الإمام في ثنايا الحديث وجاء الحديث عنها عرضاً، وبيان ذلك في الآتي:

1- المصطلحات التي ذكر لها تعريفا مباشراً:

يبدو من خلال استقرائي لمصطلحات الأداء والتجويد التي عرَّف بها أبو علي —وهي قليلة– أنَّ الإشمام هو المصطلح الوحيد الذي تقصَّد إلى تعريفه وبيانه قصْداً؛ فيذكر في بعض ثنايا "الحجة" أنَّ:

"الإشمامَ عند النَّحويِّين ليس بصوت فيفصِلَ بين المدغَم والمدغَم فيه، وإنما هو تهيئة العضو لإخراج الصوت الذي هو الضَّم ليدلَّ عليه، وليس بخارج إلى اللفظ"[1]. ثم ينبِّه إلى قضية في غاية الأهميَّة قائلاً: "ولعلَّ أبا بكر ظنَّ أنَّ القرَّاء ليس يَعنون بالإشمام ما يعني به النحويُّون في أنه تهيئة العضو للصَّوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللَّفظ". ثم يبيِّن: "والإشمام إنما يكون عند النحويِّين في الضَّمّ؛ فأمَّا الكسر فلا إشمام فيه؛ وذلك أنَّ الإشمام إنما هو تحريك الشَّفتين يراه البصير دون الأعمى، فيستدلُّ لذلك على إرادة الفاعل لذلك الضمِّ، وليس هذا في الكسر؛ لأنه لا فائدة لبصير ولا لأعمى من حيث لا يظهر للرَّائي"[2].

---

[1] المصدر السابق، 1/ 145.

[2] المصدر نفسه، 1/ 146.

وبعد أن عرَّف به جعل في كلِّ مرة يتعرَّض فيها إلى محالِّه يعرِّفه ويزيد في توضيحه؛ من ذلك ما ذكره في بعض المواضع في سياق الحديث عن الخلف في ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً: "فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في ﭽﯡﭼ وليس ذلك بصوت خارج إلى اللفظ، إنما تهيئة العضو لإخراج ذلك الصوت به، ليُعلم بالتهيئة أنه يريد ذلك المتهيَّأ له..."[1].

وفي آخر قائلاً: "وروى خلف بن هشام وأبو هشام الرفاعي عن سُليم بن عيسى الحنفي[2] عن حمزة أنه كان يشمّ الراء الأولى من قوله: ذاتِ قرارٍ، والأشرارِ، وما كان مثل ذلك الكسر من غير إشباع"[3].

وفي محلٍّ آخر يسميه بتسمية جديدة؛ وهي الإشارة[4]: "...فهذا وجه الإدغام، والإشارة بالضم إلى الحرف المدغم"[5].

2- المصطلحات التي ذكر تعريفها عرضاً:

جاءت بقية التعريفات المذكورة في "الحجة" عرضاً وفي سياقات مختلفة، غير مقصودة ولا مباشرة، وهي:

خ- **الاختلاس**: ذكر الإمام أبو علي مصطلح الاختلاس في معرض ذكر الخلف في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ [آل عمران: ٨٠]، وذلك بعد تفصيل طويل في جوانب مختلفة لمسألة إشباع الحركات وتخفيفها، ثم يقول:

"وهذا الاختلاس والتَّخفيف إنما يكون في الضَّمَّة والكسرة، فأمَّا الفتحة فليس فيها إلا الإشباع ولم تُخفَّف الفتحة بالاختلاس، كما لم تخفَّف بالحذف في نحو: جمَلٍ، وجَبَلٍ... وهذا

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 432.

[2] هو: سليم بن عيسى الحنفي بالولاء، الكوفي، إمام في القراءة. كان أخص أصحاب حمزة وأضبطهم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة. الأعلام، 3/ 119، وغاية النهاية، 1/ 288.

[3] الحجة، 2/ 59.

[4] يدلُّ مصطلح الإشارة على هيئة الوقف للإمالة على أواخر الكلم بالإيماء إليه وتضعيف الصوت به. انظر: جامع البيان في القراءات السبع: 483/1. أي أن الإشارة تكون بالروم أو الإشمام. ومصطلح الإشارة استخدمه بهذا المعنى كثير من أئمة فن التجويد، منهم الإمام الداني في "جامع البيان" في عدّة مواضع، منها: في باب ذكر مذاهبهم في الوقف على الممال في الوصل، وذكر مصطلح الإشارة إلى الكسر. المصدر نفسه. كما استخدمه بالمعنى نفسه ابن الباذش في عدة مواضع أيضا، منها قوله: "والروم والإشمام ممتنعان في الحرف المبدل من الهمزة المسكونة، وذكر أنه لا تجوز الإشارة إلى ألف [ذرأ]، الإقناع، ص200.

[5] الحجة، 2/ 433.

الاختلاس وإن كان الصَّوت فيه أضعفَ من التَّمطيط وأخفى، فإن الحرف المختلَس حركتُه بزنة المتحرِّك"[1]. ثم يوضِّح أنَّ الاختلاس في مقابل الإسكان وليس إسكاناً، فيقول:

"فمن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو ﴿ڳ ڳ ڳ﴾ [البقرة: ٥٤]- فلعلَّه سمعه يختلسُ فحسبه لضَعف الصوت به والخفاء إسكاناً"[2].

وفي بعض المواضع لم نجده يصرح بمصطلح الاختلاس، إنما ذكر بدله مصطلح الإخفاء، غير أن السِّياق الذي جاء به يفيد أنه يريده؛ إذ يذكر بعد إغراق طويل في الحديث عن الخلف في حرف ﴿ۓ﴾ [التوبة: ١٢] والاستشهاد له قائلاً:

"... أو يعني به إخفاء الحركة، ولم يجز واحد من الوجهين الأولين؛ ثبت إنه إخفاء الحركة، والإخفاء تضعيف الصوت بالحركة، فهو يضارع السكون من جهة الإخفاء، وإن كان المخفِيُّ في وزن المتحرك"[3].

د- **الرَّوْم**: أشار الإمام إلى الرَّوْم في معرض الفرق بينه وبين الإشمام، أثناء تعرضه للخلف في ﴿ۇ﴾ [يوسف: ١١]، قائلاً:

"ولو رام الحركة فيها لم يجز مع الإدغام، كما جاز الإشمام مع الإدغام لأن روم الحركة حركة، وإن كان الصوت قد أضعف بها، ألا ترى أنهم قالوا: إن روم الحركة يُفضل به بين المذكر والمؤنث، نحو: رأيتُكِ ورأيتُك"[4].

وذكر بعد ذلك وجه الرَّوْم في قراءة ﴿ۇ﴾، وعبر عنه بالإخفاء والاختلاس واعتبره وجهاً آخر سائغاً في العربيَّة، قائلاً:

"وقد يجوز في ذلك وجه آخر في العربيَّة؛ وهو أن تُبيِّن ولا تدغم، ولكنك تخفي الحركة، وإخفاؤها هو أن لا تشبعه بالتَّمطيط، ولكنك تختلسها اختلاساً"[5].

فالرَّوْم إذن غير الإشمام؛ وهو صوت ضعيف تذهب فيه معظم الحركة، أو على حدِّ تعبير الإمام: "ولو كان مكان الإشمام روم الحركة لامتنع الروم مع الإدغام؛ لأنه صوت يحجز"[6].

---

[1] المصدر السابق، 1/ 303.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 2/ 314- 315.

[4] المصدر نفسه، 2/ 432.

[5] المصدر السابق، 2/ 433.

[6] المصدر نفسه، 1/ 145.

ذ- **تسهيل الهمز**: تعرض أبو علي لتعريف التسهيل –التخفيف- ضمناً، ولم يقصد إليه قصداً، وذلك أثناء شرحه لمصطلح "ذوق الهمز" الذي ذكره أبو بكر بن مجاهد رحمه الله في "سبعته"[1] في معرض الحديث عن الخلف في چ ٹچ [الأنعام:٤٠]، و چچچ [الأنعام:٤٦] ونحوها؛ فيسوق قوله ثمَّ يوضِّحه:

"وقرأ نافع (أَرَايْتُم، وأَرَايْتَكُم، وأَرَايْتَ) بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز".

"وقوله: قرأ نافع بألف في كلّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بيْن بين أي بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق"[2].

ر- الإمالة: جاء ذكر الإمالة في عدّة مواضع من كتاب "الحجة" لم يصرِّح فيها بتعريف مباشر لها أو يبين أيَّ الإمالتين يقصد الصغرى أم الكبرى، غير أنه يُفهَم من حديثه عنها أنه في كلِّ مرة يذكرها مطلقة غير مقيدة انصرفت إلى الإمالة الكبرى[3]؛ وهذا الذي درج عليه القدامى.

والملفت للانتباه أنَّ أبا علي يطلق على الإمالة اصطلاحات مختلفة؛ فيسمِّيها أحياناً "الكسر"؛ وذلك في قوله: "وقرأ حمزة والكسائي: چ گ چ [هود: ٤١] بفتح الميم وكسر الرَّاء، وكذلك حفص عن عاصم: (مجَرْيِها) بفتح الميم، وكسر الراء من غير إضافة. قال: وليس يكسر في القرآن غير هذا الحرف، يعني الرَّاءَ في مجرِاها"[4].

وأحياناً يردفها في الموضع الواحد بعدة اصطلاحات كلُّها تصبُّ في ذات المعنى، ك "الإجناح، والإضجاع، والإمالة الشَّديدة" وغيرها؛ كما في قوله: "وقول أحمد في حكايته عن نافع: لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة، يريد به –إن شاء الله- لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة فتميل الألف نحو الياء كثيراً، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخف لذلك إجناح الألف وإضجاعها"[5].

ز- **التقليل**: لم يعرف أبو علي مصطلح التقليل ولم يذكره بهذا اللفظ، بل اكتفى بالتعبير عنه –عرضاً- هو الآخر بعدَّة إطلاقات؛ فهو:

---

[1] السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص257.

[2] المصدر نفسه، 2/ 160.

[3] المصدر نفسه، 1/ 246- 249.

[4] المصدر السابق، 2/ 393.

[5] المصدر نفسه، 1/ 246.

"بين الفتح والكسر"؛ كما في قوله: "قال أحمد بن موسى: كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعده راء مكسورة، مثل من **النار** و من **قرار** و **الأبرار** و **الأشرار** و دار **البوار** و **الأبصار** و **بقنطار** و **بدينار** و **ديارهم** و على **آثارهم** بل كان في ذلك كلِّه بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب"[1].

أو يصفه بأنه "بين الكسر والتفخيم"؛ وذلك صريح في أثناء تعرضه للخلف في قوله تعالى: **چ گچ** [هود: ٤١]، قال: " وكان نافع وعاصم في رواية أبي بكر يقرآنها بين الكسر[2] والتفخيم[3]"[4].

وأحيانا يسميه "بين الإمالة والتفخيم"؛ كما في قوله: " وكان أبو عمرو لا يميل من ذلك إلا ما كان في رؤوس الآي إذا كانت السورة أواخر آياتها الياء، مثل: **أمات** و**أحيَا** فإنه كان يلفظ بهذه الحروف في هذه المواضع بين الإمالة والتفخيم"[5].

أو يصطلح عنه بـ "الإنحاء نحو الياء"؛ يقول في هذا الصدد: "فكما غُيِّر موضع الوقف بهذا النحو من التغيير، كذلك غُيِّرت الألف بأن نُحِيَ بها نحو الياء..."[6].

ووجدناه مرّةً عبَّر عنه بـ "إشمام الإضجاع"؛ وذلك في معرض حديثه عن خلف بعض الحروف، قال في ذلك: "وأمال الرَّاء أبو عمرو وابن عامر والكسائي من (**الأشرار**)، وقرأ نافع بإشمام الراء الأولى: الإضجاع، وكذلك حمزة يشمُّ، وفتحها ابن كثير وعاصم"[7].

س- **الإدغام**: أشار أبو عليّ إلى تعريف الإدغام في معرض الاحتجاج لقراءة المضارعة أو الإشمام بين الصاد والزاي في قوله تعال: **چٹ ٹ ٹچ** [الفاتحة: ٦]، فقد نقل بعض الحجج التي توهن من هذه القراءة، ومنها أنَّ المضارعة تشبه الإدغام في "أنَّه تقريب الحرف الأوَّل من الثَّاني"[8].

والنَّص واضح في أنَّ هذا التَّشبيه ليس تعريفاً في الحقيقة للإدغام، وإنما هو بيان لوظيفة الإدغام وكذا المضارعة النَّاتجة عن تقريب الحرفين وتناسب أحدهما إلى الأخر.

3- مقارنة تعريفات أبي علي بتعريفات غيره من الأئمة:

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 246.

[2] تسمي العرب الإمالة كسراً. انظر: شرح المفصّل في النحو والصرف، موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 154، النشر في القراءات العشر، 2/ 24.

[3] وتسمي الفتح تفخيماً، وربما قيل له النَّصب. المصدران نفسهما.

[4] الحجة، 2/ 393.

[5] المصدر نفسه، 1/ 249.

[6] المصدر السابق، 1/ 249.

[7] المصدر نفسه، 3/ 335.

[8] المصدر نفسه، 1/ 57.

وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين بعض التعريفات التي ذكرها الإمام أبو علي رحمه الله –مع قلَّتها– بتعريفات غيره من الأئمة نجدها متطابقة في الغالب، وحتى وإن لم تتطابق في المبنى فهي متطابقة في المعنى.

ب– مقارنة تعريفه للرَّوْم والإشمام بتعريفات غيره:

- **تعريفات بعض اللغويين**: من هؤلاء:

– **تعريف سيبويه**:

وصف الإمام سيبويه **الإشمام** قائلا: "وأمَّا الإشمام ، فليس إليه سبيل، وإنما كان في الرَّفع لأن الضمَّة من الواو، فأنت تقدِّر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئتَ ثمَّ تضمَّ شفتيك؛ لأن ضمَّك شفتيك كتحريكك بعضَ جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذُن"[1].

وجاء عنه في **الرَّوْم** قوله: "وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرصُ على أن يُخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كلِّ حال، وأن يُعلِموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكَن على كلِّ حال. وذلك أراد الذين أشمُّوا؛ إلا أن هؤلاء أشدُّ توكيداً"[2]. قال الجوهري: "روْم الحركة الذي الذي ذكره سيبويه حركة مختلسة مختفاة لضرب من التَّخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنها تُسمع، وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسة، مثل همزة بيْن بين"[3].

وقريب من معنى الرَّوْم مصطلح الاختلاس؛ فقد تعرَّض إليه سيبويه عرضاً في باب (الإشباع في الجرّ والرفع) قائلا: "فأمَّا الذين يُشبعون فيمطِّطون، وعلامته واو وياءٌ، وهذا تُحكِمه لك المشافهة... وأمَّا الذين لا يُشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربُها ومن مأمنِك، يُسرعون اللَّفظ. ومن ثَمَّ قال أبو عمرو: **إلى بارِئِكم**[4]..."[5].

– تعريف ابن جني:

"والرَّوْم على جهة التَّقريب – أي تقريب الحركة – "هي كالإهابة بالساكن نحو الحركة، وهو لذلك ضرب من المضارعة، وأخفى منها الإشمام؛ لأنَّه للعين لا للأذن"[6].

---

[1] الكتاب سيبويه، 4/ 171.

[2] الكتاب، 4/ 168.

[3] لسان العرب، مادة (روم)، 12/ 258.

[4] الآية: 45، من سورة البقرة.

[5] الكتاب، سيويه، 4/ 202.

[6] المصدر نفسه، 145/2.

ومن المعلوم عند علماء القراءات –كما سيأتي– أن الرَّوم هو اختلاس الحركة أي عدم نطقها كاملة واضحة وهو للأذن، وأمَّا الإشمام فهو للعين في الضم خاصة: تضم الشَّفتين كأنَّك تنطق ضمَّة ولكن من دون إحداث صوت الضمَّة.

وقد نبَّه ابن جني إلى مواضع التَّقريب الذي يجري مجرى الإدغام: "مما قرب فيه الصوت من الصوت"، ولكنه ليس إدغاماً تامّاً، واستخدم له مصطلح (التقريب).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن جنيّ قد ذكر مصطلحي الإشمام والرَّوْم في باب (الساكن والمتحرك) الذي أورد فيه بعض المصطلحات الصَّوتية، ولكنه لم يعرف –كغيره– هذه المصطلحات تعريفاً شافياً، بل كان يذكرها ويبين ما يحدث فيها من تقريب في الأصوات – أصوات الحروف أو الحركات – كما في قوله في بيان الفرق بين الإشمام والروم: "فأمَّا الإشمام فإنَّه للعين دون الأذن، لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً، ألا تراك تفصل به بين المذكَّر والمؤنَّث في قولك في الوقف أنتَ وأنتِ، فلولا أن هناك صوتاً لما وجدت فصلاً"[1].

- **تعريف بعض أهل الأداء**: أذكر منهم:

– تعريف الدَّانيِّ:

يقول أبو عمرو –رحمه الله– : "فأمَّا حقيقة الرَّوم فهو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها، فتسمع لها صوتا خفيّاً يدركه الأعمى بحاسَّة سمعه. وأمَّا حقيقة الإشمام فهو ضمُّك شفتيك بعد سكون الحرف أصلاً، ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى لأنه لرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالعضو إلى الحركة"[4].

– تعريف الرُّعينيّ:

يقول أبو عبد الله: "والرَّوْم إضعاف الصَّوت بالحركة حتى يذهب أكثرها، وهو يكون في المرفوع والمخفوض. والإشمام ضمُّ الشَّفتين من غير صوت يسمع، وهو يكون في المرفوع خاصَّةً"[2].

– تعريف مكيّ بن أبي طالب القيسي:

---

[1] الخصائص، 328/2.وانظر في تعريف الإشمام: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1405هـ، ص44، وفي تعريف الرَّوم، ص151.

[4]– التيسير، ص59.

[2] الكافي في القراءات السبع، ص 283.

يقول أبو محمد –رحمه الله–: "فالرَّوْم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسمعها الأعمى. والإشمام إتيانك بضمِّ شفتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسّه، لأنه لرَأي العين"[1].

– تعريف الإمام الشاطبيّ:

وفي الرَّوم والإشمام قال القاسم –رحمه الله–:

وروملك إسماع المحرك واقف بصوت خفي كل دان تنوَّلا

والإشمام إطباق الشفاه بعيدما يسكن لا صوت هناك فيصْحلا[2]

وواضح من كلِّ ما سبق مطابقة هذه التعاريف لتعاريف أبي عليّ –رحمه الله–، أو دورانها – على الأقلّ– في فلَك واحدٍ.

ب– مقارنة تعريفه للإمالة بتعريفات غيره:

- **تعريف أهل اللغة**: ومنهم:

– **ابن جني:**

حيث يقول في تعريفها: "الإمالة التي وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، نحو كلمة: (عالم) التي قرُبتْ فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأمَلْت الألف إلى الياء"[3].

- **تعريف بعض أهل القراءات**: من هؤلاء:

– **تعريف ابن غلبون:**

ذكر أبو الحسن طاهر بن غلبون الإمالة في معرض الحديث عن "مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمزة"، وتعرّض إلى بيان معناها، فقال: "يعني أنه كان إذا وقف على هذه الهمزة –أي حمزة– خفّف همزتها، لأنها متوسطة، وهي ممالة قد نُحِي بحركتها نحو الكسرة، فلذلك يجعلها بين الهمزة والياء الساكنة[4].

– ابن الجزري:

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م، 122/1.

[2] متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيّرة الرعيني الشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، ط4، 1425هـ- 2004م، ص30.

[3] الخصائص، 2/ 141.

[4] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 220/1.

يعرِّف محقِّق الفنّ ابن الجزري الإمالة ويفصِّل فيها كما يأتي: "والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له الكسر أيضاً (وقليلاً) وهو بين اللفظين ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين؛ فخي بهذا الاعتبار تنقسم أيضاً إلى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسطة وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب"[1].

ويتضح مما سبق أن تعريف المصطلحات التي ذكرها أبو علي لا تختلف عن تعريفات غيره من أهل اللغة والأداء.

ثانيا: المصطلحات التي لم يعرف بها

سبق وأن أشرت إلى أن "كتاب الحجَّة" جاء مركِّزاً على موضوع توجيه القراءات والاحتجاج لها؛ لذلك لم يُعنَ فيه الإمام أبو عليّ –رحمه الله– كثيراً بتعريف مصطلحات علمي التجويد والقراءات، وأورد أكثر المصطلحات دون تعريف.

1- الدَّرج والإدراج:

استخدم الإمام أبو علي في الحجة هذين المصطلحين في أكثر من موضع، دون أن يعرِّفهما أو يشير إلى ذلك.

ومن أمثلة استخدامه لمصطلح الدَّرْج قوله:

"وما رُوي عن أبي عمرو من قوله: (ءأنذرتهم)[2] إنما هو عند الاستئناف دون الدَّرْج. ولو أدرج القراءة فقال: (سَوَآءٌ عَلَيْهِم أأنذَرْتَهُم) لوجب في قياس قول أبي عمرو الذي حكاه عنه سيبويه أن يحذف الهمزة الأولى..."[3].

ومن الأمثلة التي استخدم فيها مصطلح الإدراج قوله:

"قال أبو علي: اعلم أنَّ أبا زيد قوله في ذلك خلاف ما ذهب إليه سيبويه، وذلك أنه قال: قال أبو أدهم الكلابي" لَه (ربّي لا أقول) فتَح اللام وكسر الهاء في الإدراج، قال أبو زيد: ومعناه: والله ربي لا أقول"[1].

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 2/ 24.

[2] سورة البقرة، الآية: 06.

[3] الحجة، 1/ 186. وانظر مثله: 1/ 468،

وفي موضع آخر يحتج فيه للحرف ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قال: "...وجهه: أن الحرف المدغم بمنزلة الحرف الموقوف عليه من حيث جمَعَها السكون، فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في تأمنا..."[2].

ويُفهم من مجموع المواقع التي ورد فيها مصطلحي الدَّرج أو الإدراج أن الإمام يعني بهما ذات المعنى؛ والمراد بهما الوصل في مقابل الوقف؛ يفسِّرُ ذلك –فضلاً عمَّا سبق– قوله في معرض حديثه عن ﭽ ﭾ ﭼ [الكهف: ٣٨]: "فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: لكن هو الله ربي بإسقاط الألف في الوصل وإثباتها في الوقف..."[3].

وهذا الوصل الذي ذكره يفسِّر الإدراج الذي عناه فيما تلاه بعد ذلك من تفصيل؛ قائلا: "... ومثل هذه الألف –يقصد ألف لكنا– في أنها تثبت في الوقف وتسقط في الإدراج، الألف في حَيَّهَلا..."[4].

وإذا تقرَّر هذا المعنى عند أبي عليّ –وهو الظَّاهر– عُلِم أنَّ الإمام تعوزه –في تقديري– نوعٌ من الدِّقّة في هذا الأمر؛ ذلك أنَّ مصطلح الإدراج لا يعني الوصل في علم الأداء، وإن جاز إطلاقه عليه لغة[5]، بل يعني الإسراع في القراءة.

يقول ابن الجزري رحمه الله: "والمقصود بالإدراج هو الإسراع، وهو ضدَّ التَّحقيق، لا كما فهمه من لا فهم له من أنَّ معناه الوصل الذي هو ضدَّ الوقف"[6].

2- الإشباع والتَّمطيط:

ذكر أبو علي كلاًّ من الإشباع والتَّمطيط في مواضع مختلفة من كتابه، يعطف بأحدهما على الآخر في أغلبها، غير أنه لم يقف عند تعريفهما[7].

ومن أمثلة ذلك قوله:

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 421.

[2] المصدر نفسه، 2/ 432، وانظر مثله: 3/ 86، 87، 302.

[3] المصدر نفسه، 3/ 86.

[4] المصدر السابق، 3/ 87.

[5] يقال: استمرّ فلان أدراجه؛ إذا ذهب ومضى فيها.ويقال: وهذا الأَمر مَدْرجَةٌ لهذا أَي مُتَوَصَّلٌ به إليه. لسان العرب، مادة (درج)، 2/ 266- 267.

[6] النشر في القراءات العشر، 2/ 304.

[7] انظر الحجة في المواضع الآتية: 1/ 299، 302، 303، 2/ 433 وغيرها.

"واعلم أنَّ الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمَّة والكسرة منهما ضربين، أحدهما: الإشباع والتَّمطيط، والآخر: الاختلاس والتَّخفيف"[1]. ثم يضيف في ذات السِّياق قائلاً: "وكما لم يُبدلِ الأكثرُ من التنوين ولا الواو في الجر والرفع كما أبدلوا الألف في النصب، وهذا الاختلاس، وإن كان لصوت فيه أضعف من التَّمطيط"[2].

واضح من هذا المثال وغيره –من خلال استقراء جميع هذه المواضع– أنَّ الإمام يطلق المصطلحين على ذات المعنى؛ وهو الإتيان بالحركات كوامل غيرَ منقوصات ولا مختلسات، على حدِّ تعريف الإمام ابن الجزريّ له؛ والذي يقول في ذلك: "فهو –أي الإشباع– عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصِّيغة لمن له ذلك ويستعمل أيضاً، ويراد به الحركات الكوامل غير منقوصات ولا مختلسات"[3].

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن التمطيط ينبغي أن يُقيَّد؛ إذ قد ينصرف أحياناً إلى معنىً يُخلُّ بالقراءة ويخرجها عن حدِّها وفصاحتها، خصوصاً إذا تعلق الأمر بباب المدّ، فغالبا ما يراد به تمكين المدّ تمكينا تامّاً زائداً عن المدّ الطبيعي يتجاوز مقدار الألفين إلى الثلاثة عند ورش وحمزة.

ومن ذلك ما جاء عن الإمام طاهر بن غلبون الذي ذكر هذا المصطلح –التّمطيط– في معرض الحديث عن التَّفاضل في إشباع المدّ –عند ورش خاصة–، والذي اعتبره من الإسراف الذي يخرج القراءة عن حدّها وفصاحتها وسهولتها؛ فيقول: "وهذا الإشباع في المدّ الذي عرّفتك أنهم يتفاضلون فيه، إنما هو على التّقريب من غير تمطيط ولا إسراف. كما روي عن حمزة: أن رجلاً قرأ عليه فجعل يمدّ، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أنَّ ما كان فوق الجعودة[4]، فهو قطط[5] وما كان كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة. وكما روي عن نافع أنه قال: قراءتنا

---

[1] الحجة، 1/ 302.

[2] المصدر نفسه، 1/ 303.

[3] التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ- 1985م، ص 55.

[4] الجعد من الشعر: خلاف السبط، وقيل هو القصير؛ ,ويقال: رجل جعد؛ إذا كان قصيراً متردّد الخلق، كما يقال أيضا: رجل جعد؛ إذا كان بخيلاً لئيماً لا يَبِضُّ حَجَره. لسان العرب، 3/121-122.

[5] يقال: رجل قَطَطٌ وشعر قَطَطٌ وامرأَة قَطَطٌ، والجمع قَطَطُونَ و قَطَطاتٌ، وشعر قَطٌّ وقطَطٌ: جَعْد قصير،و القَطَطُ: الشديدُ الجعُودةِ، وقيل: الحسَنُ الجعُودةِ. لسان العرب، 7/380.

قراءة أكابر أصحاب رسول الله ρ سهلٌ، جزلٌ لا نمضغ، ولا نلوك، ننبر[1] ولا ننتهر، نسهل، ولا نشدِّد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها"[2].

ويذكر ابن الجزري عن مدِّ بعض القرَّاء قائلا: "...والأعشى وقتيبة يمدُّون مدّاً مشبعاً من غير تمطيط ولا إفراط كان، وكذلك ذكر أشياخنا"[3].

وواضح مما سبق عرضُه أن هذا المعنى الأخير لا يريده الإمام أبو عليّ.

المطلب الثاني: مسلك الفارسي في التعريف بالمصطلحات

لم يول الإمام أبو عليّ رحمه الله عناية بتعريف المصطلحات الخاصَّة بعلمي التجويد والقراءات، بالرُّغم من طول نفسه في الكتاب وسبره الأغوار، ويبدو أنَّ الإمام منشغل بما هو فيه من الإغراق والتَّفصيل في تتبُّع المسائل اللُّغوية التي تتَّجه عليها القراءات القرآنية المختلفة والمعاني التي تترتَّب عليها، فجاء كتابه كما ترى خِلواً عن هذه التعريفات إلا ما جاء عرضاً.

وفيما يأتي بيان وتفصيل للقسمين:

أولا: المصطلحات التي ذكر تعريفها

لم يخلُ كتابُ "الحجة في القراءات السبع" من تعريفٍ لجملة من مصطلحات التجويد

والقراءات، غير أن ميزتها الاختصار وعدم الإطناب.

ثم إنَّ أغلب هذه التَّعريفات لم تكن مقصودة ومباشرة، وإنما عرَّج عنها الإمام في ثنايا الحديث وجاء الحديث عنها عرضاً، وبيان ذلك في الآتي:

1- المصطلحات التي ذكر لها تعريفا مباشراً:

يبدو من خلال استقرائي لمصطلحات الأداء والتجويد التي عرَّف بها أبو علي –وهي قليلة– أنَّ الإشمام هو المصطلح الوحيد الذي تقصَّد إلى تعريفه وبيانه قصْداً؛ فيذكر في بعض ثنايا "الحجة" أنَّ:

---

[1] النَّبْرُ بالكلامِ: الهَمْز. قال: وكلُّ شيء رفع شيئاً، فقد نَبَرَه. والنبْرُ: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُهُ نَبْراً هَمَزَه. لسان العرب، 189/5.

[2] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 1/ 148- 149.

[3] النشر، 2/ 259.

"الإشمامَ عند النَّحويِّين ليس بصوت فيفصِلَ بين المدغَم والمدغَم فيه، وإنما هو تهيئة العضو لإخراج الصوت الذي هو الضَّم ليدلَّ عليه، وليس بخارج إلى اللفظ"[1]. ثم ينبِّه إلى قضية في غاية الأهميَّة قائلاً: "ولعلَّ أبا بكر ظنَّ أنَّ القرَّاء ليس يَعنون بالإشمام ما يعني به النحويُّون في أنه تهيئة العضو للصَّوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللَّفظ". ثم يبيِّن: "والإشمام إنما يكون عند النحويِّين في الضَّمّ؛ فأمَّا الكسر فلا إشمام فيه؛ وذلك أنَّ الإشمام إنما هو تحريك الشَّفتين يراه البصير دون الأعمى، فيستدلُّ لذلك على إرادة الفاعل لذلك الضمِّ، وليس هذا في الكسر؛ لأنه لا فائدة لبصير ولا لأعمى من حيث لا يظهر للرَّائي"[2].

وبعد أن عرَّف به جعل في كلِّ مرة يتعرَّض فيها إلى محالِّه يعرِّفه ويزيد في توضيحه؛ من ذلك ما ذكره في بعض المواضع في سياق الحديث عن الخلف في ﭽ ﯥ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً: "فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في ﭽ ﯥ ﭼ وليس ذلك بصوت خارج إلى اللفظ، إنما تهيئة العضو لإخراج ذلك الصوت به، ليُعلم بالتهيئة أنه يريد ذلك المتهيَّأ له..."[3].

وفي آخر قائلاً: "وروى خلف بن هشام وأبو هشام الرفاعي عن سُليم بن عيسى الحنفي[4] عن حمزة أنه كان يشمّ الراء الأولى من قوله: ذاتِ قرارٍ، والأشرارِ، وما كان مثل ذلك الكسر من غير إشباع"[5].

وفي محلٍّ آخر يسميه بتسمية جديدة؛ وهي الإشارة[6]: "...فهذا وجه الإدغام، والإشارة بالضم إلى الحرف المدغم"[7].

---

[1] المصدر السابق، 1/ 145.

[2] المصدر نفسه، 1/ 146.

[3] المصدر نفسه، 2/ 432.

[4] هو: سليم بن عيسى الحنفي بالولاء، الكوفي، إمام في القراءة. كان أخص أصحاب حمزة وأضبطهم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة. الأعلام، 3/ 119، وغاية النهاية، 1/ 288.

[5] الحجة، 2/ 59.

[6] يدلُّ مصطلح الإشارة على هيئة الوقف للإمالة على أواخر الكلم بالإيماء إليه وتضعيف الصوت به. انظر: جامع البيان في القراءات السبع: 483/1. أي أن الإشارة تكون بالروم أو الإشمام. ومصطلح الإشارة استخدمه بهذا المعنى كثير من أئمة فن التجويد، منهم الإمام الداني في "جامع البيان" في عدّة مواضع، منها: في باب ذكر مذاهبهم في الوقف على الممال في الوصل، وذكر مصطلح الإشارة إلى الكسر. المصدر نفسه. كما استخدمه بالمعنى نفسه ابن الباذش في عدة مواضع أيضا، منها قوله: "والروم والإشمام ممتنعان في الحرف المبدل من الهمزة المسكونة، وذكر أنه لا تجوز الإشارة إلى ألف [ذرأ]، الإقناع، ص200.

[7] الحجة، 2/ 433.

2- المصطلحات التي ذكر تعريفها عرضاً:

جاءت بقية التعريفات المذكورة في "الحجة" عرضاً وفي سياقات مختلفة، غير مقصودة ولا مباشرة، وهي:

ش- **الاختلاس**: ذكر الإمام أبو علي مصطلح الاختلاس في معرض ذكر الخلف في قوله تعالى: ﭽ ڑ ک ﭼ [آل عمران: ٨٠]، وذلك بعد تفصيل طويل في جوانب مختلفة لمسألة إشباع الحركات وتخفيفها، ثم يقول:

"وهذا الاختلاس والتَّخفيف إنما يكون في الضَّمَّة والكسرة، فأمَّا الفتحة فليس فيها إلا الإشباع ولم تُخفَّف الفتحة بالاختلاس، كما لم تخفَّف بالحذف في نحو: جمَلٍ، وجَبَلٍ... وهذا الاختلاس وإن كان الصَّوت فيه أضعفَ من التَّمطيط وأخفى، فإن الحرف المختلَس حركتُه بزنة المتحرِّك"[1]. ثم يوضِّح أنَّ الاختلاس في مقابل الإسكان وليس إسكاناً، فيقول:

"فمن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو -ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ [البقرة: ٥٤]- فلعلَّه سمعه يختلسُ فحسبه لضَعف الصوت به والخفاء إسكاناً"[2].

وفي بعض المواضع لم نجده يصرح بمصطلح الاختلاس، إنما ذكر بدله مصطلح الإخفاء، غير أن السِّياق الذي جاء به يفيد أنه يريده؛ إذ يذكر بعد إغراق طويل في الحديث عن الخلف في حرف ﭽ ﮯ ﭼ [التوبة: ١٢] والاستشهاد له قائلاً:

"... أو يعني به إخفاء الحركة، ولم يجز واحد من الوجهين الأولين؛ ثبت إنه إخفاء الحركة، والإخفاء تضعيف الصوت بالحركة، فهو يضارع السكون من جهة الإخفاء، وإن كان المخفِيُّ في وزن المتحرك"[3].

ص- **الرَّوْم**: أشار الإمام إلى الرَّوْم في معرض الفرق بينه وبين الإشمام، أثناء تعرضه للخلف في ﭽ ﯗ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً:

"ولو رام الحركة فيها لم يجز مع الإدغام، كما جاز الإشمام مع الإدغام لأن روم الحركة حركة، وإن كان الصوت قد أضعف بها، ألا ترى أنهم قالوا: إن روم الحركة يُفضل به بين المذكر والمؤنث، نحو: رأيتُكِ ورأيتُك"[4].

---

[1] المصدر السابق، 1/ 303.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 2/ 314- 315.

[4] المصدر نفسه، 2/ 432.

وذكر بعد ذلك وجه الرَّوْم في قراءة چ ۈ چ، وعبر عنه بالإخفاء والاختلاس واعتبره وجهاً آخر سائغاً في العربيَّة، قائلاً:

"وقد يجوز في ذلك وجه آخر في العربيَّة؛ وهو أن تُبيِّن ولا تدغم، ولكنك تخفي الحركة، وإخفاؤها هو أن لا تشبعه بالتَّمطيط، ولكنك تختلسها اختلاساً"[1].

فالرَّوْم إذن غير الإشمام؛ وهو صوت ضعيف تذهب فيه معظم الحركة، أو على حدِّ تعبير الإمام: "ولو كان مكان الإشمام روم الحركة لامتنع الروم مع الإدغام؛ لأنه صوت يحجز"[2].

ض- **تسهيل الهمز**: تعرض أبو علي لتعريف التسهيل –التخفيف- ضمناً، ولم يقصد إليه قصداً، وذلك أثناء شرحه لمصطلح "ذوق الهمز" الذي ذكره أبو بكر بن مجاهد رحمه الله في "سبعته"[3] في معرض الحديث عن الخلف في چ ٹچ [الأنعام:٤٠]، و چچچ [الأنعام:٤٦] ونحوها؛ فيسوق قوله ثمَّ يوضِّحه:

"وقرأ نافع (أَرَايْتُم، وأَرَايْتَكُم، وأَرَايْتَ) بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز".

"وقوله: قرأ نافع بألف في كلّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بيْن بين أي بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق"[4].

ط- الإمالة: جاء ذكر الإمالة في عدّة مواضع من كتاب "الحجة" لم يصرِّح فيها بتعريف مباشر لها أو يبين أيَّ الإمالتين يقصد الصغرى أم الكبرى، غير أنه يُفهَم من حديثه عنها أنه في كلِّ مرة يذكرها مطلقة غير مقيدة انصرفت إلى الإمالة الكبرى[5]؛ وهذا الذي درج عليه القدامى.

والملفت للانتباه أنَّ أبا علي يطلق على الإمالة اصطلاحات مختلفة؛ فيسمِّيها أحياناً "الكسر"؛ وذلك في قوله: "وقرأ حمزة والكسائي: چ گ چ [هود: ٤١] بفتح الميم وكسر الرَّاء، وكذلك حفص عن عاصم: (مجَرْيِها) بفتح الميم، وكسر الراء من غير إضافة. قال: وليس يكسر في القرآن غير هذا الحرف، يعني الرَّاءَ في مجرِاها"[6].

---

[1] المصدر السابق، 2/ 433.

[2] المصدر نفسه، 1/ 145.

[3] السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص257.

[4] المصدر نفسه، 2/ 160.

[5] المصدر نفسه، 1/ 246- 249.

[6] المصدر السابق، 2/ 393.

وأحياناً يردفها في الموضع الواحد بعدة اصطلاحات كلُّها تصبُّ في ذات المعنى، كـ "الإجناح، والإضجاع، والإمالة الشَّديدة" وغيرها؛ كما في قوله: "وقول أحمد في حكايته عن نافع: لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة، يريد به –إن شاء الله– لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة فتميل الألف نحو الياء كثيراً، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخف لذلك إجناح الألف وإضجاعها"[1].

ظ- **التقليل**: لم يعرف أبو علي مصطلح التقليل ولم يذكره بهذا اللفظ، بل اكتفى بالتعبير عنه –عرضاً– هو الآخر بعدَّة إطلاقات؛ فهو:

"بين الفتح والكسر"؛ كما في قوله: "قال أحمد بن موسى: كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعده راء مكسورة، مثل من **النار** و من **قرار** و **الأبرار** و **الأشرار** و دار **البوار** و **الأبصار** و **بقنطار** و **بدينار** و **ديارهم** و على **آثارهم** بل كان في ذلك كلِّه بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب"[2].

أو يصفه بأنه "بين الكسر والتفخيم"؛ وذلك صريح في أثناء تعرضه للخلف في قوله تعالى: **چ گچ** [هود: ٤١]، قال: " وكان نافع وعاصم في رواية أبي بكر يقرآنها بين الكسر[3] والتفخيم[4]"[5].

وأحيانا يسميه "بين الإمالة والتفخيم"؛ كما في قوله: " وكان أبو عمرو لا يميل من ذلك إلا ما كان في رؤوس الآي إذا كانت السورة أواخر آياتها الياء، مثل: **أمات** و**أحيَا** فإنه كان يلفظ بهذه الحروف في هذه المواضع بين الإمالة والتفخيم"[6].

أو يصطلح عنه بـ "الإنحاء نحو الياء"؛ يقول في هذا الصدد: "فكما غُيِّر موضع الوقف بهذا النحو من التغيير، كذلك غُيِّرت الألف بأن نُحِيَ بها نحو الياء..."[7].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 246.

[2] المصدر نفسه، 1/ 246.

[3] تسمي العرب الإمالة كسراً. انظر: شرح المفصّل في النحو والصرف، موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 154، النشر في القراءات العشر، 2/ 24.

[4] وتسمي الفتح تفخيماً، وربما قيل له النَّصب. المصدران نفسهما.

[5] الحجة، 2/ 393.

[6] المصدر نفسه، 1/ 249.

[7] المصدر السابق، 1/ 249.

ووجدناه مرّةً عبَّر عنه بـ "إشمام الإضجاع"؛ وذلك في معرض حديثه عن خلف بعض الحروف، قال في ذلك: "وأمال الرَّاء أبو عمرو وابن عامر والكسائي من (الأشرار)، وقرأ نافع بإشمام الراء الأولى: الإضجاع، وكذلك حمزة يشمُّ، وفتحها ابن كثير وعاصم"[1].

ع- **الإدغام**: أشار أبو عليّ إلى تعريف الإدغام في معرض الاحتجاج لقراءة المضارعة أو الإشمام بين الصاد والزاي في قوله تعال: ﭽﭦ ﭧ ﭨﭽ [الفاتحة: ٦]، فقد نقل بعض الحجج التي توهن من هذه القراءة، ومنها أنَّ المضارعة تشبه الإدغام في "أنَّه تقريب الحرف الأوَّل من الثَّاني"[2].

والنَّص واضح في أنَّ هذا التَّشبيه ليس تعريفاً في الحقيقة للإدغام، وإنما هو بيان لوظيفة الإدغام وكذا المضارعة النَّاتجة عن تقريب الحرفين وتناسب أحدهما إلى الأخر.

3- مقارنة تعريفات أبي علي بتعريفات غيره من الأئمة:

وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين بعض التعريفات التي ذكرها الإمام أبو علي رحمه الله –مع قلَّتها- بتعريفات غيره من الأئمة نجدها متطابقة في الغالب، وحتى وإن لم تتطابق في المبنى فهي متطابقة في المعنى.

ت- مقارنة تعريفه للرَّوْم والإشمام بتعريفات غيره:

- **تعريفات بعض اللغويين**: من هؤلاء:

– **تعريف سيبويه**:

وصف الإمام سيبويه **الإشمام** قائلا: "وأمَّا الإشمام ، فليس إليه سبيل، وإنما كان في الرَّفع لأن الضمَّة من الواو، فأنت تقدِّر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئتَ ثمَّ تضمَّ شفتيك؛ لأن ضمَّك شفتيك كتحريكك بعضَ جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذُن"[3].

وجاء عنه في **الرَّوْم** قوله: "وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرصُ على أن يُخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كلِّ حال، وأن يُعلِموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكَن على كلِّ حال. وذلك أراد الذين أشمُّوا؛ إلا أن هؤلاء أشدُّ توكيداً"[4]. قال الجوهري: "روْم الحركة الذي الذي ذكره سيبويه حركة مختلسة مختفاة لضرب من التَّخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنها تُسمع، وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسة، مثل همزة بيْن بين"[5].

---

[1] المصدر نفسه، 3/ 335.

[2] المصدر نفسه، 1/ 57.

[3] الكتاب سيبويه، 4/ 171.

[4] الكتاب، 4/ 168.

[5] لسان العرب، مادة (روم)، 12/ 258.

وقريب من معنى الرَّوْم مصطلح الاختلاس؛ فقد تعرَّض إليه سيبويه عرضاً في باب (الإشباع في الجرّ والرفع) قائلا: "فأمَّا الذين يُشبعون فيمطِّطون، وعلامته واو وياءٌ، وهذا تُحكِمه لك المشافهة... وأمَّا الذين لا يُشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربُها ومن مأمنِك، يُسرعون اللَّفظ. ومن ثَمَّ قال أبو عمرو: **إلى بارِئِكم**[1]..."[2].

- تعريف ابن جني:

"والرَّوْم على جهة التَّقريب – أي تقريب الحركة – "هي كالإهابة بالساكن نحو الحركة، وهو لذلك ضرب من المضارعة، وأخفى منها الإشمام؛ لأنَّه للعين لا للأذن"[3].

ومن المعلوم عند علماء القراءات –كما سيأتي– أن الرَّوم هو اختلاس الحركة أي عدم نطقها كاملة واضحة وهو للأذن، وأمَّا الإشمام فهو للعين في الضم خاصة: تضم الشَّفتين كأنَّك تنطق ضمَّة ولكن من دون إحداث صوت الضمَّة.

وقد نبَّه ابن جني إلى مواضع التَّقريب الذي يجري مجرى الإدغام: "مما قرب فيه الصوت من الصوت"، ولكنه ليس إدغاماً تامّاً، واستخدم له مصطلح (التقريب).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن جنيّ قد ذكر مصطلحي الإشمام والرَّوْم في باب (الساكن والمتحرك) الذي أورد فيه بعض المصطلحات الصَّوتية، ولكنه لم يعرف –كغيره– هذه المصطلحات تعريفاً شافياً، بل كان يذكرها ويبين ما يحدث فيها من تقريب في الأصوات – أصوات الحروف أو الحركات – كما في قوله في بيان الفرق بين الإشمام والروم: "فأمَّا الإشمام فإنَّه للعين دون الأذن، لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً، ألا تراك تفصل به بين المذكَّر والمؤنَّث في قولك في الوقف أنتَ وأنتِ، فلولا أن هناك صوتاً لما وجدت فصلاً"[4].

- **تعريف بعض أهل الأداء**: أذكر منهم:

– تعريف الدَّانيِّ:

يقول أبو عمرو –رحمه الله– : "فأمَّا حقيقة الرَّوم فهو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها، فتسمع لها صوتا خفيّاً يدركه الأعمى بحاسَّة سمعه. وأمَّا حقيقة الإشمام فهو

---

[1] الآية: 45، من سورة البقرة.

[2] الكتاب، سيويه، 4/ 202.

[3] المصدر نفسه، 145/2.

[4] الخصائص، 328/2.وانظر في تعريف الإشمام: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1405هـ، ص44، وفي تعريف الرَّوم، ص151.

ضمُّك شفتيك بعد سكون الحرف أصلاً، ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى لأنه لرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالعضو إلى الحركة"[4].

- **تعريف الرُّعينيّ:**

يقول أبو عبد الله: "والرَّوْم إضعاف الصَّوت بالحركة حتى يذهب أكثرها، وهو يكون في المرفوع والمخفوض. والإشمام ضمُّ الشَّفتين من غير صوت يسمع، وهو يكون في المرفوع خاصَّةً"[1].

- تعريف مكيّ بن أبي طالب القيسي:

يقول أبو محمد –رحمه الله–: "فالرَّوْم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسمعها الأعمى. والإشمام إتيانك بضمِّ شفتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسّه، لأنه لرَأي العين"[2].

- تعريف الإمام الشاطبيّ:

وفي الرَّوم والإشمام قال القاسم –رحمه الله–:

ورومك إسماع المحرك واقف بصوت خفي كل دان تنوَّلا

والإشمام إطباق الشفاه بعيدما يسكن لا صوت هناك فيصْحلا[3]

وواضح من كلِّ ما سبق مطابقة هذه التعاريف لتعاريف أبي عليّ –رحمه الله–، أو دورانها – على الأقلّ– في فلَك واحدٍ.

ب– مقارنة تعريفه للإمالة بتعريفات غيره:

- **تعريف أهل اللغة:** ومنهم:

- **ابن جني:**

حيث يقول في تعريفها: "الإمالة التي وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، نحو كلمة: (عالم) التي قرُبتْ فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأمَلْت الألف إلى الياء"[4].

---

[4]– التيسير، ص59.

[1] الكافي في القراءات السبع، ص 283.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ– 1997م، 122/1.

[3] متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيّرة الرعيني الشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، ط4، 1425هـ– 2004م، ص30.

[4] الخصائص، 2/ 141.

- **تعريف بعض أهل القراءات:** من هؤلاء:

- **تعريف ابن غلبون:**

ذكر أبو الحسن طاهر بن غلبون الإمالة في معرض الحديث عن "مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمزة"، وتعرّض إلى بيان معناها، فقال: "يعني أنه كان إذا وقف على هذه الهمزة –أي حمزة– خفّف همزتها، لأنها متوسطة، وهي ممالة قد نُحِي بحركتها نحو الكسرة، فلذلك يجعلها بين الهمزة والياء الساكنة[1].

- ابن الجزري:

يعرِّف محقِّق الفنّ ابن الجزري الإمالة ويفصِّل فيها كما يأتي: "والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له الكسر أيضاً (وقليلاً) وهو بين اللفظين ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين؛ فخي بهذا الاعتبار تنقسم أيضاً إلى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسطة وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب"[2].

ويتضح مما سبق أن تعريف المصطلحات التي ذكرها أبو علي لا تختلف عن تعريفات غيره من أهل اللغة والأداء.

ثانيا: المصطلحات التي لم يعرف بها

سبق وأن أشرت إلى أن "كتاب الحجَّة" جاء مركِّزاً على موضوع توجيه القراءات والاحتجاج لها؛ لذلك لم يُعنَ فيه الإمام أبو عليّ –رحمه الله– كثيراً بتعريف مصطلحات علمي التجويد والقراءات، وأورد أكثر المصطلحات دون تعريف.

1- الدَّرج والإدراج:

استخدم الإمام أبو علي في الحجة هذين المصطلحين في أكثر من موضع، دون أن يعرِّفهما أو يشير إلى ذلك.

ومن أمثلة استخدامه لمصطلح الدَّرْج قوله:

---

[1] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 220/1.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 2/ 24.

"وما رُوي عن أبي عمرو من قوله: (آأنذرتهم)[1] إنما هو عند الاستئناف دون الدَّرْج. ولو أدرج القراءة فقال: (سَوَآءٌ عَلَيْهِم أأنذَرْتَهُم) لوجب في قياس قول أبي عمرو الذي حكاه عنه سيبويه أن يحذف الهمزة الأولى..."[2].

ومن الأمثلة التي استخدم فيها مصطلح الإدراج قوله:

"قال أبو علي: اعلم أنَّ أبا زيد قوله في ذلك خلاف ما ذهب إليه سيبويه، وذلك أنه قال: قال أبو أدهم الكلابي" لَه (ربّي لا أقول) فتَح اللام وكسر الهاء في الإدراج، قال أبو زيد: ومعناه: والله ربي لا أقول"[3].

وفي موضع آخر يحتج فيه للحرف ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قال: "...وجهه: أن الحرف المدغم بمنزلة الحرف الموقوف عليه من حيث جمَعَها السكون، فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في تأمنا..."[4].

ويُفهم من مجموع المواقع التي ورد فيها مصطلحي الدَّرج أو الإدراج أن الإمام يعني بهما ذات المعنى؛ والمراد بهما الوصل في مقابل الوقف؛ يفسِّرُ ذلك –فضلاً عمَّا سبق– قوله في معرض حديثه عن ﭽ ﭾ ﭼ [الكهف: ٣٨]: "فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: لكن هو الله ربي بإسقاط الألف في الوصل وإثباتها في الوقف..."[5].

وهذا الوصل الذي ذكره يفسِّر الإدراج الذي عناه فيما تلاه بعد ذلك من تفصيل؛ قائلا: "... ومثل هذه الألف –يقصد ألف لكنا– في أنها تثبت في الوقف وتسقط في الإدراج، الألف في حَيَّهَلا..."[6].

وإذا تقرَّر هذا المعنى عند أبي عليّ –وهو الظَّاهر– عُلِم أنَّ الإمام تعوزه –في تقديري– نوعٌ من الدِّقّة في هذا الأمر؛ ذلك أنَّ مصطلح الإدراج لا يعني الوصل في علم الأداء، وإن جاز إطلاقه عليه لغة[7]، بل يعني الإسراع في القراءة.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 06.

[2] الحجة، 1/ 186. وانظر مثله: 1/ 468،

[3] المصدر نفسه، 2/ 421.

[4] المصدر نفسه، 2/ 432، وانظر مثله: 3/ 86، 87، 302.

[5] المصدر نفسه، 3/ 86.

[6] المصدر السابق، 3/ 87.

[7] يقال: استمرّ فلان أدراجه؛ إذا ذهب ومضى فيها.ويقال: وهذا الأَمر مَدْرجَةٌ لهذا أَي مُتَوَصَّلٌ به إليه. لسان العرب، مادة (درج)، 2/ 266- 267.

يقول ابن الجزري رحمه الله: "والمقصود بالإدراج هو الإسراع، وهو ضدَّ التَّحقيق، لا كما فهمه من لا فهم له من أنَّ معناه الوصل الذي هو ضدَّ الوقف"[1].

2- الإشباع والتَّمطيط:

ذكر أبو علي كلاًّ من الإشباع والتَّمطيط في مواضع مختلفة من كتابه، يعطف بأحدهما على الآخر في أغلبها، غير أنه لم يقف عند تعريفهما[2].

ومن أمثلة ذلك قوله:

"واعلم أنَّ الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمَّة والكسرة منهما ضربين، أحدهما: الإشباع والتَّمطيط، والآخر: الاختلاس والتَّخفيف"[3]. ثم يضيف في ذات السِّياق قائلاً: "وكما لم يُبدلِ الأكثرُ من التنوين ولا الواو في الجر والرفع كما أبدلوا الألف في النصب، وهذا الاختلاس، وإن كان لصوت فيه أضعف من التَّمطيط"[4].

واضح من هذا المثال وغيره –من خلال استقراء جميع هذه المواضع- أنَّ الإمام يطلق المصطلحين على ذات المعنى؛ وهو الإتيان بالحركات كوامل غيرَ منقوصات ولا مختلسات، على حدِّ تعريف الإمام ابن الجزريّ له؛ والذي يقول في ذلك: "فهو –أي الإشباع- عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصِّيغة لمن له ذلك ويستعمل أيضاً، ويراد به الحركات الكوامل غير منقوصات ولا مختلسات"[5].

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن التمطيط ينبغي أن يُقيَّد؛ إذ قد ينصرف أحياناً إلى معنىً يُخلُّ بالقراءة ويخرجها عن حدِّها وفصاحتها، خصوصاً إذا تعلق الأمر بباب المدّ، فغالبا ما يراد به تمكين المدّ تمكينا تامّاً زائداً عن المدّ الطبيعي يتجاوز مقدار الألفين إلى الثلاثة عند ورش وحمزة.

ومن ذلك ما جاء عن الإمام طاهر بن غلبون الذي ذكر هذا المصطلح -التّمطيط- في معرض الحديث عن التَّفاضل في إشباع المدّ –عند ورش خاصة-، والذي اعتبره من الإسراف الذي يخرج القراءة عن حدّها وفصاحتها وسهولتها؛ فيقول: "وهذا الإشباع في المدّ الذي عرّفتك أنهم يتفاضلون فيه، إنما هو على التّقريب من غير تمطيط ولا إسراف. كما روي عن حمزة: أن رجلاً قرأ

---

[1] النشر في القراءات العشر، 2/ 304.

[2] انظر الحجة في المواضع الآتية: 1/ 299، 302، 303، 2/ 433 وغيرها.

[3] الحجة، 1/ 302.

[4] المصدر نفسه، 1/ 303.

[5] التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ- 1985م، ص 55.

عليه فجعل يمدّ، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أنَّ ما كان فوق الجعودة[1]، فهو قطط[2] وما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة. وكما روي عن نافع أنه قال: قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله ρ سهلٌ، جزلٌ لا نمضغ، ولا نلوك، ننبر[3] ولا ننتهر، نسهل، ولا نشدِّد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها"[4].

ويذكر ابن الجزري عن مدِّ بعض القرَّاء قائلا: "...والأعشى وقتيبة يمدُّون مدّاً مشبعاً من غير تمطيط ولا إفراط كان، وكذلك ذكر أشياخنا"[5].

وواضح مما سبق عرضُه أن هذا المعنى الأخير لا يريده الإمام أبو عليّ.

المطلب الثاني: مسلك الفارسي في التعريف بالمصطلحات

لم يول الإمام أبو عليّ رحمه الله عناية بتعريف المصطلحات الخاصَّة بعلمي التجويد والقراءات، بالرُّغم من طول نفسه في الكتاب وسبره الأغوار، ويبدو أنَّ الإمام منشغل بما هو فيه من الإغراق والتَّفصيل في تتبُّع المسائل اللُّغوية التي تتَّجه عليها القراءات القرآنية المختلفة والمعاني التي تترتَّب عليها، فجاء كتابه كما ترى خِلواً عن هذه التعريفات إلا ما جاء عرضاً.

---

[1] الجعد من الشعر: خلاف السبط، وقيل هو القصير؛ ,ويقال: رجل جعد؛ إذا كان قصيراً متردّد الخلق، كما يقال أيضا: رجل جعد؛ إذا كان بخيلاً لئيماً لا يَبِضُّ حَجَره. لسان العرب، 3/121-122.

[2] يقال: رجل قَطَطٌ وشعر قَطَطٌ وامرأَة قَطَطٌ، والجمع قَطَطُونَ و قَطَطاتٌ، وشعر قَطٌّ وقطَطٌ: جَعْد قصير،و القَطَطُ: الشديدُ الجعُودةِ، وقيل: الحسَنُ الجعُودةِ. لسان العرب، 380/7.

[3] النَّبْرُ بالكلامِ: الهَمْز. قال: وكلُّ شيء رفع شيئاً، فقد نَبَرَه. والنبْرُ: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُهُ نَبْراً هَمَزَه. لسان العرب، 189/5.

[4] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 1/ 148- 149.

[5] النشر، 2/ 259.

وفيما يأتي بيان وتفصيل للقسمين:

أولا: المصطلحات التي ذكر تعريفها

لم يخلُ كتابُ "الحجة في القراءات السبع" من تعريفٍ لجملة من مصطلحات التجويد والقراءات، غير أن ميزتها الاختصار وعدم الإطناب.

ثم إنَّ أغلب هذه التَّعريفات لم تكن مقصودة ومباشرة، وإنما عرَّج عنها الإمام في ثنايا الحديث وجاء الحديث عنها عرضاً، وبيان ذلك في الآتي:

1- المصطلحات التي ذكر لها تعريفا مباشراً:

يبدو من خلال استقرائي لمصطلحات الأداء والتجويد التي عرَّف بها أبو علي —وهي قليلة– أنَّ الإشمام هو المصطلح الوحيد الذي تقصَّد إلى تعريفه وبيانه قصْداً؛ فيذكر في بعض ثنايا "الحجة" أنَّ:

"الإشمامَ عند النَّحويِّين ليس بصوت فيفصِلَ بين المدغَم والمدغَم فيه، وإنما هو تهيئة العضو لإخراج الصوت الذي هو الضَّم ليدلَّ عليه، وليس بخارج إلى اللفظ"[1]. ثم ينبِّه إلى قضية في غاية الأهميَّة قائلاً: "ولعلَّ أبا بكر ظنَّ أنَّ القرَّاء ليس يَعنون بالإشمام ما يعني به النحويُّون في أنه تهيئة العضو للصَّوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللَّفظ". ثم يبيِّن: "والإشمام إنما يكون عند النحويِّين في الضَّمّ؛ فأمَّا الكسر فلا إشمام فيه؛ وذلك أنَّ الإشمام إنما هو تحريك الشَّفتين يراه البصير دون الأعمى، فيستدلُّ لذلك على إرادة الفاعل لذلك الضمِّ، وليس هذا في الكسر؛ لأنه لا فائدة لبصير ولا لأعمى من حيث لا يظهر للرَّائي"[2].

وبعد أن عرَّف به جعل في كلِّ مرة يتعرَّض فيها إلى محالِّه يعرِّفه ويزيد في توضيحه؛ من ذلك ما ذكره في بعض المواضع في سياق الحديث عن الخلف في چ ﯥ چ [يوسف: ١١]، قائلاً: "فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في چﯤچ وليس ذلك بصوت خارج إلى اللفظ، إنما تهيئة العضو لإخراج ذلك الصوت به، ليُعلم بالتهيئة أنه يريد ذلك المتهيَّأ له..."[3].

---

[1] المصدر السابق، 1/ 145.

[2] المصدر نفسه، 1/ 146.

[3] المصدر نفسه، 2/ 432.

وفي آخر قائلاً: "وروى خلف بن هشام وأبو هشام الرفاعي عن سُليم بن عيسى الحنفي[1] عن حمزة أنه كان يشمّ الراء الأولى من قوله: ذاتِ قرارٍ، والأشرارِ، وما كان مثل ذلك الكسر من غير إشباع"[2].

وفي محلٍّ آخر يسميه بتسمية جديدة؛ وهي الإشارة[3]: "...فهذا وجه الإدغام، والإشارة بالضم إلى الحرف المدغم"[4].

2- المصطلحات التي ذكر تعريفها عرضاً:

جاءت بقية التعريفات المذكورة في "الحجة" عرضاً وفي سياقات مختلفة، غير مقصودة ولا مباشرة، وهي:

غ- **الاختلاس**: ذكر الإمام أبو علي مصطلح الاختلاس في معرض ذكر الخلف في قوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ [آل عمران: ٨٠]، وذلك بعد تفصيل طويل في جوانب مختلفة لمسألة إشباع الحركات وتخفيفها، ثم يقول:

"وهذا الاختلاس والتَّخفيف إنما يكون في الضَّمَّة والكسرة، فأمَّا الفتحة فليس فيها إلا الإشباع ولم تُخفَّف الفتحة بالاختلاس، كما لم تخفَّف بالحذف في نحو: جمَلٍ، وجَبَلٍ... وهذا الاختلاس وإن كان الصَّوت فيه أضعفَ من التَّمطيط وأخفى، فإن الحرف المختلَس حركتُه بزنة المتحرِّك"[5]. ثم يوضِّح أنَّ الاختلاس في مقابل الإسكان وليس إسكاناً، فيقول:

"فمن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو ﭽ ﮓ ﮔ ﭽ [البقرة: ٥٤]- فلعلَّه سمعه يختلسُ فحسبه لضَعف الصوت به والخفاء إسكاناً"[6].

---

[1] هو: سليم بن عيسى الحنفي بالولاء، الكوفي، إمام في القراءة. كان أخص أصحاب حمزة وأضبطهم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة. الأعلام، 3/ 119، وغاية النهاية، 1/ 288.

[2] الحجة، 2/ 59.

[3] يدلُّ مصطلح الإشارة على هيئة الوقف للإمالة على أواخر الكلم بالإيماء إليه وتضعيف الصوت به. انظر: جامع البيان في القراءات السبع: 483/1. أي أن الإشارة تكون بالروم أو الإشمام. ومصطلح الإشارة استخدمه بهذا المعنى كثير من أئمة فن التجويد، منهم الإمام الداني في "جامع البيان" في عدّة مواضع، منها: في باب ذكر مذاهبهم في الوقف على الممال في الوصل، وذكر مصطلح الإشارة إلى الكسر. المصدر نفسه. كما استخدمه بالمعنى نفسه ابن الباذش في عدة مواضع أيضا، منها قوله: "والروم والإشمام ممتنعان في الحرف المبدل من الهمزة المسكونة، وذكر أنه لا تجوز الإشارة إلى ألف [ذرأ]، الإقناع، ص200.

[4] الحجة، 2/ 433.

[5] المصدر السابق، 1/ 303.

[6] المصدر نفسه.

وفي بعض المواضع لم نجده يصرح بمصطلح الاختلاس، إنما ذكر بدله مصطلح الإخفاء، غير أن السِّياق الذي جاء به يفيد أنه يريده؛ إذ يذكر بعد إغراق طويل في الحديث عن الخلف في حرف ﭽ ﯧ ﭼ [التوبة: ١٢] والاستشهاد له قائلاً:

"... أو يعني به إخفاء الحركة، ولم يجز واحد من الوجهين الأولين؛ ثبت إنه إخفاء الحركة، والإخفاء تضعيف الصوت بالحركة، فهو يضارع السكون من جهة الإخفاء، وإن كان المخفِيُّ في وزن المتحرك"[1].

ف- **الرَّوْم**: أشار الإمام إلى الرَّوْم في معرض الفرق بينه وبين الإشمام، أثناء تعرضه للخلف في ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً:

"ولو رام الحركة فيها لم يجز مع الإدغام، كما جاز الإشمام مع الإدغام لأن روم الحركة حركة، وإن كان الصوت قد أضعف بها، ألا ترى أنهم قالوا: إن روم الحركة يُفضل به بين المذكر والمؤنث، نحو: رأيتُكِ ورأيتُك"[2].

وذكر بعد ذلك وجه الرَّوْم في قراءة ﭽ ﯡ ﭼ، وعبر عنه بالإخفاء والاختلاس واعتبره وجهاً آخر سائغاً في العربيَّة، قائلاً:

"وقد يجوز في ذلك وجه آخر في العربيَّة؛ وهو أن تُبيِّن ولا تدغم، ولكنك تخفي الحركة، وإخفاؤها هو أن لا تشبعه بالتَّمطيط، ولكنك تختلسها اختلاساً"[3].

فالرَّوْم إذن غير الإشمام؛ وهو صوت ضعيف تذهب فيه معظم الحركة، أو على حدِّ تعبير الإمام: "ولو كان مكان الإشمام روم الحركة لامتنع الروم مع الإدغام؛ لأنه صوت يحجز"[4].

ق- **تسهيل الهمز**: تعرض أبو علي لتعريف التسهيل –التخفيف- ضمناً، ولم يقصد إليه قصداً، وذلك أثناء شرحه لمصطلح "ذوق الهمز" الذي ذكره أبو بكر بن مجاهد رحمه الله في "سبعته"[5] في معرض الحديث عن الخلف في ﭽ ﭦ ﭼ [الأنعام:٤٠]، و ﭽ ﭿ ﭼ [الأنعام:٤٦] ونحوها؛ فيسوق قوله ثمَّ يوضِّحه:

"وقرأ نافع (أَرَايْتُم، وأَرَايْتَكُم، وأَرَايْتَ) بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز".

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 314- 315.

[2] المصدر نفسه، 2/ 432.

[3] المصدر السابق، 2/ 433.

[4] المصدر نفسه، 1/ 145.

[5] السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص257.

"وقوله: قرأ نافع بألف في كلّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بيْن بين أي بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق"[1].

ك– الإمالة: جاء ذكر الإمالة في عدّة مواضع من كتاب "الحجة" لم يصرّح فيها بتعريف مباشر لها أو يبين أيَّ الإمالتين يقصد الصغرى أم الكبرى، غير أنه يُفهَم من حديثه عنها أنه في كلِّ مرة يذكرها مطلقة غير مقيدة انصرفت إلى الإمالة الكبرى[2]؛ وهذا الذي درج عليه القدامى.

والملفت للانتباه أنَّ أبا علي يطلق على الإمالة اصطلاحات مختلفة؛ فيسمِّيها أحياناً "الكسر"؛ وذلك في قوله: "وقرأ حمزة والكسائي: **چ گ چ** [هود: ٤١] بفتح الميم وكسر الرَّاء، وكذلك حفص عن عاصم: (**مجَرْيِها**) بفتح الميم، وكسر الراء من غير إضافة. قال: وليس يكسر في القرآن غير هذا الحرف، يعني الرَّاءَ في مجرِاها"[3].

وأحياناً يردفها في الموضع الواحد بعدة اصطلاحات كلُّها تصبُّ في ذات المعنى، ك "الإجناح، والإضجاع، والإمالة الشَّديدة" وغيرها؛ كما في قوله: "وقول أحمد في حكايته عن نافع: لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة، يريد به –إن شاء الله– لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة فتميل الألف نحو الياء كثيراً، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخف لذلك إجناح الألف وإضجاعها"[4].

ل– **التقليل**: لم يعرف أبو علي مصطلح التقليل ولم يذكره بهذا اللفظ، بل اكتفى بالتعبير عنه –عرضاً– هو الآخر بعدَّة إطلاقات؛ فهو:

"بين الفتح والكسر"؛ كما في قوله: "قال أحمد بن موسى: كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعده راء مكسورة، مثل من **النار** و من **قرار** و **الأبرار** و **الأشرار** و دار **البوار** و **الأبصار** و **بقنطار** و **بدينار** و **ديارهم** و على **آثارهم** بل كان في ذلك كلِّه بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب"[5].

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 160.

[2] المصدر نفسه، 1/ 246- 249.

[3] المصدر السابق، 2/ 393.

[4] المصدر نفسه، 1/ 246.

[5] المصدر نفسه، 1/ 246.

أو يصفه بأنه "بين الكسر والتفخيم"؛ وذلك صريح في أثناء تعرضه للخلف في قوله تعالى: ﭽ ﮔ ﭼ [هود: ٤١]، قال: " وكان نافع وعاصم في رواية أبي بكر يقرآنها بين الكسر[1] والتفخيم[2]"[3].

وأحيانا يسميه "بين الإمالة والتفخيم"؛ كما في قوله: " وكان أبو عمرو لا يميل من ذلك إلا ما كان في رؤوس الآي إذا كانت السورة أواخر آياتها الياء، مثل: **أمات وأحيَا** فإنه كان يلفظ بهذه الحروف في هذه المواضع بين الإمالة والتفخيم"[4].

أو يصطلح عنه بـ "الإنحاء نحو الياء"؛ يقول في هذا الصدد: "فكما غُيِّر موضع الوقف بهذا النحو من التغيير، كذلك غُيِّرت الألف بأن نُحِيَ بها نحو الياء..."[5].

ووجدناه مرّةً عبَّر عنه بـ "إشمام الإضجاع"؛ وذلك في معرض حديثه عن خلف بعض الحروف، قال في ذلك: "وأمال الرَّاء أبو عمرو وابن عامر والكسائي من **(الأشرار)**، وقرأ نافع بإشمام الراء الأولى: الإضجاع، وكذلك حمزة يشمُّ، وفتحها ابن كثير وعاصم"[6].

م- **الإدغام**: أشار أبو عليّ إلى تعريف الإدغام في معرض الاحتجاج لقراءة المضارعة أو الإشمام بين الصاد والزاي في قوله تعال: **ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ** [الفاتحة: ٦]، فقد نقل بعض الحجج التي توهن من هذه القراءة، ومنها أنَّ المضارعة تشبه الإدغام في "أنَّه تقريب الحرف الأوَّل من الثَّاني"[7].

والنَّص واضح في أنَّ هذا التَّشبيه ليس تعريفاً في الحقيقة للإدغام، وإنما هو بيان لوظيفة الإدغام وكذا المضارعة النَّاتجة عن تقريب الحرفين وتناسب أحدهما إلى الأخر.

3- مقارنة تعريفات أبي علي بتعريفات غيره من الأئمة:

وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين بعض التعريفات التي ذكرها الإمام أبو علي رحمه الله –مع قلَّتها- بتعريفات غيره من الأئمة نجدها متطابقة في الغالب، وحتى وإن لم تتطابق في المبنى فهي متطابقة في المعنى.

ث- مقارنة تعريفه للرَّوْم والإشمام بتعريفات غيره:

---

[1] تسمي العرب الإمالة كسراً. انظر: شرح المفصّل في النحو والصرف، موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 154، النشر في القراءات العشر، 2/ 24.

[2] وتسمي الفتح تفخيماً، وربما قيل له النَّصب. المصدران نفسهما.

[3] الحجة، 2/ 393.

[4] المصدر نفسه، 1/ 249.

[5] المصدر السابق، 1/ 249.

[6] المصدر نفسه، 3/ 335.

[7] المصدر نفسه، 1/ 57.

- **تعريفات بعض اللغويين**: من هؤلاء:

– **تعريف سيبويه**:

وصف الإمام سيبويه **الإشمام** قائلا: "وأمَّا الإشمام ، فليس إليه سبيل، وإنما كان في الرَّفع لأن الضمَّة من الواو، فأنت تقدِّر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئتَ ثمَّ تضمَّ شفتيك؛ لأن ضمَّك شفتيك كتحريكك بعضَ جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذُن"[1].

وجاء عنه في **الرَّوْم** قوله: "وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرصُ على أن يُخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كلِّ حال، وأن يُعلِموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكَن على كلِّ حال. وذلك أراد الذين أشمُّوا؛ إلا أن هؤلاء أشدُّ توكيداً"[2]. قال الجوهري: "روْم الحركة الذي ذكره سيبويه حركة مختلسة مختفاة لضرب من التَّخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنها تُسمع، وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسة، مثل همزة بيْن بين"[3].

وقريب من معنى الرَّوْم مصطلح الاختلاس؛ فقد تعرَّض إليه سيبويه عرضاً في باب (الإشباع في الجرّ والرفع) قائلا: "فأمَّا الذين يُشبعون فيمطِّطون، وعلامته واو وياءٌ، وهذا تُحكِمه لك المشافهة... وأمَّا الذين لا يُشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربُها ومن مأمنِك، يُسرعون اللَّفظ. ومن ثَمَّ قال أبو عمرو: **إلى بارِئِكم**[4]..."[5].

– تعريف ابن جني:

"والرَّوْم على جهة التَّقريب – أي تقريب الحركة – "هي كالإهابة بالساكن نحو الحركة، وهو لذلك ضرب من المضارعة، وأخفى منها الإشمام؛ لأنَّه للعين لا للأذن"[6].

ومن المعلوم عند علماء القراءات –كما سيأتي– أن الرَّوم هو اختلاس الحركة أي عدم نطقها كاملة واضحة وهو للأذن، وأمَّا الإشمام فهو للعين في الضم خاصة: تضم الشَّفتين كأنَّك تنطق ضمَّة ولكن من دون إحداث صوت الضمَّة.

---

[1] الكتاب سيبويه، 4/ 171.

[2] الكتاب، 4/ 168.

[3] لسان العرب، مادة (روم)، 12/ 258.

[4] الآية: 45، من سورة البقرة.

[5] الكتاب، سيويه، 4/ 202.

[6] المصدر نفسه، 145/2.

وقد نبَّه ابن جني إلى مواضع التَّقريب الذي يجري مجرى الإدغام: "مما قرب فيه الصوت من الصوت"، ولكنه ليس إدغاماً تامّاً، واستخدم له مصطلح (التقريب).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن جنيّ قد ذكر مصطلحي الإشمام والرَّوْم في باب (الساكن والمتحرك) الذي أورد فيه بعض المصطلحات الصَّوتية، ولكنه لم يعرف –كغيره- هذه المصطلحات تعريفاً شافياً، بل كان يذكرها ويبين ما يحدث فيها من تقريب في الأصوات – أصوات الحروف أو الحركات – كما في قوله في بيان الفرق بين الإشمام والروم: "فأمَّا الإشمام فإنَّه للعين دون الأذن، لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً، ألا تراك تفصل به بين المذكَّر والمؤنَّث في قولك في الوقف أنتَ وأنتِ، فلولا أن هناك صوتاً لما وجدت فصلاً"[1].

- **تعريف بعض أهل الأداء:** أذكر منهم:

– تعريف الدَّانيّ:

يقول أبو عمرو –رحمه الله- : "فأمَّا حقيقة الرَّوم فهو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها، فتسمع لها صوتا خفيّاً يدركه الأعمى بحاسَّة سمعه. وأمَّا حقيقة الإشمام فهو ضمُّك شفتيك بعد سكون الحرف أصلاً، ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى لأنه لرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالعضو إلى الحركة"[4].

– تعريف الرُّعينيّ:

يقول أبو عبد الله: "والرَّوْم إضعاف الصَّوت بالحركة حتى يذهب أكثرها، وهو يكون في المرفوع والمخفوض. والإشمام ضمُّ الشَّفتين من غير صوت يسمع، وهو يكون في المرفوع خاصَّةً"[2].

– تعريف مكيّ بن أبي طالب القيسي:

يقول أبو محمد –رحمه الله-: "فالرَّوْم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسمعها الأعمى. والإشمام إتيانك بضمِّ شفتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسّه، لأنه لرَأي العين"[3].

– تعريف الإمام الشاطبيّ:

---

[1] الخصائص، 328/2.وانظر في تعريف الإشمام: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1405هـ، ص44، وفي تعريف الرَّوم، ص151.

[4]- التيسير، ص59.

[2] الكافي في القراءات السبع، ص 283.

[3] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م، 122/1.

وفي الرَّوم والإشمام قال القاسم –رحمه الله–:

ورومك إسماع المحرك واقف بصوت خفي كل دان تنوَّلا

والإشمام إطباق الشفاه بعيدما يسكن لا صوت هناك فيصْحلا[1]

وواضح من كلٍّ ما سبق مطابقة هذه التعاريف لتعاريف أبي عليّ –رحمه الله–، أو دورانها – على الأقلّ– في فلَك واحدٍ.

ب– مقارنة تعريفه للإمالة بتعريفات غيره:

- **تعريف أهل اللغة**: ومنهم:

– **ابن جني:**

حيث يقول في تعريفها: "الإمالة التي وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، نحو كلمة: (عالم) التي قرُبتْ فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأمَلْت الألف إلى الياء"[2].

- **تعريف بعض أهل القراءات**: من هؤلاء:

– **تعريف ابن غلبون:**

ذكر أبو الحسن طاهر بن غلبون الإمالة في معرض الحديث عن "مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمزة"، وتعرّض إلى بيان معناها، فقال: "يعني أنه كان إذا وقف على هذه الهمزة –أي حمزة– خفّف همزتها، لأنها متوسطة، وهي ممالة قد نُحِي بحركتها نحو الكسرة، فلذلك يجعلها بين الهمزة والياء الساكنة[3].

– ابن الجزري:

يعرِّف محقِّق الفنّ ابن الجزري الإمالة ويفصِّل فيها كما يأتي: "والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له الكسر أيضاً (وقليلاً) وهو بين اللفظين ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين؛ فخي بهذا الاعتبار تنقسم أيضاً إلى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسطة وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب"[4].

---

[1] متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيّرة الرعيني الشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، ط4، 1425هـ- 2004م، ص30.

[2] الخصائص، 2/ 141.

[3] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 220/1.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 2/ 24.

ويتضح مما سبق أن تعريف المصطلحات التي ذكرها أبو علي لا تختلف عن تعريفات غيره من أهل اللغة والأداء.

ثانيا: المصطلحات التي لم يعرف بها

سبق وأن أشرت إلى أن "كتاب الحجَّة" جاء مركِّزاً على موضوع توجيه القراءات والاحتجاج لها؛ لذلك لم يُعنَ فيه الإمام أبو عليّ –رحمه الله– كثيراً بتعريف مصطلحات علمي التجويد والقراءات، وأورد أكثر المصطلحات دون تعريف.

1- الدَّرج والإدراج:

استخدم الإمام أبو علي في الحجة هذين المصطلحين في أكثر من موضع، دون أن يعرِّفهما أو يشير إلى ذلك.

ومن أمثلة استخدامه لمصطلح الدَّرْج قوله:

"وما رُوي عن أبي عمرو من قوله: (ءأنذرتهم)[1] إنما هو عند الاستئناف دون الدَّرْج. ولو أدرج القراءة فقال: (سَوَآءٌ عَلَيْهِم أأنذَرْتَهُم) لوجب في قياس قول أبي عمرو الذي حكاه عنه سيبويه أن يحذف الهمزة الأولى..."[2].

ومن الأمثلة التي استخدم فيها مصطلح الإدراج قوله:

"قال أبو علي: اعلم أنَّ أبا زيد قوله في ذلك خلاف ما ذهب إليه سيبويه، وذلك أنه قال: قال أبو أدهم الكلابي" لَه (ربّي لا أقول) فتَح اللام وكسر الهاء في الإدراج، قال أبو زيد: ومعناه: والله ربي لا أقول"[3].

وفي موضع آخر يحتج فيه للحرف ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قال: "...وجهه: أن الحرف المدغم بمنزلة الحرف الموقوف عليه من حيث جمَعَها السكون، فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في تأمنا..."[4].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 06.

[2] الحجة، 1/ 186. وانظر مثله: 1/ 468،

[3] المصدر نفسه، 2/ 421.

[4] المصدر نفسه، 2/ 432، وانظر مثله: 3/ 86، 87، 302.

ويُفهم من مجموع المواقع التي ورد فيها مصطلحي الدَّرج أو الإدراج أن الإمام يعني بهما ذات المعنى؛ والمراد بهما الوصل في مقابل الوقف؛ يفسِّرُ ذلك –فضلاً عمَّا سبق– قوله في معرض حديثه عن ﭽ ﭾ [الكهف: ٣٨]: "فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: لكن هو الله ربي بإسقاط الألف في الوصل وإثباتها في الوقف..."[1].

وهذا الوصل الذي ذكره يفسِّر الإدراج الذي عناه فيما تلاه بعد ذلك من تفصيل؛ قائلا: "... ومثل هذه الألف –يقصد ألف لكنا– في أنها تثبت في الوقف وتسقط في الإدراج، الألف في حَيَّهَلا..."[2].

وإذا تقرَّر هذا المعنى عند أبي عليّ –وهو الظَّاهر– عُلِم أنَّ الإمام تعوزه –في تقديري– نوعٌ من الدِّقّة في هذا الأمر؛ ذلك أنَّ مصطلح الإدراج لا يعني الوصل في علم الأداء، وإن جاز إطلاقه عليه لغة[3]، بل يعني الإسراع في القراءة.

يقول ابن الجزري رحمه الله: "والمقصود بالإدراج هو الإسراع، وهو ضدَّ التَّحقيق، لا كما فهمه من لا فهم له من أنَّ معناه الوصل الذي هو ضدَّ الوقف"[4].

2- الإشباع والتَّمطيط:

ذكر أبو علي كلاًّ من الإشباع والتَّمطيط في مواضع مختلفة من كتابه، يعطف بأحدهما على الآخر في أغلبها، غير أنه لم يقف عند تعريفهما[5].

ومن أمثلة ذلك قوله:

"واعلم أنَّ الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمَّة والكسرة منهما ضربين، أحدهما: الإشباع والتَّمطيط، والآخر: الاختلاس والتَّخفيف"[6]. ثم يضيف في ذات السِّياق قائلاً: "وكما لم يُبدلِ الأكثرُ من التنوين ولا الواو في الجر والرفع كما أبدلوا الألف في النصب، وهذا الاختلاس، وإن كان لصوت فيه أضعف من التَّمطيط"[7].

---

[1] المصدر نفسه، 3/ 86.

[2] المصدر السابق، 3/ 87.

[3] يقال: استمرّ فلان أدراجه؛ إذا ذهب ومضى فيها.ويقال: وهذا الأَمر مَدْرجَةٌ لهذا أَي مُتَوَصَّلٌ به إِليه. لسان العرب، مادة (درج)، 2/ 266- 267.

[4] النشر في القراءات العشر، 2/ 304.

[5] انظر الحجة في المواضع الآتية: 1/ 299، 302، 303، 2/ 433 وغيرها.

[6] الحجة، 1/ 302.

[7] المصدر نفسه، 1/ 303.

واضح من هذا المثال وغيره –من خلال استقراء جميع هذه المواضع– أنَّ الإمام يطلق المصطلحين على ذات المعنى؛ وهو الإتيان بالحركات كوامل غيرَ منقوصات ولا مختلسات، على حدِّ تعريف الإمام ابن الجزريّ له؛ والذي يقول في ذلك: "فهو –أي الإشباع– عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصِّيغة لمن له ذلك ويستعمل أيضاً، ويراد به الحركات الكوامل غير منقوصات ولا مختلسات"[1].

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن التمطيط ينبغي أن يُقيَّد؛ إذ قد ينصرف أحياناً إلى معنىً يُخلُّ بالقراءة ويخرجها عن حدِّها وفصاحتها، خصوصاً إذا تعلق الأمر بباب المدّ، فغالبا ما يراد به تمكين المدّ تمكينا تامّاً زائداً عن المدّ الطبيعي يتجاوز مقدار الألفين إلى الثلاثة عند ورش وحمزة.

ومن ذلك ما جاء عن الإمام طاهر بن غلبون الذي ذكر هذا المصطلح –التّمطيط– في معرض الحديث عن التَّفاضل في إشباع المدّ –عند ورش خاصة–، والذي اعتبره من الإسراف الذي يخرج القراءة عن حدّها وفصاحتها وسهولتها؛ فيقول: "وهذا الإشباع في المدّ الذي عرّفتك أنهم يتفاضلون فيه، إنما هو على التّقريب من غير تمطيط ولا إسراف. كما روي عن حمزة: أن رجلاً قرأ عليه فجعل يمدّ، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أنَّ ما كان فوق الجعودة[2]، فهو قطط[3] وما كان كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة. وكما روي عن نافع أنه قال: قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله ρ سهلٌ، جزلٌ لا نمضغ، ولا نلوك، ننبر[4] ولا ننتهر، نسهل، ولا نشدِّد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها"[5].

ويذكر ابن الجزري عن مدِّ بعض القرَّاء قائلا: "...والأعشى وقتيبة يمدُّون مدّاً مشبعاً من غير تمطيط ولا إفراط كان، وكذلك ذكر أشياخنا"[6].

وواضح مما سبق عرضُه أن هذا المعنى الأخير لا يريده الإمام أبو عليّ.

---

[1] التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ- 1985م، ص 55.

[2] الجعد من الشعر: خلاف السبط، وقيل هو القصير؛ ,ويقال: رجل جعد؛ إذا كان قصيراً متردّد الخلق، كما يقال أيضا: رجل جعد؛ إذا كان بخيلاً لئيماً لا يَبِضُّ حَجَره. لسان العرب، 3/121-122.

[3] يقال: رجل قَطَطٌ وشعر قَطَطٌ وامرأَة قَطَطٌ، والجمع قَطَطُونَ و قَطَطاتٌ، وشعر قَطٌّ وقطَطٌ: جَعْد قصير،و القَطَطُ: الشديدُ الجعُودةِ، وقيل: الحسَنُ الجعُودةِ. لسان العرب، 7/380.

[4] النَّبْرُ بالكلامِ: الهَمْز. قال: وكلُّ شيء رفع شيئاً، فقد نَبَرَه. والنبْرُ: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُهُ نَبْراً هَمَزَه. لسان العرب، 5/189.

[5] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 1/ 148- 149.

[6] النشر، 2/ 259.

المطلب الثاني: مسلك الفارسي في التعريف بالمصطلحات

لم يول الإمام أبو عليّ رحمه الله عناية بتعريف المصطلحات الخاصَّة بعلمي التجويد والقراءات، بالرُّغم من طول نفسه في الكتاب وسبره الأغوار، ويبدو أنَّ الإمام منشغل بما هو فيه من الإغراق والتَّفصيل في تتبُّع المسائل اللُّغوية التي تتَّجه عليها القراءات القرآنية المختلفة والمعاني التي تترتَّب عليها، فجاء كتابه كما ترى خِلواً عن هذه التعريفات إلا ما جاء عرضاً.

وفيما يأتي بيان وتفصيل للقسمين:

أولا: المصطلحات التي ذكر تعريفها

لم يخلُ كتابُ "الحجة في القراءات السبع" من تعريفٍ لجملة من مصطلحات التجويد

والقراءات، غير أن ميزتها الاختصار وعدم الإطناب.

ثم إنَّ أغلب هذه التَّعريفات لم تكن مقصودة ومباشرة، وإنما عرَّج عنها الإمام في ثنايا الحديث وجاء الحديث عنها عرضاً، وبيان ذلك في الآتي:

1- المصطلحات التي ذكر لها تعريفا مباشراً:

يبدو من خلال استقرائي لمصطلحات الأداء والتجويد التي عرَّف بها أبو علي –وهي قليلة– أنَّ الإشمام هو المصطلح الوحيد الذي تقصَّد إلى تعريفه وبيانه قصْداً؛ فيذكر في بعض ثنايا "الحجة" أنَّ:

"الإشمامَ عند النَّحويِّين ليس بصوت فيفصِلَ بين المدغَم والمدغَم فيه، وإنما هو تهيئة العضو لإخراج الصوت الذي هو الضَّم ليدلَّ عليه، وليس بخارج إلى اللفظ"[1]. ثم ينبِّه إلى قضية في غاية الأهميَّة قائلاً: "ولعلَّ أبا بكر ظنَّ أنَّ القرَّاء ليس يَعنون بالإشمام ما يعني به النحويُّون في أنه تهيئة العضو للصَّوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللَّفظ". ثم يبيِّن: "والإشمام إنما يكون عند النحويِّين في الضَّمّ؛ فأمَّا الكسر فلا إشمام فيه؛ وذلك أنَّ الإشمام إنما هو تحريك الشَّفتين يراه البصير دون الأعمى، فيستدلُّ لذلك على إرادة الفاعل لذلك الضمِّ، وليس هذا في الكسر؛ لأنه لا فائدة لبصير ولا لأعمى من حيث لا يظهر للرَّائي"[2].

وبعد أن عرَّف به جعل في كلِّ مرة يتعرَّض فيها إلى محالِّه يعرِّفه ويزيد في توضيحه؛ من ذلك ما ذكره في بعض المواضع في سياق الحديث عن الخلف في ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً: "فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في ﭽﯡﭼ وليس ذلك بصوت خارج إلى اللفظ، إنما تهيئة العضو لإخراج ذلك الصوت به، ليُعلم بالتهيئة أنه يريد ذلك المتهيَّأ له..."[3].

وفي آخر قائلاً: "وروى خلف بن هشام وأبو هشام الرفاعي عن سُليم بن عيسى الحنفي[4] عن حمزة أنه كان يشمّ الراء الأولى من قوله: ذاتِ قرارٍ، والأشرارِ، وما كان مثل ذلك الكسر من غير إشباع"[5].

وفي محلٍّ آخر يسميه بتسمية جديدة؛ وهي الإشارة[6]: "...فهذا وجه الإدغام، والإشارة بالضم إلى الحرف المدغم"[1].

---

[1] المصدر السابق، 1/ 145.

[2] المصدر نفسه، 1/ 146.

[3] المصدر نفسه، 2/ 432.

[4] هو: سليم بن عيسى الحنفي بالولاء، الكوفي، إمام في القراءة. كان أخص أصحاب حمزة وأضبطهم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة. الأعلام، 3/ 119، وغاية النهاية، 1/ 288.

[5] الحجة، 2/ 59.

[6] يدلُّ مصطلح الإشارة على هيئة الوقف للإمالة على أواخر الكلم بالإيماء إليه وتضعيف الصوت به. انظر: جامع البيان في القراءات السبع: 483/1. أي أن الإشارة تكون بالروم أو الإشمام. ومصطلح الإشارة استخدمه بهذا المعنى كثير من أئمة فن التجويد، منهم الإمام الداني في "جامع البيان" في عدّة مواضع، منها: في باب ذكر مذاهبهم في الوقف على الممال في الوصل،

2- المصطلحات التي ذكر تعريفها عرضاً:

جاءت بقية التعريفات المذكورة في "الحجة" عرضاً وفي سياقات مختلفة، غير مقصودة ولا مباشرة، وهي:

ن- **الاختلاس**: ذكر الإمام أبو علي مصطلح الاختلاس في معرض ذكر الخلف في قوله تعالى: ﭽ ڑ ڑ ﭼ [آل عمران: ٨٠]، وذلك بعد تفصيل طويل في جوانب مختلفة لمسألة إشباع الحركات وتخفيفها، ثم يقول:

"وهذا الاختلاس والتَّخفيف إنما يكون في الضَّمَّة والكسرة، فأمَّا الفتحة فليس فيها إلا الإشباع ولم تُخفَّف الفتحة بالاختلاس، كما لم تخفَّف بالحذف في نحو: جمَلٍ، وجَبَلٍ... وهذا الاختلاس وإن كان الصَّوت فيه أضعفَ من التَّمطيط وأخفى، فإن الحرف المختلَس حركتُه بزنة المتحرِّك"[2]. ثم يوضِّح أنَّ الاختلاس في مقابل الإسكان وليس إسكاناً، فيقول:

"فمن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو -ﭽ ﮓ ﮔ ﭼ [البقرة: ٥٤]- فلعلَّه سمعه يختلسُ فحسبه لضَعف الصوت به والخفاء إسكاناً"[3].

وفي بعض المواضع لم نجده يصرح بمصطلح الاختلاس، إنما ذكر بدله مصطلح الإخفاء، غير أن السِّياق الذي جاء به يفيد أنه يريده؛ إذ يذكر بعد إغراق طويل في الحديث عن الخلف في حرف ﭽ ﮯ ﭼ [التوبة: ١٢] والاستشهاد له قائلاً:

"... أو يعني به إخفاء الحركة، ولم يجز واحد من الوجهين الأولين؛ ثبت إنه إخفاء الحركة، والإخفاء تضعيف الصوت بالحركة، فهو يضارع السكون من جهة الإخفاء، وإن كان المخفِيُّ في وزن المتحرك"[4].

هـ- **الرَّوْم**: أشار الإمام إلى الرَّوْم في معرض الفرق بينه وبين الإشمام، أثناء تعرضه للخلف في ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً:

وذكر مصطلح الإشارة إلى الكسر. المصدر نفسه. كما استخدمه بالمعنى نفسه ابن الباذش في عدة مواضع أيضا، منها قوله: "والروم والإشمام ممتنعان في الحرف المبدل من الهمزة المسكونة، وذكر أنه لا تجوز الإشارة إلى ألف [ذرأ]، الإقناع، ص200.

[1] الحجة، 2/ 433.

[2] المصدر السابق، 1/ 303.

[3] المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه، 2/ 314- 315.

"ولو رام الحركة فيها لم يجز مع الإدغام، كما جاز الإشمام مع الإدغام لأن روم الحركة حركة، وإن كان الصوت قد أضعف بها، ألا ترى أنهم قالوا: إن روم الحركة يُفضل به بين المذكر والمؤنث، نحو: رأيتُكِ ورأيتُك"[1].

وذكر بعد ذلك وجه الرَّوْم في قراءة چ ﯥ چ، وعبر عنه بالإخفاء والاختلاس واعتبره وجهاً آخر سائغاً في العربيَّة، قائلاً:

"وقد يجوز في ذلك وجه آخر في العربيَّة؛ وهو أن تُبيِّن ولا تدغم، ولكنك تخفي الحركة، وإخفاؤها هو أن لا تشبعه بالتَّمطيط، ولكنك تختلسها اختلاساً"[2].

فالرَّوْم إذن غير الإشمام؛ وهو صوت ضعيف تذهب فيه معظم الحركة، أو على حدِّ تعبير الإمام: "ولو كان مكان الإشمام روم الحركة لامتنع الروم مع الإدغام؛ لأنه صوت يحجز"[3].

و- **تسهيل الهمز**: تعرض أبو علي لتعريف التسهيل –التخفيف- ضمناً، ولم يقصد إليه قصداً، وذلك أثناء شرحه لمصطلح "ذوق الهمز" الذي ذكره أبو بكر بن مجاهد رحمه الله في "سبعته"[4] في معرض الحديث عن الخلف في چ ﭩ چ [الأنعام:٤٠]، و چ ﭫ چ [الأنعام:٤٦] ونحوها؛ فيسوق قوله ثمَّ يوضِّحه:

"وقرأ نافع (أَرَايْتُم، وأَرَايْتَكُم، وأَرَايْتَ) بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز".

"وقوله: قرأ نافع بألف في كلّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بيْن بين أي بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق"[5].

ي- الإمالة: جاء ذكر الإمالة في عدّة مواضع من كتاب "الحجة" لم يصرِّح فيها بتعريف مباشر لها أو يبين أيَّ الإمالتين يقصد الصغرى أم الكبرى، غير أنه يُفهَم من حديثه عنها أنه في كلِّ مرة يذكرها مطلقة غير مقيدة انصرفت إلى الإمالة الكبرى[6]؛ وهذا الذي درج عليه القدامى.

والملفت للانتباه أنَّ أبا علي يطلق على الإمالة اصطلاحات مختلفة؛ فيسمِّيها أحياناً "الكسر"؛ وذلك في قوله: "وقرأ حمزة والكسائي: چ ﮓ چ [هود: ٤١] بفتح الميم وكسر الرَّاء،

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 432.

[2] المصدر السابق، 2/ 433.

[3] المصدر نفسه، 1/ 145.

[4] السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص257.

[5] المصدر نفسه، 2/ 160.

[6] المصدر نفسه، 1/ 246- 249.

وكذلك حفص عن عاصم: (**مجَرْيها**) بفتح الميم، وكسر الراء من غير إضافة. قال: وليس يكسر في القرآن غير هذا الحرف، يعني الرَّاءَ في مجرِاها"[1].

وأحياناً يردفها في الموضع الواحد بعدة اصطلاحات كلُّها تصبُّ في ذات المعنى، كـ "الإجناح، والإضجاع، والإمالة الشَّديدة" وغيرها؛ كما في قوله: "وقول أحمد في حكايته عن نافع: لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة، يريد به –إن شاء الله– لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة فتميل الألف نحو الياء كثيراً، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخف لذلك إجناح الألف وإضجاعها"[2].

أ- **التقليل**: لم يعرف أبو علي مصطلح التقليل ولم يذكره بهذا اللفظ، بل اكتفى بالتعبير عنه –عرضاً– هو الآخر بعدَّة إطلاقات؛ فهو:

"بين الفتح والكسر"؛ كما في قوله: "قال أحمد بن موسى: كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعده راء مكسورة، مثل من **النار** و من **قرار** و **الأبرار** و **الأشرار** و **دار البوار** و **الأبصار** و **بقنطار** و **بدينار** و **ديارهم** و على **آثارهم** بل كان في ذلك كلِّه بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب"[3].

أو يصفه بأنه "بين الكسر والتفخيم"؛ وذلك صريح في أثناء تعرضه للخلف في قوله تعالى: **چ گچ** [هود: ٤١]، قال: " وكان نافع وعاصم في رواية أبي بكر يقرآنها بين الكسر[4] والتفخيم[5]"[6].

وأحيانا يسميه "بين الإمالة والتفخيم"؛ كما في قوله: " وكان أبو عمرو لا يميل من ذلك إلا ما كان في رؤوس الآي إذا كانت السورة أواخر آياتها الياء، مثل: **أمات وأحيَا** فإنه كان يلفظ بهذه الحروف في هذه المواضع بين الإمالة والتفخيم"[7].

---

[1] المصدر السابق، 2/ 393.

[2] المصدر نفسه، 1/ 246.

[3] المصدر نفسه، 1/ 246.

[4] تسمي العرب الإمالة كسراً. انظر: شرح المفصّل في النحو والصرف، موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 154، النشر في القراءات العشر، 2/ 24.

[5] وتسمي الفتح تفخيماً، وربما قيل له النَّصب. المصدران نفسهما.

[6] الحجة، 2/ 393.

[7] المصدر نفسه، 1/ 249.

أو يصطلح عنه بـ "الإنحاء نحو الياء"؛ يقول في هذا الصدد: "فكما غُيِّر موضع الوقف بهذا النحو من التغيير، كذلك غُيِّرت الألف بأن نُحِيَ بها نحو الياء..."[1].

ووجدناه مرّةً عبَّر عنه بـ "إشمام الإضجاع"؛ وذلك في معرض حديثه عن خلف بعض الحروف، قال في ذلك: "وأمال الرَّاء أبو عمرو وابن عامر والكسائي من (الأشرار)، وقرأ نافع بإشمام الراء الأولى: الإضجاع، وكذلك حمزة يشمُّ، وفتحها ابن كثير وعاصم"[2].

ب-ب- **الإدغام**: أشار أبو عليّ إلى تعريف الإدغام في معرض الاحتجاج لقراءة المضارعة أو الإشمام بين الصاد والزاي في قوله تعال: ﭽ ﭟ ﭠ ﭼ [الفاتحة: ٦]، فقد نقل بعض الحجج التي توهن من هذه القراءة، ومنها أنَّ المضارعة تشبه الإدغام في "أنَّه تقريب الحرف الأوَّل من الثَّاني"[3].

والنَّص واضح في أنَّ هذا التَّشبيه ليس تعريفاً في الحقيقة للإدغام، وإنما هو بيان لوظيفة الإدغام وكذا المضارعة النَّاتجة عن تقريب الحرفين وتناسب أحدهما إلى الأخر.

3- مقارنة تعريفات أبي علي بتعريفات غيره من الأئمة:

وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين بعض التعريفات التي ذكرها الإمام أبو علي رحمه الله –مع قلَّتها– بتعريفات غيره من الأئمة نجدها متطابقة في الغالب، وحتى وإن لم تتطابق في المبنى فهي متطابقة في المعنى.

ج- مقارنة تعريفه للرَّوْم والإشمام بتعريفات غيره:

- **تعريفات بعض اللغويين**: من هؤلاء:

– **تعريف سيبويه**:

وصف الإمام سيبويه **الإشمام** قائلا: "وأمَّا الإشمام ، فليس إليه سبيل، وإنما كان في الرَّفع لأن الضمَّة من الواو، فأنت تقدِّر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئتَ ثمَّ تضمَّ شفتيك؛ لأن ضمَّك شفتيك كتحريكك بعضَ جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذُن"[4].

وجاء عنه في **الرَّوْم** قوله: "وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرصُ على أن يُخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كلِّ حال، وأن يُعلِموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكَن على كلِّ حال. وذلك أراد الذين أشمُّوا؛ إلا أن هؤلاء أشدُّ توكيداً"[5]. قال الجوهري: "روْم الحركة الذي

---

[1] المصدر السابق، 1/ 249.

[2] المصدر نفسه، 3/ 335.

[3] المصدر نفسه، 1/ 57.

[4] الكتاب سيبويه، 4/ 171.

[5] الكتاب، 4/ 168.

الذي ذكره سيبويه حركة مختلسة مختفاة لضرب من التَّخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنها تُسمع، وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسة، مثل همزة بيْن بين"[1].

وقريب من معنى الرَّوْم مصطلح الاختلاس؛ فقد تعرَّض إليه سيبويه عرضاً في باب (الإشباع في الجرّ والرفع) قائلا: "فأمَّا الذين يُشبعون فيمطِّطون، وعلامته واو وياءٌ، وهذا تُحكِمه لك المشافهة... وأمَّا الذين لا يُشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربُها ومن مأمنِك، يُسرعون اللَّفظ. ومن ثَمَّ قال أبو عمرو: إلى بارِئِكم[2]..."[3].

- تعريف ابن جني:

"والرَّوْم على جهة التَّقريب – أي تقريب الحركة – "هي كالإهابة بالساكن نحو الحركة، وهو لذلك ضرب من المضارعة، وأخفى منها الإشمام؛ لأنَّه للعين لا للأذن"[4].

ومن المعلوم عند علماء القراءات –كما سيأتي– أن الرَّوم هو اختلاس الحركة أي عدم نطقها كاملة واضحة وهو للأذن، وأمَّا الإشمام فهو للعين في الضم خاصة: تضم الشَّفتين كأنَّك تنطق ضمَّة ولكن من دون إحداث صوت الضمَّة.

وقد نبَّه ابن جني إلى مواضع التَّقريب الذي يجري مجرى الإدغام: "مما قرب فيه الصوت من الصوت"، ولكنه ليس إدغاماً تامّاً، واستخدم له مصطلح (التقريب).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن جنيّ قد ذكر مصطلحي الإشمام والرَّوْم في باب (الساكن والمتحرك) الذي أورد فيه بعض المصطلحات الصَّوتية، ولكنه لم يعرف –كغيره– هذه المصطلحات تعريفاً شافياً، بل كان يذكرها ويبين ما يحدث فيها من تقريب في الأصوات – أصوات الحروف أو الحركات – كما في قوله في بيان الفرق بين الإشمام والروم: "فأمَّا الإشمام فإنَّه للعين دون الأذن، لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً، ألا تراك تفصل به بين المذكَّر والمؤنَّث في قولك في الوقف أنتَ وأنتِ، فلولا أن هناك صوتاً لما وجدت فصلاً"[5].

- **تعريف بعض أهل الأداء**: أذكر منهم:

---

[1] لسان العرب، مادة (روم)، 12/ 258.

[2] الآية: 45، من سورة البقرة.

[3] الكتاب، سيويه، 4/ 202.

[4] المصدر نفسه، 145/2.

[5] الخصائص، 328/2.وانظر في تعريف الإشمام: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1405هـ، ص44، وفي تعريف الرَّوم، ص151.

– تعريف الدَّانيِّ:

يقول أبو عمرو –رحمه الله– : "فأمَّا حقيقة الرَّوم فهو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها، فتسمع لها صوتا خفيّاً يدركه الأعمى بحاسَّة سمعه. وأمَّا حقيقة الإشمام فهو ضمُّك شفتيك بعد سكون الحرف أصلاً، ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى لأنه لرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالعضو إلى الحركة"[4].

– تعريف الرُّعينيّ:

يقول أبو عبد الله: "والرَّوْم إضعاف الصَّوت بالحركة حتى يذهب أكثرها، وهو يكون في المرفوع والمخفوض. والإشمام ضمُّ الشَّفتين من غير صوت يسمع، وهو يكون في المرفوع خاصَّةً"[1].

– تعريف مكيّ بن أبي طالب القيسي:

يقول أبو محمد –رحمه الله–: "فالرَّوْم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسمعها الأعمى. والإشمام إتيانك بضمِّ شفتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسّه، لأنه لرَأي العين"[2].

– تعريف الإمام الشاطبيّ:

وفي الرَّوم والإشمام قال القاسم –رحمه الله–:

ورومك إسماع المحرك واقف بصوت خفي كل دان تنوَّلا

والإشمام إطباق الشفاه بعيدما يسكن لا صوت هناك فيصْحلا[3]

وواضح من كلِّ ما سبق مطابقة هذه التعاريف لتعاريف أبي عليّ –رحمه الله–، أو دورانها – على الأقلّ– في فلَك واحدٍ.

ب– مقارنة تعريفه للإمالة بتعريفات غيره:

- **تعريف أهل اللغة:** ومنهم:

– ابن جني:

---

[4]– التيسير، ص59.

[1] الكافي في القراءات السبع، ص 283.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ– 1997م، 122/1.

[3] متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيّرة الرعيني الشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، ط4، 1425هـ– 2004م، ص30.

حيث يقول في تعريفها: "الإمالة التي وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، نحو كلمة: (عالم) التي قرُبتْ فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأمَلْت الألف إلى الياء"[1].

- **تعريف بعض أهل القراءات**: من هؤلاء:

- **تعريف ابن غلبون:**

ذكر أبو الحسن طاهر بن غلبون الإمالة في معرض الحديث عن "مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمزة"، وتعرّض إلى بيان معناها، فقال: "يعني أنه كان إذا وقف على هذه الهمزة –أي حمزة– خفّف همزتها، لأنها متوسطة، وهي ممالة قد نُحِي بحركتها نحو الكسرة، فلذلك يجعلها بين الهمزة والياء الساكنة[2].

- ابن الجزري:

يعرِّف محقِّق الفنّ ابن الجزري الإمالة ويفصِّل فيها كما يأتي: "والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له الكسر أيضاً (وقليلاً) وهو بين اللفظين ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين؛ فخي بهذا الاعتبار تنقسم أيضاً إلى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسطة وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب"[3].

ويتضح مما سبق أن تعريف المصطلحات التي ذكرها أبو علي لا تختلف عن تعريفات غيره من أهل اللغة والأداء.

ثانيا: المصطلحات التي لم يعرف بها

سبق وأن أشرت إلى أن "كتاب الحجَّة" جاء مركِّزاً على موضوع توجيه القراءات والاحتجاج لها؛ لذلك لم يُعنَ فيه الإمام أبو عليّ –رحمه الله– كثيراً بتعريف مصطلحات علمي التجويد والقراءات، وأورد أكثر المصطلحات دون تعريف.

1- الدَّرج والإدراج:

---

[1] الخصائص، 2/ 141.

[2] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 220/1.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 2/ 24.

استخدم الإمام أبو علي في الحجة هذين المصطلحين في أكثر من موضع، دون أن يعرِّفهما أو يشير إلى ذلك.

ومن أمثلة استخدامه لمصطلح الدَّرْج قوله:

"وما رُوي عن أبي عمرو من قوله: (ءأنذرتهم)[1] إنما هو عند الاستئناف دون الدَّرْج. ولو أدرج القراءة فقال: (سَوَآءٌ عَلَيْهِم أأنذَرْتَهُم) لوجب في قياس قول أبي عمرو الذي حكاه عنه سيبويه أن يحذف الهمزة الأولى..."[2].

ومن الأمثلة التي استخدم فيها مصطلح الإدراج قوله:

"قال أبو علي: اعلم أنَّ أبا زيد قوله في ذلك خلاف ما ذهب إليه سيبويه، وذلك أنه قال: قال أبو أدهم الكلابي" لَه (ربّي لا أقول) فتَح اللام وكسر الهاء في الإدراج، قال أبو زيد: ومعناه: والله ربي لا أقول"[3].

وفي موضع آخر يحتج فيه للحرف ﭽ ﯡ ﭼ [يوسف: ١١]، قال: "...وجهه: أن الحرف المدغم بمنزلة الحرف الموقوف عليه من حيث جمَعَها السكون، فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في تأمنا..."[4].

ويُفهم من مجموع المواقع التي ورد فيها مصطلحي الدَّرج أو الإدراج أن الإمام يعني بهما ذات المعنى؛ والمراد بهما الوصل في مقابل الوقف؛ يفسِّرُ ذلك –فضلاً عمَّا سبق– قوله في معرض حديثه عن ﭽ ﭾ ﭼ [الكهف: ٣٨]: "فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: لكن هو الله ربي بإسقاط الألف في الوصل وإثباتها في الوقف..."[5].

وهذا الوصل الذي ذكره يفسِّر الإدراج الذي عناه فيما تلاه بعد ذلك من تفصيل؛ قائلا: "... ومثل هذه الألف –يقصد ألف لكنا– في أنها تثبت في الوقف وتسقط في الإدراج، الألف في حَيَّهَلا..."[6].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 06.

[2] الحجة، 1/ 186. وانظر مثله: 1/ 468،

[3] المصدر نفسه، 2/ 421.

[4] المصدر نفسه، 2/ 432، وانظر مثله: 3/ 86، 87، 302.

[5] المصدر نفسه، 3/ 86.

[6] المصدر السابق، 3/ 87.

وإذا تقرَّر هذا المعنى عند أبي عليّ —وهو الظَّاهر– عُلِم أنَّ الإمام تعوزه —في تقديري– نوعٌ من الدِّقّة في هذا الأمر؛ ذلك أنَّ مصطلح الإدراج لا يعني الوصل في علم الأداء، وإن جاز إطلاقه عليه لغة[1]، بل يعني الإسراع في القراءة.

يقول ابن الجزري رحمه الله: "والمقصود بالإدراج هو الإسراع، وهو ضدَّ التَّحقيق، لا كما فهمه من لا فهم له من أنَّ معناه الوصل الذي هو ضدَّ الوقف"[2].

2- الإشباع والتَّمطيط:

ذكر أبو علي كلاًّ من الإشباع والتَّمطيط في مواضع مختلفة من كتابه، يعطف بأحدهما على الآخر في أغلبها، غير أنه لم يقف عند تعريفهما[3].

ومن أمثلة ذلك قوله:

"واعلم أنَّ الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمَّة والكسرة منهما ضربين، أحدهما: الإشباع والتَّمطيط، والآخر: الاختلاس والتَّخفيف"[4]. ثم يضيف في ذات السِّياق قائلاً: "وكما لم يُبدلِ الأكثرُ من التنوين ولا الواو في الجر والرفع كما أبدلوا الألف في النصب، وهذا الاختلاس، وإن كان لصوت فيه أضعف من التَّمطيط"[5].

واضح من هذا المثال وغيره —من خلال استقراء جميع هذه المواضع– أنَّ الإمام يطلق المصطلحين على ذات المعنى؛ وهو الإتيان بالحركات كوامل غيرَ منقوصات ولا مختلسات، على حدِّ تعريف الإمام ابن الجزريّ له؛ والذي يقول في ذلك: "فهو —أي الإشباع– عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصِّيغة لمن له ذلك ويستعمل أيضاً، ويراد به الحركات الكوامل غير منقوصات ولا مختلسات"[6].

---

[1] يقال: استمرّ فلان أدراجه؛ إذا ذهب ومضى فيها.ويقال: وهذا الأَمر مَدْرجَةٌ لهذا أَي مُتَوَصَّلٌ به إِليه. لسان العرب، مادة (درج)، 2/ 266- 267.

[2] النشر في القراءات العشر، 2/ 304.

[3] انظر الحجة في المواضع الآتية: 1/ 299، 302، 303، 2/ 433 وغيرها.

[4] الحجة، 1/ 302.

[5] المصدر نفسه، 1/ 303.

[6] التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ- 1985م، ص 55.

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن التمطيط ينبغي أن يُقيَّد؛ إذ قد ينصرف أحياناً إلى معنىً يُخلُّ بالقراءة ويخرجها عن حدِّها وفصاحتها، خصوصاً إذا تعلق الأمر بباب المدّ، فغالبا ما يراد به تمكين المدّ تمكينا تامّاً زائداً عن المدّ الطبيعي يتجاوز مقدار الألفين إلى الثلاثة عند ورش وحمزة.

ومن ذلك ما جاء عن الإمام طاهر بن غلبون الذي ذكر هذا المصطلح -التّمطيط- في معرض الحديث عن التَّفاضل في إشباع المدّ —عند ورش خاصة-، والذي اعتبره من الإسراف الذي يخرج القراءة عن حدّها وفصاحتها وسهولتها؛ فيقول: "وهذا الإشباع في المدّ الذي عرّفتك أنهم يتفاضلون فيه، إنما هو على التّقريب من غير تمطيط ولا إسراف. كما روي عن حمزة: أن رجلاً قرأ عليه فجعل يمدّ، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أنَّ ما كان فوق الجعودة[1]، فهو قطط[2] وما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة. وكما روي عن نافع أنه قال: قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله ρ سهلٌ، جزلٌ لا نمضغ، ولا نلوك، ننبر[3] ولا ننتهر، نسهل، ولا نشدِّد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها"[4].

ويذكر ابن الجزري عن مدِّ بعض القرَّاء قائلا: "...والأعشى وقتيبة يمدُّون مدّاً مشبعاً من غير تمطيط ولا إفراط كان، وكذلك ذكر أشياخنا"[5].

وواضح مما سبق عرضُه أن هذا المعنى الأخير لا يريده الإمام أبو عليّ.

---

[1] الجعد من الشعر: خلاف السبط، وقيل هو القصير؛ ,ويقال: رجل جعد؛ إذا كان قصيراً متردّد الخلق، كما يقال أيضا: رجل جعد؛ إذا كان بخيلاً لئيماً لا يَبِضُّ حَجَره. لسان العرب، 3/121-122.

[2] يقال: رجل قَطَطٌ وشعر قَطَطٌ وامرأَة قَطَطٌ، والجمع قَطَطُونَ و قَطَطاتٌ، وشعر قَطٌّ وقطَطٌ: جَعْد قصير،و القَطَطُ: الشديدُ الجعُودةِ، وقيل: الحسَنُ الجعُودةِ. لسان العرب، 7/380.

[3] النَّبْرُ بالكلامِ: الهَمْز. قال: وكلُّ شيء رفع شيئاً، فقد نَبَرَه. والنبْرُ: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُهُ نَبْراً هَمَزَه. لسان العرب، 5/189.

[4] التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، 1/ 148- 149.

[5] النشر، 2/ 259.

المطلب الثاني: مسلك الفارسي في التعريف بالمصطلحات

لم يول الإمام أبو عليّ رحمه الله عناية بتعريف المصطلحات الخاصَّة بعلمي التجويد والقراءات، بالرُّغم من طول نفسه في الكتاب وسبره الأغوار، ويبدو أنَّ الإمام منشغل بما هو فيه من الإغراق والتَّفصيل في تتبُّع المسائل اللُّغوية التي تتَّجه عليها القراءات القرآنية المختلفة والمعاني التي تترتَّب عليها، فجاء كتابه كما ترى خِلواً عن هذه التعريفات إلا ما جاء عرضاً.

وفيما يأتي بيان وتفصيل للقسمين:

أولا: المصطلحات التي ذكر تعريفها

لم يخلُ كتابُ "الحجة في القراءات السبع" من تعريفٍ لجملة من مصطلحات التجويد والقراءات، غير أن ميزتها الاختصار وعدم الإطناب.

ثم إنَّ أغلب هذه التَّعريفات لم تكن مقصودة ومباشرة، وإنما عرَّج عنها الإمام في ثنايا الحديث وجاء الحديث عنها عرضاً، وبيان ذلك في الآتي:

1- المصطلحات التي ذكر لها تعريفا مباشراً:

يبدو من خلال استقرائي لمصطلحات الأداء والتجويد التي عرَّف بها أبو علي —وهي قليلة– أنَّ الإشمام هو المصطلح الوحيد الذي تقصَّد إلى تعريفه وبيانه قصْداً؛ فيذكر في بعض ثنايا "الحجة" أنَّ:

"الإشمامَ عند النَّحويِّين ليس بصوت فيفصِلَ بين المدغَم والمدغَم فيه، وإنما هو تهيئة العضو لإخراج الصوت الذي هو الضَّم ليدلَّ عليه، وليس بخارج إلى اللفظ"[1]. ثم ينبِّه إلى قضية في غاية

[1] المصدر السابق، 1/ 145.

الأهميَّة قائلاً: "ولعلَّ أبا بكر ظنَّ أنَّ القرَّاء ليس يَعنون بالإشمام ما يعني به النحويُّون في أنه تهيئة العضو للصَّوت وهمٌّ به، وليس بخروج إلى اللَّفظ". ثم يبيِّن: "والإشمام إنما يكون عند النحويِّين في الضَّمّ؛ فأمَّا الكسر فلا إشمام فيه؛ وذلك أنَّ الإشمام إنما هو تحريك الشَّفتين يراه البصير دون الأعمى، فيستدلُّ لذلك على إرادة الفاعل لذلك الضمِّ، وليس هذا في الكسر؛ لأنه لا فائدة لبصير ولا لأعمى من حيث لا يظهر للرَّائي"[1].

وبعد أن عرَّف به جعل في كلِّ مرة يتعرَّض فيها إلى محالِّه يعرِّفه ويزيد في توضيحه؛ من ذلك ما ذكره في بعض المواضع في سياق الحديث عن الخلف في ﭽ ﯣ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً: "فمن حيث أشمُّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمُّوا النون المدغمة في ﭽﯤﭼ وليس ذلك بصوت خارج إلى اللفظ، إنما تهيئة العضو لإخراج ذلك الصوت به، ليُعلم بالتهيئة أنه يريد ذلك المتهيَّأ له..."[2].

وفي آخر قائلاً: "وروى خلف بن هشام وأبو هشام الرفاعي عن سُليم بن عيسى الحنفي[3] عن حمزة أنه كان يشمّ الراء الأولى من قوله: ذاتِ قرارٍ، والأشرارِ، وما كان مثل ذلك الكسر من غير إشباع"[4].

وفي محلٍّ آخر يسميه بتسمية جديدة؛ وهي الإشارة[5]: "...فهذا وجه الإدغام، والإشارة بالضم إلى الحرف المدغم"[6].

2- المصطلحات التي ذكر تعريفها عرضاً:

جاءت بقية التعريفات المذكورة في "الحجة" عرضاً وفي سياقات مختلفة، غير مقصودة ولا مباشرة، وهي:

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 146.

[2] المصدر نفسه، 2/ 432.

[3] هو: سليم بن عيسى الحنفي بالولاء، الكوفي، إمام في القراءة. كان أخص أصحاب حمزة وأضبطهم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة. الأعلام، 3/ 119، وغاية النهاية، 1/ 288.

[4] الحجة، 2/ 59.

[5] يدلُّ مصطلح الإشارة على هيئة الوقف للإمالة على أواخر الكلم بالإيماء إليه وتضعيف الصوت به. انظر: جامع البيان في القراءات السبع: 483/1. أي أن الإشارة تكون بالروم أو الإشمام. ومصطلح الإشارة استخدمه بهذا المعنى كثير من أئمة فن التجويد، منهم الإمام الداني في "جامع البيان" في عدّة مواضع، منها: في باب ذكر مذاهبهم في الوقف على الممال في الوصل، وذكر مصطلح الإشارة إلى الكسر. المصدر نفسه. كما استخدمه بالمعنى نفسه ابن الباذش في عدة مواضع أيضا، منها قوله: "والروم والإشمام ممتنعان في الحرف المبدل من الهمزة المسكونة، وذكر أنه لا تجوز الإشارة إلى ألف [ذرأ]، الإقناع، ص200.

[6] الحجة، 2/ 433.

تت- **الاختلاس**: ذكر الإمام أبو علي مصطلح الاختلاس في معرض ذكر الخلف في قوله تعالى: ﭽ ڑ ڑ ﭼ [آل عمران: ٨٠]، وذلك بعد تفصيل طويل في جوانب مختلفة لمسألة إشباع الحركات وتخفيفها، ثم يقول:

"وهذا الاختلاس والتَّخفيف إنما يكون في الضَّمَّة والكسرة، فأمَّا الفتحة فليس فيها إلا الإشباع ولم تُخفَّف الفتحة بالاختلاس، كما لم تخفَّف بالحذف في نحو: جمَلٍ، وجَبَلٍ... وهذا الاختلاس وإن كان الصَّوت فيه أضعفَ من التَّمطيط وأخفى، فإن الحرف المختلَس حركتُه بزنة المتحرِّك"[1]. ثم يوضِّح أنَّ الاختلاس في مقابل الإسكان وليس إسكاناً، فيقول:

"فمن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو -ﭽ ﮓ ﮗ ﭼ [البقرة: ٥٤]- فلعلَّه سمعه يختلسُ فحسبه لضَعف الصوت به والخفاء إسكاناً"[2].

وفي بعض المواضع لم نجده يصرح بمصطلح الاختلاس، إنما ذكر بدله مصطلح الإخفاء، غير أن السِّياق الذي جاء به يفيد أنه يريده؛ إذ يذكر بعد إغراق طويل في الحديث عن الخلف في حرف ﭽ ﯧ ﭼ [التوبة: ١٢] والاستشهاد له قائلاً:

"... أو يعني به إخفاء الحركة، ولم يجز واحد من الوجهين الأولين؛ ثبت إنه إخفاء الحركة، والإخفاء تضعيف الصوت بالحركة، فهو يضارع السكون من جهة الإخفاء، وإن كان المخفِيُّ في وزن المتحرك"[3].

ثث- **الرَّوْم**: أشار الإمام إلى الرَّوْم في معرض الفرق بينه وبين الإشمام، أثناء تعرضه للخلف في ﭽ ﯥ ﭼ [يوسف: ١١]، قائلاً:

"ولو رام الحركة فيها لم يجز مع الإدغام، كما جاز الإشمام مع الإدغام لأن روم الحركة حركة، وإن كان الصوت قد أضعف بها، ألا ترى أنهم قالوا: إن روم الحركة يُفضل به بين المذكر والمؤنث، نحو: رأيتُكِ ورأيتُك"[4].

وذكر بعد ذلك وجه الرَّوْم في قراءة ﭽ ﯥ ﭼ، وعبر عنه بالإخفاء والاختلاس واعتبره وجهاً آخر سائغاً في العربيَّة، قائلاً:

---

[1] المصدر السابق، 1/ 303.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، 2/ 314- 315.

[4] المصدر نفسه، 2/ 432.

"وقد يجوز في ذلك وجه آخر في العربيَّة؛ وهو أن تُبيِّن ولا تدغم، ولكنك تخفي الحركة، وإخفاؤها هو أن لا تشبعه بالتَّمطيط، ولكنك تختلسها اختلاساً"[1].

فالرَّوْم إذن غير الإشمام؛ وهو صوت ضعيف تذهب فيه معظم الحركة، أو على حدِّ تعبير الإمام: "ولو كان مكان الإشمام روم الحركة لامتنع الروم مع الإدغام؛ لأنه صوت يحجز"[2].

ج ج- **تسهيل الهمز**: تعرض أبو علي لتعريف التسهيل –التخفيف- ضمناً، ولم يقصد إليه قصداً، وذلك أثناء شرحه لمصطلح "ذوق الهمز" الذي ذكره أبو بكر بن مجاهد رحمه الله في "سبعته"[3] في معرض الحديث عن الخلف في چ ﭩ چ [الأنعام:٤٠]، و چ ﭪ چ [الأنعام:٤٦] ونحوها؛ فيسوق قوله ثمَّ يوضِّحه:

"وقرأ نافع (أَرَايْتُم، وأَرَايْتَكُم، وأَرَايْتَ) بألف في كلِّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز".

"وقوله: قرأ نافع بألف في كلّ القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بيْن بين أي بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق"[4].

ح ح- الإمالة: جاء ذكر الإمالة في عدّة مواضع من كتاب "الحجة" لم يصرِّح فيها بتعريف مباشر لها أو يبين أيَّ الإمالتين يقصد الصغرى أم الكبرى، غير أنه يُفهَم من حديثه عنها أنه في كلِّ مرة يذكرها مطلقة غير مقيدة انصرفت إلى الإمالة الكبرى[5]؛ وهذا الذي درج عليه القدامى.

والملفت للانتباه أنَّ أبا علي يطلق على الإمالة اصطلاحات مختلفة؛ فيسمِّيها أحياناً "الكسر"؛ وذلك في قوله: "وقرأ حمزة والكسائي: چ ﮓ چ [هود: ٤١] بفتح الميم وكسر الرَّاء، وكذلك حفص عن عاصم: (مَجْرِيها) بفتح الميم، وكسر الراء من غير إضافة. قال: وليس يكسر في القرآن غير هذا الحرف، يعني الرَّاءَ في مجرِاها"[6].

وأحياناً يردفها في الموضع الواحد بعدة اصطلاحات كلُّها تصبُّ في ذات المعنى، كـ "الإجناح، والإضجاع، والإمالة الشَّديدة" وغيرها؛ كما في قوله: "وقول أحمد في حكايته عن نافع: لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة، يريد به –إن شاء الله- لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة

---

[1] المصدر السابق، 2/ 433.

[2] المصدر نفسه، 1/ 145.

[3] السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص257.

[4] المصدر نفسه، 2/ 160.

[5] المصدر نفسه، 1/ 246- 249.

[6] المصدر السابق، 2/ 393.

فتميل الألف نحو الياء كثيراً، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخف لذلك إجناح الألف وإضجاعها"[1].

خ خ- **التقليل**: لم يعرف أبو علي مصطلح التقليل ولم يذكره بهذا اللفظ، بل اكتفى بالتعبير عنه –عرضاً– هو الآخر بعدَّة إطلاقات؛ فهو:

"بين الفتح والكسر"؛ كما في قوله: "قال أحمد بن موسى: كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعده راء مكسورة، مثل من **النار** و من **قرار** و **الأبرار** و **الأشرار** و **دار البوار** و **الأبصار** و **بقنطار** و **بدينار** و **ديارهم** و على **آثارهم** بل كان في ذلك كلِّه بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب"[2].

أو يصفه بأنه "بين الكسر والتفخيم"؛ وذلك صريح في أثناء تعرضه للخلف في قوله تعالى: **چ گچ** [هود: ٤١]، قال: " وكان نافع وعاصم في رواية أبي بكر يقرآنها بين الكسر[3] والتفخيم[4]"[5].

وأحيانا يسميه "بين الإمالة والتفخيم"؛ كما في قوله: " وكان أبو عمرو لا يميل من ذلك إلا ما كان في رؤوس الآي إذا كانت السورة أواخر آياتها الياء، مثل: **أمات وأحيَا** فإنه كان يلفظ بهذه الحروف في هذه المواضع بين الإمالة والتفخيم"[6].

أو يصطلح عنه بـ "الإنحاء نحو الياء"؛ يقول في هذا الصدد: "فكما غُيِّر موضع الوقف بهذا النحو من التغيير، كذلك غُيِّرت الألف بأن نُحِيَ بها نحو الياء..."[7].

ووجدناه مرّةً عبَّر عنه بـ "إشمام الإضجاع"؛ وذلك في معرض حديثه عن خلف بعض الحروف، قال في ذلك: "وأمال الرَّاء أبو عمرو وابن عامر والكسائي من **(الأشرار)**، وقرأ نافع بإشمام الراء الأولى: الإضجاع، وكذلك حمزة يشمُّ، وفتحها ابن كثير وعاصم"[8].

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 246.

[2] المصدر نفسه، 1/ 246.

[3] تسمي العرب الإمالة كسراً. انظر: شرح المفصّل في النحو والصرف، موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت، 9/ 154، النشر في القراءات العشر، 2/ 24.

[4] وتسمي الفتح تفخيماً، وربما قيل له النَّصب. المصدران نفسهما.

[5] الحجة، 2/ 393.

[6] المصدر نفسه، 1/ 249.

[7] المصدر السابق، 1/ 249.

[8] المصدر نفسه، 3/ 335.

دد- **الإدغام**: أشار أبو عليّ إلى تعريف الإدغام في معرض الاحتجاج لقراءة المضارعة أو الإشمام بين الصاد والزاي في قوله تعال: ﭽﭦ ﭧ ﭨﭽ [الفاتحة: ٦]، فقد نقل بعض الحجج التي توهن من هذه القراءة، ومنها أنَّ المضارعة تشبه الإدغام في "أنَّه تقريب الحرف الأوَّل من الثَّاني"[1].

والنَّص واضح في أنَّ هذا التَّشبيه ليس تعريفاً في الحقيقة للإدغام، وإنما هو بيان لوظيفة الإدغام وكذا المضارعة النَّاتجة عن تقريب الحرفين وتناسب أحدهما إلى الأخر.

3- مقارنة تعريفات أبي علي بتعريفات غيره من الأئمة:

وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين بعض التعريفات التي ذكرها الإمام أبو علي رحمه الله –مع قلَّتها– بتعريفات غيره من الأئمة نجدها متطابقة في الغالب، وحتى وإن لم تتطابق في المبنى فهي متطابقة في المعنى.

ح- مقارنة تعريفه للرَّوْم والإشمام بتعريفات غيره:

- **تعريفات بعض اللغويين**: من هؤلاء:

– **تعريف سيبويه**:

وصف الإمام سيبويه **الإشمام** قائلا: "وأمَّا الإشمام ، فليس إليه سبيل، وإنما كان في الرَّفع لأن الضمَّة من الواو، فأنت تقدِّر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئتَ ثمَّ تضمَّ شفتيك؛ لأن ضمَّك شفتيك كتحريكك بعضَ جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذُن"[2].

وجاء عنه في **الرَّوْم** قوله: "وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرصُ على أن يُخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كلِّ حال، وأن يُعلِموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكَن على كلِّ حال. وذلك أراد الذين أشمُّوا؛ إلا أن هؤلاء أشدُّ توكيداً"[3]. قال الجوهري: "روْم الحركة الذي الذي ذكره سيبويه حركة مختلسة مختفاة لضرب من التَّخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنها تُسمع، وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسة، مثل همزة بيْن بين"[4].

وقريب من معنى الرَّوْم مصطلح الاختلاس؛ فقد تعرَّض إليه سيبويه عرضاً في باب (الإشباع في الجرّ والرفع) قائلا: "فأمَّا الذين يُشبعون فيمطِّطون، وعلامته واو وياءٌ، وهذا تُحكِمه لك

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 57.

[2] الكتاب سيبويه، 4/ 171.

[3] الكتاب، 4/ 168.

[4] لسان العرب، مادة (روم)، 12/ 258.

المشافهة... وأمَّا الذين لا يُشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربُها ومن مأمنِك، يُسرعون اللَّفظ. ومن ثَمَّ قال أبو عمرو: **إلى بارِئِكم**[1]..."[2].

- تعريف ابن جني:

"والرَّوْم على جهة التَّقريب – أي تقريب الحركة – "هي كالإهابة بالساكن نحو الحركة، وهو لذلك ضرب من المضارعة، وأخفى منها الإشمام؛ لأنَّه للعين لا للأذن"[3].

ومن المعلوم عند علماء القراءات –كما سيأتي– أن الرَّوم هو اختلاس الحركة أي عدم نطقها كاملة واضحة وهو للأذن، وأمَّا الإشمام فهو للعين في الضم خاصة: تضم الشَّفتين كأنَّك تنطق ضمَّة ولكن من دون إحداث صوت الضمَّة.

وقد نبَّه ابن جني إلى مواضع التَّقريب الذي يجري مجرى الإدغام: "مما قرب فيه الصوت من الصوت"، ولكنه ليس إدغاماً تامّاً، واستخدم له مصطلح (التقريب).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن جنيّ قد ذكر مصطلحي الإشمام والرَّوْم في باب (الساكن والمتحرك) الذي أورد فيه بعض المصطلحات الصَّوتية، ولكنه لم يعرف –كغيره– هذه المصطلحات تعريفاً شافياً، بل كان يذكرها ويبين ما يحدث فيها من تقريب في الأصوات – أصوات الحروف أو الحركات – كما في قوله في بيان الفرق بين الإشمام والروم: "فأمَّا الإشمام فإنَّه للعين دون الأذن، لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً، ألا تراك تفصل به بين المذكَّر والمؤنَّث في قولك في الوقف أنتَ وأنتِ، فلولا أن هناك صوتاً لما وجدت فصلاً"[4].

- **تعريف بعض أهل الأداء**: أذكر منهم:

– تعريف الدَّانيِّ:

يقول أبو عمرو –رحمه الله– : "فأمَّا حقيقة الرَّوم فهو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها، فتسمع لها صوتا خفيّاً يدركه الأعمى بحاسَّة سمعه. وأمَّا حقيقة الإشمام فهو

---

[1] الآية: 45، من سورة البقرة.

[2] الكتاب، سيويه، 4/ 202.

[3] المصدر نفسه، 145/2.

[4] الخصائص، 328/2.وانظر في تعريف الإشمام: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1405هـ، ص44، وفي تعريف الرَّوم، ص151.

ضمُّك شفتيك بعد سكون الحرف أصلاً، ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى لأنه لرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالعضو إلى الحركة"[4].

- **تعريف الرُّعينيّ:**

يقول أبو عبد الله: "والرَّوْم إضعاف الصَّوت بالحركة حتى يذهب أكثرها، وهو يكون في المرفوع والمخفوض. والإشمام ضمُّ الشَّفتين من غير صوت يسمع، وهو يكون في المرفوع خاصَّةً"[1].

- تعريف مكيّ بن أبي طالب القيسي:

يقول أبو محمد –رحمه الله-: "فالرَّوْم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسمعها الأعمى. والإشمام إتيانك بضمِّ شفتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسّه، لأنه لرَأي العين"[2].

- تعريف الإمام الشاطبيّ:

وفي الرَّوم والإشمام قال القاسم -رحمه الله-:

ورومك إسماع المحرك واقف بصوت خفي كل دان تنوَّلا

والإشمام إطباق الشفاه بعيدما يسكن لا صوت هناك فيصْحلا[3]

وواضح من كلِّ ما سبق مطابقة هذه التعاريف لتعاريف أبي عليّ –رحمه الله-، أو دورانها – على الأقلّ- في فلَك واحدٍ.

ب- مقارنة تعريفه للإمالة بتعريفات غيره:

- **تعريف أهل اللغة:** ومنهم:

- **ابن جني:**

حيث يقول في تعريفها: "الإمالة التي وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، نحو كلمة: (عالم) التي قرُبتْ فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأمَلْت الألف إلى الياء".

---

[4]- التيسير، ص59.

[1] الكافي في القراءات السبع، ص 283.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م، 122/1.

[3] متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيّرة الرعيني الشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، ط4، 1425هـ- 2004م، ص30.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات والصلاة والسلام على خاتم النبوات والرسالات محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد وصلت بحمد الله وتوفيقه إلى خاتمة هذا البحث الذي تناولت فيه دراسة منهج الإمام أبي عليّ الحسن بن أحمد الفارسي (ت 377هـ) في الاحتجاج للقراءات من خلال كتابه "الحجة للقرَّاء السَّبعة"، حيث استعرضت فيه حياة الإمام ثمَّ دراسة كتابه "الحجة" ومسلكه فيه.

وقد انتهيت في رحلتي مع هذا العمل العلمي إلى جملة من النتائج والتوصيات:

أ- نتائج البحث:

1- القراءات القرآنية وحي منزل من الله Y ولم تكن من اجتهاد رسول الله ρ، واختلاف القراءات اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضادّ أو تناقض.

2- مرَّ علم القراءات بعدَّة مراحل ومحطَّات، شأنه في ذلك شأن غيره من العلوم والفنون، وكانت بدايته الأولى مع نزول الوحي على فؤاد النبي ρ مروراً بالصحابة والتابعين وأتباعهم ثم من بعدهم من أولئك الأعلام الذين عُنوا بهذا العلم وقاموا على حفظه وصنَّفوا فيه، وبينوا أصوله ومبادئه إلى أن انتهى إلى ما انتهى إليه.

3- كتاب "الحجة للقرَّاء السَّبعة" يتناول فنَّ الاحتجاج وتوجيه القراءات السبعة المذكورة في كتاب أبي بكر بن مجاهد، وهو كتاب حافل بالمناقشات العلميَّة والقياسات والتَّعليلات المنطقيَّة العميقة، التي تنمُّ عن النُّضوج العلمي لمؤلِّفه.

4- أبو علي الفارسي شخصيَّة موسوعيَّة متميِّزة؛ فهو عالم متبحِّر في علوم اللسان والأصوات والنَّحو والصَّرف والدِّلالة، أسعفته هذه الشخصية في التماس التوجيهات اللغوية لكلِّ قارئ، بالاعتماد على قواعد العربيَّة المشهورة أو اقتناص العلل البعيدة والخفيَّة من طريق القياس الاستصحاب ومقارنة المثيل بالمثيل.

5- بيَّنت الدِّراسة أنَّ أبا علي ينتمي إلى المدرسة البصريَّة في الغالب الأعمِّ من آرائه واجتهاداته النحويَّة على الخصوص، وفي شدَّة اعتداده بالأقيسة والتَّعليلات المنطقيَّة، كما بيَّنت تأثُّره بقراءة أبي عمرو بن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب في الاحتجاج اللغويّ وتحرير كلام العرب.

6- كشفت الدِّراسة عن انفتاح أبي عليّ في انتمائه المذهبي؛ فقد أثرى المدرسة البصريَّة بآراء جديدة تقترب كثيراً إلى آراء المدرسة الكوفيَّة؛ وذلك كاحتجاجه أحياناً بالقليل النَّادر، وتقديم السماع على غيره من أصول النحو.

7- مزج أبو عليّ الفارسي في حجَّته بين ألوان متعدِّدة ومختلفة من مستويات الاحتجاج وتوجيه القراءات؛ إذ لم يقتصر على المستوى النحويّ أو الصرفيِّ فقط، بل تجاوزهما إلى المستوى الصوتيّ والبياني واللغوي (اللهجات).

8- رصدت الدراسة اعتماد أبي علي في احتجاجه للقراءات إلى جانب الأصول النحويَّة والقواعد الصَّرفيَّة أصولاً أخرى يعتمد بعضها على أحكام شرعيَّة، أو على ما علم من أمور الدِّين بالضَّرورة، أو على أصول عقديَّة، أو على ما قرأ به أكثر القرَّاء السَّبعة مرجِّحاً إيَّاها على غيرها، أو مرجِّحاً قراءة أهل الحجاز على ما سواهم، وكل واحد من هذه الأصول والمرجِّحات تستحقُّ دراسة مستقلَّة في بابها.

9- بيَّنت الدِّراسة تميُّز أسلوبه وتماسك منهجه في التَّوجيه والتَّحليل مقارنة بغيره من موجِّهي القراءات، حيث كان يسوق لكلِّ أسلوب من أساليب احتجاجه الآيات القرآنيَّة والشواهد المناسبة للاحتجاج من كلام العرب ونظمهم، ولغاتهم ولهجاتهم، وأقوال أرباب اللغة وعلى رأسهم الخليل وسيبويه.

10- لقد ترك الإمام أبو علي رحمه الله آثاراً علمية وتلامذة جهابذة، أما عن آثاره ومؤلّفاته فأعظمها كتاب الحجة في فنِّ توجيه القراءات وأغلب ما بقي في المسائل النحويَّة والصرفيَّة. وأما عن تلامذته فيكفي أن نعرف أن أبا الفتح عثمان بن جنيّ (ت 392هـ) رحمه الله الذي طبقت شهرته الآفاق صاحب التصنيفات العظيمة، قد تتلمذ على يدي أبي عليّ رحمه الله.

11- يمتاز الكتاب بإيجابيات منهجيَّة وتربويَّة معرفيَّة كثيرة ومتعدِّدة؛ حيث يتَّسم باطِّراد مسلك المصنِّف في التَّوجيه وترتيب مادَّته العلميَّة إلى حدٍّ بعيد، كما يفصح كتاب الحجَّة عن غزارة التأليف في شتَّى جوانب ومسائل اللُّغة من نحو، وصرف، وأصوات، وبيان، وشعر إلى جانب تناوله لعلوم القرآن من قراءات في الأساس إلى تفسير وتجويد وغيرها.

12- بالرغم من إيجابيات الكتاب الكثيرة إلا أن كونه عمل بشري يعتريه النقص والخلل، وقد سجَّلنا بعض المآخذ المعرفيَّة والمنهجيَّة في الكتاب.

غير أن هذه النقائص لا تغضُّ أبدا من قيمة هذا الكتاب ولا تحجب نفعه ولا تنقص من جهد الإمام أبي عليّ في شيء.

هذه هي أهمّ النتائج التي خرجت بها من خلال دراستي هذا الكتاب ومنهج الإمام فيه.

ب- التوصيات والمقترحات:

وقبل طيِّ آخر صفحة رأيت أن أسجل التوصيات الآتية:

1- دعوة الناس وإرشادهم إلى العناية بكتاب الله Y أداء وقراءة وحفظا وتعهُّدا وعملا.

2- دعوة طلبة العلم والباحثين والمتخصصين إلى الاهتمام بالدراسات القرآنية عموما وبتحقيق مصنَّفات علم القراءات خصوصا وانتشالها من رفوف المخطوطات وإخراجها إلى النور، لاسيما أن مكاتبنا فقيرة إلى هذا العلم، وطلبة العلم في أمسّ الحاجة إليه.

3- حاجة المكتبة الإسلامية إلى موسوعة في القراءات المتواترة منظمة ومرتبة، وموسوعة أيضا في القراءات الشاذة الأربع المتمّمة على غرار معجم القراءات المعدّ من طرف الدكتور: أحمد مختار عمرن والدكتور: عبد العال سالم مكرم.

4- أوصي المتخصصين في علوم الإعلام الآلي إعداد مكتبة علم القراءات في أقراص مضغوطة، مصورة تصويرا دقيقا تتحاشى الأخطاء العلمية المطبعية على غرار سائر المكتبات في شتى العلوم والفنون.

5- إن بعض مسائل هذا البحث جديرة بأن تفرد برسائل جامعية مستقلة؛ إسهاماً في خدمة القرآن الكريم وإحاطةً بجوانب موضوع البحث ومزيدَ كشفٍ عن أهمية ومنزلة كتاب "الحجة للقراء السبعة"، وذلك مثل:

- أصول النَّحو عند أبي عليّ الفارسي وأثرها في الاحتجاج من خلال كتابه الحجة.
- منهج أبي عليّ في اختيار القراءات وترجيحها.
- الظواهر الصوتية والصرفية في كتاب الحجة –دراسة تطبيقية.
- منهج أبي علي الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج –دراسة مقارنة.

وفي ختام هذا البحث أقول: إن هذه محاولة متواضعة غاية التواضع، أردت أن أشارك بها في ميدان البحث العلمي، خدمة لعلم القراءات والعربيَّة، وقد يعتري هذا العمل –ولا ريب- نقص وقصور، كذا أعمال بني آدم موصولة بمدد لا يكاد ينقطع عن الهفوات والزلات، ومهما بالغ المرء في الحرص واليقظة فلا بدّ من العِثار في هافية القول، أو غافية العقل.

ولله درُّ أبي البقاء الرَّندي إذ قال في نونيَّته:

لكلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

وقول القائل:

وإن تجد عيباً فسُدَّ الخللا جلَّ من لا فيه عيب وعلاَ

وأسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتقبل منّا أعمالنا ويحسن مقاصدنا ونياتنا ويهدينا إلى سبيل الرشاد والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيراً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس الفنية

أولا: فهرس الآيات والقراءات

الآية	القراءة	الصفحة
سورة الفاتحة		
چ ٹ ٹ ٹ چ [٤]	قرئت بإثبات الألف وحذفها	88، 158، 159
چ ٹ ٹ چ [٦]	قرئت بالصَّاد وبالزأي وبالمضارعة بينهما	132، 201، 306، 365
چ ڤ ڤ ڤ چ [٧]	قرئت چ ڤ چ بالنصب وبالجر	87، 202، 391
چ ڤ چ [٧]	قرئت بكسر الهاء وضمها	310، 321
سورة البقرة		
چ پ پ پ پ چ [٢]	قرئت بإدغام الهاءين وبالإظهار	88
چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [٧]	قرئت بالرَّفع چ ٹ ٹ چ والنَّصب	120

چ چ چ چ [٩]	قرئت بإثبات الألف وحذفها	155، 250، 333
چ ڑ ک ک چ [١٠]	قرئت بالتشديد وبالتخفيف	363
چ گ چ [١١]	قرئت بضمٍّ أولها (بالإشمام) وبكسره	167، 193
چ گ چ [٢٠ وغيرها]	قرئت بالسكت وعدمه	125
چ ه چ [٢٢ وغيرها]	قرئت بالسكت وعدمه	124، 125
چ ۋ ۋ چ [٥١]	قرئت بإثبات الألف وبحذفه	248
چ گ گ چ [٥٤]	قرئت بالاختلاس وتحقيق الكسر	129
چ ن ن ث ث چ [٥٨]	قرئت بالنون وبالياء مضمومة	334
چ ې ې ى چ [٨٣]	قرئت بضم الحاء والتخفيف (إسكان السين) وبفتح الحاء والتثقيل (تحريك السين بالفتح)	286
چ ف ۋ چ [٨٥]	قرئت بتشديد الظاء وتخفيفه	169
چ ۋ تَفْدُوهُمْ چ [٨٥]	قرئت الكلمتان بإثبات الألف بعد كل من السين والفاء وحذفه منهما	281
چ ج چ [٩٠]	قرئت بالتشديد وبالتخفيف	264
چ پ چ [٩٤ وغيرها]	قرئت بالسكت وعدمه	124، 125
چ و و چ [١١٧]	قرئت النون بالنصب وبالرفع	227، 229، 362، 377
چ ف چ [١٢٨]	قرئت بالكسر وبالاختلاس	197
چ گ چ [١٤٣]	قرئت بواو بعد الهمزة وبغيرها	194
چ ه چ [٢٠٧]	قرئت بالإمالة وبالفتح	363
چ ئ ئ ئ چ [٢٠٨]	قرئ السين بالكسر والفتح	172، 271
چ ې ې چ [٢١٤]	قرئت بالنصب وبالرفع	220
چ ۀ ہ ہ چ [٢٣٦]	قرئت بضم الميم وإثبات الألف وبفتح الميم وحذف الألف	251
چ ۋ ۋ چ [٢٤٠]	قرئت بالنصب والرفع	212
چ ى چ [٢٤٥]	قرئت بالتضعيف وبعدمه	253
چ گ گ گ گ گ چ [٥٤]	قرئت بالتنوين رفعاً وبالنصب دون تنوين	213

چ □ ی ی ۑ ۑ چ [٢٥٩]	قرئت بصيغة المضارع وبصيغة الأمر	340
چ ڈ چ [٢٧١]	قرئت العين بالكسر وبالإسكان والاختلاس	174
چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ [٢٧٩]	قرئت مقصورة مفتوحة الذال وممدودة مكسورة الذال	268
چ □ □چ [٢٨٠]	قرئت بفتح السين وضمه	218، 390
چ ۑ پ چ [٢٨٣]	قرئت بضم الراء وإسكان الهاء وبضمّها وقرئت بألف مكسورة الرَّاء	287
چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ [٢٨٤]	قرئت بالرفع والجزم	218
چ ٹ ٹ ڈ ڈ ۀ ۀ چ [٢٨٥]	قرئت (كتبه) على التوحيد وعلى الجمع	335

سورة آل عمران

چ ۋ ۋ ۇ ۇ چ [٣٦]	قرئت التاء بالرفع وبالإسكان	219
چ ٹ چ [٦٦]	قرئت بالهمز وبتركه	194
چ ڑ ڑ چ [٨٠]	قرئت بالنَّصب والرَّفع	129، 177
چ ۇ ۋ چ [١٤٠]	قرئت بالضم وبالفتح	367
چ □ □چ [١٥٧]	قرئت بالضم وبالكسر	369

سورة النسآء

چ ڈ چ [١]	قرئت بالنصب وبالجر	237، 380
چ ہ ہ ہ چ [١١]	قرئت بالنصب وبالرفع	366، 372
چ ﮎ چ [١٩]	قرئت بالفتح والضم	321
چ ۋ وچ [١٩]	قرئت الياء بالفتح وبالكسر	292
چ ج چ [٢٩]	قرئت بالنصب وبالرَّفع	216
چ گ گ گ چ [٣١]	قرئت الميم بالفتح وبالضم	290
چ گ گ گ گ [٤٢]	قرئت السين بالتخفيف والتثقيل	197
چ ۑ پ پ چ [٦٦]	قرئت بكسر النون وبضمها	195
چ ھ ے ے ئ ئ ﮎ چ [٩٤]	قرئت بإثبات الألف بعد السين وحذفها	273
چ ۑ ۑ [١٢٨]	قرئت بفتح الياء وشد الصاد وإثبات الألف	255

	وبضم الياء وتخفيف الصاد وحذف الألف	
چۀ ۀچ [١٣٥]	قرئت بواوين الأولى مضمومة، واللام ساكنة وقرئت بواو واحدة واللام مضمومة	176

سورة المآئدة

چ ٻ ٻ ٻ چ [٦]	قرئت چ ٻچ بالنَّصب والخفض	23
چ ﮓ چ [٤٤]	قرئت بإثبات الياء وبحذفها	196
چ ڈ ڈچ [٦٠]	قرئت بفتح العين وضمّ الباء وكسر التاء من الطاغوت وقرئت بالنصب في الجميع	283
چ ڈ ۀ ۀ ہ ہ چ [١١٠]	قرئت بإثبات ألف بعد السين وبحذفه	288

سورة الأنعام

چ □ □ چ [٢٧]	قرئت بالنصب والرفع	163
چ ٹچ [٤٠] و چ ٹ ٹ چ [٤٦]	قرئت بالإبدال أو التسهيل وبالهمز	130
چ ۇ ۇ ۆ ۆ چ [٨٠]	قرئت النون بالتخفيف والتشديد	302
چ ڈ ڦ ڦ چ [٩٦]	قرئت چ ڈ چ بإثبات الألف ورفع اللام وبحذف الألف	120
چ ﮒ ﮒ ﮓ چ [١٢٢]	قرئت بالتثقيل والتخفيف	299
چ ٹ ٹ ٹ چ [١٢٥]	قرئت الياء بالتخفيف والتشديد	302
چ ٹ ٹ ٹچ [١٢٥]	قرئت بالتشديد وبالتخفيف وبألف بعد الصَّاد المشدَّدة	256- 257، 406
چ ﮮ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ چ [١٣٧]	قرئت برفع الزاي من (زين) و رفع اللام من (قتل) ونصب الدال من (أولادهم) وبياء في (شركائهم) وقرئت بفتح الزاي ونصب اللام وجر الدال وهمز (شركاؤهم)	239
چ ۇ ۇچ [١٤١]	قرئت (حصاده) بكسر الحاء وفتحها	287
چ ۇ چ [١٦٢]	قرئت بفتح الياء وبإسكانها مع المدّ	414، 415، 417، 418

سورة الأعراف

چ ڤ ڤ ڤ چ [٣]	قرئت ؟ الذال بالتخفيف وبالتشديد	296
چ ج ج ججچ [٣٢]	قرئت بالنصب وبالرفع	400
چ □ □ □ □ □ چ [١١٧]	قرئت بتخفيف التاء والقاف وإسكان اللام وبفتح التاء مخفَّفة ومشدَّدة وتشديد القاف	295
چڭڭڭچ [١٢٨]	قرئت بالتشديد وبالتخفيف	364
چ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [١٤٩]	قرئت بالياء ورفع (ربنا) وبالتاء ونصب (ربنا)	226
چ ڃچ [١٨٠]	قرئت بضم الياء وبفتحها	363
چ □ چ [١٨٦]	قرئت بالياء والنون، والراء بالرفع وبالجزم	219
چگ گچ [٢٠٢]	قرئت بفتح الياء وضمِّ الميم وبضمِّ الياء وكسر الميم	342
چگ گ چ [١٩٠]	قرئت بالياء والتَّاء	118

سورة الأنفال

چھ ے چ [٥٩]	قرئت بالتاء وبالواو، والسين بالكسر والفتح	199
چ ى ى ي چ [٦١]	قرئت بفتح السين وكسرها	271

سورة يونس

چ ~ چ [٢٣]	قرئت بالنصب والرفع	222
چ چ چ چ چ چ چ [٣٥]	قرئت مفتوحة الياء والهاء مشدَّدة الدَّال وبإسكان الهاء وإشمامها فتحاً مع تشديد الدَّال، وبإسكان الهاء خفيفة الدال وبفتح الياء وكسر الهاء	315
چ پچ [٨٩]	قرئت بنون مخففة ومثقَّلة	416، 417، 418

سورة هود

چ ﮩ ﮪ [٤٢]	قرئت الياء بالتثقيل بالفتح وبالكسر وبالتخفيف ساكنة	407
چ گ گ گگ چ [٣]	قرئت چ گ چ بالتخفيف ولتشديد	140

سورة إبراهيم

چ ھ ے ۓ چ [٢٢]	قرئت الياء بالفتح والكسر	89، 234، 382

سورة الحجر

چڑ ک چ [٥٩]	قرئت بفتح النون النون وتشديد الجيم وبإسكان النون وضمّ الجيم	193

سورة النحل

چ □ □ چ [٦٢]	قرئت چ □ چ بفتح الرَّاء وكسرها	141
چڈ چ [٦٦]	قرئت بضم النون وفتحها	259 -258

سورة الإسراء

چ ۇ ۇ چ [٧]	قرئت بالياء جمعاً وهمزة بين واوين. وبياء على واحد وبالنُّون	327
چ ٻ ٻ □ چ [٣٥]	يقرأ چ ٻ □ چ بالفتح والكسر	63

سورة الكهف

چ □ □ □ □□ چ [٤٤]	قرئت بكسر الواو والقاف و فتح الواو وضمِّ القاف	198
چ ڃ چ [٥٥]	قرئت بكسر القاف وضمها	203
چ ٻ □ □چ [٥٩]	قرئت بفتح الميم واللام وبضم الميم وفتح اللام	370
چ گ گ گچ [٦٦]	قرئت چ گچ بالإسكان والضم	118
چ ۓ ڭ چ [٨١]	قرئت بالتخفيف وبالتشديد	364
چ ڑ ک ک چ [٨٨]	قرئت بالتنوين المنصوب وبالرفع مع الإضافة	224
چ □ □ چ [٩٤]	قرئتا بالهمز وبعدمه (الإبدال)	175

سورة مريم

چ پ پ ڀ چ [٦٥]	قرئت بالإظهار والإدغام	312
چ ٻ چ [٧٧]	قرئت بفتح اللام وإسكانه	155
چ ۈ چ [٩٠]	قرئت بالتاء وتشديد الطاء وبالنون ساكنة وتخفيف الطاء	329

سورة الأنبيآء

چ ڃ چ چ چ [٩٥]	قرئت بفتح الراء بعدها ألف وبإسكان الراء	172

سورة الحج

چچ [٣٤ و ٦٧]	قرئت بكسر السين وبفتحها	366 ،206

سورة المؤمنون

چ چ چ [٢١]	قرئت بضم النون وفتحها	258- 259
چ ﴿چ [١١٥]	قرئت التَّاء بالضم والفتح	140

سورة النور

چ و چ [٧]	قرئت بالرَّفع والنَّصب	196
چ ﴿ ﴿چ [٣١]	قرئت بالفتح وبالضم	383

سورة الفرقان

چ ق ق ﴿چ [٦٩]	قرئت بفتح الياء وضم اللام وبضمِّ الياء وفتح اللام وجزم الدال	386

سورة الشعرآء

چ و ﴿ ﴿چ [١٧٦]	قرئت من قرأبغير همز، والهاء مفتوحة بلا ألف وقرئت بالهمز والألف	208

سورة النمل

چ ﴿ ﴿ چ [٢١]	قرئت بنونين مظهرتين وقرئت بالإدغام	385
چ ﴿ ﴿ پ چ [٣٦]	قرئت بنونين وياء في الوصل، وبغير ياء في الوصل والوقف و بنون واحدة مشدَّدة ووقف على الياء	305
چ ﴿ ﴿ چ [٥٥]	قرئت بهمزة واحدة ممدودة وغير ممدودة كما قرئت بهمزتين	120، 126

سورة القصص

چ ﴿چ [٣٩]	قرئت الياء بالفتح وبالضم	140

سورة العنكبوت

چ ق ق ﴿ ﴿ ج چ [٢٥]	قرئت بالنصب والرفع مع الإضافة وبالنصب مع التنوين	215، 224

سورة لقمان

چ﴿ ﴿چ [١٨]	قرئت بإثبات الألف وحذفها	198

سورة الأحزاب

چ ﴿ ذ چ [٤]	قرئت بضم التَّاء وتخفيف الظاء وبفتح التاء	169

	وتخفيف الظاء وتشديدها	

سورة سبأ

چ ے ۓ ۓ چ [٥]	قرئت بالرفع وبالجر	367
چ ج ج چ [١٦]	قرئت بالتنوين وبالإضافة دون تنوين	241

سورة يس

چ ڈ ڈ چ [٦١]	قرئت النون بالكسر وبالضم	207

سورة الصآفَّات

چگ گ [١٢]	قرئت بتاء المخاطبة والمتكلِّم	164

سورة ص

چ ﭽ [٥٧]	قرئت بالتخفيف وبالتشديد	370
چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭽ [٨٤]	قرئت چ ﭓ ﭽ بالنصب والرفع	40

سورة الزمر

چ ۀ ہ ہ ھ چ [٦٤]	قرئت النون بالتخفيف وبالتشديد	304

سورة الشورى

چ ﭺ ﭻ ﭼ چ [٣٥]	قرئت بالنصب وبالرفع	231، 230

سورة الأحقاف

چ ﮎ چ [١٥]	قرئت بالفتح والضم	321

سورة محمد

چ ﮓ ں ں چ [٣٥]	قرئ السين بالفتح والكسر	271

سورة المجادلة

چ ﭦ ﭧ أَمَّهَاتُهُمْ چ [٢]	قرئت برفع التَّاء وبكسرها	195

سورة الطلاق

چ ے ۓ ۓ ﮎ چ [٣]	قرئت بالتنوين وبغيره مع الإضافة	197

سورة التحريم

چ ہ ہ ھ ھ چ [٥]	قرئت بإدغام القاف في الكاف وبعدمه	196

سورة الحديد

چ گ گ گ چ [١٥]	قرئت بالياء وبالتَّاء	207
چ ﯼ ﯽ ﯾ چ [١٨]	قرئت الصَّاد بالتثقيل والتخفيف	194

سورة المعارج

چ ﮊ چ [١]	قرئت بالهمز وعدمه	323

سورة الجنّ

چنَسْلُكْهُ چ [١٧]	قرئت بالنون وبالياء	199

سورة المَدَّثِّر

چۆ ۆ چ [٥]	قرئت بكسر الراء وبضمِّها	276

سورة المزَّمِّل

چۀ چ [٦]	قرئت بكسر الواو ممدودة، وقرئت بفتح الواو مقصورة	141

سورة القيامة

چۀ ۀ ہ چ [٢٧]	قرئ بينهما چ ۀ ہ چ بالسكت وعدمه	125

سورة الإنسان

چیچ [٤]	قرئت بالتنوين وبعدمه	420، 421، 422
چھ ھ ہ ہ چ [١٥ – ١٦]	قرئت بالتنوين وبعدمه	420، 421، 422

سورة الغاشية

چۀ ۀ ہ چ [٤]	قرئت چۀ چ بفتح التَّاء وبضمِّها	121

سورة عبس

چچ ے ۓ چ [١٠]	قرئت (عنه) بالصلة وعدمها و (تلهى) بتشديد التاء وتخفيفها	296

سورة المطفِّفين

چپ پ پ چ [٣٦]	قرئت بالإظهار والإدغام	312

سورة البروج

چڭ ڭ ڭ چ [١٥]	قرئت بالجرِّ والضمِّ	155

سورة الطَّارق

چٹ ٹ ٹ ٹ ڈ چ [٤]	قرئت چ ٹ چ بالتشديد والتخفيف	121

سورة الليل

چ □ □ □ چ [١٤]	قرئت التاء بالتشديد والتخفيف	295

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
(اجعله لنا فرطا)	141
(ادرؤوا الحدود بالشبهات)	143، 376
(أسجعا كسجع الأعراب)	335
(العائد في هبته كالعائد في قيئه)	170
(أنا فرطكم على الحوض)	141
(أنزل القرآن على سبعة أحرف)	44، 320، 351، 359
(فاقرءوا ما تيسر منه)	350، 351
(فربَّ حامل فقه غير فقيه)	189

(فيُقال لهم أحيُوا ما خلقتم)	161، 171، 172
(كذلك أنزلت، إن هذا القرآن)	351
(لا تحلفوا بآبائكم)	382
(لا يُقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده)	28
(لست بنبيءِ الله، ولكني نبيُّ الله)	145
(معاذ الله، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني)	178
(من أُزِلَّت إليه نعمةٌ فليشكرها)	145
(منعت العراق درهمها وقفيزها ومصرُ إردبَّها)	144
(ويل للعراقيب من النار)	23
(يجزئ من الضرورة أو الضَّارورة غبوق أو صبوح)	146
(يركبون ثبج هذا البحر)	84
(يعذَّبُ المصوِّرون يوم القيامة)	161، 171
اللهم اشدد وطأتك على مضر)	142

ثالثا: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
إبراهيمُ النَّخعي	166
إبراهيم بن هرمة	106
ابن الأعرابي	18
ابن الأعرابي	18
ابن الباذش	106، 112
ابن الرَّعلاء الغسَّاني	299
ابن الرقيات	412
ابن الشجري	86

ابن الصائغ	112
ابن الطراوة	112
ابن جني	19، 21، 93، 133، 135
ابن خالويه	10، 14، 15، 60، 212، 215، 219، 249، 250، 256، 260، 264، 268
ابن درستويه	16، 260
ابن دريد	13، 16
ابن ذكوان	47
ابن زنجلة	212
ابن سيده	162
ابن شنبوذ	354، 355
ابن عامر	47
ابن كثير	46
ابن مجاهد	11، 14، 18، 55، 185، 188، 221، 227
ابن معدان	13
ابن مقسم العطار	354
ابن مقلة	44
أبو إسحاق الزيادي	84
أبو البقاء العُكبَري	159، 216
أبو الحسن الباقولي	107، 108، 109، 111، 112، 154
أبو الحسن بن الأخضر	400
أبو الغول	150
أبو بكر بن عياش	47
أبو جعفر النَّحَّاس	215
أبو جعفر اليزيدي	78
أبو حاتم السجستاني	73، 74، 184
أبو حنيفة النعمان	27، 28، 168

أبو زيد سعيد بن أوس	18، 95، 203
أبو سعيد السكري	95
أبو شعيب السوسيّ	48
أبو عبد الله اليزيدي	77، 78
أبو عبيدة	18، 117،
أبو عثمان المازني	26، 78، 95
أبو علي الجبائي	32
أبو عمر الدُّوري	49
أبو عمر الزاهد	60
أبو عمرو	48
أبو يوسف	28، 168، 170، 171
أحمد بن بكر العبدي	19
أحمد بن قاسم اللخمي	185
أحمد بن يوسف التغلبي	118
الأخطل	154
إسحاق الأزرق	234
إسماعيل بن جعفر	46
إسماعيل بن خلف	30
الأصمعي	18، 251
الأعشى	47، 339، 408، 409
الأعلم الهذلي	406
أميّة بن أبي الصَّلت	214
الأندرابي	349
البزي	46
ثعلب	26، 88، 119، 150
الجرجاني	101
الجرميّ	78، 203

جرير	405
الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي	07
الحسن بن عبد الله السيرافي	12، 14، 15، 16، 127
الحسن بن عبد الله القيسي	104
الحسن بن علي بن أبي طالب	23
حسين الجعفي	236، 386
حمزة بن بيض الحنفي	412
حمزة بن حبيب	48
خارجة بن مصعب	46
خلف بن هشام	48
الخليل	26، 116، 203
الخنساء	148، 326
ذو الرِّمة	149، 260، 405
رؤبة بن العجاج	406
الراعي النميري	148
الرماني	12، 17، 333
الرياشي	95
الزجاج	11، 12، 15، 25، 74، 77، 117
الزمخشري	232
زهير بن أبي سلمى	225، 272
سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط	13، 77، 78، 117، 158
سليم بن عيسى	48
سليمان بن عبد الملك	412
سليمان بن مهران الأعمش	89
سمرة بن جنادة	146
سيبويه	11، 14، 88، 116، 203
سيف الدولة الحمداني	09، 10، 94

شرف الدولة	05
شريح بن الحارث	164، 166
الصاحب بن عباد	42
الطائع لله	05
طاهر بن غلبون	38، 125، 135، 138، 376
عاصم	47
عبد الله أبو محمد بن بري	105، 106
عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ	361
عبد الملك بن بكران النهرواني	25
عبد الوارث التنوري	48
عبيد الله اليزيدي	77
عدي بن زيد	85
عضد الدولة	06، 10، 94
علي بن سليمان بن الفضل الأخفش الصغير	13، 100
علي بن عيسى الربعي	19
عيسى الحنفي	128
عيسى بن عمر	415
عيسى بن عمر الثقفي	354
الفراء	11، 74، 88، 89، 118، 124
القاسم التنوخي	29، 34
القاسم بن سلام	322
القاسم بن معن	90، 236
قالون	46
قتيبة	49
قطرب	73، 74، 89

قنبل	46
كثير بن عبد الرحمن	225
الكسائي	48
الكميت	251
الليث بن خالد أبو الحارث	49
المبرد	12، 16، 25
المتنبي	09، 241
متى بن يونس	16
محمد بن الحسن	28، 168
محمد بن الحسين أبو الحسين الفارسي	08، 103
محمد بن السري ابن السراج	11، 14، 16، 24، 26، 87
محمد بن شريح الرعيني	30
محمد بن يزيد أبو هشام	48، 117
مروان بن سعيد المهلبيّ	203
مزاحم العقيلي	313
المسيبي	46
المفضل الضبي	47
مكي بن أبي طالب	30
موسى بن موسى	118
النابغة	152، 392
نافع المدني	46
النَّبال	357
نصير	49
هارون بن موسى الأعور	184
هشام	47
وحفص	47
ورش	46

يحيى بن آدم	47
يحيى بن وثاب	89، 234
اليزيدي	48
يونس بن حبيب	414

رابعا: فهرس الأماكن والأنساب

المكان أو القبيلة	الصفحة
بكر بن وائل	310
بنو القين	309
بنو نزار	94
جرجان	102
الديلم	04
سدوس شيبان	07، 09
السميرية	93
شيراز	06، 10، 94
طيِّء	311، 312

عذرة	309
عكبرا	159
فزارة	149
فسا	09
قيس	309
كعب	309
معرة النعمان	10

خامسا: فهرس الشواهد الشعرية

القائل	البيت	الصفحة
قافية (ء)		
ابن الرعلاء الغساني	ليس من مات فاستراح بميْتٍ إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياءِ إنما الميْتُ من يعيش كئيباً كاسفاً بالُهُ قليلَ الرَّجاءِ	299
قافية (ب)		
طويل الغنوي	وبالسَّهب ميمونُ النقيبةِ قولهُ لملتمِسِ المعروف أهلٌ ومرْحبُ	212
بلا نسبة	فاليوم أصبحت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب	383
حسان بن ثابت	سالتْ هُذيلٌ رسول الله فاحشةً ضلَّت هُذيلٌ بما قالت ولم تُصبِ	323
مزاحم العقيلي	فذر ذَا ولكن هَتُّعِينُ مُتيَّماً على ضوء برقٍ آخرَ الليل ناصِبِ	313
ساعدة الهذلي	يتقي به نَفَيانَ كلِّ عشيَّةٍ فالماء فوق متونه يتصب	152
بعض الهذليين	بأنّ ذا الكلب عمْراً خيرهم حسباً ببطْن شرْيانَ يعوي عنده الذيبُ	149

أبو علي الفارسي	خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيبِ أولى أن يعابا ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيبا خشيت ولا عتابا ولكن المشيب بدا ذميماً فصيَّـ ـرت الخضاب له عقابا	06
ذو الرمة	وأسقيه حتَّى كاد ممَّا أبثُّه تُكلِّمني أحجاره وملاعبُه	261
ابن الرقيات	ألا هزئت بنا قرشيَّـ ـةٌ يهتزُّ موكبها	203

قافية (ت)

الأصمعي	ويأكل الحية والحيوتا ويَدمق الأقفال والتابوتا	148

قافية (ح)

لبيد	لِيُبْكِ يزيدَ ضارعٌ لخصومةٍ ومختبطٌ تطيحُ الطَّوائحُ	399
ابن الباذش	أضَعِ الكرى لتحفُّظِ الإيضاحِ وصل الغدو لفهمه برواح هو بغية المتعلمين ومن بغى حمل الكتاب يلجه بالمفتاح لأبي علي في الكتاب إمامة شهد الرواة لها بفوز قداح يفضي على أسراره بنوافذ من علمه بهرت قوى الأمداح فيخاطب المتعلمين بلفظه ويحل مُشكِلُه بومضة واح مضت العصور وكل نحو ظلمة وأتى فكان النحو ضوء صباح أوصى ذوي الإعراب أن يتذاكروا بحروفه في الصحف والألواح فإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا إن النصيحة غبّها لنجاح	107-106
أبو ذؤيب الهذلي	فإنْ تُمسِ في قبرٍ برَهوةٍ ثاوياً أنيسُك أصداء القبور تصيحُ	341
المغيرة بن حبناء	سأتركُ منزلي لبني تميم وألحقُ بالحجازِ فأسْتريحَا	231

قافية (ج)

أبو الغول	لا همَّ إن كنتَ قبلتَ حِجَّتِجْ فلا يزال شاحجٌ يأتيكَ بجْ	150
العجاج	ما هاج أحزاناً وشجوا قد شجا ومَهْمَهٍ هالكِ من تعرَّجَا	409
جرير	متَّخِذاً من عِضَوَاتٍ توْلجَا	161

قافية (د)

بلا نسبة	عجبت هنيدةٌ أن رأت ذا رُثَّةٍ وفماً به قصمٌ وجلداً أسودا	411
بعض البغداديين	فدومي على العهد الذي كان بيننا أمَ انتِ من اللاَّ ما لهنَّ عهودُ	150
الأرقط	قدني من نصر الخبيبين قدي ليس الإمام بالشحيح الملحد	263، 303
أوس بن حجر	أَبَنِي لُبَيْنَى إِنّ أمَّكُمُ أَمَةٌ وإن أباكم عَبُد	284
ابن الرقيات	أُمُّكَ بيضاءُ من قضاعةَ قد نمتْ لك الأمهات والنَّضد	412، 413

الأعشى	أ لم تغتمضْ عيناك ليلةَ أرْمدَا وعادك ما عاد السَّليمَ المسهَّدَا	340
الأعلم الهذلي	وإنَّ سيادة الأقوام فاعلم لها صعْداءُ مطلبُها شديدُ	147، 406
بلا نسبة	يا ربَّ سارٍ بات لن يُوسَّدا تحت ذراع العنْسِ أو كفِّ اليدا	63
الفرزدق	أعد نظراً يا عبدَ قيسٍ لعلَّما أضاءت لك النار الحمار المقيَّدا	153
الحطيئة	وإن قال مولاهم على جلِّ حاد من الدَّهر ردُّوا فضل أحلامكِم ردّوا	310

قافية (ر)

أبو الحسن الحصري	لقد يدَّعي علمَ القراءات معشرٌ وباعُهم في النَّحو أقصرُ عن فتَر	183
الأعشى	شتَّان ما يومي على كورها ويومُ حيَّان أخي جابرِ أرمي بها البيدَ إذا هجَّرتْ وأنت بين القرو والعاصر	340، 408، 409
بلا نسبة	وما راعنا إلا يسيرُ بشُرطة وعهدي به قيْناً يفُشُّ بكيرِ	150
بلا نسبة	يؤامر نفْسيْه وفي العيش نزهةٌ أيسْترْبع الذَّوبانَ أم لا يطورُها	149
الخنساء	ترتعُ ما رتعتْ حتى إذا ادَّكرتْ فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ	326
العباس بن مرداس	بُغاث الطير أكثرُها فراخاً وأمُّ الصقر مقلات نَزورُ	151

قافية (س)

المتنبي	إذا لم يكن صدر المجالس سيد فلا خير فيمن صدرته المجالس وكم قائل ما لي رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس	61
الخنساء	يذكِّرني طلوعُ الشمس صخراً وأذكرهُ لكلِّ غروب شمسِ	148
جران العود	وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلاَّ اليعافيرُ وإلاَّ العيسُ	341

قافية (ص)

جحظة الرقعمق	قالوا اقترحْ علينا شيئاً نجدْ لك طبخُه قال اطبُخُوا لي جُبّةً وقميصا	332
ذو الخرق الطهوي	يقول الخنى وأبغض العُجم ناطقاً إلى ربنا صوت الحمار اليّجَدَّع	369
أبو ذؤيب الهذلي	سبقوا هويَّ وأعنقوا الهواهُمُ فتُخرموا ولكلِّ جنب مصرعُ	311

قافية (ع)

جرير	لما أتى خبرُ الزُّبير تواضَعتْ سور المدينة والجبال الخشَّعُ	331
عمرو بن معد يكرب	وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ تحيَّةُ بينِهم ضرْبٌ وجيعُ	341

قافية (ف)

ابن مالك	ولاضطرار أو تناسب صرف ذو المنع قد لا ينصرف	423

قافية (ق)

لطيف بن تميم العنبري	تقول إذا استهلكت مالاً لِلَذَّةٍ فُكيْهةٌ هَشَّيْءُ بكفَّيكَ لائقُ	313

النابغة	وإذا طعنت طعنت في مستهدفٍ رابي المجسَّة بالعبير مُقرق	152
كعب بن زهير	ومنْ لاَ يُقدِّم رجْله مطمئنَّةً فيُثبتَها في مسْتوى الأرض يزلق	230
المهلهل بن ربيعة	رفعت رأسها إليَّ وقالت يا عديّاً لقد وقتْكَ الأواقي	153

قافية (ك)

العباس بن مرداس	يا خاتم النبآء إنك مرسل بالحقِّ كلُّ هدى السبيل هداكا	146
رجل من حمير	لنضربَنَّ بسيْفنا قَفَيْكَا	311

قافية (ل)

امرؤ القيس	وصُمذً صِلابٌ ما يقين من الوجى كأنَّ مكان الرِّدف منه على رالِ	152
النابغة الذبياني	بكى حارث الجولانِ من موْت ربِّه وحوْرانُ منه خاشعٌ متضائل	330
لبيد	سقى قومي بني مجدٍ وأسقى نُمَيْراً والقبائلَ من هلالٍ	261
الكميت	تذكَّر من أنَّى ومن أين شربه يؤامرُ نفسيه كذي الهجمة الإبل	251، 340
الأعشى	ودِّع هريرة إنَّ الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل	339، 340
عبد الرحمن بن حسان	أغرُّ الثنايا أصمُّ اللِّثات يحسِّنها سُوُكُ الإسحِلِ	153
الأخطل	فرابية السكران قفر فما بها لهم شبح إلا سلام وحرمل	154
الأعلم الهذلي	على حتِّ البراية زمخرِيِّ الـ سواعد ظلَّ في شَرِيٍ طوال	151
ذو الرمة	أبَتْ ذِكر عوَّدْن أحشاءَ قلبِه خفوقاً ورَفْضاتِ الهوى في المفاصلِ	149
زهير بن أبي سلمى	فَلأْياً بَلأْيٍ ما حملْنَا وليدَنَا على ظهْرِ محبوكٍ ظِماءٍ مفاصِلُه	225
امرؤ القيس	تشكو الوجى من أظلل وأظلل من طول إملالٍ وظهرٍ أمللِ	152
كثيِّر	لميَّة موحشاً طللٌ يلوحُ كأنَّه خللٌ	225
الراعي النميري	فقلت ما أنا ممَّن لا يواصلني ولا ثَوائيَ إلا ريثَ أحتمل	148
الشاطبي	وروميك إسماع المحرك واقف بصوت خفي كل دان تنوَّلا والإشمام إطباق الشفاه بعيدما يسكن لا صوت هناك فيصْحلا	134
جرير	لو شئتِ قد نَقَعَ الفؤَادُ بشَرْبةٍ تَدَعُ الحوائمَ لا يَجُدْنَ غليلا بالعَذْب من رصَف القِلاتِ مَقِيلُه قضُّ الأباطح لا يزالُ ظليلا	405
رجز بلا نسبة	لن يغلبَ اليومَ جَباكُمْ قَبَلي	203
الأغلب العجلي	ماض إذا ما همَّ بالمضِيِّ قال لها هل لكِ يا تافِيِّ	89، 235

قافية (م)

الحارث بن خالد	وأصبح بطْنُ مكَّة مُقشعِرّاً كأنَّ الأرض ليس بها هشامُ	330

الفرزدق	ألم تري عاهدت ربي وأنني لبين رتاجٍ قائماً ومقامِ على حلفةٍ لا أشتُم الدهر مسلماً ولا خارجاً من فيَّ زور كلامِ	154
الفرزدق	ثلاث مئينٍ للملوك وفَى بها ردائي وجلَّت عن وجوه الأهاتم	413
الأعشى	غزاتك بالخيل أرض العدو وجذعانها كلفيظ العجم	411، 412
زهير بن أبي سلمى	وقد قلتما إن ندرك السِّلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم	272
رجز مجهول القائل	في جاهليَّاتٍ مضتْ أو سلْم	273
أمية بن الصلت	فلا لغوٌ ولا تأثيمٌ فيها وما فاهوا به لهمُ مقيمُ	214
بلا نسبة	له ولها وقع بكلِّ قرارة ووضع بمستنِّ الفضاء قويم	142
حسان بن ثابت	لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعن بالضُّحى وأسيافُنا يقْطُرن من نجْدة دما	392
العجاج	صُرنا به الحُكْم وعيًّا الحكَّما	406
بلا نسبة	أنائلَ إنني سلمٌ لأهلكِ فاقبلي سلَمي	149

قافية (ن)

عمران بن حطان	قد كنتُ جارك حولاً ما تُروِّعني فيه روائعُ من إنس ولا جانِ	408
رجل من أزد السراة	فظلت لدى البيت الحرام أخيله ومطواي مشتاقان له أرقان	235
عامر بن أبي ربيعة	أخطأ الربيعُ بلادهم فسُقوا ومن أجلهم أحببْتُ كلَّ يمان	261
عمرو بن كلثوم	ألاَ لا يجْهلنَّ أحدٌ علينْا فنجْهل فوقَ جهْلِ الجاهلِينَا	332، 334
أبو حية النميري	أبالموت الذي لا بدَّ أنِّي مُلاقٍ لا أباكِ تُخوِّفيني	303
عمرو بن معد يكرب	تراهُ كالثِّغَام يُعَلُّ مسْكاً يسُوءُ الفالياتِ إذا فليْنِي	303
رجل من سلول	ولقد أمر على اللئيم يسبُّني فمضيتُ ثُمتَ قلتُ لا يعنيني	153

قافية (ي)

مجنون بني عامر	فهذي شهور الصيف عناقد انقضت فما للنوى ترمي بليلى المراميا	311

سادساً: فهرس الشواهد النثرية

الشاهد	الصفحة
أتانا صكَّة عُميٍّ	155
إنك لأخدعُ من ضبٍّ حرشته	155
التقت حلقتا البطان	156، 416
شرٌّ أهرَّ ذا ناب	156
فداءٌ لك أبي وأمّي	213
في كلِّ شجرٌ نارٌ واستمجد المرخُ والعَفارُ	155
القول ما قالت حذام	326
لقد كنت وما أخشّى بالذئب	156
وُلْدُكِ مَن دمَّى عقِبَكِ	155

سابعا: قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- الإبانة، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ط، د.ت.
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، ت: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، 1978م.
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لأبي القاسم بن فيُّره الشاطبي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة المقدسي، ت: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، دم، د.ط، د.ت.
- أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية،وآثارهُ في القراءات والنحو، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة –مصر، د.ط، 1377 هـ.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمَّى: منتهى الأماني والمسرَّات في علوم القراءات، أحمد بن محمد البنَّا، ت: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب –بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية –القاهرة، ط1، 1407هـ- 1987م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة، بيروت، د.ط، 1951م.
- إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن المعروف بالإتقان في علوم القرآن، ، محمد بن محمد الغزي أبو بكر السيوطي، ت: خليل محمد العربي، دار الفاروق الحديثة –القاهرة، ط1، 1415هـ.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ت: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي –دمشق، د.ط، 1980م.
- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، ت: يوسف أحمد البكري و شاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم -بيروت، ط1، 1418هـ- 1997م.

- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد أبو محمد بن حزم ، دار الحديث –القاهرة، ط1، 1404هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد أبو الحسن الأمدي، ت: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1404هـ.
- أخبار النحويين، عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم، ت: مجدي فتحي السيِّد، دار الصحابة للتراث –طنطا، ط1، 1410هـ.
- الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي منه، نصر سعيد، درا الصحابة للتراث طنطا، د.ط، 2006م.
- الأدلة في أصول النحو مع الإغراب في جدل الإعراب، عبد الرحمن كمال الدين أبو البركات الأنباري، ت: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، د.ط، 1377هـ- 1957م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، محمد بن محمد أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، د.ط، د.ت.
- أساس البلاغة، محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري، ت: عمر بن رحال، مطبعة المدني –القاهرة، 1991م.
- الاستدراك على أبي علي في الحجة، أبو الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي، ت: محمد أحمد الدالي، مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، لجنة نشر التراث –الكويت، ط1، 1428هـ- 2007م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجاني، ت: محمود شاكر، نشر دار المدني، جدَّة، ط1، 1991م.
- أسرار اللغة، أنيس إبراهيم، الأنجلو المصرية –القاهرة، د.ط، 1966م.
- الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1403هـ.
- إصلاح المنطق، يعقوب بن إسحاق، ابن السكيت، ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف –القاهرة، ط4، 1949م.
- الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، محمود العالم المنزلي، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط1، سنة: 1322هـ.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط3، 1408هـ- 1988م.
- إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منير سلطان، منشأة المعارف –الإسكندرية، ط3، 1986م.
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري –القاهرة، دار الكتاب اللبناني –بيروت، ط2، 1402هـ- 1982م.
- إعراب القرآن من البحر المحيط لأبي حيان، ابن سيده النحوي، مكتبة المشكاة الإسلامية، د.ط، د.ت.

- إعراب القرآن، أحمد بن إسماعيل أبو جعفر النحاس، ت: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط3، 1988.
- إعراب ثلاثين سورة، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، دار مكتبة الهلال –بيروت– لبنان، د.ط، 1985م.
- أعلام في النحو العربي، مهدي المخزومي، الموسوعة الصغيرة (60)، منشورات دار الجاحظ ودار الحرية للطباعة –بغداد، 1980م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ت: سمير جابر، دار الفكر –بيروت، ط2، د.ت.
- الإغفال المسمَّى بـ المسائل المصلَحَة من كتاب "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزَّجَّاج، أبو عليٍّ الحسنِ بنِ أحمدَ الفارسيِّ ، ت: عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم، جامعة فهد للبترول والمعادن – الظهران، د.ط، د.ت.
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1406هـ.
- الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي أبو جعفر الأنصاري، ابن الباذش، ت: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، القاهرة، د.ت.ط.
- الأم، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار المعرفة –بيروت، ط2، 1393هـ.
- أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني العلوي، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط1، 1413هـ- 1992م.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ت: أحمد أمين و أحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، د.ت.
- إملاء ما من به الرحمن، عبد الله بن الحسين أبو البقاء العكبري، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، د.ت.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، علي بن يوسف القفطي، ت: محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت، ط1، 1406هـ- 1986م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، دار الفكر –دمشق، د.ط، د.ت.
- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي، ت: أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي دار الوفاء – جدة، ط1 ، 1406هـ.

- إيثار الحق على الخلق في ردّ الخلافات إلى المذهب الحقّ من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى القاسمي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1987م.
- إيجاز التعريف في علم التصريف، ابن مالك، ت: مهدي عبد الحي، دار عمار سالم- السعودية، د.ط، 1422هـ- 2002م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني، دار إحياء العلوم – بيروت، ط4، 1998م.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر، دار المعرفة –بيروت، د.ط، د.ت.
- بدائع الصنائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي –بيروت، ط2، 1982م.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر أبو الفداء ، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، د.ت.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1391هـ.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1988م.
- بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، د.ن، ط2، 1399هـ- 1979م.
- بقية الخاطريات، أبو الفتح بن جني، ت: محمد أحمد الدّالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، د.ت.
- البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الليداني، دار القلم – الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط1: 1416هـ- 1996م.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي –الكويت، ط1، 1407هـ، 1/ 186.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، ت: فوزي عطوي، دار صعب –بيروت، ط1، 1968م.
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت.
- تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، ت: محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب –بيروت، ط3، 1401هـ- 1981م.
- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم المعروف بابن عساكر، ت: علي شيري، دار الفكر والنشر والتوزيع –بيروت، لبنان، د.ط، 1415هـ- 1995م.

- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن أحمد، ابن زبر الربعي، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1410هـ.
- تاريخ واسط، أسلم بن سهل الواسطي، ت: كوركيس عواد، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1406هـ.
- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم أبو محمد بن قتيبة الدينوري، شرحه ونشره: أحمد صقر، دار التراث –القاهرة، ط2، 1993م.
- التبصرة، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي،ت:محمد حسن هيتو،دار الفكر –دمشق، ط1، 1403هـ.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين العكبري، ت: علي محمد البجاوى عبدالله، إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.
- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ت: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا –القاهرة، ط1، 1992م.
- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان،الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي، اعتنى به: عبد الفتَّح أبو غدَّة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحل، دار البشائر الإسلاميَّة –بيروت –لبنان، ط3، 1412هـ.
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية – تونس، المؤسسة الوطنية–الجزائر، د.ط، 1984م.
- تدريب الراوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة –الرياض، د.ط، د.ت.
- تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر بن القيسراني، ت: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، ط1، الرياض، 1415هـ.
- التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن غلبون، ت: عبد الفتاح بحيرى إبراهيم، مطبعة الزهراء للإعلام العربي –القاهرة، ط1، 1410هـ- 1990م.
- تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف –بيروت، د.ط، 1994م.
- التعديل والتجريح، سليمان بن خالف، أبو الوليد الباجي، ت: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع –الرياض، ط1، 1406هـ- 1986م
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1405هـ.
- التعليقة على كتاب سيبويه، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، ت: عوض بن حمد القوزي، ط1، 1410هـ- 1990م.
- التعليقة على كتاب سيبويه، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، ت: عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة –القاهرة، ط1، 1410هـ- 1990م.

- تغليق التعليق، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ت: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي –بيروت، دار عمان –عمان، الأردن، ط1، 1405هـ.
- تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد بهجة الأثري، المطبعة الهاشمية –دمشق، د.ط، 1386هـ- 1966م.
- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، ت: أحمد يوسف الدقَّاق، دار الثقافة العربيَّة –دمشق، د.ط، 1974م.
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت،ط1، 1422 هـ-2001م.
- تفسير النسفى، عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات النسفي، ت: مروان محمد الشعار، دار النفائس. بيروت، د.ط، 2005م.
- تقريب النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري ، ت: إبراهيم عَطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 1425هـ- 2004م.
- التكملة، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، ت: كاظم بحر المرجان، مطبعة دار الكتب –الموصل- العراق، د.ط، 1980م.
- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، ت: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، د.ط، سنة: 1384هـ- 1964م.
- التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ- 1985م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر النمري القرطبي، ت: سعيد أحمد أعراب، مكتبة المؤيد، د.ط، 1407هـ- 1985م.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء البدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطي الشافعي، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهريّة للتراث –القاهرة، ط2، 1977م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرحية ألفية بن مالك، بدر الدين حسن بن قاسم أبو محمد المرادي، ت: عبد الرحمن سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ-2008م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: محمد رضوان الدابة، دار الفكر المعاصرو دار الفكر –بيروت ودمشق، ط1، 1410هـ.
- التيسير في القراءات السبع، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح: ارتويرتزل، دار الكتاب العربي –بيروت، د.ط، د.ت.
- تيسيرات نحويَّة، شوقي ضيف، دار المعارف –القاهرة، د.ط، 1993م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر و أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط1، 1374هـ.
- جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، ت: عبد الرحيم الطَّرهوني و يحيى مراد، دار الحديث –القاهرة، ، د.ط، 1427هـ- 2006م.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله القرطبي، ت: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب –القاهرة، ط2، 1372هـ.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر – بيروت، ط2، 1988م.
- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن أبو بكر بن دريد، حيدر آباد –الهند، د.ط، 1345هـ.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خانه –كراتشي، د.ط، د.ت.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء، منشورات مير محمد كتب خانه، كراشي، د.ط، د.ت.
- حاشية الشهاب الخفاجي المسمَّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر – بيروت، د.ط، د.ت.
- حاشية رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عابدين، دار الفكر –بيروت، ط2، 1386هـ.
- حجَّة القراءات،عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة بن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط2، 1402هـ- 1982م.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، ت: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط6، 1417هـ- 1996م.
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، تعليق: مصطفى كامل الهنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1421هـ- 2001م.
- الحيوان، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة البابي الحلبي –القاهرة، د.ط، 1965م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط4، 1418هـ- 1997م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية –مصر، د.ط، د.ت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدايم السمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم –دمشق، ط1، 1986م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ- 1998م.

- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، الكويت، ط1، 1976م.
- الدراية في تخريج أحاديث النهاية، ابن حجر العسقلاني، ت: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة –بيوت، د.ط، د.ت.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس الحراني، ت: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن –دمشق، ط2، 1404هـ.
- ديوان الحطيئة، اعتنى به: حمدو طمَّاس، دار المعرفة –بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ- 2005م.
- ديوان الخنساء، شرح: حمدو طمَّاس، دار المعرفة –بيروت، ط2، 1425هـ- 2004م.
- ديوان الفرزدق، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1407هـ- 1987م.
- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، ت: محمد نبيل طريفي، دار صادر –بيروت، ط1، 2000م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق: سجيع جميل الجبيلي، دار صادر –بيروت، د.ط، د.ت.
- ديوان حسان بن ثابت، ت: وليد عرفات، دار صادر –بيروت، د.ط، د.ت.
- ديوان ذي الرّمَّة (غيلان بن عقبة)، شرح أحمد بن حاتم الباهلي، رواية ثعلب، ت: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان –بيروت، ط1، 1982م.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ت: محمد يوسف نجم، دار صادر –بيروت، د.ط، د.ت.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تقديم: فايز محمد، دار الكتاب العربي –بيروت، ط2، 1416هـ- 1996م.
- ديوان عمرو بن كلثوم، ت: اِميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1419هـ- 1991م.
- ديوان عمرو بن معد يكرب، دار صادر –بيروت، د.ط، د.ت
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر –بيروت، د.ط، د.ت.
- ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني، ت: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1409هـ.
- ذيل تجارب الأمم،، أبو شجاع، مطبعة شركة التمدُّن الصّناعيَّة، د.ط، 1334هـ.
- رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، ت: بنت الشاطي عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط5، مصر، 1969م.
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، بغداد، ط1، 1982م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط.ت.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الأصبهاني، الدرر الإسلامية –بيروت، ط1، 1411هـ- 1991م.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي –بيروت، ط3، 1404هـ.

- السبعة في القراءات،أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد،ت: شوقي ضيف،دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـ.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: حسن هنداوي، دار القلم –دمشق، ط1، 1985م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: مصطفى السقا، إبراهيم مصطفى وغيرهما، مطبعة البابي الحلبي مصر، ط1، 1374هـ- 1954م.
- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، عليّ بن عثمان بن الحسن القاصح البغدادي، دار الفكر، بيروت، د.ط.ت.
- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية المجاني، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية، د.ط، د.ت.
- سنن ابن ماجة، ابن ماجة القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- سنن الترمذي، الترمذي محمد بن عيسى، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ط.
- السنن الصغرى، أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1410هـ- 1989م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9: 1413هـ.
- شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد محمد الحملاوي، شرح: عبد الحمد هنداوي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، سنة: 1423هـ- 2002م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، د.ت.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمذاني، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر – دمشق، ط2، 1985م.
- شرح التصريف، عمر بن عثمان الثمانيني، ت: إبراهيم سليمان، مكتبة الرشد –الرياض، ط1، 1999م.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط2، 1996م.
- شرح العقيدة الطحاوية، الطحاوي، المكتب الإسلامي –بيروت، ط4، 1391هـ.
- شرح اللمع، جامع العلوم أبو الحسن الباقولي الأصبهاني، ت: إبراهيم أبو عباة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، 1411هـ- 1990م.

- شرح المفصّل في النحو والصرف، موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب –بيروت، د.ط، د.ت.
- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش النحوي،ت:فخر الدين قباوة، المكتبة العربية –حلب،د.ط، 1393هـ.
- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
- شرح الهداية ، أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي، ت: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، سنة: 1416هـ- 1995م.
- شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، ت: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة، د.ط، 1990م.
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1410هـ.
- الشعر والشعراء، أبو محمد مسلم بن قتيبة، ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف –القاهرة، ط2، د.ت.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ت: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران –بيروت، د.ط، 1383هـ.
- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي، ت: مصطفى السقا وغيره، دار المعارف، ط3، د.ن، د.ت.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير–اليمامة، بيروت، ط3: 1407هـ- 1987م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ط.
- الصرف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، تونس، ط2، 1987م.
- الصرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة: 1421هـ- 2000م.
- الصناعة في علم لعربية، أبو عبد الله الدينوري، ت: حنا حداد، منشورات وزارة الثقافة –عمان، د.ط، 1994م.
- ضعفاء العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية –بيوت، ط1، 1404هـ- 1984م.
- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر السبكي، ت: عبد الفتاح محمد الحلو و هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط2: 1992م.

- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة، ت: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1407هـ.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري، دار صادر –بيروت، د.ط، د.ت.
- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة –القاهرة، ط1، 1396هـ.
- طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة، ت: محسن غياض، مطبعة النعمان –النجف، د.ط، 1974.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني –جدة، د.ط، د.ت.
- العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت –الكويت، ط2 –مصورة، 1948م.
- العجاب في بيان الأسباب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، ت: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي –الدمَّم، ط1، 1997م.
- العربية والنص القرآني، عيسى شحاته، المطبعة المصرية– مصر، د.ط، 1284هـ.
- علل أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ت: صبحي البدر السامرائي، مكتبة المعارف –الرياض، ط1، 1409هـ.
- علم الصرف الصَّوتي، عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة –الأردن، د.ط، 1998م.
- العلوّ للعلي الغفار، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله بن قايماز الذهبي، ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف –الرِّياض، ط1، 1995م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: عبد الله درويش، بغداد، د.ط، 1967م.
- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار، ت: أشرف محمد فؤاد طلعت، جدة، ط1، سنة: 1414هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، عناية: ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط1، 1427هـ–2006م.
- غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري بن محمد السفاقسي، ت: أحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان، ط1، 1425هـ– 2004م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ط.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر –بيروت، د.ط، د.ت.

- الفسر، أو شرح ابن جني لديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: صفاء خلوصي، طبع دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد، ط1، 1988م.
- الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ط، د.ت.
- فقه اللغة، إسماعيل أبو منصور الثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت، د.ط، د.ت.
- الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1398هـ-1978م.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية –القاهرة، ط4، د.ت.
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر –دمشق، ط2، 1408هـ- 1988م.
- القاموس المحيط مؤسسة الرسالة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3: 1413هـ- 1993م.
- القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، ط2، 1980م.
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بازمول، دار الهجرة، الرياض، ط1: 1417هـ- 1996م.
- قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.
- قواطع الأدلة في الأصول، منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو المظفر السمعاني، ت: محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1997م.
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله Y، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط دار القلم، ط2، 1409هـ-1989م.
- قواعد نقد القراءات القرآنية –دراسة نظرية وتطبيقية–، عبد الباقي بن عبد الرحمن بن سراقة سيْسي، تقديم: إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1430هـ- 2009م.
- القياس في النحو العربي نشأته وتطوُّره، سعيد جاسم الزبيدي، دار الشروق للنشر والتوزيع–عمان، ط1، 1997م.
- الكافي في القراءات السبع، أبو عبد الله محمد بن شريح، الرعيني الإشبيلي الأندلسي، تحقيق: سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني، د.ط، سنة: 1419هـ.
- الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، ت: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1415هـ- 1995م، 7/ 427.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد أبو العباس المبرد، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، ط3، 1417هـ- 1997م.

- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ط، د.ت.
- كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس بن تيمية الحراني، ت: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، د.ط، د.ت.
- كشاف القناع على متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، ت: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر –بيروت، د.ط، 1402هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، دار الكتاب العربي . بيروت، د.ط، 1407هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، 1413هـ- 1992م.
- كشف المشكلات، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الباقولي، ت: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية –دمشق، 1415هـ- 1995.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ- 1997م.
- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، ت: أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية –المدينة المنوَّرة، د3ط، د.ت.
- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ، أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكفومي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة –بيروت، 1419هـ- 1998م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة –بيروت 1989م.
- كنز المعاني، محمد بن أحمد الموصلي المعروف بـ شُعلة، الاتحاد العام لجماعة القراء، القاهرة. د.ط.ت.
- اللباب في علل البناء والإعراب، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ت: غازي مختار طليمات، دار الفكر –دمشق، ط1، 1995م.
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1: د.ت.
- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت: اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدَّة، دار البشائر الإسلامية –بيروت–لبنان، ط1، 1422هـ- 2002م.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين أبو العباس القسطلاني، ت: عامر السيِّد وعبد الصبور شاهين، مطابع الأهرام –مصر، 1392هـ.

- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرَّشاد، عبد الله بن أحمد أبو محمد بن قدامة المقدسي، ت: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية –الكويت، ط1، 1406هـ.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية –الإسكندرية، د.ط، 1996م.
- ليس في كلام العرب، ابن خالويه، ت: أحمد عبد الغفور العطار، طبع مكة المكرمة، 1979م.
- المبدع، إبراهيم بن محمد أبو إسحاق بن مفلح الحنبلي، المكتب الإسلامي –بيروت، د.ط، 1400هـ.
- المبسوط، محمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1406هـ.
- متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيّرة الرعيني الشاطبي، ضبط ومراجعة: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، ط4، 1425هـ- 2004م.
- مجاز القرآن، معمر المثنى أبو عبيدة التميمي، ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي –القاهرة، د.ط، 1954م.
- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد أبو الفضل الميداني النيسابوري، ت: محمد نحي الدين عبد الحميد، دار المعرفة –بيروت، د.ط، د.ت.
- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي –القاهرة، بيروت، د.ط، 1407هـ.
- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس بن تيمية الحراني، د.ط، د.ت.
- المجموع شرح المهذب، محي الدين بن شرف النووي، ت: محمود مطرحي، دار الفكر –بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: علي النجدي ناصف وغيره، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –القاهرة، د.ط، 1415هـ- 1994م.
- المحرر الوجيز، ابن عطية، ت: المجلس الأعلى بفاس –المغرب، د.ط، د.ت.
- المحصول في علم أصول الفقه، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ت: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –الرياض، ط1، 1400هـ.
- المدرسة النحويَّة في مصر والشَّام في ق: 7- 8هـ، دار الشروق، د.ط، 1987م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد أبو عبد الله اليافعي اليمني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ- 1997م.
- مراسيل أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1408هـ.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت، فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م.

- المسائل البصريات، أبو علي الفارسي، ت: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني –القاهرة، ط1، 1405هـ- 1985م.
- المسائل الحلبيات،الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، ت:حسن هنداوي، دار المنارة –بيروت، د.ط، 1986م.
- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، أبو علي الفارسي النحوي، ت: صلاح الدين عبد الله السيكاوي، مطبعة العاني –بغداد، د.ط، د.ت.
- المساعد شرح تسهيل الفوائد، ابن عقيل، ت: محمد كامل بركات، دار الفكر –دمشق، د.ط، د.ت.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411هـ- 1990م.
- المستصفى من علم الأصول، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، ت: محمد عبد السلام الشافي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1413هـ.
- المستقصى في أمثال العرب، محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري، دار الكتب العلمية –بيروت، ط2، 1987م.
- مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط2، 1407هـ- 1986م.
- المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، سيف الدين الفقراء، عالم الكتب الحديث –بيروت، د.ط، 2005م.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب أبو محمد القيسي ، ت: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1405هـ.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث – دمشق، ط2، د.ت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن عليّ المقرّي الفيّومي، المكتبة العلمية، د.ط.ت.
- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد –الرياض، ط1، 1409هـ.
- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود أبو محمد البغوي، ت: حمد عبد الله النمري، وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ- 1997م.
- معاني القراءات، الأزهري، ت: عيد مصطفى درويش وعوض القوزي، دار المعارف –القاهرة،ط1، 1991م.

- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408هـ- 1988م.
- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، ت: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط1، 1411هـ- 1990م.
- معاني القرآن، أبوجعفر النحاس، ت: محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي –مكة المكرمة، ط1، 1409هـ- 1981م.
- معاني القرآن، علي بن حمزة الكسائي، تقديم: عيسى شحاته عيسى، دار قباء للنشر والتوزيع –القاهرة، د.ط.
- معاني القرآن، يحي بن زياد أبو زكريا الفراء، ت: أحمد يوسف وغيره، دارالمصرية للتأليف والترجمة –مصر، د.ط، د.ت.
- المعتمد، أبو الحسن محمد بن علي الطيب البصري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1403هـ.
- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرّومي، ت: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي –بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر –بيروت، د.ط، د.ت.
- معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1422هـ- 2002م.
- معجم ما استعجم، عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد البكري الأندلسي، ت: مصطفى السقَّا، عالم الكتب –بيروت، ط3، 1403هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.ت.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين محمد بن أحمد أبو عبد الله عثمان الذهبي، ت: بشار عوّاد معروف وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1: 1404هـ- 1984م.
- المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، ت: همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان –عمان-الأردن، ط1، 1404.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله دار الفكر –بيروت،ط6، 1985م.
- مغني اللبيب من كتاب الأعاريب، ابن هشام، ت: مازن مبارك ومحمد علي، دار الفكر –بيروت، ط6، 1985م.
- المغني، عبد الله بن أحمد أبو محمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر –بيروت، ط1، 1405هـ.

- مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.
- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1990م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط2، 1990م.
- المفتاح في الصرف لعبد القاهر الجرجاني، ت: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ط1: 1407هـ- 1987م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم –دمشق، الدار الشامية –بيروت، لبنان، ط2، 1418هـ- 1997م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم –دمشق، الدار الشامية –بيروت، ط2، 1418هـ- 1997م.
- المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، د.ط.
- مقدمة المقتصد، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ت: كاظم بحر مرجان، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1982م.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة –بيروت، د.ط، 1404هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر –بيروت، ط1، 1996م.
- المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان ابن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي، ت: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة الحلبي –مصر، ط1، 1373هـ- 1954م.
- منهج الإمام ابن عطية الأندلسي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره، فيصل بن جميل بن حسن غزاوي، إشراف: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة: 1422هـ.
- منهج السالك على ألفية ابن مالك، نور الدن علي بن محمد أبو الحسن الأشموني، ت: محي الدين عبد الحميد، القاهرة، د.ط، 1955م.
- المنهل الروي، محمد بن إبراهيم بن جماعة، ت: محي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر –دمشق، ط2، 1406هـ.
- المهذب، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي، دار الفكر –بيروت، د.ط، د.ت.
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة –بيروت، د.ط، د.ت.

- المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل –بيروت، ط1، 1997م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة –يروت–لبنان، د.ط، د.ت.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، مصر، د.ط.ت.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، د.ط، 1418هـ- 1998م.
- النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، ابن الجزري، قدم له: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط2، 1423هـ- 2002م.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي التنوخي، ت: عبود الشالجي، دار صادر –بيروت، د.ط، 1972م.
- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، ت: محمد يوسف البنوري، دار الحديث – مصر ، 1357هـ.
- نظرات في علم البديع، عبد المنعم الأشقر، مطبعة الأمانة –القاهرة، د.ط، 1980م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، طبعة حيدر آباد–الهند، 1971م.
- نقد الشعر، أبو الفرج بن قدامة بن جعفر، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط3، 1978م.
- النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني، ت: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط4، 1991م.
- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري ، الشهير بالماوردي، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، د.ت.
- نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد القلقشندي، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني –بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م.
- نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن الكريم، محمد مكي نصر الجريسي، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عامر، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1424هـ.
- الهداية شرح البداية، علي بن أبي بكر أبو الحسين المرغيناني، المكتبة الإسلامية –بيروت، د.ط، د.ت.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة –القاهرة، ط1، 1327هـ.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزي، عبد الحق بن غالب أبو محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، ط1، 1413هـ - 1993م.
- الورقات، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ت: عبد اللطيف محمد العبد، د.ط، د.ت.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، د.ط، 1968م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك أبو منصور الثعالبي النيسابوري، المطبعة الحنفية –دمشق، د.ط، د.ت.

ثامنا: فهرس الموضوعات

مقدمة:	أ
الباب الأوّل: الإمام أبو علي الفارسي وكتابه الحجة	01- 112
الفصل الأول: حياة الإمام أبي علي الفارسي	02-34
المبحث الأول: اسم الإمام ومولده ونشأته	03
المطلب الأول: الظروف العامة السائدة	04
الفرع الأول: الحالة السياسية والاجتماعية	04
الفرع الثاني: الحالة العلمية والثقافية	05

المطلب الثاني: اسم الإمام ومولده	07
الفرع الأول: اسمه ونسبه	07
الفرع الثاني: مولده ورحلاته	09
المطلب الثالث: نشأة الإمام	11
الفرع الأول: شيوخه	11
الفرع الثاني: زملاؤه	15
الفرع الثالث: ثقافته وتلامذته	18
المبحث الثاني: عقيدة الإمام الفارسي ومكانته العلمية ووفاته	20
المطلب الأول: عقيدة الفارسي ومذهبه	21
الفرع الأول: عقيدته	21
الفرع الثاني: مذهبه	25
المطلب الثاني: مكانة الفارسي العلمية	29
الفرع الأول: توثيق العلماء له وثناؤهم عليه	29
الفرع الثاني: مؤلفاته	30
المطلب الثالث: وفاة الإمام الفارسي	34
الفصل الثاني: التعريف بكتاب الحجة ومقارنته ببعض كتب القراءات والاحتجاج	35- 74
المبحث الأول: التعريف بكتاب الحجة	36
المطلب الأول: اسم الكتاب وتوثيقه وتاريخه	37
الفرع الأول: اسم الكتاب	37
الفرع الثاني: توثيقه	40
الفرع الثالث: تاريخه	41
المطلب الثاني: موضوع الكتاب ومضامينه	43
الفرع الأول: موضوع الكتاب	43
الفرع الثاني: مضامينه	49
المطلب الثالث: أهمية الكتاب ومنزلته	50

المبحث الثاني: مقارنة كتاب الحجة ببعض كتب القراءات والاحتجاج	54
المطلب الأول: مقارنة كتاب الحجة بكتاب السبعة لابن مجاهد	55
الفرع الأول: التعريف بمؤلِّف كتاب السبعة	55
الفرع الثاني: التعريف بكتاب السبعة	56
الفرع الثالث: الملامح العامة لمنهج كتاب السبعة	57
المطلب الثاني: مقارنة كتاب الحجة بكتاب الحجة لابن خالويه	60
الفرع الأول: التعريف بأبي عبد الله ابن خالويه	60
الفرع الثاني: التعريف بكتاب الحجة في القراءات السبع	61
الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين الحجتين	64
المطلب الثالث: مقارنة كتاب الحجة بكتاب "المحتسب" لابن جني	68
الفرع الأول: التعريف بأبي الفتح بن جني	68
الفرع الثاني: التعريف بكتاب المحتسب	69
الفرع الثالث: أوجه المقارنة بين كتاب الحجة والمحتسب	71
الفصل الثالث: تأثر الإمام الفارسي وتأثيره	75- 112
المبحث الأول: تأثر الإمام الفارسي بمن قبله	76
المطلب الأول: مظاهر تأثر الفارسي بالأخفش الأوسط وأسبابه	77
الفرع الأول: مظاهر تأثر الفارسي بأبي الحسن الأخفش	77
الفرع الثاني: أسباب تأثر الفارسي بالأخفش	83
المطلب الثاني: مظاهر تأثر الفارسي بابن مجاهد وابن السراج والفراء	86
الفرع الأول: تأثر الفارسي بالإمام ابن مجاهد	86
الفرع الثاني: تأثر الفارسي بالإمام السَّرَّاج	87
الفرع الثالث: تأثر الفارسي بالإمام الفراء	89
المبحث الثاني: تأثير الإمام الفارسي في من بعده	92
المطلب الأول: مظاهر تأثير الفارسي في ابن جني	93

الفرع الأول: الإفادة منه	93
الفرع الثاني: ثناؤه عليه وتوثيقه	98
المطلب الثاني: مظاهر تأثير الفارسي في الجرجاني	101
الفرع الأول: التعريف بالإمام الجرجاني	101
الفرع الثاني: جوانب تأثير الفارسي في الجرجاني	103
المطلب الثالث: مظاهر تأثير الفارسي في شراحه ونقاده	104
الفرع الأول: تأثير الفارسي في شراحه	104
الفرع الثاني: تأثيره في مقوِّميه ونقَّاده	107
الباب الثاني: الملامح المنهجية في كتاب الحجة	113- 178
الفصل الأول: منهج الفارسي في عرض القراءات وتوثيقها	114-178
المبحث الأول: منهج الفارسي في اعتماد المصادر وإيراد القراءات	115
المطلب الأول: مسلك الفارسي في اعتماد المصادر	116
المطلب الثاني: مسلك الفارسي في إيراد القراءات	120
المبحث الثاني: منهج الفارسي في عرض مصطلحات التجويد والقراءات	122
المطلب الأول: مسلك الفارسي في إيراد مصطلحات التجويد والقراءات	123
الفرع الأول: أهم مصطلحات علمي التجويد والقراءات المتداولة	123
الفرع الثاني: أهم مصطلحات علمي التجويد والقراءات قليلة التداول	124
المطلب الثاني: مسلك الفارسي في التعريف بالمصطلحات	127
الفصل الثاني: منهج الفارسي في إيراد الشواهد وتناول المسائل	138- 178
المبحث الأول: منهج الفارسي في إيراد الشواهد	139
المطلب الأول: مسلك الإمام في إيراد الشواهد من القرآن الكريم	140
الفرع الأول: مسلكه في إيراد الآيات القرآنية	140
الفرع الثاني: مسلكه في إيراد القراءات الشاذة	142
المطلب الثاني: مسلك الإمام في إيراد الشواهد من الحديث الشريف	144
الفرع الأول: مسلكه في إيراد السند	144

الفرع الثاني: مسلكه في إيراد المتن	146
المطلب الثالث: مسلك الإمام في إيراد الشواهد من كلام العرب	147
الفرع الأول: مسلكه في إيراد الشواهد الشعرية	147
الفرع الثاني: مسلكه في إيراد الشواهد النثرية	155
المبحث الثاني: منهج الفارسي في تناول المسائل اللغوية ومناقشتها	157
المطلب الأول: الاستعانة بأساليب المنطق ومسائل العقيدة	158
الفرع الأول: الاستعانة بأساليب المنطق	158
الفرع الثاني: الاستعانة بمسائل العقيدة	163
المطلب الثاني: الاستعانة بمسائل الفقه وأصوله	167
الفرع الأول: الاستعانة بمسائل الفقه في الدرس الصرفي	167
الفرع الثاني: الاستعانة بمسائل الفقه في الدرس النحوي	169
الفرع الثالث: الاستعانة بمسائل أصول الفقه وقضايا السياسة الشرعيَّة	171
المطلب الثالث: الاستعانة بمسائل التفسير وأسباب النزول	174
الفرع الأول: الاستعانة بالتفسير	174
الفرع الثاني: الاستعانة بأسباب النزول	177
الباب الثالث: منهج الفارسي في الاحتجاج للقراءات	179- 343
الفصل الأول: مفهوم علم الاحتجاج ومسلك الفارسي فيه	180-209
المبحث الأول: مفهوم علم الاحتجاج	181
المطلب الأول: تعريف علم الاحتجاج للقراءات وأهميته العلمية	182
الفرع الأول: تعريف علم الاحتجاج والتوجيه	182
الفرع الثاني: أهمية علم الاحتجاج واهتمام العلماء به	184
المطلب الثاني: دوافع توجيه القراءات ومراحله	187
الفرع الأول: دوافع توجيه القراءات	187
الفرع الثاني: مراحل تطوُّر علم الاحتجاج وأهم مصنَّفاته	189
المبحث الثاني: مسلك الفارسي في الاحتجاج	192

المطلب الأول: طريقة الفارسي في الاحتجاج	193
الفرع الأول: تعبيراته في الاحتجاج	193
الفرع الثاني: موضع الاحتجاج	199
الفرع الثالث: ربط توجيه الحروف بأقوال الأئمة	201
المطلب الثاني: الأصول المعتمدة في الاحتجاج	204
الفرع الأول: الرواية والنقل	204
الفرع الثاني: رسم المصحف	207
الفرع الثالث: اللغة	209
الفصل الثاني: الاحتجاج النحوي للقراءات	210- 245
المبحث الأول: المرفوعات	211
المطلب الأول: النموذج الأول	212
المطلب الثاني: النموذج الثاني	216
المبحث الثاني: المنصوبات	222
المطلب الأول: النموذج الأول	223
المطلب الثاني: النموذج الثاني	227
المبحث الثالث: المجرورات	233
المطلب الأول: النموذج الأول	234
المطلب الثاني: النموذج الثاني	239
الفصل الثالث: الاحتجاج الصرفي للقراءات	246- 292
المبحث الأول: قضايا الأفعال	247
المطلب الأول: الفعل بين صيغتي فعَل وفاعَل	248
المطلب الثاني: الفعل بين صيغتي فعَل وأفْعَل	258
المطلب الثالث: الفعل بين صيغتي فعَّل وأفْعَل	264
المبحث الثاني: قضايا الأسماء والجموع	270
المطلب الأول: الأسماء	271

الفرع الأول: النموذج الأول	271
الفرع الثاني: النموذج الثاني	272
المطلب الثاني: الجموع والمصادر	280
الفرع الأول: الجموع	280
الفرع الثاني: المصادر	285
الفصل الثالث: الاحتجاج الصوتي واللغوي والبياني للقراءات	293- 343
المبحث الأول: الاحتجاج الصوتي	294
المطلب الأول: توجيه الإدغام	295
الفرع الأول: الإدغام أول الكلمة	295
الفرع الثاني: الإدغام وسط الكلمة	299
الفرع الثالث: الإدغام آخر الكلمة	302
المطلب الثاني: توجيه الإشمام والإتباع	306
الفرع الأول: توجيه الإشمام	306
الفرع الثاني: توجيه الإتباع	309
المطلب الثالث: المماثلة الصوتية	312
الفرع الأول: المماثلة بين الكلمات	313
الفرع الثاني: المماثلة بين الحركات	314
المبحث الثاني: الاحتجاج اللغوي والبياني	319
المطلب الأول: الاحتجاج اللغوي	320
الفرع الأول: المقصود بالاحتجاج اللغوي	320
الفرع الثاني: التمثيل للاحتجاج اللغوي	320
المطلب الثاني: الاحتجاج البياني	325
الفرع الأول: المقصود بالاحتجاج البياني	325
الفرع الثاني: التمثيل للاحتجاج البياني	325

الباب الرابع: منهج الفارسي في اختيار القراءات ونقدها	424 -344
الفصل الأول: منهج الفارسي في اختيار القراءات ونقدها	386-345
المبحث الأول: منهج الفارسي في اختيار القراءات	346
المطلب الأول: مفهوم اختيار القراءات	347
الفرع الأول: تعريف الاختيار وتمييزه عن بعض الألفاظ ذات الصلة	347
الفرع الثاني: حكم الاختيار وشروطه	350
المطلب الثاني: مسلك الفارسي في اختيار القراءات	356
الفرع الأول: تعبيراته في اختيار القراءات	356
الفرع الثاني: شروط ومعايير أبي عليّ في اختيار القراءات	358
الفرع الثالث: طريقته في إيراد الاختيار ومقداره	371
المبحث الثاني: منهج الفارسي في نقد القراءات	373
المطلب الأول: مفهوم نقد القراءات	374
الفرع الأول: تعريف النقد	374
الفرع الأول: التمييز بين النقد وبعض الألفاظ ذات الصلة	375
الفرع الأول: حكم نقد القراءات	376
المطلب الثاني: مسلك الإمام أبي علي في نقد القراءات	377
الفصل الثاني: تقييم منهج الفارسي في الحجة	424 -387
المبحث الأول: المزايا والإيجابيات	371
المطلب الأول: المزايا المنهجيَّة	388
المطلب الثاني: المزايا التربوية والمعرفية	393
الفرع الأول: المزايا التربويَّة	393
الفرع الثاني: المزايا المعرفيَّة	395
المبحث الثاني: الملاحظات والمآخذ	401

المطلب الأول: المآخذ المنهجيَّة والعفويَّة	402
الفرع الأول: المآخذ المنهجيَّة	402
الفرع الثاني: الملاحظات العفويَّة	406
المطلب الثاني: الملاحظات المعرفيَّة	414
الفرع الأول: رأيه في مسألة الجمع بين ساكنين	414
الفرع الثاني: رأيه في مسألة صرف ما لا ينصرف	420
خاتمة	425
الفهارس الفنية	430
أولا: فهرس الآيات والقراءات	431
ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية	443
ثالثا: فهرس الأعلام	444
رابعا: فهرس الأماكن والأنساب	450
خامسا: فهرس الشواهد الشعرية	451
سادسا: فهرس الشواهد النثرية	456
سابعا: قائمة المصادر والمراجع	457
ثامنا: فهرس الموضوعات	474